التفسير الموضوعى للقرآن الكريم

موسى عليه السلام
و
رسل معه وبعده
بين الكتاب و السنة

آية اللّٰه العظمى الصادقي الطهراني

«الفهرس»

المجلد (٢٥)··· ١
موسى(ع) رسول كريم يتطلب من فرعون اداء عباد مستضعفين··· ٧
رسالة موسوية بآيات ربانيّة وسلطان مبين··· ١٧
مسارعة اسرائيلية في الكفر تحريف الكلم عن مواضعه··· ٦٣
يا أهل الكتاب··· ١٠٠
نقباء بني اسرائيل··· ١٣٣
ضرب الذلة والمسكنة على اليهود··· ١٣٩
اختلاف اليهود في التورات··· ١۴۴
حول بقرة بني اسرائيل··· ١۵٨
موسى وفتاه في رحلة مدرسية··· ٢٢۶
جماعة من النبيين··· ٣١٧
عزير الحافظ على التوراة··· ٣٢٨
حول داود(ع)··· ٣٣٧
حول داود وسليمان (عليهما السلام)··· ٣۵١
حول داود وسليمان··· ٣۶٢
ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان··· ٣٧٨
حول قارون··· ۴٠٩
حول لقمان(ع) بحكمته نبوئة وهو من قوم موسى(ع)··· ۴٢۵
قيام المهدى(عج) و افسادان عالميان اسرائيليان··· ۴۴٢
سفاهة اسرائيلية حول تحويل القبلة في شطر مدني··· ۴٨۵

موسى(ع) رسول كريم يتطلب من فرعون اداء عباد مستضعفين

وَ لَقَدْ فَتَنّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) فتنة سالفة قبل فتنتهم، من «جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين وأن جاءهم رسول كريم، وإنّها لفتنة كبرى أن يصبح الإنسان في قوة ونعمة وثراء ثم يأتيه رسول من اللّه يهدّده بطغواه فيها ويحد له تقواه.

و هذه من النصوص على الرسالة العالمية لموسى الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله إذ جاء قوم فرعون، كعديد أمثالهم، وهكذا تقتضي كرامة الرسالة وسعتها ألّا تخص قوما دون سواهم، مهما ركزت على قوم دون آخرين

كما في بني إسرائيل، «جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ»برسالة كريمة، وهم لئآم مستكبرون، ومن ثم بنو إسرائيل لئآم مستضعفون إلّا شذر منهم نبيون أم مؤنون، وما وصف رسول بشخصه أنه كريم إلّا موسى ومحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ»(٨١:١٩) وقرآنه: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» (٥٦: ٧٧) طالما الرسل بوجه عام: «سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ»(٨٠: ١٦) وعلّ هذا الإختصاص فيهما لموضع اللئامة المنقطعة النظير في قوم موسى وهذا البشير النذير.

و ما هي دعامة الرسالة الموسوية إلى فرعون وملإه، في اختصار دون احتصار؟ إنها:

أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللّٰهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَ أَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللّٰهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (١٩)

إنها تختصر في سلبية الفرعنة والاستكبار على عباد الله وعلى الله، وما لم يتحقق السلب فلا دور للإيجاب، ف «أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللّٰهِ» تطلّب أوّل من برثنة الفرعنة هو تخلية السبيل من عباد لله استعبدهم فرعون وملأه، إذ جعلوهم عبيدا لهم من دون الله، ولا يتضرر من هذه السلطة إلّا من تحت السلطة وهم بنو إسرائيل المستضعفون المستعبدون، فليبدأ بهم تخليصا لهم عن المستعبدين، ومن ثم يرجعهم إلى عباد رب العالمين، فما لم يخرج الإنسان من عبودية من سوى الله، ليس ليصبح عبدا لله.

ثم «وَ أَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللّٰهِ» تطلّب ثان، فإن فرعون كان عاليا من المسرفين، على عباد الله استعبادا، وعلى الله ادعاء «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى»فهو الطاغوت الذي يطغى على عباد الله ويطغى على الله!:

يعلل الأمر الأول ب «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» رسول لكم من الله أحمل أمانة الله، فأدوا إليّ عباد الله لأحقق فيهم ما ائتمنت من الله، وحتى إذا كانوا هؤاء عبادا لكم مملوكين، فالله يملكهم وإياكم، وقد أرسلني لاستدعائهم منكم تخليصا لاستعدائكم عليهم.

و يعلل الثاني «أَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللّٰهِ» ب «إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» ألّا سلطان لكم على الله وعباده، وألّا إله إلّا الله وأني رسول الله، سلطان يبين صدق ما أقول.

فالعلوّ الظالم أيا كان، على عباد الله وعلى الله، إنه رذيل قبيح، تطارده الرسالات الإلهية كأصل أصيل من أصولها، وهذا الرسول الكريم يؤر أولا بسلب العلو الاوّل، ومن ثم الثاني، فإن العباد هم المستاؤن المتضررون من هذا العلوّ كواقع خطير، ولكنما الله يعلى عليه إلّا في توهمات واهية، تركّز الرسالة الإلهية على سلبها ثانية، ولكي لايعلو على عباد الله بتركهم العلو على الله، وتعبدّهم لله! ثم «ليس عباد الله»هنا لمحة إلى كرامتهم في عبادة الله لموقفهم المتخلف طول تاريخهم، وانما هي تعريضة بآل فرعون ان اتخذوهم عبادا لهم، فالواجب الرسالي تخليصهم عن أسر العبودية لغير الله، حفاظا على ساحة الربوبية وتحريرا لمستضعفي عباد الله! «جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللّٰهِ» فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَ لا تُعَذِّبْهُمْ»(٢٠: ٤٧) وتحذرا من خلفيات هذه التطلّبات الثقيلة على آل فرعون يستعيذ بالله أن يرجموه، وقد كان عذاب الرجم عندهم أشد العذاب، وهذا الرسول الكريم لايترك أو يؤر دعوته خوف الرجم، ولا يعوذ بهم من عذاب الرجم، وإنما وَ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) (عذت»الماضي«أعوذ»الحال أو المستقبل، تدليلا على أن زاده في دعوته عوذ الرب فإنه رسول الرب فليعذه ربه في هذه السبيل الشائكة الفاتكة وكما أعاذ! .. وآخر المطاف في دعوته وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١): (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ» فلا تتعرضوني برجم أم ماذا؟ كما لاأحملكم على ما أدعوا كرها دون إختيار «فاعتزلون» فإنما شأني بعد كمال الدعوة مع ربي: فَدَعا رَبَّهُ أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ

(٢٢) أجرموا قطعا لثمرات الإنسانية الحرة قبل إيناعها، وفصلوا عنها كافة معداتها، والرسالة حياة جماهيرية وسلالة من ثمرات الإنسانية هم مجرموها وقاطعوها، يا رب أنت بعثتني للإثمار الإيناع لاستعدادات خاملة كرما على الإنسانية جمعاء «وَ جاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ» وهم برجمهم المهدّد مجرمون هذه البعثة الكريمة فأنت وشأنك يا رب! فلا مخلص لي في أمرك إلّا بأمرك يا رب! هنالك تأتي الإجابة فور الدعاء كأنها آتية مع الدعاء، ولمّا يصل أمرك إلى ما وصل: فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) (أسر بهم» فرارا عن تجدد حصرهم وأسرهم إياكم، ولأن سراة كل شيء أعلاه، فالإسراء ليلا هو السير بهم في مرتفع الليل «إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ»رغم ظلام الليل وارتفاعه وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤).

و لماذا هذا السريّ السرّي في مرتفع الليل؟ «إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ» على أية حال، فليكن الفرار ليلا لكي يبطئوا عن اتبّاعكم فلا يلحقوكم، وإذا اقتربوا إليكم بحرا، «وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً» ل «إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ» في اتباعهم إذا وجدوه رهوا!.

و الرّهو هو السكون، وهو الفرجة الواسعة، وكيف يترك البحر ساكنا على التطامه وتموّجه؟ إنه ضرب بعصاه البحر: «فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» (٢٦: ٦٣) وهذا المنفلق أصبح طريقا يبسا: «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً» (٢٠: ٧٧) وعلّ رهو البحر هو طريقه اليبس بفرجة واسعة، إذ لاماء فيه حتى يلتطم ولا ضيق حتى يصطدم، أم ورهو سائر البحر الماء مدّ البصر من الطريق اليبس دفعا عن الرهب، هنا يؤر موسى أن يترك البحر في رهوه أم رهويه كيلا يهابه آل فرعون، فيدخلوه لكي يصبحوا «جُنْدٌ مُغْرَقُونَ» وقد حصل ما أراد اللّه من غرق آل فرعون المتبقين وإنجاء بني إسرائيل المتبعين! وقد تلمح «وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ»أن موسى أراد بعد الخروج عن البحر أن يرجعه إلى ما كان صدّا عن آل فرعون، فأمره اللّه بترك البحر رهوا «إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ»أتركه لإغراء فرعون فإغراقه، وهكذا ينفذ قدر اللّه من خلال الأسباب جلية وخفية، لتكون كلمة اللّه هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى! هنا يطوى شريط حياة الطغاة الشريرة في ايحاءات قصيرة، تعقيبا عليه يشي بهوان فرعون الذي كان يشمخ بخرطومه فيطأطئ له المستخفون طاعة عمياء وعبادة طخياء، تاركا كل ثرواته ونعماته.

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ(٢٥) وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ(٢٦) وَ نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ(٢٧) تركوا كل كريم وكريم، إذ تركوا الرسول الكريم، ونعمة لانعمة، حيث النعمة هي الحالة الحسنة من مال أو حال، ومن حسنها بقاءها في كل النشآت فإنها هيئة، والنعمة هي التنعم المرة ثم انقطاع فإنها مرة، وهي للمتنعمين بها خاصة بالدنيا أيّاما أم بالتمام ثم تنقطع عنهم بالمرة وتصبح بعدها مرّة، ولا نجد النعمة في سائر القرآن إلّا هنا! فهؤاء الحماقى هم الذين يبدلون نعمة اللّه نعمة فنقمة: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ». تلك النعمة الجنات والعيون وزروع ومقام كريم، هم كانوا فيها غريقين فاكهين: يتعاطون فيها الفكاهة ومختلف ألوان الشهوة بكل تفاهة ورذالة وحيونة «كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (٢٨) (وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ» (٧: ١٣٧) (وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ. وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ

فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ» (٢٨: ٦)! ترى وهل أورث بنو إسرائيل كلما كان لفرعون وملائه وحتى «نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ»؟ علّه لا! حيث النّعمة مضلّلة ومن مقامهم استعلاء على اللّه واستعباد لعباد اللّه! أو علّه نعم، حيث النعمة هي النعمة التي تبدّل بكفرانها والكفر بها نعمة، فإرث النعمة للصالحين منهم نعمة، وللطالحين نعمة، وكما المقام الكريم السّلطة، كل يعاملها حسب البغية والشاكلة، وليس لزام الإيراث نقل عين الميراث، وإنما عزل قوم ونقل آخرين إلى ما كانوا يملكون، على تحول وتبدل أماذا؟

فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ» (٢٩) ترى وهل تبكي السماء والأرض على المؤن لكيلا تبكي على الكافر وما بكائهما؟ أجل وكما يروى عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله بكاء عليه وتحزنا من مواضع صلواته ومصاعد أعماله[1] ولأن البكاء هي التحزن البادي على وجه الباكي، وانقطاع عمل المؤن بموته انقطاع لما يصعد إلى السماء من أعماله وملّا ينزل إلى الأرض من بركاته، فكأنهما إذا تبكيان، وبنفس الحجة هما على الكافر يضحكان، حيث تنقطع أعماله التي كانت تسوّد كتاب الأرض والسماء، وتزعج كتّابهما الذين يستنسخونها! ومن ثم فأهل السماء والأرض- المطلعون على وفاة المؤن- هم عليه باكون وعلى الكافر ضاحكون! ثم ومن البكاء الإستنصار، الذي هو كائن من أهل اللّه للمؤن وبائن عن الكافر! ثم المؤن ولا سيما العالم إذا مات ثلم ثلمة دون الكافر، وقد يمثلون خلو الدار عن سكانها وقطّانها، بأنها باكية عليهم ومتوجعة لهم لانقطاع أسباب النعمة والأنسة عنها، ولكنما الكافر حياته عذاب على الناس، فلا تبكي عليه السماء والأرض، إذ لاأثر له صالحا حتى ينقص بفقدانه، ولو كانتا من الجنس الذي يصح منه البكاء لم تبكيا عليهم ولم تتوجعا لهم إذ كان اللّه عليهم ساخطا، ولهم ماقتا، وحياتهم عذاب على أهل السماوات والأرض.

كل هذه البكاء ثابتة للمؤن، منفية على الكافر «وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ»حيث أغرقهم اللّه دون إنظار وما كانوا منتصرين.

المستضعفون وهم دوما الأكثرية الساحقة، ومن معهم من رسل اللّه وملائكة اللّه وساير المؤنين، هم كلهم يفرحون ويرتاحون لموت الكافر ويبكون لموت المؤن.

فهناك بكاء للسماء والأرض على المؤن، كلما ازداد إيمانه ازدادت حيث تحمرّ كما احمرّت ليحيى بن

---

[1] .الدر المنثور ٦: ٣٠- اخرج الترمذي وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابو نعيم في الحلية والخطيب عن انس قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «ما من عبد إلّا وله في السماء بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل عليه من رزقه فإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» وذكر انهم لم يكونوا يعملوا على وجه الأرض عملا صالحا يبكى عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم.

واخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمي مرسلا قال قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إن الإسلام بدأ رغيبا وسيعود غريبا، ألا لا غربة على مؤن ما مات مؤن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ثم قرأرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم): «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» ثم قال: انهما لا يبكيان على كافر.

و اخرج ابن المبارك وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر من طريق المسيب بن رافع عن علي (رضي اللّه عنه) قال: ان المؤن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم تلا هذه الآية.

زكريا وللحسين[1] عليهماالسلام وبكاء لأهل السماوات والأرض، ولكتاب الأعمال وكتّابه، وللحياة الصالحة حيث البكاء تحزّن بانتقاص في الحياة، وانتقاض في سنن الحياة، وبكاء كل شيء بحسبه! وهناك ضحك لها كلها لموت الكافر، كلما ازداد كفرا ازدادت ضحكا وضحك كل شيء بحسبه، وترى هلّا يبكي على الكافر حتى الكفار، الذين كانت لهم حظوة وشهوة من حياته؟:: مورد الآية هم آل فرعون وقد استأصلوا بالغرق، ومن ورائهم مستضعفون من بني إسرائيل وسواهم وهم يضحكون.

ثم وسائر الكفار الذين يموتون عن أمثالهم، فقليل بواكيهم والضاحكون عليهم كثير، وبكاء السماوات والأرض يعني الكون كله بمن فيه وما فيه، والشذاذ الباكون على الكافرين، ليسوا السماوات والأرض، بل وليسوا منها بحق حيث لايعتبرون شيئا! ثم «فما بكت» إضافة إلى ما عنته، قد تعني السخرية بهم حيث كانوا يستعظمون أنفسهم، ويعتقدونهم إن ماتوا بكت عليهم الدنيا رغم ما ضحكت، كما نراها تضحك وحتى أهلوها الوارثون لها على فجارها، حيث يستغلونها بما يستقلون بها! إذا فذلك تعبير يلقي ظلال الهوان على هؤاء الطغاة المتطاولين حيث ذهبوا ذهاب النمال، وهم كانوا يطئون الناس وطأ النعال، أرواح خبيثة منبوذة في الكون، لمّا تنقطع عنه وتستروح فهو يستريح، فإنهم عذاب للكائنين مهين، ثم في الصفحة المقابلة لهم بنو إسرائيل الوارثون:

وَ لَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قد يأتي العذاب رحمة رغم كونه زحمة كما للذين يستشهدون في سبيل الله او يؤون دون مهانة في هذه السبيل، وهذا رغم كونه عذابا ليس من عذاب الله، وإنما عذاب الشيطان ولم يأت في القرآن بصيغة

---

[1] .الدر المنثور ٦ : ٣٠ واخرج ابن أبي حاتم عن عبيد المكتب عن ابراهيم رضي اللّه عنه قال: ما بكت السماء منذ كانت الدنيا إلّا على اثنين، قيل لعبيد. أ ليس السماء والأرض تبكي على المؤن؟ قال: ذاك مقامه وحيث يصعد عمله، قال:و تدري ما بكاء السماء؟ قال: لا- قال: تحمر وتصير وردة كالدهان، ان يحيى بن زكريا لما قتل احمرت السماء وقطرت دما وان الحسين بن علي عليه‌السلام يوم قتل احمرت السماء،اخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن زياد قال: لما قتل الحسين احمرت آفاق السماء اربعة أشهر.

أقول: ومن طريق أصحابنا روي بكاء السماء على يحيى وعلى الحسين عليهماالسلام القمي في تفسيره قال حدثني أبي عن حنان بن سدير عن عبد اللّه بن الفضل الهمداني عن أبيه عن جده عن أمير المؤنين صلوات اللّه عليه قال: مر عليه رجل عدو للّه ولرسوله فقال: «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ، وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ» ثم مرّ عليه الحسين بن علي عليه‌السلام فقال: لكن هذا لتبكين عليه السماء والأرض، وما بكت السماء و الأرض إلا على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهماالسلام،وفي كتاب المناقب لأبن شهرآشوب عن الباقر عليه‌السلام ان عليا عليه‌السلامخرج قبل الفجر متوكئا على عنزه والحسين عليه‌السلامخلفه يتلوه حتى أتى خلفه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ثم قال: ان اللّه تعالى ذكر أقواما فقال، «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» واللّه ليقتلنه ولتبكين السماء عليه.

وفيه عن الصادق عليه‌السلام بكت السماء على الحسين أربعين يوما بالدم وفيه عن إسحاق الأحمر عن الحجة عليه‌السلام حديث طويل في أواخره: وذبح يحيى عليه‌السلام كما ذبح الحسين ولم تبك السماء والأرض إلّا عليهما (نور الثقلين ٤ : ٦٢٧- ٦٢٨).

وفي تفسير البرهان ٤ : ١٦١ ج ٤ عن القمي عن امير المؤنين عليه‌السلام في الرحبة وهو يتلو هذه الآية إذ خرج عليه الحسين بن علي عليه‌السلام من بعض أبواب المسجد فقال: اما هذا سيقتل وتبكي عليه السماءالأرض.

وفيه خرج امير المؤنين عليه‌السلام فجلس في المسجد واجتمع أصحابه حوله فجاء الحسين عليه‌السلام حتى قام بين يديه فوضع يده على رأسه فقال: يا بنيّ إن اللّه عيّر أقواما بالقرآن فقال «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ» وايم اللّه لتقتلن من بعدي ثم تبكيك السماء والأرض.

العذاب اللهم إلا أذى في اللّه: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللّهِ»(۲۹: ۱۰):

و قد يأتي من اللّه تذكيرا ولعلهم يرجعون: «وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» ومنه مهين ومنه غير مهين:

و قد يأتي مهينا بما قدمت أيدينا وأن اللّه ليس بظلام للعبيد، وقد كان فرعون من العذاب المهين، حيث أهان كرم الإنسانية باستعبادها، استخفافا لها «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ» في بني إسرائيل قتلا وفتكا واستعبادا لرجالهم واستحياء لنسائهم: «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»(۲۸: ۴) (وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» (۲: ۴۹). «وَ لَقَدْ نَجَّيْنا»تأكيدات ثلاث[1] أنه نجاهم من العذاب المهين- «من فرعون»ولماذا؟ «إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ» عاليا على عباد اللّه استعبادا لهم وعلى اللّه ادعاء للربوبية العليا، مسرفا في علوّيه، وليس اللّه ليصبر على هكذا هتك وفتك لساحته وعباده، اللّهم إلّا امتحانا للعلات على علّاتهم وامتهانا لمن تخاذلوا أمامهم على علّاتهم:

إن العلو الاستعلاء بغير حق وفي إسراف هو من أهون العذاب المهين لجماهير المستضعفين. «وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ»(۱۰: ۸۳) (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» (۲۸: ۴) ولقد أسرف في علوه حتى على اللّه مسا مهينا من كرامة اللّه «فَحَشَرَ فَنادى. فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى» (۷۹: ۲۴).

فهنالك نجاة لبني إسرائيل من هذا العذاب المهين، ومن ثم اختيار لهم على علم على العالمين:

وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ (۳۲).

اختيار إلهي انتخابا لخير الموجودين في ذلك الزمن، و«على علم»بحالهم ومسيرهم ومصيرهم، وبخيرهم وشرهم، واللّه يعلم أنهم سوف يصبحون من أفسد المفسدين، لحد قلّما نجد أقواما في التاريخ الرسالي- فيما يقصه القرآن- كأمثالهم فيما أفسدوا.

و لكنه لما يعلمه اللّه أنهم على حالهم واستقبالهم من أفضل العالمين وأحقهم بالانتصار حيث استضعفوا بالفرعنة الجبارة وهم موحدون، وأن فيهم أنبياء صلحاء مهما حصل بينهم من انحراف وانجراف وتلكّؤوالتواء:

«وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ. وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ» لقد كان ذلك اختيارا مؤتا باختبار وحتى في الآيات التي أوتوها بلاء مبينا: وَ آتَيْناهُمْ مِنَ الْآياتِ ما فِيهِ بَلؤا مُبِينٌ (۳۳) وهي الآيات التي خصتهم دون آل فرعون، إذ كانت في غرقهم كفلق البحر، أو بعد غرقهم كانبجاس العيون من الحجر، ونتق الجبل، وإنزال المن والسلوى عليهم، وبنتيجة اختبارهم وسقوطهم في هوّات الضلالة والإفساد سلبت عنهم النبوة إلى نبي اسماعيلي، وبعث عليهم من يشردهم ويسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»(۷:) ۱۶۷).

---

[1] .هي ل- قد- نا. فان نا جمعية الصفات انه تعالى بهذا الجمع العظيم نجاهم.

و «ما فِيهِ بَلؤا مُبِينٌ» تلميحة بينة أن هذه الآيات المعجزات كانت بطيّاتها بلاء مبين يبين مدى إيمانهم أو كفرهم وكفرانهم.

رسالة موسوية بآيات ربانيّة وسلطان مبين

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (٢٢).

و هكذا تكون عاقبة الكفر بآيات الله البينات، أخذا في الأولى قبل الأخرى، تدليلا على مدى الأخذ في الأخرى.

و من أنحس النماذج للذين كانوا من قبلهم ثالوث فرعون وهامان وقارون، كل يمثل جانبا من الكفر والمجموع جملة الكفر، تتجاوب في ضخامة الصراع بين الكفر والإيمان في ذلك المقطع من التاريخ:

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلى فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذّابٌ (٢٤).

فرعون وهامان وملأهما لم يكونوا من بني إسرائيل وقد أرسل إليهم موسى رسالة قاصدة، مما يدل على أن هذه الرسالة السامية غير محصورة في بني إسرائيل مهما كانوا هم المحور الأصيل فيها «ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِها ...» (٧: ١٠٣)[1]. فرعون هو الضلع الأكبر من ذلك الثالوث، ويذكر في سائر القرآن (٧٤) مرة، وهامان ممثله ووزيره (٦) مرات وقارون ابن عم موسى مرات، وتجمعهم أجمع هذه وآية العنكبوت «وَ قارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ»(٣٩).

و لأن هؤلاء الثلاثة هم المحور الأصيل في السلطة الفرعونية استكبارا واستحمارا واستثمارا، تتجاوب مع بعض في السلطة التامة على المستضعفين، لذلك أصبحوا أصول المرسل إليهم من المستكبرين، كما وبنو إسرائيل هم أصول المرسل إليهم من المستضعفين، ثم الفروع للأولين «و ملئه» ولآلخرين سائر المستضعفين في الرسالة الموسوية.

ترى ما هو الفارق هنا بين «بآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» وهي مكررة في هود والمؤنين[2] وآيات أخرى تخص السلطان «وَ فِي مُوسى إِذْ أَرْسَلْناهُ إِلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» (٥١: ٣٨) (وَ آتَيْنا مُوسى سُلْطاناً مُبِيناً» (٤:) ١٥٣) (قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بآياتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ»(٢٨: ٣٥).

السلطان هو السلطة عقليا أمّا ذا ببرهان، أم واقعيا، فهو- على أية حال- أمر لايغلب، بل ويغلب، فهل هو فقط آية الثعبان إذ كانت امّ الآيات الموسوية، أفردت بالذكر بعد الآيات أم دونها لأنها هامّتها، وقد غلبت كل سحر من السحرة مما برهنت لهم أنها آية خارقة إلهية؟

أجل إنها سلطان من هذه الناحية، ولكن «وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بآياتِنا أَنْتُما وَ مَنِ

---

[1] .ينضم ملأ فرعون إليه في الرسالة الموسوية في الآيات التالية: ١٠: ٧٥ و١١: ٩٧ و٢٣: ٤٦ و٢٨: ٣٢ و٤٣: ٤٦ .

[2] .(وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» ١١: ٩٦ (ثُمَّ أَرْسَلْنا مُوسى وَ أَخاهُ هارُونَ بآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ» ٢٣: ٤٥ .

اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ»برهان لامردّ له أنها ليست آية الثعبان، فانها مهما كانت سلطانا عقليا وحسيا لم تك لتمنع السلطة الفرعونية الكافرة بالآيات عن القضاء على موسى وهرون.

إذا فهو الهيبة المستمدة من اللّه، والسلطة القاهرة الإلهية التي حالت دون المكائد الفرعونية أن تفتك بموسى، إضافة إلى سلطان الآيات بما فيها سلطان الثعبان «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما» بحجة قارعة «بآياتنا» و«فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما»باستئصال «بِسُلْطانٍ مُبِينٍ»سلطانا يجمع بين السلطة العقلية والواقعية، والنتيجة الحاسمة: «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بآياتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ».

هذا موسى ومعه آيات وسلطان مبين، وهؤاء «فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ قارُونَ»ومعهم شهوات وحيونات وسلطان مهين، لايملكون حجة وجاه موسى إلّا داحضة «فَقالُوا ساحِرٌ كَذّابٌ» سنة دائبة في قرية جاهلة خائبة.

فَلَمّا جاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ وَ ما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ (٢٥).

لقد كان فرعون قبل «أن جاءهم الحق» «يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ»(٢٨: ۴) لكيلا يظهر بينهم موسى، أما الآن وقد ظهر بخارقة إلهية وجاءه بآيات وسلطان مبين وآمن معه من آمن، فلما ذا يجدد مع هامان وقارون قتل الأبناء واستحياء النساء، دون أن يأمروا بقتل الجميع، أم يأمروا كما أمر بعد ردح بقتل موسى لكي يجتث جذور الرسالة؟.

علّه لأنهم لم يسطعوا على قتلهم جميعا وقد تحزبوا بمن معهم من السحرة المؤنين وفي «آمَنُوا مَعَهُ» بدل «آمنوا به» لمحة لامعة بذلك التحزب، فإن في معية الإيمان تناصرا في أصله، فتعاضلا في فصله، وبأحرى لم يسطع على قتل موسى كما تلمح له «ذروني» وفي قتل أبنائهم واستحياء نسائهم منعة صارّة عن تداومهم في إيمانهم، وصدّ عن بقاء الإيمان بهذه الرسالة، حيث الناشئة المتربية في جر الإيمان تحمله كأقواه إلى الأنسال الآتية، ولماذا أبناءهم دون بناتهم لأنهن لسن ليحملن الإيمان بعد قتل الأبناء تخوفا، وفي بقائهن مآرب لهم:

«وَ اسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ» من الحياة إبقاء لهن خادمات لهم، ومن الحياء سلبا له منهن متعا جنسية[1] (وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» لمن آمن حتى يرجعوا كفارا، وللنساء حتى لا يؤنّ ولا يؤّنّ رجالهن في إيمانهم، وقد فعل فرعون هذه الفعلة وكاد هذه الكيدة «وَ ما كَيْدُ الْكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلالٍ» تلمح أنه ما نفّذ أمرهم كما أمروا، أم لم يهدهم إلى مرادهم كما قرروا، فأصبح كيدهم في ضلال، وخاب سعيهم على أية حال، فإنهم «آمَنُوا مَعَهُ» فتحول فرعون إلى استئصال محور الإيمان ومنبعه:

وَ قالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ (٢۶).

هنا يتفرد فرعون- الطاغية: رأس الزاوية- برأيه الخاص: «ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى»وهو بين من لايرتإي رأيه كما يلمح من «ذروني» وبين من يرتإيه «أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ» فقتل الأبناء واستحياء النساء كمتفق عليه حيث «قالُوا اقْتُلُوا»وقتل موسى مختلف فيه «ذروني» و«قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي

[1] .و على الثاني الاستفعال هنا للسلب كما في موارد عدة.

الْمَدائِنِ حاشِرِينَ» (۲۶: ۳۶) وذلك قبل إيمان السحرة، فأحرى بمنعهم بعد إيمانهم حيث الإرجاء هادف تبيّن أمره وقد تبين، فقويت المعارضة في قتله.

و قد يختلف منعه قبل الحشر وبعده، فقبل تبيّن أمره لاينهي قتله مشاكله أو يزيدها، إذ قد يوحي للجماهير بتقديسه والحماس له برسالته، وبعده إذ آمن به جماهير، ويتحذر الآخرون أن يستفحل أمره بقتله وقد آمن به السحرة، فقتله إذا يزيد في حياته، وعلى أية حال «منعته رشدته»[1] سياسيا أو مذهبيا.

و احتمال آخر في «ذروني» أن لم يكن هناك من يمنعه إلا تأجيلا ليتضح أمره، فإنما كان يخاف من قتله بما رأى من آيات صدقه، ومن عدم قتله انه يفشّله في قومه كيف‌يسطع على سلطته أن يقتل موسى، فجمع بين الأمرين في قولته الماكرة «ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى» حتى لايقال إنه ما تجرأ على قتله، وإنما منعه مانع، وردعه رادع من أهل نصحه وحاشيته! وقد يلمح تلاحق «اقتلوا وذروني» أن فرعون كان يرى قتل موسى والذين آمنوا معه جميعا، فتكا بالرسول والمؤنين استئصالا لجذور هذه الرسالة، واستهزاء بربه «وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ» فإن كان ربه قويا فلينجه في ذلك الصراع، ولماذا «أَقْتُلْ مُوسى»لأنه يسعى في الأرض فسادا ف «إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ»إلى دينه وهو أصل الفساد «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ»تشكيكا في دينكم، واختلافا بينكم وتخلفا فيكم.

و من الطريف جدا حجة فرعون في ذلك التصميم الفاتك، وهو مكرور عبر الأجيال المتفرعنة أمام المصلحين على توالي الزمان ومختلف المكان، أن يظهر الباطل الكالح في مظهر الحق الصالح، ويظهر الحق في مظهر المفسد الطالح، ليستجيش مشاعر الشعب المستضعفين ضد الداعية المصلحة، المطالبة بحقهم من المستكبرين ترى بماذا يواجه موسى هذه الطاغية؟ إنه يواجه شعبه المحطمين المستغفلين بكلمة الحكمة: وَ قالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (۲۷) يستبدل قولة فرعون «وَ لْيَدْعُ رَبَّهُ» ب «إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ» لكيلا يخيّل إليهم أن ربه غير ربهم بل هو واحدشريك له رغم مزاعم المشركين، ولكي يعطف بهم إلى العوذ بربهم ممن عاذ به موسى ثم يعمم الاستعاذة «مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ»حيث لاتختص من فرعون، وهناك فراعنة عدة! ودرجا لفرعون إدراج سائر المتكبرين دون أن يحسب له حسابه الخاص، تذليلا لسطوته، وكسرا لنخوته، يظهر كأنه لم يسمع قولته، ولم يأهله للمخاطبة، ولا التحدث عنه بشخصه أمام الشعب، وما ألطفه حجاجا صارما أمام الفرعنة الجبارة، وما أعطفه للشعوب المستضعفة!. ف «كُلِّ مُتَكَبِّرٍ»لبس رداء الكبرياء من دون حق، ويزيده كبرياء وعتوا أنه «لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ» أنه لاحساب في قولته وفعلته، فهو يعيش الفوضى اللّاحساب، على حساب الكبرياء والجبروت.

ثم المضيّ في «عذت» مؤدا بالتأكيد الخاص «إني» مما يطمئنهم أن ربه وربهم يعيذه من كل طاغية، كما أعاذه منذ ولادته، ثم ترعرعه في حجر فرعون، ثم قيامه برسالته، فذلك منه- إذا- ملحمة غيبية تعدّ في عداد آياته البينات وكما قال اللّه «وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بِآياتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا

---

[1] .نور الثقلين ٤: ٥١٨ في كتاب علل الشرايع باسناده الى إسماعيل بن منصور أبي زياد عن رجل عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام في قول فرعون: ذروني اقتل موسى «ما كان يمنعه»؟ قال: منعته رشدته، ولا يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء الا أولاد الزنا.

الْغالِبُونَ» ولحد الآن نرى غلبه على فرعون دون أن يصل إليه، حتى أصبح ملأ فرعون يمنعونه عن قتله وهم تحت سلطته وجبروته! فيا لداعية الحق من سلطان لايغلب أمام فرعون الطاغية، وهو صفر اليد عن كل عدّة مادية وعدّة، ولا يملك إلّا عوذة باللّه أن ينصره على عدوه كما وعده «أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ».

]سورة البقرة: الآيات ۴۹ الى ۲۶]

وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (۴۹) وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۰) وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (۵۱) ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۲) وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ الْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۵۳) وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ (۵۴) وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۵) ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۶) وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۵۷) وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (۵۸) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۵۹) وَ إِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۶۰) وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (۶۱) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲)

عرض لنعم عشر بعد ما أجملت في «نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» ترسم أمام الاختلاف مشاهدها التي كانت للإسلام، استحياء لمشاعرهم صور الكروب التي عاشها آباءهم وأنجاهم اللّه منها وهم قابلوا نعمة اللّه بالكفران وبدلوها كفرا فأحلوا قومهم دار البوار، عظة للأخلاف لكي يخالفوا الأسلاف في الكفران الطغيان. وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ[1] يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۴۹.

[1]. «فرعون» اسم لملوك العمالقة كما قيل: «قيصر» لملك الروم و«كسرى» لملك الفرس و«خاقان» لملك الترك و«تبع»لملك التبابعة، إذا ففرعون لقب عام وقد كان في مصر فراعنة تلو بعض وفرعون موسى هو «رامسيس الأوّل» وقد رأيت جسده في معرض الآثار القديمة في القاهرة، وهو تصديق لقوله تعالى: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً».

نعمة أولى أن انجاءهم اللّه عن سوم العذاب، فالإنجاء من النجاء والنجوة والنجاة هو الفصل إلى عل، مكان مرتفع بعيد عن الأذى.
و سوم العذاب هو دوامه في دوّامة لمرعاه، كماشية سائمة ترعى دائمة، ولكنها ترعى في المرعى الكلاء، وهم يسأمون في المرعى البلاء، كأنها لهم غذاء، كما الكلاء دائمة للماشية السائمة.
فهذه الطغمة الطاغوتية النكراء كانت تسومهم سوء العذاب، كذبح الأبناء واستحياء النساء دونما انقطاع، وكأنه نعمة يمنون بها عليهم فعليهم الشكر كما السائمة في الكلاء.
و عدم العطف في «يذبحون- ويستحيون» يعطف بنا إلى أنهما فقط سوم العذاب، بيانا ردفا دون عطف لسوء العذاب، وكما في أخرى:
«.. يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ ..» (٧: ١٤١) مهما عطفا في ثالثة عليه «.. وَ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ ..» (١۴: ۶) آيات ثلاث في صيغة واحدة إلّا في «يقتلون» الوسطى وعطف الأخيرة، وهذا العطف لايعني إلّا أنهما من أسوء العذاب الذي كانوا يسامونه: قتل الأبناء تضعيفا لساعدهم، واستحياء النساء خدمة لآل فرعون ومتعة جنس. فتقتيل الأبناء إبادة للنسل والساعد، وعزاء دائب، واستحياء النساء: إبقاء لحياتهن خادمات، وإفناء لحيائهن في دعارات»[1] عذاب فوق العذاب، على ما ينالهن وغير الأبناء من سوء الخدمات الإجبارية، دون مقابل إلّا الإبقاء على رمق الحياة قدر ما يخدمون، وفي الحق ان استحياء النساء كان أصعب عليهم وأنكى من تقتيل الأبناء! وترى هل الأبناء المذبّحون هنا هم- فقط- الولائد حين الولادة كما تدل عليه روايات؟ أم هم الأبناء، ولائد أم كبارا ما هم أبناء، كما تدل عليه الآيات؟
لا ريبة هنا في العموم، حيث يشمل- لأقل تقدير- الأبناء الذين ولدوا منذ أخبر فرعون أنه سيولد فيهم من يهلك سلطانه، فالذين تنالهم أيدي البغي يقتلون حين ولادتهم، ومن يفلت حينها يغتال أيا كان وأيان، وإن كان بالغا حد الغلمة أم زاد.
ثم النساء هنا أعم من الولائد واللّدت والكبيرات، فهن معفو عنهن في هذا النظام، خدمة للجنس ولآل فرعون.
و ترى ان البلاء العظيم هو فقط سوم العذاب؟ ام وإنجاءهم من سوم العذاب؟ لفظة البلاء تشملهما بلاء سيئا وحسنا «وَ فِي ذلِكُمْ» البعيد المدى من سوء البلاء وحسنه «بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ»: «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً» (٢١: ٣۵) (وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».
و ترى كيف ينسب سوء البلاء- بجنب حسنه- الى اللّه وهو من آل فرعون؟ إنه سوء العذاب من آل فرعون ظلما وطغيانا حيث افتعلوه، وبلاء عظيم من ربكم إذ أمهله ردحا من الزمن دون ردع تسييرا ومنعا، امتهانا لهم وإملاء ليزدادوا إثما ولهم عذاب اليم، ثم وامتحانا لكم وبلاء حسنا بعد هذا البلاء لكي تستعظموا نعمة ربكم بإنجاءكم وتشكروه، فإن فرعون عبّد بني إسرائيل واعتبره نعمة عليهم وعلى موسى الرسول عليه‌السلام: «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ» (٢۶: ٢٢) فسامهم بذلك سوء العذاب.
و ترى ولماذا قتل الأبناء وهم أنفع له خدمة وأقوى؟ دون الكبار وهم حمليتحملون خدمة لائقة!

[1] .الاستحياء هو طلب الحياة إبقاء وطلب الحياء إزالة فهما- إذا- معنيّان كما هما الواقع في آل فرعون.

ذلك حيث أخبر فرعون أن هلاكه وقومه على يدي موسى عليه‌السلام الذي يولد من بني إسرائيل فوضع القوابل على النساء وقال لايولد العام ولد إلا ذبح ووضع على أم موسى قابلة .. ولكن اللّه نجاه ..[1].

وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْناكُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۵۰.

نعمة ثانية هنا لبني إسرائيل هي الأخيرة لهم في الجو الفرعوني الطاغي حيث أغرق آل فرعون وهم ينظرون، والبحر هو البحر، ولكن اللّه فرق بهم البحر فعبروه يبسا ورهوا، ثم أغرق فرعون وجنده آية عظيمة إلهية تبصر الأعمين وتنبّه النائمين.

و ترى كيف فرق بهم؟ فهل فرق البحر بهم: بسببهم، حيث دخلوه بكثرة واستعجال فرارا عن فرعون وملئه؟ والبحر لايفرق لأيّة جماعة إلّا وتغرق! وكما آل فرعون وهم كانوا كما هم وأعجل دخولا وأقوى وطأة، وانما ذلك آية معجزة إلهية بهم: بدخولهم البحر فرارا! وقد امر موسى ان يضرب بعصاه البحر: «فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» (۲۶: ۶۳) (وَ لَقَدْ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى»(۲۰: ۷۷) (وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ» (۴۴:) ۲۴). فقد انفلق البحر وأصبح لهم طريقا يبسا بأن ضرب موسى عصاه، وبدخول بني إسرائيل، فلولا عصى موسى كما أرادها اللّه لم يفلق البحر ويفرق، ولو لادخولهم البحر لم يضرب موسى عصاه، حيث الفرق الفلق كان لإنجاءهم وإن كانت كذلك آية لهم.

و ترى- بعد- أن انفلاق البحر وانفراقه طريقا يبسا، كل ذلك لصدفة جزر عظيم، او كثرة الواردين فيه؟ وكما يهرفه من لايعرفه، هراء دائبا مغبة نكران المعجزات، مهما أقحم نفسه في المفسرين.

فالبحر المفروق لنبي إسرائيل نعمة إلهية حيث أنجاهم وأغرق آل فرعون وهم ينظرون، إذ انخدعوا بعبور بني إسرائيل فعبروا، ونعمة لهم إيقانا بأن اللّه هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل، نعمة تجمع بين إنجاء أبد إنهم من غرق البحر وملاحقة آل فرعون، وإنجاء أرواحهم من الشكوك التي

---

[1].نور الثقلين ۱: ۷۹ عن كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده الى محمد الحلبي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: ان يوسف بن يعقوب عليه‌السلامحين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلا فقال: ان هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب وانما ينجيكم اللّه من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران عليه‌السلام غلام طوال جعد أدم، فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي ابنه موسى فذكر ابان بن عثمان عن أبي الحصين عن أبي بصير عن أبي جعفر انه قال: ما خرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذابا من بني إسرائيل كلهم يدعي انه موسى بن عمران فبلغ فرعون انه يرجعون ويطلبون هذا الغلام وقال له كهنته وسحرته: ان هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل فوضع القوابل على النساء وقال: لا يولد العام ولد إلّا ذبح ووضع على ام موسى قابلة فلما عرف ذلك بنو - إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيى النساء هلكنا فلم نبق؟ فتعالوا لا نقرب النساء فقال عمران ابو موسى عليه‌السلام بل ائتوهن فان امر اللّه واقع ولو كره المشركون، اللهم من حرمه فاني لا احرمه ومن تركه فاني لا اتركه ووقع على ام موسى فحملت فوضع على ام موسى قابلة تحرسها فإذا قامت قامت وإذا قعدت قعدت فلما حملته امه وقعت عليه المحبة فقالت لها القابلة مالك يا بنية تصفرين‌تذوبين فقال لا تلوميني فاني إذا ولدت أخذ ولدي فذبح قالت لا تحزني فاني سوف اكتم عليك فلم تصدقها، فلما ان ولدت التفتت إليها وهي مقبلة فقالت: ما شاء اللّه، فقالت لها: الم اقل اني سوف اكتم عليك ثم حملته فأدخلته المخدع وأصلحت امره ثم خرجت الى الحرس فقالت: انصرفوا- وكانوا على الباب- فانما خرج دم مقطع فانصرفوا ....

اعترضتهم إذ «قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (٧: ١٢٩).
«فَأَنْجَيْناكُمْ- وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ»: مشهد النجاة والغرق بأم أعينكم.
و ترى كيف دخل آل فرعون عن آخرهم البحر، أ فلم يروا أوائلهم غارقين؟ انهم انخدعوا أن جاوزه بنو إسرائيل وهم ضعفاء، فهم أحرى بالجواز وهم أقوياء، فتجرءوا على الجواز، وقد ترك البحر رهوا كما اوحى اللّه لموسى: «وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ» (٤٤: ٢٤):
و الرهو هو الساكن المستوي بطريق يبس، فلما دخلوا كلهم غرقوا أجمعين:
«وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ. وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ»(٢٦: ٦٦) حيث تدل أن إغراقهم كان بعد إزلافهم وجمعهم في البحر أجمعين، وبعد ما جاوز بنو إسرائيل البحر: «وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً حَتّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ ..»(١٠: ٩٠).
أتبعوهم عدوا بسرعة ليدركوهم فأدركهم العرق قبل أن يدركوهم! وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ ٥١ ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٢.
«موسى» معرّب عن «موشة» عبرانية، كلمة مركبة تعني «ماء- شجر»حيث اخذه آل فرعون عن التابوت الذي ألقته أمه في اليم فوقف في الماء بين الشجر أمام القصر الفرعوني، ففيه تلميحة طريفة إلى المعجزة الربانية في إنجاء موسى بيد عدوه الذي قتل- بغية الحصول عليه وقتله- نيفا وعشرين ألفا من أبناء بني إسرائيل!.
يأتي ذكر «موسى» ١٣٦ مرة في القرآن في ٣٥ سورة، من البقرة الى الأعلى، مما يدل على مدى مراسه في الدعوة واكتراسه لها ومجابهاته وجاه عدوّه وبني إسرائيل الذين آذوه، أكثر من كافة المرسلين اللهم إلّا خاتم المرسلين[١].
و هل كانت هذه المواعدة مرة هي أربعين كما هو اللائح هنا، او مرتين أولاها ثلاثين ثم العشر المتمم للأربعين، مواعدتين تلو بعض، فهما مع بعض مواعدة واحدة كاملة كما يعرف من الأعراف: «وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ..»؟ (٧: ١٣٩)
و للأربعين مواقف مجيدة في مختلف الحقول، في الحق ان آيتي المواعدة تتجاوبان في تمام المواعدة، وأن ثلاثين الأولى لاتستقل عن الأربعين، حيث العشر مكملة لها، وإن كانت كأنها هي البداية «وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ ..» فإنها ثلاثون في صيغة التعبير امتحانا لبني إسرائيل- لابداء للّه في التكميل-[٢]

---

[١].حيث يذكر اكثر منه بكثير بأشرف خطاب: الرسول- النبي- حين لم يذكر غيره فيما يذكر الا باسمه دون لقب الرسالة او النبوة إلّا قليلا.

[٢].تفسير البرهان ١: ٩٧- نقلا عن تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام في آية الأربعين قال: كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة ثم بدا اللّه فزاد عشرا فتم ميقات ربه الاول والآخر أربعين ليلة أقول هل كان في العلم والتقدير ميقات ناقص لنقصان العلم والتقدير ثم كملا بالبداء؟ ان هذا إلّا اختلاق!

حتى إذا تأخر موسى لحد الأربعين أهم باقون على إيمان أم هم مكذبون موسى ومكذبون الله كما فعلوا والتفصيل إلى الأعراف وطه.

و هذه المواعدة- هنا- نعمة ثالثة بإنزال التوراة على موسى وبمشهد من منتخبيهم جانب الطور الأيمن: «يا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ واعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ ..» (٢٠: ٨٠) مواعدة لهم ضمن ما لموسى عليه‌السلام.

و لكنهم وهم بين نعمتين: الإنجاء من آل فرعون، وإنزال التوراة «اتَّخَذُوا الْعِجْلَ»الذي صنعه السامري فعبدوه: «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ»: بعد موسى حيث غاب عنهم الى ميقات ربه ولما يتم او يرجع «وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ»: أنفسكم «إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ».

«ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ» شرط التوبة بعد ان تقتلوا أنفسكم:

«فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»- «عَفَوْنا ... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».

ثم ونتيجة المواعدة الأربعين:

وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ الْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣). وهدي إيتاء الكتاب والفرقان هو أهم النعم التي أنعم عليكم، هنا الكتاب: التوراة- يقابل الفرقان، مما يدل على انه غيره، وحقا ان الفرقان وهو البرهان المفرق بين الحق والباطل، ليس هو التوراة ولا غيرها من كتابات الوحي إلّا القرآن، فانه كتاب وفرقان لاسواه.فلا نجد آية تصف كتاب وحي بالفرقان إلّا القرآن: «شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ» (٢:) ١٨٥) وقد يختص باسم الفرقان: «وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ ... وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ»(٣: ٤) (تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ». فالقرآن هو كتاب تشريع وهو فرقان، يفرق بين الحق والباطل جملة وتفصيلا، وما هكذا سائر كتب الوحي، ولا سيما بعد تحرّفها، ولقد أوتي المرسلون مع كتبهم فرقانا يدل على رسالتهم ووحيهم كموسى وهارون واضرابهما:

«وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَ هارُونَ الْفُرْقانَ وَ ضِياءً وَ ذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ» (٢١: ٤٨) وقد يكون التوراة هنا ضياء وذكرا على ضوء الفرقان: الآيات التسع التي أوتي موسى، حيث يهتدى بالكتاب والفرقان: «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ».

ثم الفرقان درجات من فرقان الرسالات على درجاتها وفي درجاتها، وهي المعجزات، ومن فرقان التقوى الإيمان: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً» (٨: ٢٩) او فرقان الحرب المنتصرة بنصر الله:

«إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ»(٨: ٤١) ففي كل ميدان من معتركات الحق والباطل فرقان كما يناسب حقولها.

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ (٥٤). نعمة خامسة يمن بها عليهم، وترى كيف يكون حمل القتل لأنفسهم نعمة؟ إنها نعمة حيث هي في سبيل التوبة، فإنها خير من حياة اللعنة الدائبة في وصمة اتخاذ العجل.

«.. إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ» إلها تعبدونه، وليس الله هو المظلوم: «وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»(٢: ٥٧) حيث الظلم هو الانتقاص والله لاينتقص منه شيء ذاتا أو صفات أو أفعالا- ف «لا يتغير بانغيار المخلوقين»وإنما الظلم الانتقاص راجع إلى الظالم نفسه، حيث يخرج عن

مستوى العدل، مهما انتقص غيره من الخلق في الظلم المتعدي إليهم، ولا تجد آية تلمح بأن اللّه يظلم، وإنما هو لغير اللّه نفسه أم سواه.
و حيث «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» فالتوبة عنه- ولا سيما من المرتد عن فطرة- إنها قد ترد ولا تقبل في الظاهر مهما قبلت في الباطن، وقد تقبل كما هنا ولكنه بعبء عظيم.
«فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ» ولماذا «إِلى بارِئِكُمْ» دون «اللّه» او «خالقكم» او «ربكم»او ... لان البرء هو التخلص عن مرض او عيب او اي نقص، فالمريض المعيب المنتقص بالخروج عن حكم الفطرة يجب عليه التوبة: الرجوع- الى من برءه إذ خلقه حتى يبرئه بعد نقصه بظلمه، ف «هُوَ اللّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ ...»(٥٩: ٢٤) حيث خلق ثم برء ما خلق ثم صور ما برء، ومن برءه براءة الفطرة في يراعه التوحيد، فحيث تخلف عبدة العجل عن هذه البراءة، فتوبتهم هي الرجوع الى البارئ ليرجعهم الى هذه البراءة التي افتقدوها بكل غباوة، إذ عبدوا العجل الذي يضرب به المثل في الغباوة، فأصبحوا أحمق وأغبى من العجل في هذه العبادة. ولأنهم قتلوا روح التوحيد وفطرته بما استهوته أنفسهم الأمارة الغبية، فليقتلوا أنفسهم قتلا بقتل حتى يحيوا حياة طيبة جديدة.
«فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»: أنتم الذين اتخذتم العجل إلها تعبدون، فإنما هم المأمورون أن يقتلوا أنفسهم حيث ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل، دون من لم يظلم حيث لم يتخذ العجل، خلافا لبعض ما يروى[1].
و ترى انهم أمروا ان يقتل كل واحد نفسه انتحارا بنفسه؟ وإنه إبادة لهم أجمع فمن يبقى إذا حتى يتاب عليه لو أنهم ائتمروا كلهم؟ أم كيف يتاب على المتخلفين عن أمر الانتحار لو لم يأتمروا كلهم.
أو أنهم أمروا أن يقتلوا فيما بينهم، كل يقتل من تناله يده أيا كان؟
فكيف يعبر عن ذلك ب «فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ»!.
في الحق إن ذلك قتل لأنفسهم في زوايا ثلاث: أن يقتل كلّ نفسه الطائشة بعبادة العجل، فيعرض نفسه للقتل في معترك القتال فيما بينهم، ويقتل من هو كنفسه أبا أو ابنا أو أخا أو أيا كان[2] قتلا لنفسه في هذه الزوايا الثلاث توبة الى البارئ فتوبة منه عليهم، وإنه لتكليف شاق مرهق مرير، أن يقتل الأخ أخاه، فكأنما يقتل نفسه برضاه، كما ويقدم نفسه ويعرضه ليقتله أخوه، وهما يتطلبان قتل النفس الأمارة بالسوء في رأس الزاوية، ولكنه من وراء هذا الإرهاق تربية لتلك الحالة البئيسة الخوارة، التعيسة المنهارة التي تنهار إلى جحيم عبادة العجل، وبعد ما ترى من آيات اللّه البينات من

---

[1] .كمرسلة المجمع: روي: ان موسى عليه‌السلام أمرهم ان يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم فجاء هارون باثنى عشر ألفا ممن لم يعبدوا العجل ومعهم الشفار المرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين ألفا تاب اللّه على الباقين وجعل قتل الماضي شهادة لهم.
وفي تفسير البرهان ١: ٩٨ عن الامام العسكري في الآية: ويقتل من لم يعبد العجل من عبده أقول وهما مردودان لمخالفة الآية والمقبول هو المروي عن علي عليه‌السلام وعن غيره الآتي.

[2] .أنفسكم هنا مثلها في أمثالها ك: لا تلمزوا أنفسكم- حيث المؤنون كنفس واحدة- كذلك هؤاء إذ كانوا أقارب اضافة الى قربة الايمان أيا كان، وكقوله: لو لا إذ سمعتموه ظن المؤنون والمؤنات بأنفسهم خيرا- فسلموا على أنفسكم- وأمثالها.

فرق البحر أم ماذا؟ فليؤوا هذه الضريبة الفادحة الكادحة: «فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ».
و «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ» من أن تظلوا مرتكسين في حمأة الارتداد والضلال، أو نادمين تائبين دون تقديم لشريطة التوبة، عائشين عجالة الحياة في وصمة عبادة العجل الدائبة لو لم تقدموا هذه الضريبة: «فَتابَ عَلَيْكُمْ» بعد ما تبتم إليه هكذا «إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ»: لمن يتوب ويسترحم كما يؤر.
و قد تاب على القاتلين والمقتولين سواء *، إذ حققوا امر اللّه فيما بينهم سواء، حيث قتل من قتل بأمر اللّه، وقتل من قتل بأمر اللّه، مقدمين على هذا القتال في زواياه الثلاث.
و إن هذه منقبة لهؤاء حيث اقتتلوا هكذا بأمر اللّه تفدية في التوبة إلى اللّه، كما ويندد بالمنافقين من المسلمين حيث لايفعلونه إلّا قليلا: «وَ لَوْ أَنّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً» (۴: ۶۶).
و توبة المرتد عن فطرة تقبل عندنا بقتله، كما قبلت من هؤاء، مهما اختلفت شاكلته، حيث إنها في بني إسرائيل كانت بأمر خاص وأصعب مما عندنا وأنكى!.
وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۵) ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۶).
نعمة سادسة لهم ان بعثوا بعد موتهم بصاعقة العذاب الهون وهم ينظرون.
و لقد كان سؤل الرؤة قبل اتخاذ العجل: «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ»(۴: ۱۵۳) أ ترى أن الذين سألوا الرؤة هم الذين عبدوا العجل؟ كأنهم هم كما تقول هذه الآية! ولكنهم السبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه حيث سألوا الرؤة، ومن بعده عبد الباقون عجل السامري: «وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقاتِنا فَلَمّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ..» (۷: ۱۵۵) * ولم يكن الميقات إلّا واحدا كما تلمح له «ميقاتنا»، فلأن عبادة العجل وسئوال الرؤة هما من باب واحد في تجسيم الإله- مهما اختلفا في تعيينه- نسبا معا إليهم جميعا، كما وينسبان إلى الموجودين منهم زمن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله لأن الشيمة في الأخلاف هي نفسها في الأسلاف، والشكيمة هي نفس الشكيمة، طبيعة جاسية لاتؤن إلّا بالمحسوس.و لأن سئوال الروية كان أخف وطأة من عبادة العجل، كانت عقوبته كذلك أخف منها، حيث أولاء قتلوا بالصاعقة ثم بعثوا، وهؤاء تقاتلوا دون بعث لمن قتلوا، وعلّ القاتل منهم ترجّى ليته المقتول لعظم المشهد وهول المطلع.
فإطلال فترة الإذلال الفرعوني أفسد من فطرتهم الشيء الكثير، الذل الذي ينشئه الطغيان الطويل الطويل، تحطيما للفضائل وتحليلا للفواضل، وغرسا للرذائل، واستخذاء تحت رحمة الجلّاد، ثم تمردا بعد رفع السوط، وتبطرا حين النّهمة بالنعمة، على ما كانوا عليه من حب المادة، وصلابة العقيدة والحماقة العميقة.
و لكن اللّه تعالى يمهلهم دون أن يهملهم، ففي كل مرة من تهريف او تجديف تدركهم رحمة اللّه وتوهب لهم فرصة الحياة لعلهم يشكرون فلا يهرفون بما لايعرفون: «ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».
و في هذا البعث رجعة الى الحياة الدنيا دليل قاطع لامردّ له على إمكانية الرجعة وقوعا فيما بعد كما نعتقده في دولة القائم المهدي عليه‌السلام وكما في آيات اخرى تبعث جماعات بعد موتهم *.ثم وفي هذه

الآية دلالة باهرة على امتناع رؤة اللّه جهرة، فلو أمكنت لم يستحق طالب الرؤة لمزيد الايمان عقوبة وتنديدا، ولم يك ذلك منهم ظلما: «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ»(۴: ۱۵۳) ولم يك كذلك استكبارا وعتوا: «وَ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً»(۲۵: ۲۱) لابالنسبة للناس العاديين فحسب بل والنبيين كذلك كما في موسى: «لَنْ تَرانِي ...» اضافة الى سائر الدلالات القرآنية والعقلية التي تحيل الرؤة البصرية جهرا في كافة العوالم.

وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۵۷) نعمة سابعة سابغة إذ كانوا في التيه * نتيجة عصيانهم حيث لم يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب اللّه لهم فارتدوا على أدبارهم فانقلبوا خاسرين .. «قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» (۵: ۲۶): (.. وَ ظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (۷: ۱۶۰) (وَ واعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَ نَزَّلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ لا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى»(۲۰: ۸۱).

نعمة تضم نعما ثلاث: تظليل الغمام- إنزال المن- إنزال السلوى- والغمام من الغم: الستر، وهو لايحمل ماء أو لايمطر: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ»(۲: ۲۱۰) (وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمامِ وَ نُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلًا» (۲۵: ۲۵) ثم ولا تجد غمامة في آية تمطر وإنما تغم وتستر، بخلاف السحاب والغيم والمزن والمعصر فإنها هي التي تمطر، وإن كانت كذلك تستر، فقد كان الغمام في أربعين التيه سترة لهم من الشمس دائبة، اللهم إلّا شتاء حيث تلزمهم نور الشمس ونارها.

و إنها لنعمة كبرى حيث يراعيهم ربهم بها في الصحراء الجرداء، يقيهم هجيرها بالغمام، وجوعهم- حيث هم منقطعون عن مواد الغذاء- بطيبات من الغذاء لاجهد فيها ولا عناء.

غمام يظلهم من الهاجرة التي كانت تفور بالنار، ومنّ يمن به عليهم وسلوى يتسلون به، مثلث النعم السابغة رغم ما لهم من سوء الحال والسابقة. وترى ما هو المن وما هي السلوى اللذان رزقوهما في التيه؟

ذكرهما في موضع الامتنان دليل على أنهما لم يكونا من أرزاق التيه كبّر من البراري، وقد يلمح إنزالهما «إلى» لإتيانهما من السماء، كما و«طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ»تشير إلى أنهما أو أحدهما مجموعة طيبات دون لون أو لونين من الأكل، ولا تنافيها الوحدة في قولهم: «لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ» إذ قد يعني النوع الواحد على طيبته كلّه، وهم تهوّسوا «مِنْ بَقْلِها وَ قِثّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها».

فهل هما اثنان: من وسلوى: طيبان؟ وهناك «طيبات»، أو أن المن ما يمن به من طعام وهو الطيبات، والسلوى ما يتسلى بها نفسيّا؟ لانص في القرآن او ظاهر يفسرهما إلّا قدر ما فسّر: أنه أو أنهما طيبات ليس من رزق الأرض المعتاد، بل هي منزّلة السماء وإن كانت على أشجار.

و قد يروى أن «الكمأه من المن وماءها شفاء للعين» * لاأنها فقط هي المن، وهي ثمرة بيضاء كالشحم تنبت من الأرض يقال لها شحم الأرض، فنزولها إذا هو كثرة إنباتها في التيه تقصّدا لأصحاب التيه، كما ومنها «الترنجبين» * او شيء كان يسقط على شجرة الترنجبين * او ما كان ينزل عليهم بالليل فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه * وجملة القول هنا أن ليس شيء مما ذكر او يذكر * هو المن فقط،

إذتعنيها لغته، وإنما هي مصاديق عدة من المن: «ما يمن به عليهم في التيه من الأكل»وهي كلها «طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ» فالأرضي منها نازلة من علوّ الرحمة، والسماوي منها نازلة من عل كما هي نازلة برحمة، فهما إذا نازلان من عل أيا كان.

ثم السلوى هي في الأصل ما يتسلى به ومنه السّلوان والتسلي، وإذا كان المن منة الغذاء البدنية، فالسلوى إذا هي الغذاء النفسية، فالأوّل يصلح ويصحح البدن، والثاني يؤّن ويسلىّ الروح، وهما «نعمتان مجهولتان الصحة والأمان».

و الطير السماني الذي جاء تفسيرا للسلوى هو من المن، فان السلوى لغويا لاتعني طيرا أم شيئا خاصا، وقد يكون السماني سلوى في المن يسلي الذائقة بلحمه الملذّ بين سائر المنّ، لأنه هو السلوى والسلوى هي- فقط- السماني *.

«كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ» من المن، على السلوى الطمأنينة، حيث لاتطيب الطيبات على غير طمأنينة، فلا طيبات في المنّ- بل ولا منّ إلا بالسلوى.

«وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»: إنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وكفرانهم نعم اللّه التي كانت تنزل عليهم تترى، ولا سيما في صحراء التيه القاحلة الجرداء، حيث سقاهم- إلى سائر النعم- عيون الماء:

«وَ قَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَماً وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (٧: ١۶٠).

أ تراهم بعد كل ذلك شكروا، كلا! إنهم ظلموا حيث خالفوا أوامر اللّه إلى غيرها، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، ومن مظالمهم:

وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (۵٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۵٩).

نعمة ثامنة: «وَ إِذْ قُلْنَا» لهم بعد ما تاهوا في الأرض أربعين سنة لتخلفّهم عن أمر ربهم بدخول بيت المقدس بعد خروجهم عن مصر: «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ. قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ. قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قالُوا يا مُوسى إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ، قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ. قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» (۵: ٢۶).

فبعد ما تاهوا في الأرض هذه السنين، وأنعمنا عليهم فيها بطيبات وانتهى أمد التيه «قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ»: الأرض المقدسة التي كتب اللّه لكم دخولا للسكنى: «وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ

الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا

يَظْلِمُونَ» (٧: ١٦٢)

.

أمروا أن يدخلوا باب القدس سجدا ويقولوا حطة، وترى كيف يمكن الدخول سجدا والسجدة المعروفة هي وضع الجبهة على الأرض ولزامه السكون، والدخول هو حركة المشي فكيف السجود؟.

إن قرينة الدخول الحركة تحوّل السجود عن الساكن منه إلى غاية الخضوع حالة الحراك في الدخول، أن يركعوا في دخولهم قدر المستطاع، حيث يمكنهم المشي حالته، فلا يعني السجود إلا غاية الخضوع، ولها في كل حقل ما لها من هيئة تناسبها على كونها غاية الخضوع حالها، وكما «أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ ..»(٢٢:١٨).

أ ترى أنها تسجد للّه على هيئة سواء؟ وإنما حالة خاشعة سواء في مداها، فكذلك يفسر «ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً» خشّعا للّه حيث تدخلون بيت اللّه، ولأن اللّه أدخلكم الأرض التي كتب لكم.

فهنا دخولان: «ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ» دخولا في قرية القدس، «وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً» دخولا في القدس نفسه: البيت المقدس من باب خاص وهو المعروف الآن بباب حطة، وعلّها الباب الثامن أو التي كان يصلي إليها موسى.

«وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ ..» ولأن غفر الخطايا فرّع على قول حطة كما فرّع على دخول الباب سجدا كجزاء لهما، نعرف أن «حطة» تعني حطّ الخطايا، أن يستغفروا ربهم لكي يحط عنهم خطايا من كان منهم مخطئين، وأن يزيد في درجات من كانوا محسنين. فهم لم يؤروا فقط بالقول «حطة»: كيفية من الحط، كلمة مفردة لاتعني كلاما يفيد معنى! وإنما طلبا لانحطاط خطاياهم بكيفية خاصة يتقدمها الدخول سجدا، لكي تتكيف جوارحهم وألسنتهم ومعها قلوبهم بعباد منحطّين أذلاء حين يدخلون، شكرا لما أنعم عليهم والتماسا لحط خطاياهم *.

فلا يصح القول: أنهم أمروا أن يقولوا «حطة» بنفس اللغة وهي عربية وهم عبريون، بل ما يفيد معناها في كيفيتها الكلامية التامة بعبريتهم.

فكما أن سجدتهم كانت غير السجدة المعروفة، كذلك حطتهم كانت غير هذه الحطة في صيغة التعبير، وإنما معنى الحطة ومعنى السجدة كما يناسب حالهم ومقالهم.

«نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ» ان كنتم مخطئين «وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» من كان منكم محسنين- ولكن:

«فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» .. «الَّذِينَ ظَلَمُوا» خاصة، لاهم بأجمعهم، حيث كان فيهم محسنون دخلوا الباب سجدا وقالوا حطة: «وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ».

و قد تلمح «الَّذِينَ ظَلَمُوا» بدلا عن «المخطئين» او «الظالمين» أنهم جماعة من الخاطئين إذ ظلموا بتبديل القول غير الذي قيل لهم، ظلما على خطيئتهم، لاكل الخاطئين، إذ تابعت فرقة منهم سيرة المحسنين، ففعلوا ما فعلوا وقالوا ما قالوا، وتخلفت أخرى قدما الى تخلفات اخرى:

«فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ»- «بِما كانُوا يَظْلِمُونَ» (٧: ١٦٢) فهم إذا ثلاث: محسنون- تائبون- خاطئون ظالمون فاسقون- ولم يكن الرجز إلّا على الآخرين.

و ترى ان «قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» يعني تبديل قول «حطة» فقط إلى غيره؟ دون تبديل لفعل: «ادْخُلُوا

الْبابَ سُجَّداً؟ والفعل أصعب تحقيقا وأقرب تخلفا! إن قولا- هنا- الموصوف بغير الذي قيل لهم هو مفعول ثان ل «بدل»فأوّلها: قول اللّه، فقد بدلوه الى غيره: ما يغايره- فتبديل قوله:
«ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً» دخولهم معاكسا، كأن يدخلوها زاحفين على أستاههم * مقبلين لها بأدبارهم مهما كانوا راكعين لكي يعاكسوا امر اللّه مستهزئين. وتبديل قوله «قُولُوا حِطَّةٌ» قولة معاكسة كالقول «لا حطة» او مستهزء ك «حنطة». أما هيه؟
و الرجز من السماء الذي أنزل على الظالمين منهم الفاسقين هو الاضطراب حيث تعنيه لغته ومنه رجز البعير إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها، والرّجز لتقارب أجزاءه، فرجزهم هو الاضطراب المتتابع المتقارب، وكما وأنزل على آل فرعون رجزا من السماء: «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ ... وَ لَمّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ» (٧: ١٣۴) ومهما عرف رجز آل فرعون كما هنا لم يعرف رجز بني إسرائيل إلّا بوصفه العام: عذاب مضطرب متناوب ينزل على الذين فسقوا وظلموا دون أن يعرف قومية ولا عنصرية، على آل فرعون الظالمين او بني إسرائيل الظالمين سواء! وَ إِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۶٠).
نعمة تاسعة هي إسقاءهم في التيه في صحراء جرداء لاماء فيها ولا كلاء، وجحيم الهاجرة تفور بالنار: «وَ قَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَماً وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ ..»(٧: ١۶١).
فاستسقاء قومه- لاطلبهم للاعجاز- يلمح أنهم كانوا عطاشى في قفر، لافي مدينة او قرية، فهو التيه، ودلالة ثانية أمرهم بعد ذلك: «اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ»فقد تمت لهم مربع النعم السابغة وهم في التيه حيارى، رغم أنهم تاهوا جزاء عما تخلفوا من اقتحام القدس وفيها العمالقة الجبارون.
ثم الانبجاس والإنفجار مترتبان تلو بعض، فلما ضرب بعصاه الحجر انبجس: انفراجا أضيق من الإنفجار، ثم انفجارا باثنتي عشرة عينا منبجسة عدد الأسباط المقطّعة اثنتي عشرة أمما، حيث كانوا يرجعون إلى اثني عشر سبطا عدد أحفاد يعقوب عليه‌السلام وهو إسرائيل المنسوبون إليه المتسللون عنه، وهم رءوس القبائل الإسرائيلية «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ» حيث عيّن لكلّ خاصة لاتعدوهم إلى سواهم، وقيل لهم:
«كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ» أكلا من طيبات المنّ وشربا من هذه العيون «وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» حيث كانت لهم نفسيات مفكّكة وجبلّات متداعية هابطة، آبية من الارتفاع إلى مثل الأخلاق الأبيّة.
و أصل العثا شدة الفساد، فهو السعي في شديد الإفساد، فقد يكون الفساد نتيجة عدم انضباط النفس عن الحرام أحيانا مّا فهو من اللمم، وأخرى انضباط النفس غورا في الحرام وخوضا فيما لايرام،

وثالثة تجنيدا للقوى للإفساد وهو عثا الإفساد وعيثه محسوسا وغير محسوس[1] وهنا النهي موجّه إلى حالتهم الفعلية الرديئة: السعي في عيث الفساد حالة الإفساد، وهو غاية الطغيان والكفران رغم أنهم نالوا من رحمة اللّه غاية النعمة، واين نعمة من نقمة!.

ثم ترى أ كان هذا الحجر خصيصا من حجر التيه؟ أم حجرا منكرا أيّ حجر؟ .. تعريف «الحجر» دون منكّره: «حجر» دليل الإختصاص، وكما ان عصاه عصى خاص: «بِعَصاكَ الْحَجَرَ» لا«بعصى- حجرا» وهي عصى لها معجزاتها الأربع: فلق البحر- تفجير العيون- صيرورتها جانا تهتز (٢٧: ١٠) وثعبانا مبينا (٧: ١٠٧) (فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» (٧: ١١٧) وقد كان موسى يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه وله فيها مآرب اخرى (٢٠: ١٨).

و لزام هذا الحجر ان يكون من الكبر بقدر يمكن ان تتفجر منه اثنتى عشرة عينا ترد مشاربها مئات الآلاف من بني إسرائيل دون تضايق وانتظار، او تمانع واحتصار، بعيون واسعة، ومشارب شاسعة، فلا يمكن أن يكون حجرا صغيرا يحمل، كما لايكون جبلا كبيرا، حيث النص «الحجر»لا«الجبل»فليكن حجرا كبيرا أيّا كان في جبل أو غير جبل حتى يستجيب طلب هكذا انفجار بمشارب فاسحة دون انتظار واحتصار، والنصيثبت هنا الإعجاز إلّا في انفجار العيون الاثنتي عشرة:

ان ضرب موسى بعصاه الحجر، دون أن يحمل الحجر- ايضا- على صغره كحمل بعير، هكذا انفجار شربا لعشرات الآلاف المنقسمة إلى أسباط اثنى عشر[2].

وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ (٦١).

نعمة عاشرة وتلك عشرة كاملة مما أنعم اللّه به عليهم وهم يكفرون ويقتلون ويعصون ويعتدون، ف «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ ...».

«لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ» ف «لن» تحيل صبرهم، وطبعا إحالة- هنا- باختيار، أن لن يرضوا بمنّ اللّه في طيبات ما رزقهم: «كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ»كما مضت تفسيرا للمن أم والسلوى، فوحدة الطعام لاتعني الوحدة العددية صنفا فإنه المنّ: الطيبات، بل هي وحدة النهج بغيب نزوله: «وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ

---

[1].في غريب القرآن ان العيث والعثى متقاربان الا ان العيث اكثر ما يستعمل في الفساد المحسوس والعثى فيما يدرك حكما لاحسا أقول: ولعل العثى هنا تجمع بين الإفساد غير المحسوسالمحسوس، حيث الاوّل إذا تجاوز حده ظهر في المحسوس.

[2].في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى أبي الجارود و هو من الكذابين المعروفين بالجعل قال قال ابو جعفر عليه‌السلام إذا خرج القائم من مكة ينادي مناديه الا لا يحملن احد طعاما ولا شراباحمل معه حجر موسى بن عمران عليه‌السلام وهو وقر بعير فلا ينزل منزلا الا انفجرت منه عيون فمن كان جائعا شبع ومن كان ظمآنا روّي ورويت دوابهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة.

و في الخرائج والجرائح عن أبي سعيد الخراساني عن جعفر بن محمد عن أبيه مثله وفي آخره: فإذا نزلوا ظاهره انبعث منه الماء واللبن دائما فمن كان جائعا شبع ومن كان - عطشانا روي، أقول: بهذا المرسل و ذلك المخدوش لا يمكن اثبات معجزة لا تشير إليها الآية واللّه اعلم.

الْمَنَّ وَ السَّلْوى» بعيدا عن الاعتياد الأرضي وأتعابها وأشغابها، مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خير كرزق الجنة، حيث أرادوا الدّنيّة رغم أن اللّه اختار لهم العليّة، ولكن الطبائع المتخلفة النحسة ليست لتقبل إلّا الدنية.

هنا يسيئون الأدب بجنب اللّه مرة حيث استحالوا صبرهم على هذه الطيبات، وأخرى إذ طلبوا من موسى متعنتين: «فَادْعُ لَنا رَبَّكَ» كأنه- فقط- ربه وليس ربهم، وليتهم طلبوا ما هو أطيب وأعلى! ولكنهم طلبوا من رزق الأرض الأرذل الأدنى: «مِنْ بَقْلِها وَ قِثّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها»فالفوم: الثوم- والبصل هما الخبيثان على

لسان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: «من أكل هذين الخبيثين فلا يقرب مسجدنا»

خبث الريح وأمثاله، مهما طابا في مآرب اخرى أكلا ام سواه، والقثاء ليست طعاما يغني من جوع ولا فاكهة، والبقل والعدس ليسا من الحاجيات الدائبة.

فرغم أن هذه الخمسة من المأكولات، ولكنها ليست من ضروريات الطيبات،: «أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً ...»

ف «اهبطوا» توحي الى انتقالهم من حياة عالية الى حياة هابطة، و«مصرا»تشير تنكيرها الى انها ليست مصرا معينة فليكن مصرا: الذي خرجوا منها حيث لم يقل «مصر»حتى تعنيها.

فإجابة هذه الطلبة الهينة الزهيدة لاتتطلب دعاء ولا محاولة إلهية فانها موفورة في كافة الأمصار، فلا حاجة الى: «فَادْعُ لَنا رَبَّكَ» اللهم إلّا في خروجهم عن التيه الى مصر، ولكنهم لم يطلبوه وانما «مِنْ بَقْلِها وَ قِثّائِها ..»في التيه ام سواه! وإذ أنتم ترفضون حياة الطيبات دون صراع ومخانقة في تحصيلها ف «اهْبِطُوا مِصْراً ..» الى حياة خانعة خانقة متعبة حيث تجدون بغيتكم حاضرة: من بقلها وقثاءها وفومها وعدسها وبصلها ..

«وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ» وترى ما هي هذه الذلة وهذه المسكنة؟ ولماذا ضربت عليهم؟ وحتى متى؟ وهل ضربت عليهم- فقط- ام يعدوهم الى اضرابهم بما يفتعلون؟ اسئولة تطرح نفسها في الظرف الذي احتلت إسرائيل فسلطيننا وقدسنا فاختلت الموازين بهذا الاحتلال الاحتلال، فهل هم بعد أذلّاء مساكين؟!.

في الحق ان الذلة والمسكنة هما لزامان لكل من يحذو حذوهم كما قال اللّه: «ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ»

و لانجد شعبا أنحس منهم في تاريخهم الأسود،، ولذلك نرى الذلة والمسكنة لزامهم دائبا، إلّا بحبل من اللّه وحبل من الناس: «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» (٣: ١١٢): عصيانا للّه حيث يكفرون بآيات اللّه، واعتداء على عباد اللّه حيث يقتلون أنبياء اللّه، شر عصيان بجنب اللّه وشر اعتداء على عباد اللّه، كسيرة لهم دائبة مهما اختلفت صورته، فعصيانهم للّه وكفرهم وتكذيبهم بآيات اللّه مستمر، وقتلهم رسل اللّه كذلك حيث اختلقوا عليهم في كتابات الوحي الإسرائيلية ما يمس من كراماتهم كرسل وصالحين، وأنكروا محمدا

صلى‌الله‌عليه‌وآله‌شر نكير، ولو كان بين أظهرهم لقتلوه كما حاولوه في زمنه[1] ويأبى الله إلّا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.

فهم- إذا- قتّالون لرسل الله ورسالاته كما يستطيعون بسيرة واحدة مهما اختلفت الصورة، فالسيره هي السيرة والسريرة هي السريرة «و كل انسان يعمل على شاكلته».

ثم المسكنة هي حياتهم دائبا أيا كانوا وأيان وكما نراهم حتى في دويلتهم لأول مرة يعيشون بأضيق المعيشة رغم انهم يمتلكون أضخم الثروات، حيث يصرفونها في الأسلحة المحافظة على استمرارية الاحتلال، فميزانية التسليح للجنود، والتصليح لما يدمر دوما من عمرانهم بالعمليات الفدائية، هذه الميزانية هي اضعاف ما تصرف في حاجياتهم المعيشية، رغم كافة الحيل والاحتيالات في جمعهم للأموال والثروات من كافة أنحاء العالم، فهم أقناهم رغم انهم أغناهم، وأسكنهم حين انهم أثراهم! ثم الذلة هي حياتهم «إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ» وليس لهم هكذا حبل طول تاريخهم العتيق «وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ»وذلك حينما أخذت تستحكم حبلا من الناس المستعمرين يمنة ويسرة بكل شغب وعسرة، عمالة عجالة للاستعمار حتى تشكيل دويلة العصابات، وترى أن هذا الحبل يدوم؟ كلّا فإنه ينفصم بعباد صالحين مرتين ثم لاحبل لهم الى يوم الدين[2]؟.

ثم ولا يتغلب حبلهم من هؤاء الناس النسناس إلّا حين ترك المسلمون حبلهم من الله ومن الناس: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ. ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ ...»(٣: ١١٢) وليس المخاطبون ب «لَنْ يَضُرُّوكُمْ» هنا إلّا المسلمون المتمسكون بالحبلين وكما تتقدم آيتهما آياتهما:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ ... وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا ... وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ...كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ. لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذىً ....» (٣: ٩٦- ١١١).

فحبل من الله هو الإيمان والاعتصام بالله وتقوى الله، والاعتصام بحبل الله: كتاب الله ونبي الله- عقيدة الإيمان وعمل الإيمان، إنها حبل من الله، ثم جماعية الاعتصام بحبل الله على تكوّن أمة فيهم داعية الى

---

[1].نور الثقلين ١: ٨٤ عن اصول الكافي بسنده عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه‌السلام في الآية قال: والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلا واعتداء ومعصية أقول: هذا من باب التطبيق وبيان مصداق خفي لقتلهم، لا انهم ما قتلوهم ابدا، ففريق قتلوهم بما دلهم آخرون ثم وفريق رضوا وهم شركاء ثلاثة في قتلهم، كما ان الذين حرّفوا شرائعهم وكذبوهم وافتروا عليهم، فقد قتلوا رسالاتهم فهم كلهم شرع سواء.

[2].راجع الفرقان ١٥ تفسير سورة الاسراء آية بني إسرائيل.

الخير آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، وعدم التفرق عن دين اللّه أو في دين اللّه، إنها حبل من الناس، دون سناد إلى النسناس. وإذا: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذىً».

ثم حبل اليهود من الناس لن يفيدهم خروجا عن ظاهر الذل إلّا مرتين على بقاءهم في مسكنتهم: «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً» إفسادا في الأرض كل الأرض مرتين، وعلوا كبيرا مرة واحدة هي الثانية «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا»واحتلال فلسطيني ومن ثم القدس ولحد الآن هي المرة الأولى من الإفساد العالمي بعلوّ غير كبير، وسوف يقضي عليهم «عِباداً لَنا»أقوياء صالحون يجوسون خلال الديار «وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا».

«ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» ردا لإسرائيل الى ما كانت اوّل مرة وأقوى علوا: «وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ... فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» المرة الآخرة الثانية، «ليسوءوا» هؤاء العباد الصالحون «وجوهكم»أسوء من الأولى «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ () لأقصى) كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» (١٧: ٧).

و لم يسبق لإسرائيل إفساد عالمي طول تاريخ إفسادهم أن يؤسوا دولة لإفساد إلّا في احتلال القدس، ولا علو كبير عالمي إلّا مستقبلا بعد ان يدخل «عِباداً لَنا»القدس بجوسهم خلال الديار اوّل مرة، ثم رجوعهم الى ما كانوا وأفسد وأعلى «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ» حيث يرجعون الى المسجد الأقصى «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً».

و هم منذ وجدوا مفسدين والى يوم الدين يسأمون سوء العذاب وحتى في قوتهم وشوكتهم حيث دويلة العصابات: «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» (٧: ١٦٧) سوء عذاب دائب بعباد صالحين كما هنا وهناك ومنذ التأديبات المتتالية زمن الرسالات الاسرائيلية والرسالة الاسلامية حتى الآن، ام وطالحين كالهلتريين ام من ذا؟ حيث هم قبل دويلة العصابات المغتصبة كانوا مشردين نيلة كل نائل وغيلة كل غائل، وهم في دويلتهم الآن في خطر دائب وتفجرات داخل أراضيهم ليل نهار، أ فلا يكفي هذا لسومهم سوء العذاب؟! إذا فالمسكنة لزامهم مضروبة عليهم ضرب السكة لاتمحى، مهما كانت الذلة «إِلّا ... وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ» حيث لايبقى، وانما ردح من الزمن «مرتين»على سومهم سوء العذاب حتى في هاتين المرتين، كما وانهما مضروبتان لكل من يفتعل فعلتهم: تركا لحبل من اللّهحبل من الناس حتى وان كانوا مسلمين و«ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ»دون المتمسكين بالحبلين، القائمين بشروط اللّه حتى وان كانوا غير مسلمين ف: «لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ أُولئِكَ مِنَ الصّالِحِينَ. وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ»(٣: ١١٥).

و هذه الآيات تأتي بعد التي تأمر المسلمين بما تأمر وتضرب على اليهود الذلة والمسكنة ف «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً. وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً» (٤:) ١٢٤).

فانما هو الايمان وعمل الصالحات فقط دون جنسيات او هويات:
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢).
طوائف اربع ذكروا ردف بعض بمختلف أسماءهم الحاكية عن مختلف شرائعهم وطرائقهم، ثم جمعوا وأمثالهم غير المذكورين هنا في طابع الإيمان باللّٰه واليوم الآخر والعمل الصالح، كما يوحي لذلك ترك الضمير الراجع إليهم «من آمن»دون «منهم»مما يوحي بأن الضابطة العامة في مثلث النجاة: «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ- وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ- وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»إنها- فقط- مثلث: الايمان باللّٰه- واليوم الآخر- والعمل الصالح، مهما كانوا من الذين آمنوا او الذين هادوا او النصارى والصابئين، أم أيا كانوا من الموحدين، وكما دلت آية «لَيْسُوا سَواءً» ان اهل الكتاب منهم ليسوا سواء فيما يذكر لليهود منهم، فحتى اليهود ايضا إن كانوا في مثلث الإيمان فهم ناجون، فضلا عن سواهم! وكما أن الثلاث الاخرى موحدون، كذلك الصابئون، حيث ذكروا معهم ثم يشملهم «من آمن ..»وإلّا لم يكن لذكرهم في شمل الموحدين هنا من معنى.
و في حين انهم يتأخرون هنا ذكرا عن الذين هادوا والنصارى، نراهم في المائدة يتوسطون بينهم: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»
تدليلا على انهم وإياهم سواء في التوحيد مهما اختلفوا في شرائع التوحيد.
ثم نراهم بنفس الصيغة في الحج ومع المجوس يردفان بالثلاث الأخرى من الموحدين، خمسا تجاه المشركين: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللّٰهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»مما يدل على ان الخمس الأوّل ليسوا في عداد المشركين مهما كانوا منحرفين في عقيدة التوحيد، ولكنهم تجمعهم كلمة التوحيد: ان ليسوا وثنيين.
و من الملاحظ ان الأوليين تحكمان بالنجاة لمن آمن منهم إذ لم يكن بينهم مشركون، ثم الثالثة تأتي بكلمة الفصل فيما بينهم بدل النجاة، حيث الانفصالية للذين أشركوا عمن سواهم في عقيدة التوحيد، مما يبرهن ان العبرة في مجال النجاة انما هي بحقيقة العقيدة، دون عصبية جنس او طائفية ام ماذا من الفوارق.
لذلك ترى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» لاتكفي نجاة بمجرد أنهم مسلمون، كما الألقاب الأخرى على سواء، اللهم إلّا بانضمام الحقيقة الى الادعاء:
«مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً» دون الادعاءات الخاوية الجوفاء من: مسلمين او الذين هادوا والنصارى والصابئين والمجوس ام من ذا؟
من المنسلكين في سلك التوحيد بألسنتهم- فقط- ام وفي عقائدهم ايضا، إلّا بمظهر العمل الصالح للايمان باللّٰه واليوم الآخر.
ف «الَّذِينَ آمَنُوا» هنا هم المسلمون المؤنون بالرسالة الإسلامية دون المنافقين إذايمان لهم ولا عمل صالحا، إنما هم المؤنون، دخل الايمان في قلوبهم او لمّا يدخل وهم في سبيل الإيمان، وهذه مواصفة

للمسلمين غير المنافقين في مئات الآيات تكريما لهم بكرامة الإيمان، دون الألقاب الخاوية الأخرى[1] ولا ينافي تكراره ذيل الآية بملحقات أخرى «مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ ...»حيث المعني من الأول مطلق الايمان والآخر هو الإيمان المطلق كما في: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ....».

«وَ الَّذِينَ هادُوا» هم اليهود، يذكرون بهذه الصيغة في آيات عشر، وكما يذكرون هودا او اليهود، وعلّ الأصل من «هدنا إليك»[2] رجوعا عما طلبوا من رؤة اللّه جهرة، وعما عبدوا العجل، الى اللّه وحده حيث مقالهم: «... وَ اكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ ...».

«وَ الَّذِينَ هادُوا» قد تأتي علما لليهود كطائفة، هادوا هكذا أو لم يهودوا، كما هنا، حيث يستثنى أخيرا في النجاة من آمن باللّه واليوم الآخر وعمل صالحا كما للمؤنين وسواهم من المذكورين، وقد تأتي تنديدا وتعريضا بالذين سمّوا هودا ولم يهودوا: «قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» ولم تأت كمدح ومواصفة لهودهم ورجوعهم إلى اللّه إلّا في آية يتيمة هي الأصل في تسميتهم هودا: «إنا هدنا إليك» ثم اشتقت منها صيغ الهود واليهود تنبيها على الأصل، وتأنيبا على الشاذين عن هذا الأصل.

«و النصارى» الآتية في (١۴) موضعا علّه جمع نصري[3]: المنسوب الى النصر حيث «قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ» لما قال المسيح «مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ» كما وان المسيح والحواريين كانوا في «الناصرة» حيث يقال: «المسيح الناصري»[4] ولكنما الأصل في «النصارى» قرآنيا وفي اللغة هو النصري، وليس الناصري، مهما

---

[1] .تتكرر هذه المواصفة لهم في القرآن ٢٥٨ مرة في مختلف الواجهات، والدرجات الايمانية، ولكنما المنافقون لا يعبر عنهم الا به او يشملهم المسلمون حيث يعمهم والمؤنين بقلوبهم والذين هم في سبيل الايمان.

[2] .الدر المنثور ١: ٧٤- اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد اللّه بن نجى عن علي عليه‌السلام‌قال: انما سميت اليهود لأنهم قالوا: انا هدنا إليك.

[3] .هذا هو المشهور من مفردها مثل صهري وصهاري، وفي غريب القرآن للراغب: سموا بذلك انتسابا الى قرية يقال لها نصران فيقال: نصراني وجمعه نصارى أقول: هذه القرية هي الناصرة ومنسوبها ناصري لا نصراني، ثم الناصري ليست جمعا للنصراني وانما جمعها نصرانيون، وجمع الناصري ايضا ناصريون، ولا يناسب النصارى هذه المفردات، وانما نصرى او نصري والثاني أوفق بالنسبة الى النصر المدلول عليه في مقالة النصارى: نحن أنصار اللّه، وفي الكشاف انها جمع نصران، أقول: عله مثل سكران سكارى ولكن فاء الجمع هنا مضموم وهناك مفتوح إذا فمفردها بين نصري ونصرى.

[4] .في قاموس الكتاب المقدس: ذكرت الناصرة ٢٩ مرة في العهد الجديد، و لقد امضى المسيح ايام طفولته فيها فاشتهرت بوطنه و لقب المسيح الناصري كما الحواريون ناصريون (متى ١٣: ٥٤- ٥٨)- (مرقس ٦: ١- ٦)- (اعمال الرسل ٢:٢٢ و ٣: ٦ و ٤: ١٠ و ٦: ١٤) و الجيل السادس من المسيحيين أخذ يزورون الناصرة.

لمح اليه النصري هامشيا[1] وكما كانت «هود» كذلك «النصارى» تأتي عاما كما هنا حيث تشمل المؤن الناصر للحق، والمنتسب اليه بالهوية، وتأتي عاما بترك النصرة:
«.. وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ» كما وتأتي مدحا بالنصرة: «وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى».
«وَ الصّابِئِينَ» هم الذين صبأوا وانتقلوا من دين الى دين، فهل من دين التوحيد الى الشرك؟ وهذا ينافي ردفهم بالموحدين ونجاتهم بالإيمان باللّٰه واليوم الآخر وعمل الصالحات، كذلك ومقابلتهم بالذين أشركوا (٢٢: ١٧)! إذا فهم الصابئون من الشرك إلى التوحيد،[2] متحللين عن اي كتاب سماوي، ام صابئين من توحيد كتابي كشريعة ابراهيم الى شريعة خليطة من وحي الأرض الزردشي ووحي السماء الإبراهيمي كما تؤده الروايات[3] كم المجوس ايضا من الموحدين[4] مهما اخطأ هؤاء وهؤاء في توحيد اللّٰه، وفي الصبوء والتمجّس عن الشريعة الكتابية، ومهما يكن من شيء فليس الصابئون والمجوس من اهل الكتاب تماما مهما يحترم فريق منهم النار الا انه ليس لحد الإشراك باللّٰه، وعبادة من دون اللّٰه.
هؤاء الطوائف الخمس الموحدون، من كتابين وسواهم، هم المشهورون المذكورون في القران بأسمائهم، وقد أجمل عن ذكر موحدين آخرين كانوا او تكوّنوا ام سوف يكونون، من «مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»وهكذا تحدد شاكلة الايمان المنجي أولا وأخيرا كضابطة عامة تحلّق على الألقاب: مسلم- يهودي- نصراني- صابئي- مجوسي أمّن ذا؟
فمن مات على غير الايمان بالرسالة الاسلامية موحدا: كتابيا من هود او نصارى، ام غير كتابي كالصابئين والمجوس، «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» شريطة القصور والاستضعاف

---

[1] .نور الثقلين ١: ٨٥ في عيون الاخبار باسناده الى الرضا عليه‌السلام قيل له: فلم سمي النصارى نصارى؟ قال: لأنهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلها مريم وعيسى بعد رجوعهما من مصر أقول: لم يكن كل النصارى من الناصرة، وانما هو المسيح والحواريون، وقد تناسب هذه النسبة على هامش النصرة الإلهية كما قلناه.

[2] .كان العرب يسمون النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم صابئا لأنه اظهر دينا بخلاف أديانهم.

[3] .الدر المنثور ١: ٧٣- اخرج ابن أبي عمر العدني في مسنده وابن أبي حاتم عن سلمان قال: سألت النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم عن اهل دين كنت معهم فذكر من صلاتهم وعبادتهم فنزلت الآية- أقول ولا شك ان من كان سلمان معهم ومنهم هم الزرادشت الايرانيون.

[4] .و فيه عن وهب بن منبه الصابئي هو الذي يعرف اللّه وحده وليست له شريعة يعمل بها ومن المحتمل انهم اتباع ماني وعلى حد المروي عن الصادق عليه‌السلام وقد سئل لم سمي المجوس مجوسا قال: لأنهم تمجسوا في السريانية وادعوا على آدم وشيت وهو هبة اللّه انهما أطلقا نكاح الأمهات والأخوات والبنات والخالات والعمات والحرمات من النساء ولم يجعلوا لصلاتهم وقتا وانما هو افتراء على اللّه وعلى آدمشيت مجمع البحرين.

حيث لم يسمعوا بهذه الرسالة[1] او لم يعرفوا حقها، دون المقصرين في التعرف إليها، او الذين «جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا».

فالجحد بآيات اللّه وتكذيب آيات اللّه ينافيان الإيمان باللّه، ونكران يوم لقاء اللّه ينقص من الايمان باللّه، وترك الصالحات التي تناسب الإيمان، دليل على خواء الإيمان، فهؤاء ليسوا من المبشّرين بالأجر وعدم الخوف والحزن، وإنما هم المؤنون باللّه واليوم الآخر والعاملون الصالحات، ومهما كانوا درجات في مثلث الايمان، فهم درجات في مثلث النجاة، كما أن من سواهم دركات في اللّاإيمان واللّانجاة دون تسوية هنا وهناك «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى» «وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً» في نقير الإيمان وعمل الصالحات، دون ترسب على عنصريات او طائفيات، فبعد ما ضربت آية الضرب الذلة والمسكنة على اليهود، تستدرك هذه الآية عما ربما يختلج بالبال انه خاص باليهود، فهناك بينت سبب الذلة المسكنة انه الكفر والتكذيب والاعتداء أينما كانت، وهنا تبين سبب النجاة في مثلثه أينما كان، دون فرق بين الموحدين، من «الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين والمجوس» لاهنا ولا هناك! «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» على غرار ما آمنوا وعملوا «عِنْدَ رَبِّهِمْ» في عالم الرب يوم الأجر والجزاء «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» من عذاب «وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» لما فات عنهم، جمعا لهم بين أمن الحاضر والمستقبل والغابر.

]سورة البقرة : الآيات ٦٣ الى ٦٦]

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَلَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (٦٤) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْناها نَكالاً لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَلَوْ لا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ (٦٤).

الميثاق هنا هو ميثاق الكتاب حيث يشمل المواثيق كلها، ميثاق واحد هو جمعية الميثاق، كما توحي له وحدة «ميثاقكم»ويصرح به ميثاق الكتاب: «.. أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ ... وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ ... وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ....».

و قد رفع فوقهم الطور بميثاقهم المأخوذ عليهم: «وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ»حيث سببه الميثاق لكي يعرفوا مدى تحمّل الميثاق وحمله كما يرفع الطور بقوة، وحتى يخافوا من ترك الميثاق فقد أمروا حينه:

«خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» كما هنا وفي الأعراف، او «و اسمعوا ما فيه» كما في أخرى: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ ..»

---

[1].الدر المنثور ١: ٧٤- اخرج ابن جرير عن مجاهد قال: سأل سلمان الفارسي النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم عن أولئك النصارى وما رأى من اعمالهم؟ قال: لم يموتوا على الإسلام، قال سلمان: فأظلمت علي الأرض وذكرت اجتهادهم فنزلت هذه الآية: «الَّذِينَ هادُوا ...»فدعى سلمان فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلم): نزلت هذه الآية في أصحابك، ثم قال: من مات على دين عيسى قبل ان يسمع بي فهو على خير ومن سمع بي ولم يؤن بي فقد هلك.

فالأصل هو أخذ ما أوتوا بقوة، بأن يذكروا ما فيه ويسمعوا ويعوا ثم يعملوا.
و لقد رفع الطور فوقهم نتقا: «وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» فالجبل هنا هو الطور دون ريب كما توحيه لام التعريف، ولم يكن المعروف عندهم إلّا الطور كما وهو في التوراة «طور»او: جبل الزيتون، والجبل الذي امام أورشليم، والذي على شرقى البلد.
و نتق الشيء جذبه ونزعه حتى يسترخي كنتق عرى الحمل، فقد جذب اللّه الطور ونزعه فاسترخى فرفعه «فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ».
مع نتق الجبل فوقهم بميثاقهم نراهم في مثلث الأمر حيث حمله كحمل الجبل: ١ (خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ» بقوة الأبدان والقلوب[1] حيث يعم التكاليف البدنية والنفسية: عقلية ام قلبية، استجاشة لكافة القوى حتى يتم الأخذ الذي يحمل آخذه على التقوى.
٢- (وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ» حيث الأخذ الصحيح ليس واردا إلّا بعد الفهم الصحيح، وتذكّر ما فيه، دون غفلة وغفوة، او لفتة عما فيه.

مسارعة اسرائيلية في الكفر تحريف الكلم عن مواضعه

لقد كان الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله بطبيعة الرسالة القدسية يحزنه الذين يسارعون في الكفر، مسارعة ضد دعوته الإيمانية، وكل داعية يتحسر حين يرى المدعوين يسارعون ضده، فهنا اللّه تعالى يسلي خاطر الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله أن «لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» لأنه ما قصر في دعوته وهم «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً»(٣: ١٧۶).
أ فحزنا عليهم- بعد- على تقصيرك في الدعوة؟ وما قصّرت! أم على أن يضروا اللّه شيئا؟ ولن يضروا اللّه شيئا؟ أم أن يمكروا بك إبطالا لرسالتك ودعوتك «وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ» (١۶: ١٢٣) فإنما يحزن على مسارعة الكفر من واحدة من هذه وما أشبه، فلا دافع- إذا- لحزنك يا حامل الدعوة متصبرا على كل أذى وكل لظى في هذه السبيل الشائكة المليئة بالأشلاء والدماء، فإن اللّه ناصرك ومولاك، نعم المولى ونعم النصير، ومن أخطر المسارعين في الكفر هم المنافقون «مِنَ الَّذِينَ قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» حيث يفسدون داخل الصفّ الإسلامي، ولكن أية محاولة ماكرة منهم، ناكرة للحق، تواجه بصدّ سديد من اللّه ومن أهل اللّه، فلا يؤر مكرهم إلّا فيمن هم كأمثالهم، وأما المؤنون الصامدون فهم لايزدادون في هذه العرقلات إلّا إيمانا وعلى ربهم يتوكلون.
و كيف «قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ» وليس القول إلّا بالأفواه؟.
ذلك لأن طبيعة الحال في القول إخباره عن القلب، وأن القول يعم قول الأفواه إلى قول القلوب والأعمال، فهم «قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ» دون قلوبهم، قولة فاضية عن واقعها «وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» بما قالوا بأفواههم.

---

[1] .تفسير البرهان ١: ١٠٥- العياشي عن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد اللّه عليه‌السلام عن قول اللّه: «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ» أ قوة في الأبدان ام قوة في القلوب؟ قال: فيهما جميعا ورواه عن ابن بابويه مسندا الى إسحاق ويونس مثله.

ذلك «وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ»وعلها عطف على «الَّذِينَ قالُوا ...» بحذف «هم» مبتدء ل «سماعون» تبريرا لرفعها، ولكنها- إذا- «و من الذين هادوا هم سماعون ...»فقد استقلت عما قبلها فلا عطف، فالأرجح أن واوها للاستئناف، أن المنافقين الأوّلين يسارعون في الكفر، وهؤاء الكفار متوغلون في الكفر إذ لايؤنون بما آمنوا به من شرعة التورات، أم «وَ مِنَ الَّذِينَ هادُوا» عطف يعني ومنهم منافقون كمن سواهم، ثم وصف المنافقون ككل ب «سماعون ...» صفة ل «الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» وعلّه أصلح الوجوه كما هو أصح في أدب اللفظ والمعنى حيث الذين حزّنوه هم هذان الفريقان من المنافقين بثالوث المواصفات «سماعون ... يحرفون ... يقولون» وذلك الثالوث هو من أنحس النفاق وأتعسه.

فهؤاء الحماقى الأنكاد اختصوا أسماعهم بسماع الكذب والسماع للكذب فإن «للكذب» يعمهما: كذبا مسموعا وكذبا مقولا لهم وكذبا في تكذيبهم للرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث يلائم وطبيعتهم الشريرة المتخلفة عن جادة الصواب، وهم «سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ» حيث ينقلون لهم عنك أكاذيب ليشوّهوا بذلك سمعتك الرسالية، ويصدون عنك السالكين إليك.

إذا فهم سماعون لكذب الكاذبين ليكذبوا الرسول، وسماعون لصدق الرسول ليكذبوه فليس غايتهم في كونهم سماعين لأي كذب أو صدق إلّا الكذب، أن يكذبوك فيما ينقلون، كما وهم «سماعون» ما يسمعون «لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ»فإنهم لهم عيون وجواسيس، فالقوم الذين أتوك ليسوا ليصدقوهم في أكاذيبهم التي ينسبونها إليك، فإنهم غيّب وهم كأمثالهم في الكفر يتلقون أقوالهم عنك بكل قبول وإقبال، تجاوبا للجمعين في تكذيب وتشويه سمعتك.

«يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ» تحريفا لكلم اللّه بعد ما أخذت مواضعها من ألفاظها ومعانيها، وتحريفا لكلامك عما تعنيه لفظيا أو معنويا كما هو دأبهم الدائب.

«يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» حيث هم يتطلبون أن ينحو الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله منحاهم فيما يتحاكمون إليه فينافقون في أمرهم:

«إِنْ أُوتِيتُمْ هذا» الذي تهوون «فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» حكمه، فهم يخالفون التوراة الحاكمة ضد ما هم يهوون، ويخالفون الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث يتحاكمون إليه إن خالفهم فيما يهوون، فهؤاء من المنافقين بين الذين هادوا، وقد وردت في الآثار شأن نزول هذه الآيات بمختلف التعبير[1]. «وَ مَنْ يُرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهُ»حيث لاينصره في تلك الهزاهز التي اختلقها عامدا عاندا «فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً» وأما من يريد نجاته حيث ينصره في المهالك إذ يدق أبواب الهدى، فقد تملك له من اللّه شيئا من التماس المغفرة والشفاعة.

«أولئك» السماعون للكذب المحرفون الكلم من بعد مواضعه المنافقون مع الرسول هم «الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ

---

[1] .فقد روي أنها نزلت في قوم من اليهود ارتكبوا جرائم- زنا أو سرقة اماهيه- ثم ارتبكوا في اجراء الحكم حيث كان المجرم من الشرفاء وهم لا يسوون بينهم وبين سواهم فتآمروا على رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يستفتوه فيها فإن أفتى لهم بالعقوبات التغرية المخففة- خلافا على التورات والقرآن- عملوا بها كأنها حجة لهم عند اللّه حيث افتى بها رسول من اللّه وإن حكم فيها بالحق وهو التسوية بين الشريف والدني لم يأخذوا بحكمه «إِنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا».

اللّٰهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ»[1] وكفاهم ذلا وضلا أن يكلهم اللّٰه إلى أنفسهم، تتوارد على قلوبهم الأهواء من أنفسهم ومن شياطين آخرين، ف «لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ» القلوب المقلوبة المفصولة عن هدى اللّٰه، المغلوبة بطوع الأهواء «وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ» أعظم من الدنيا وأعزم إذ ليست الدنيا دار جزاء.

و من غريب الوفق توافق الدنيا والآخرة بمختلف صيغهما في القرآن مما يدل على التوازن بينهما فهما جناحان اثنان لابد للطائر إلى مقامات القدس أن يطير بهما، والعدد الوفق بينهما (١١٥) مرة!.

ذلك وهكذا يكون دور الذين يدّعون الإسلام ثم يحاولون تبديل حكم إلى آخر تنقّبا له بنقاب الفتوى، مفتشين عمن يفتي لهم وإن لم يرضوه مفتيا في سائر الأحكام، فهؤاء اليهود المكذبون بالرسول هنا يظهرون أنفسهم مظهر القبول بما يفتي لهم وهم بعد ناكرون لرسالته، وذلك نفاق مزدوج عارم، نفاقا في تهودهم إذ لايرضون التوراة لهم حكما فيما لا يهوون، ونفاقا في استفتاءهم الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله كأنهم من أمته رافضين التوراة إلى شرعة القرآن.

و هنا ندرس أن «ليس كل من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقا بالنجاة مما هلك به الغواة، ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد وإقرارها باللّٰه ونجا سائر المقرين بالوحدانية من إبليس فمن دونه في الكفر وقد بين اللّٰه ذلك بقوله: «الَّذِينَ قالُوا آمَنّا بِأَفْواهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب ومن سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره[2].

سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢).

هؤاء المنافقون من اليهود وسواهم هم «سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ» سمع الكذب وسمعا للكذب تنقلا ونقلا وتطبيقا «أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ» وهو لغويا القشر المستأصل، والسحت أيا كان مستأصل لآلخذ والمأخوذ منه ولا سيما سحت الرشا حيث يستأصل إيمان المرتشي وحق أهل الحق كما ويستأصل الأمن عن الحياة الإنسانية الأمينة، وذلك الاستئصال دركات حسب دركات الباطل فيه ومن أنحسها الرشا والربا. فالسحت هو الحرام رشا وسواها بديلا عن تحريف الكلم من بعد مواضعه «فَإِنْ جاؤُكَ» بتلك الحالة المنافقة فأنت بالخيار إيجابا في الحكم بينهم وسلبا «فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» حكما بينهم لأصل التحاكم وفصل الحكم، وإعراضا عنهم إذ لايريدون تطبيقه، ولا تخف من الإعراض عنهم ضررا عليك «وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً» في رسالتك، لساحتك وساحتك «وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» وهو حكم اللّٰه دون ما تهواه أنفسهم «إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ».

---

[1] .في تفسير العياشي عن سليمان بن خالد قال سمعت أبا عبد اللّٰه عليه‌السلام يقول: إن اللّٰه إذا أراد بعبد خيرا نكت في قلبه نكتة بيضاء وفتح مسامع قلبه ووكل به ملكا يسدده وإذا أراد اللّٰه بعبد سوء نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه ووكل به شيطانا يضله ثم تلا هذه الآية «فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً ...» وقال: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ» وقال: «أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ».

[2] .نور الثقلين ١: ٦٣٢ في كتاب الإحتجاج للطبرسي عن أمير المؤنين عليه‌السلام حديث طويل يقول فيه.

و هنا «السحت» لاتختص بالرشا في الحكم مهما كانت أنحسه بل هو الأكل بالباطل أيا كان رشى أم ربا أم سرقة أم بخس مكيال وما أشبه ويجمعها «وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النّاسِ بِالْباطِلِ ...»(۴: ۱۶۱).

فلأنهم لايبالون الأكل بالباطل، بل يحومون حوله ويخوضون فيه مصرين عامدين، لذلك يعبر عنهم ب «أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ» ولا سيما الرشا في الحكم فإنه في حد الكفر[۱]. وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۴۳).

«كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ» استفهام إنكاري على هؤاء المنكرين المنافقين من اليهود أنهم يحكّمون رسولا غير رسولهم دون تصديق لرسالته «وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللّهِ» الذي يحكم بينهم في قضيتهم، وليس «فِيها حُكْمُ اللّهِ» سلبا لتحريف أحكام في التوراة إذ ليس النص «أحكامها أحكام الله» حتى يحلّق على كل الأحكام الموجودة فيها، وإنما «فِيها حُكْمُ اللّهِ» ولا ينافيه أن فيها أحكام غير الله بما حرفوا، والقصد من حكم الله هنا هو الحكم المحتاج إليه في قضيتهم رجما للزنا[۲] أم حدا آخر للقتل والسرقة[۳] «ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ

---

[۱].الدر المنثور ۲: ۲۸٤ عن ابن عباس أن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: رشوة الحكام حرام وهي السحت الذي ذكر اللّه في كتابه، ورواه عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله مثله ابن عمر، وفيه أخرج عبد بن حميد عن علي بن أبي طالب عليه‌السلام أنه سئل عن السحت فقال: الرشا، فقيل له في الحكم؟

قال: ذاك الكفر، وفيه عن جابر بن عبد اللّه قال قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: هدايا الأمراء سحت، وفيه عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ص ست خصال من السحت رشوة الإمام وهي أخبث ذلك كله وثمن الكلب وعب الفحل ومهر البغي وكسب الحجام وحلوان الكاهن، وعن يحيى بن سعيد قال: لما بعث النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله عبد اللّه بن رواحة إلى أهل خيبر أهدوا له فروة فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله: سحت، وعن ثوبان قال: لعن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله الراشي والمرتشي والرائش- يعني الذي يمشي بينهما- وعن أبي هريرة عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: من السحت كسب الحجام وثمن الكلب وثمن القرد وثمن الخنزير وثمن الخمر وثمن الميتة وثمن الدم‌عب الفحل وأجر النائحة وأجر المغنية وأجر الكاهن وأجر الساحر وأجر القائف وثمن جلود السباع وثمن جلود الميتة فإذا دبغت فلا بأس بها وأجر صور التماثيل وهدية الشفاعة وجعلة الغزو.

أقول: وفي بعضها كلام كدباغ الميتة ثم ومن السحت ما يوفق ومنه كفركأخذ الرشا للحكم بغير ما أنزل الله وكما في نور الثقلين ۱: ٦۳۳ عن الكافي عن عمار بن مروان قال سألت أبا جعفر عليهما‌السلام عن الغلول فقال: ... فأما الرشا في الحكم فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله صلى‌الله‌عليه‌وآله، ورواه مثله سماعة أبي عبد الله عليه‌السلام.

[۲].و كما في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية من التوراة ۲۲، إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأت زوجة بعل يقتل الاثنان: الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من إسرائيل ۲۳ إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها ۲٤ فأخرجوهما كليهما إلى باب المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا: «الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأت صاحبه فتنزع الشر من وسطك».

[۳].الدر المنثور ۳: ۲۸۵- أخرج ابن مردويه عن براء بن عازب قال مر على رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يهودي محمم قد جلد فسألهم ما شأن هذا؟ قالوا: زنى فسأل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله اليهود ما تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نجد حده التحميم والجلد فسألهم أيكم أعلم فوركوا ذلك إلى رجل منهم قالوا فلأن فأرسل إليه فسأله قال نجد التحميم والجلد فناشده رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ما تجدون حد الزاني في كتابكم قال نجد الرجم ولكنه كثر في عظمائنا فامتنعوا منهم بقومهم ووقع الرجم على ضعفائنا فقلنا نضع شيئا يصلح بينهم حتى يستووا فيه فجعلنا التحميم والجلد فقال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم قال ووقع اليهود بذلك

مِنْ بَعْدِ ذلِكَ» الحكم في التوراة وما حكمت وفقها قضية التوافق، وأنهم كيهود يحكم لهم بالتوراة «وَ ما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ»بشرعتهم فضلا عن شرعة الإسلام، فإنما هم يؤنون بأهوائهم الهاوية وأهدافهم الغاوية.

إِنّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَ الرَّبّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللّهِ وَ كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ فَلا تَخْشَوُا النّاسَ وَ اخْشَوْنِ وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ (۴۴).

«التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ» كما أنزلناها، وأما الضلالة والظلمة المتسربة إليها المترسبة فيها بأيدي المحرفين فليست داخلة في نطاق «إِنّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ» ف «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» لحكم اللّه ليس مجاله إلا التوراة النازلة من عند اللّه لاكل ما يسمى توراة.

و ترى ما هو دور «الَّذِينَ أَسْلَمُوا» وصفا ل «النبيين» والإسلام للّه كأصل هو من أبرز شروطات الرسالة فضلا عن النبوة التي هي أعلى منها؟

فهل يعني الإسلام الذي استدعاه إبراهيم لنفسه ولإسماعيل وذريته منه؟

و هؤاء النبيون الحاكمون بالتوراة كلهم إسرائيليون! ثم وليس إسلامهم بذلك المحتد العظيم الإبراهيمي المحمدي! «الَّذِينَ أَسْلَمُوا» هنا من دوره إخراج المدعين النبوة في الإسرائيليين المعبر عنهم في التوراة والإنجيل بالأنبياء الكذبة، فإنهم غير مسلمين لأية درجة منه فليس لهم- إذا- أن يحكموا بالتوراة.

و دور آخر أنهم اسلموا وحي التوراة خالصة غير كالسة للدين هادوا، والمعنيان- علّهما- معنيان لملائمة اللفظ والمعنى، فهم من الأنبياء الصادقين الذين أسلموا، وكما أسلموا التورات للذين هادوا.

و قد يؤد الآخر حذف المفعول ل «أسلموا» وأن «لِلَّذِينَ هادُوا» دون «في- أو- على-» مما يوسع نطاق الاحتمال في حقل «أسلموا».

ثم «لِلَّذِينَ هادُوا» في وجه طليق يشمل كافة المكلفين بالشرعة التوراتية، فإنهم بين الذين هادوا إلى الحق والذين هادوا عن الحق هودا أم سواهم، وكما هو في وجه خاص ببيت إسرائيل يشمل إلى عامتهم- مؤنين وفاسقين- خاصتهم من الأحبار والربانيين.

و ترى ما هو الفارق هنا بين «هُدىً وَ نُورٌ»؟ قد تعني «هدى» مواد الهدى المسرودة في التوراة لأصول شرعتها وفروعها كما تناسب الردح الزمني الحاكم فيه التوراة.

و أما «نور» فهي الهدى التي تحصل للمهتدين على ضوء هذه الهدى، فهي- إذا- عامة، والنور هي واقعها للمهتدين بالتوراة، فالفارق بينهما- عموما مطلقا- كما الفارق بين «هُدىً لِلنّاسِ» و«هُدىً لِلْمُتَّقِينَ».

ذلك، كما وهي التي تنير الدرب لشرعة مستقبلة بنبيّ يقبل، فهي- إذا- البشارات المودوعة في التوراة

الرجل الذي أخبر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وشتموه وقالوا كلنا نعلم أنك تقول هذا ما قلنا إنك أعلمنا قال ثم جعلوا بعد ذلك يسألون النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله ما تجد فيما أنزل إليك حد الزاني فأنزل اللّه «وَ كَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيها حُكْمُ اللّهِ» يعني حدود اللّه فأخبره اللّه بحكمه في التوراة قال: «وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها- إلى قوله-: وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ.

بحق الرسالة القدسية القرآنية، فالحكم ب «هدى»هو المخصوص بحقل الشرعة التوراتية لزمنها الخاص، والحكم ب «نور» يبين تلكم البشارات للناس ليكونوا على خبرة بتلك الشرعة الآتية.
ثم ومن «نور» ما ينير الدرب في التورات على أصيله من دخيله، وما يوضح الغامض منه حيث يفسر بعضه بعضا وينطق بعضه على بعض كما هي طبيعة الوحي أيا كان.
و منها «نور» مستفادة من التدبر في آياتها والعمل بها حيث تزداد أصحابها هدى على هدى، إذا فالنور هي المشرفة على الهدى المشرّفة صاحبها إليها.
و منها «نور» العقل الناضج على ضوء الوحي، ومن غريب الوفق العددي ذكرا في الذكر الحكيم توافق النور والعقل، فإن كلا يأتي (٤٩) مرة، مما يبرهن أنهما صنوان اثنان وفرقدان لايتفارقان.
ثم و«يَحْكُمُ .. لِلَّذِينَ هادُوا» كرأس الزاوية في الشرعة التوراتية سواء الذين هادوا رجوعا إلى اللّه أم رجوعا عن اللّه، ثم سائر المكلفين من القبيلين كما و«يحكم بها»الربانيون والأحبار، وهم علماء التوراة حيث يحكمون «بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللّهِ»دون المحرف فيه.
«يحكم ..» ويحكمون «و» الحال أنهم «كانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ» شهادة على المستحفظ لهم من كتاب اللّه، حيث يميزون بين أصيله ودخليه فالنبيون يشهدون بالوحي، وغيرهم بوحيه بما أنسوا من وحي الكتاب، حيث يعرفونه، أو المشكوك منه حيث لايشهدونه، فإن أصيل الوحي نور تنير الدرب على معرفة دخيله.
إذا فالتوراة في مثنى الحكم بها من النبيين- والأحبار والربانيين، ليست إلّا ما أنزله اللّه، ومهما كانت العصمة الرسالية في أنبياء التوراة هي المستحفظة لهم عن خليطها، كذلك سائر الاستحفاظ لمتحري الحق، المؤّد من عند اللّه، العارف بوحي اللّه، المستأنس بكلام اللّه، ذلك الاستحفاظ هو الذي يصون أهليه عن أي اهتزاز وجاه التوراة المحرفة.
ذلك، وللاستحفاظ هنا أبعاد ثلاثة كلها معنية ب «بِمَا اسْتُحْفِظُوا» ١ حفظا علميا فلا ينسونه، ٢ وعقيديا فلا ينكرونه، ٣ وعمليا فلا يتناسونه، وذلك المثلث من الاستحفاظ هو المبرّر الفارض ل «يحكم بها».
فالحاكم بكتاب اللّه من غير المعصومين يعصم عن الأخطاء القاصرة والمقصرة شيئا كثيرا إذا كان مستحفظا بعدله وعلمه البارع على ضوء الكتاب، فهو- إذا- محفوظ بما استحفظ من عنده ومن عند اللّه توفيقا له رفيقا يحفظه عن الزلات والضلالات.
إذا «فَلا تَخْشَوُا النّاسَ» النسناس المحرفين له المحترفين به والتابعين لهم، فلن يضروا أهل اللّه شيئا كما «لَنْ يَضُرُّوا اللّهَ شَيْئاً» بل «و اخشون»في التعامل بآيات اللّه شراء واشتراء «ثَمَناً قَلِيلًا» وكل ثمن الدنيا في ذلك الحقل قليل ضئيل واللّه من ورائكم وكيل.
ذلك ولكن الخونة من علماء هم لم يكونوا ليحكموا بما أنزل اللّه نقضا لميثاق اللّه: «وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا» (٣: ١٨٧)- (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ وَ الدّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ. وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ» (٧: ١٧٠).

هنا «فَلا تَخْشَوُا النّاسَ» خطاب لكل من يخشى الناس في حقل التحريف والتجديف وترك الحكم بما أنزل اللّه، أو والحكم بغير ما أنزل اللّه، فلا يخشى المحرّف بغية ثمن قليل يأخذه من فقر أو إجحاف من قبل المترفين المصلحيّين، الذين يحملونهم رغبة ورهبة على التحريف أيا كان.

و لايخش الحاكم بما أنزل اللّه هؤاء المحرفين المحترفين وهؤاء المترفين.

و لايخش الناظر إلى التوراة بنظرة سليمة أن يضل أو يزل بما فيها من تحريف، فإن اللّه هو ناصره وهاديه «وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللّهُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» (٢: ٢١٣).

و لايخش المحكوم عليه بخلاف حكم اللّه عن أن يفضح الحاكم كما يستطيع،يخش الحاكم ولا من سواه، فلا خشية- إذا- في إيجابية الحكم بما أنزل اللّه إلّا من اللّه، ولا في سلبيته أمام الحاكمين بغير ما أنزل اللّه إلا اللّه «فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ»فكونوا موحدين للّه لاتخشون إلّا إيّاه.

فلقد علم اللّه أن الحكم بما أنزل اللّه ستواجهه هذه العرقلات في كل زمان ومن كل أمة، إذ لاتتقبله نفوس متنافسة على عرض هذا الأدنى، فتعارضه الكبراء والطغاة حيث ينتزع منهم رداء الربوبية المزعومة لهم، ورداء الحكم المدعى منهم، فيرده إلى اللّه رب العالمين، كما ستواجهه معارضة أصحاب المصالح المستغلين بكل ظلم وزور، ومعارضة الطامعين في أموال أصحابها وسلطات ذوي السلطان، ثالوث من المعارضات لحكم اللّه.

ذلك «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» أيا كانوا وأيان، حيث الشرطية تخرج حكم الكفر عن كل ملابسة خاصة فتنطلق حكما عاما صارما يحلّق على كل من يحملها دون إبقاء.

و هذه السلبية أمام ما أنزل اللّه تختص بالذين يحكمون حيث هم في ظروف الحكم، فالعارف بحكم اللّه، المسؤل عنه وهو في موقف التساءل، إذا اتخذ الجانب السلبي دون أي عذر «فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» فكيف- إذا- حال من حكم في موقفه هذا بغير ما أنزل اللّه؟ فأولئك هم أشد كفرا.

فكما الساكت عن الحق في مجال النطق به شيطان أخرس، كذلك الناطق بالباطل هو أشطن من الساكت عن الحق، فإذا كان الحق هو حكم اللّه كان الناطق بغير ما أنزل اللّه أكفر ممن «لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ».

و في رجعة أخرى إلى الآية نقول: الحاكم الأوّل بما أنزل اللّه هم «النبيون»أيا كان ما «أَنْزَلَ اللّهُ» فحق لأفضل النبيين محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم وكما حكم مهما وافق حكم القرآن وكما «ذكر لنا أن نبي الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: لما نزلت هذه الآية: نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان»[1].

فليس «النبيون» هنا تختص بأنبياء التوراة، بل ونبينا- وبأحرى- في ذلك الحكم، فإنه «النبيون» أجمع، وهو أوّل المسلمين أجمع، فقد يحكم «لِلَّذِينَ هادُوا»بتوراتهم كما يحكم لأهل الإنجيل بإنجيلهم، الخارج في حكمه بهما عن تدجيلهم، ويحكم لأهل القرآن بالقرآن: «فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ».

---

[1].الدر المنثور ٣: ٢٨٦ عن قتادة وذكر لنا ... وفيه عن الحسن في الآية: النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله ومن قبله من الأنبياء ويحكمون بما فيها من الحق.

ذلك، وعلى الحاكم بين عباد اللّه أن يحكم بما أنزل اللّه، على ضوء «هُدىً وَ نُورٌ»أنزلهما اللّه في كتابه، بما استحفظ من كتاب اللّه، دون ما ضيّع عنه أم ضيّعه، ولا ما نسيه أو تناساه.

فالعائش في الحوزة الاستحفاظية القرآنية، المتخرج منها علميا وعقيديا وتطبيقيا، هو الذي يجوز له ويفرض عليه أن يحكم بكتاب اللّه بين عباد اللّه، حكم الإفتاء في عامة الأقضية وخاصتها، في مجلس الإفتاء والقضاء، وشروط القضاء الصالح هي من أكثر الشروط وأوفرها بين كافة المناصب الروحية.

و هنا «النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» حيث هم موصوفون بالإسلام، بيان شريطة الإسلام للّه في الحكم بما أنزل اللّه مهما كان درجات كما النبيون درجات وسائر الحكام في إسلامهم درجات.

فالمدعي للنبوة وهو غير مسلم لما أنزل اللّه يرد حكمه إليه، ومن دون الرسل من الحكام المسلمين لما أنزل اللّه يقبل أحكامهم شرط التخرج عن المدرسة الاستحفاظية ناجحين.

ذلك، ف «مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ» يحلّق على كافة التاركين للحكم بما أنزل اللّه، وهم في موقف الحكم ومصبه، وأكفر منهم من هم يحكمون بغير ما أنزل اللّه جهلا أو تجاهلا[1] فلا يختص ذلك الكفر بغير المسلمين، بل المسلم الحاكم بغير ما أنزل اللّه أكفر.[2]

و «من» الشرطية تحلق على كل حامل لذلك الشرط دونما استثناء فلا تقبل الإختصاص.

ثم وحسب ذلك النص المثلث ليس الحكم بما أنزل اللّه إلا للنبيين والربانيين والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللّه وكانوا عليه شهداء.

و من غريب الوفق بين عديد الكافرين والنار بمختلف صيغها تكرر كلّ (٩٣) مرة في القرآن مما يجعل تساويا بينهما ألا مدخل لهم إلا النار وأنها ليست إلّا لهم مثوى.

ثم هنا «النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» لهم مكانهم ومكانتهم من الحكم العاصم المعصوم، فمن هم «الربانيون» ومن هم «الأحبار»؟

«الربانيون» أيا كانوا هم أقرب إلى النبيين من الأحبار لقربهم إليهم أدبيا ومعنويا، فهم أولاء المتربون بالتربية الربانية البالغة بعدهم، المربّون علميا وعقيديا وعمليا لسائر المكلفين، وعلّهم المعنيّون بالربيين: «وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللّٰهُ يُحِبُّ الصّابِرِينَ» (٣: ١٤٦) فهم أولاء المقاتلون في سبيل اللّه مع النبيين يتعلمون منهم الدين ويعلمون: «وَ لكِنْ كُونُوا رَبّانِيِّينَ بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» (٣: ٧٩).

---

[1] .نور الثقلين ١: ٦٣٥ في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: من حكم في درهمين بغير ما أنزل اللّه فقد كفر ومن حكم في درهمين فأخطأ فقد كفر.

[2] .المصدر ٦٣٨ عن المجمع روى البراء بن عازب عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله أن قوله «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ»وبعده «فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ» وبعده «فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ»كل ذلك في الكفار خاصة أورده مسلم في الصحيح، أقول: ويعارضه إطلاق الآية وما في تفسير العياشي عن أحدهما عليهما‌السلام قال قد فرض اللّه في الخمس نصيبا لآل محمد عليهم‌السلام فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسدا وعداوة وقد قال اللّه: «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» وكان أبو بكر أول من منع آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله حقهم وظلمهم وحمل الناس على رقابهم ولما قبض أبو بكر استخلف عمر على غير شورى من المسلمين ولا رضى من آل محمد عليهم‌السلام فعاش عمر بذلك لم يعط آل محمد عليهم‌السلام وصنع ما صنع أبو بكر.

ذلك، مهما يتواجد منهم من هم يتركون بعض الواجب عليهم: «لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ»(۵: ۶۳).
فالأحبار لمكان ذكرهم بعد الربانيين، وأن الحبر لغويا هو الأثر الحسن، هم الدرجة الثانية من علماء الدين حيث يحملون حسن الأثر من الربانيين الذين هم آثار من النبيين، فالربانيون هم الوسطاء بين النبيين والأحبار:
أجل وإن مما استحقت به الإمامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار ثم العلم المنور- المكنون- بجميع ما يحتاج إليه الأمة من حلالها وحرامها والعلم بكتابها خاصة وعامة، والمحكم والمتشابه، ودقائق علمه وغرائب تأويله وناسخه ومنسوخه- والحجة- قول اللّه فيمن أذن اللّه لهم في الحكومة وجعلهم أهلها «إِنّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ ....»
فهذه الأئمة دون الأنبياء الذين يربّون الناس بعلمهم، وأما الأحبار فهم العلماء دون الربانيين ثم أخبر فقال: «بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، ولم يقل: بما حملوا منه»[1]. ذلك، والحوزة الاستحفاظية القرآنية تضم في خضمّها السنة الرسولية والرسالية ما ثبتت عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله والأئمة من آل الرسول عليهم‌السلام، الراوين عنه صلى‌الله‌عليه‌وآله ما رواه عن اللّه بوحي الكتاب أو السنة.
و إليكم نصوصا من كلمات الإمام علي عليه‌السلام حول حجة الكتاب والسنة: «و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب فرضه، ولا في سنة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وأئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه فإنه منتهى حق الله عليك»[2] ف «اقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن»[3] (و لما دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب اللّه سبحانه وتعالى وقد قال اللّه سبحانه: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ» فردّه إلى اللّه أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب اللّه فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله فنحن أحق الناس وأولاهم بها»[4].
و يقول عن الإمام المهدي عليه‌السلام: «فيريكم كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة»[5].
ذلك، ومما يخص القرآن: «و كفى بالكتاب حجيجا وخصيما»[6].

---

[1]. في تفسير العياشي في الآية عن أبي عمر والزبيري عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام إن مما استحقت ...

[2]. الخطبة: ۸۹/ ۱/ ۱۶۲.

[3]. الخطبة: ۱۰۸/ ۲۱۳.

[4]. الخطبة: ۱۲۳/ ۲۳۵.

[5]. الخطبة: ۱۳۶/ ۲۵۰.

[6]. الخطبة: ۸۱/ ۲/ ۱۴۵.

و قد قال اللّه أيها الناس- فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه-: «وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ»وعمّر فيكم نبيّه أزمانا، حتى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابّه من الأعمال ومكارهه، ونواهيه وأوامره، وألقى إليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجة، وقدم إليكم بالوعيد وأنذركم بين يدي عذاب شديد[1] ..

«فإنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، وإحياءه الاجتماع عليه، وإماتته الإفتراق عنه، فإن جرنا القرآن إليهم اتبعناهم، وإن جرهم إلينا اتبعونا»[2].

«و كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله»[3].

«و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه ... فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد، لايؤيهما مؤ، فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لاتوافق الهدي وإن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه، ولا يعرفون إلا خطه وزبره»[4].

ذلك ومن عجيب الوفق بين عديد الرسل بمختلف صيغ الرسالة والنذارة لكمية والكيفية وما معهما من نعم خاصة منقطعة النظير بين العالمين، و«العالمين»هنا هو عالمي زمن القيادتين الإسرائيليتين منذ آدم عليه‌السلام، حيث القيادة المحمدية صلى‌الله‌عليه‌وآله هي أعظم القيادات على الإطلاق في كل الحقول والحلقات.

فمن ملوك بني إسرائيل روحيا رساليا وزمنيا يوسف وداود وسليمان عليهم‌السلام، ومنهم زمنيا طالوت، ومنهم روحيا سائر رسلهم مهما كانت لهم سلطات زمنية جزئية.

ف «جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ» جعل خاص للنبوات الإسرائيلية مهما شملت قيادات زمنية، و«جَعَلَكُمْ مُلُوكاً» تعم كافة السلطات الإسرائيلية بدرجاتها ومختلف ظروفها، فكل شخص يملك نفسه ولا يملك هو ملك، وإذا ملك غيره فهو أملك حتى يملك طليق الملك على كافة الناس أم ومن سواهم.

فقد تعني «ملوكا» هنا جمع الملك والمالك، أم إن الملك أعم من المالك مهما اشتهر في الملك الخاص.

---

[1]. الخطبة: ٨٤/ ١٥١.

[2]. الخطبة: ١٢٥/ ٢٣٧.

[3]. الخطبة: ١٣١/ ٢٤٥.

[4]. الخطبة: ١٤٥/ ٢٥٨.

و هنا «جَعَلَكُمْ مُلُوكاً» دون «جَعَلَ فِيكُمْ» دليل شمول الملك للمرسوم المعروف وغيره، حيث أخرجهم الله من أسر السلطة الفرعونية فملكوا أنفسهم بعد ما كانوا مملوكين لا دور لهم ولا كور، وأصل الملوكية هو الحرية الشخصية، ومن ثم أن يملك الحر ما سواه ومن سواه، روحيا أو زمنيا أم كليهما.

إذا فقد تعم «جَعَلَكُمْ مُلُوكاً» مثلث الملك، شخصيا أم جماعيا، روحيا أو زمنيا[1]. ذلك، وقد تسمي القيادة الروحية ملوكية كما «فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً» ثم «جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ»تشمل ملوكهم الخصوص كيوسف وسليمان، فهي قرينة قاطعة على أن ليس المعني من «جَعَلَكُمْ مُلُوكاً» الملوكية المرسومة الزمنية، فكيف يصح خطابهم ككلّ ب «جَعَلَكُمْ مُلُوكاً»والملوك الرسميون فيهم منذ يعقوب إلى المسيح عليهم‌السلام لم يكونوا إلّا نذرا قليلا والأنبياء كثير، فلو عني الملوك الرسميون لكان حق التعبير «و ملوكا»عطفا على «جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ»، دون «جَعَلَكُمْ مُلُوكاً»الشاملة لهم كلهم!.

هذا، فأنعم النعم الروحية لهم تبدل السلطة الخانقة الفرعونية عليهم بالسلطة الرسالية، وتبدلهم عن تلك العبودية والرقية الذليلة بأن ملكوا أنفسهم، حيث السلطة العادلةتستعبد الشعوب وتستخدمهم بل هي المستخدمة لهم وتجعلهم أحرارا في مسير الصلاح ومصير الإصلاح، فالشعب الفاقد للحرية الصالحة تحت القيادة الصالحة هو أفقر شعب وأقفره، والذي يملك الأمرين هو أغنى شعب وأعمره وأبهره، ومالك أحدهما هو عوان بينهما، والمحور الأصيل بين هذه الأمرين هو الحرية الصالحة والقيادة المصلحة حيث تصلح لصالح هذه الحرية.

ذلك، وقد ينعم المكلفون كافة بأرقى النعم المحلقة على كافة حيوياتهم زمن صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه وسهل مخرجه.

أجل «وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً» بعد أن «اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب، وجرعوهم المرار، فلم تبرح الحال بهم في ذلك الهلكة وقهر الغلبة»[2].

بنو إسرائيل هنا يذكرون ببارع النعم الربانية عليهم حتى يلينوا لأمر الله دخولا في الأرض المقدسة التي لهم فيها سيادة أخرى رجوعا إلى عاصمة الرسالة الإسرائيلية.

و قد يحلق هذان الجعلان منذ يعقوب حتى الزمن الأخير من الرسالة الإسرائيلية، أم يخصان منذ يعقوب حتى موسى عليهم‌السلام فأضيق دائرة بكثير.

إن السلطة الروحية والسلطة الزمنية والحرية الشخصية والجماعية هي من النعم الناعمة التي اختص بها بنو إسرائيل بين العالمين، أن جعل من اللّاشيء لهم كل شيء، ومن كل ذل وهو ان تحت نير الذل الفرعوني «إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً ..»!

إذا فأحرى بهم أن يطيعوا أمر الله فيما يرجع إلى عودهم إلى عاصمة الرسالة الإسرائيلية: الأرض

---

[1] .الدر المنثور ٢: ٢٦٩ عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا، وفيه عن زيد بن أسلم قال قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: من كان له بيت وخادم فهو ملك.

[2] .نهج البلاغة الخطبة ٩٠/ ٣/ ٣٦٩.

المقدسة التي كتب اللّه لهم، ولكن إسرائيل هي إسرائيل، المجبولة على جبلة الجبن والتمحّل والأريحية والنكوص على الأعقاب والارتداد على الأدبار وإساءة الأدب مع الرسل ومع اللّه تعالى!.

يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ ٢١.

«الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» ما جاءت في القرآن إلّا هذه المرة بنفس الصيغة، وهي القدس المبارك، ولا نعرف من قدسيتها وبركتها إلا ما عرفنا اللّه «إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ» (١٧: ١)- (وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها» (٧: ١٣٧) والبركة العظمى هي الروحية المتمثلة في الأنبياء الذين بعثوا فيها ودفنوا، إذا فهي المباركة بقدسية العاصمة الرسالية ومنطلقها إلى ما حولها من القرى، وكما في مكة المكرمة- وهي أعلى من القدس- «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها».

تلك «الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» أنتم، وهي محتلة بأيدي الوثنيين، وهذه الكتابة كتابة تشريعية وأخرى تكوينية شرط المحاولة المستطاعة، لاتكوينية طليقة وإلا لما احتلت رغم كتابة اللّه ف «ادْخُلُوا ... وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ»خوفة من المحتلين «فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ» حاسرين عن إيمانكم تشككا في أمر اللّه وارتداد عنه، أو وعن بغيتكم المكتوبة لكم، وكما انقلبوا تائهين في التيه أربعين سنة والآية تحتمل المعنيين، والارتداد على الأدبار منه- وهو أهمه- الارتداد عن الدين شكا بعد اليقين، فتكونوا كالمقهقر الراجع والمتقاعس الناكص.

فكتابة دخول الأرض المقدسة تكوينيا هي مشروطة بتحقيق الكتابة الشرعية، فلما تخلفوا عن دخولها كما أمروا تخلف عنهم الدخول وهذا هو المعني من البداء في دخولهم[1] هؤلاء ثم القضاء لدخول أبناءهم وذراريهم فإنه من المكتوب[2] كما «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ» (٢٨: ٦) وقد عرّفهم موسى من شرط تحقيق هذه الإراءة الربانية: «قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (٧: ١٢٩)- (وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا» (٧: ١٣٧) والكلمة الحسنى هي: «... ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ..»

تحقيقا حقيقا لذلك الدخول بشرطه الصالح الفالح.

ثم وهذه الوراثة والكتابة لهم بعد شرط اللّه فيهما شرط بقاء شرعة اللّه هذه التوراتية- فليست لهم

---

[1].نور الثقلين ١: ٦٠٦ عن تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد اللّه انه سئل عن قول اللّه «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» قال: «كتبها لهم ثم محاها ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» أقول: الكتابة الممحوة هي مجموعة التشريعية والتكوينية إذ لم يقوموا بشرائطها ثم أثبتها للقائمين بشروطها، والكتابة هي للأمة الإسرائيلية ولم يكن التحريم إلا لردح من الزمن ثم أحلت، سواء للذين بقوا من المخاطبين أولا أم غيرهم.

[2].في سفر تكوين المخلوقات للتورات ١٢: ٧- أنه لما مر إبراهيم بأرض الكنعانيين ظهر له الرب «و قال لنسلك أعطى هذه الأرض».

بعد نسخها كما نسخت بالقرآن والله وعد أهل القرآن بدخول القدس مرتين عند إفساديهم العالميين، بعد المرة الأولى بداية الإسلام، فهم- إذا- لايملكون الأرض المقدسة على مدار الزمن إلا في ردح الرسالة الإسرائيلية، وشرط شروط مسرودة.

قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ ٢٢.

نراهم هنا يخافون من جبارين ظالمين في الأرض المقدسة ولا يخافون من التخلّف عن أمر الجبار العدل الحكيم، بل ويحيلون طاعتهم له: «وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها»اللّهم إلا إذا خرج منها جبارون دون محاربة، وهذه الأريحية الحمقاء كانت منهم غباء وبلاء فأدخلتم في التيه أربعين عاما.

ذلك، وقد فسر لهم رجلان من الذين أنعم الله عليهما أمر الدخول الإمر في حسبانهم:

قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٢٣.

هنا «يخافون» تحتمل إلى خوفهم من الله خوفهم من جبارين فيها قضية حذف المتعلّق فلو كان- فقط- الله لذكر، أم الجبارين لذكروا، ثم سابق ذكر جبارين يدخلهم في نطاق خوفهم، ولاحق ذكر «أَنْعَمَ اللّهُ»يضيف إلى خوفهم خوف الله، فقد امتاز هذان الرجلان من الذين يخافون الجبارين أن كانوا يخافون الله ويرجون ألّا يخافوا إلّا الله، فأنعم الله عليهما من بينهم أن حصرا خوفهما بالله.

فجعلهما لايخافان مع الله أحدا، ف «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء» وقد يعني «يخافون»الخوف من العمالقة الجبارين ولكنهما يمتازان عمن سواهم أن «أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا» بخوف من الله يتغلب على خوفهما منهم، أم أصبحا لايخافان هؤاء، فإنما يخافان الله.

و قد يصحّ عدّهما من النقباء الإثني عشر من بني إسرائيل السابق ذكرهم، فإذا قد تعني «مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ» هؤاء النقباء الخائفين الله دون سواه، «أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا»من بينهم بنعمة خاصة، أو أنعم الله عليهما معهم حيث الكل «يخافون»الله لاسواه.

ذلك، و«أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا» صفة لها بعد صفة، فهما رغم أنهما «مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ»قد «أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا» فقلّ خوفهم عن الجبارين أم زال، ولم يكونوا من القائلين الغائلين «إِنّا لَنْ نَدْخُلَها ..» بل هما من الذين يخافون ككل، ولكنه خوف تغلبت عليه نعمة الله.

و هنا أقل محتد روحي للرجلين أنهما من الصالحين الكمّل، وقد يحتمل كونهم من الشهداء أو الصديقين[1] أو النبيين حيث هم من المنعم عليهم: «وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً» (۴: ۶۹).

و لكن «رجلان» و«مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ» قد تبعدانهم عن منصب النبوة، ثم ولا نعرف نبيّا مع موسى غير هارون، فهما على أية حال كانا في قمة من قمم الإيمان والتكلان على الله في مثل ذلك الموقف الحرج

---

[1] .مما قد يصدق أنهما كانا من الصديقين من خلفاء موسى عليه‌السلام ما في نور الثقلين ١: ٦٠٦ عن تفسير العياشي عن أبي جعفر عليهماالسلام«قالَ رَجُلانِ» أحدهما يوشع بن نون ووكلا بن ياخثا كالب بن يافنا وهما ابن عمد.

المرج، بذلك الأمر الرشيد الجريء الإمر: «ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ»: إذا دخلتم باب البلدة المقدسة انهزموا فلا يبقى منهم نافخ نار ولا ساكن دار.

و ذلك درس يحلّق على كافة الأمثال لهذه الهجمة المؤنة المتوكلة بأمر اللّه، فصاحب الحق وقد احتل مركزه واللّه يأمره أن يأخذ حقه، إنه بطبيعة الحال يتأكد نجاحه في مثل هـذه الهجمـة القويـة، فلـو أنهم لاينجحون لاستحال على اللّه أمرهم بالدخول في الأرض المقدسة وقد كتبها اللّه لهم: ضابطة ثابتة في علم القلوب وتكتيك الحروب: أقدموا واقتحموا، فمتى دخلتم على القوم في عقر دورهم انكسرت قلوبهم وضعفت معنوياتهم قدر ما تقوى قلوبكم وتعلو معنوياتكم، فهم يشـعرون بهزيمـة عظيمـة تفشل بها طاقاتهم مهما كانوا جبارين «وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

ذلك ولمجرد الهجمة المفاجئة وإن كانت بدائية ظالمة، لها دورها في الغلبة، فضـلا عـما هـي دفاعيـة لاسترجاع حق مغتصب ومن مؤنين باللّه وهي بأمر اللّه.

و إذا كانت الحروب النارية هكذا قضية انحلال الشخصـية والتصـميم مـن المهـاجمين، فـما ذا تـرى الحروب الباردة في حقول الحجاج اللجاج، فلا ريبة في تغلّب صاحب الحق على صاحب الباطـل، ولا سيما حين يقدم المبطل في عرض دعواه فيهاجمه المحق في أسود نقطة من نقط باطله، فيتهدر المبطل عن بكرة أبيه.

ففرق بين أن يأمر اللّه بالدفاع أو الجهـاد دون ضـمان للغلبـة حيـث الحـرب سـبحال، وبـين أن يـأمر بالدخول في الأرض المقدسة المحتلة وقد كتبها اللّه لهم. ففي مثلث «كَتَبَ اللّهُ .. ادْخُلُـوا .. وَ عَـلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا» يكون النجاح مضمونا دون ريب، فلا يكفـي الـدخول إلّا بـأمر اللّه وكتابـة النجـاح فيـه، ثـم لاتكفي الكتابة والدخول إلّا بالتوكل على اللّه، فقد «جعل التوكل مفتاح الإيمان والإيمان قفل التوكـل، وحقيقة التوكل الإيثار وأصل الإيثار تقديم الشيء بحقه، ولا ينفك المتوكل في توكله مـن إثبـات أحـد الإيثارين فإن آثر معلول التوكل وهو الكون حجب به، وإن آثر علة التوكل وهو الباري سبحانه بقي معه»[1].

قالُوا يا مُوسى إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ ٢۴.

و ذلك أسوء تعبير عن القدير اللطيف الخبير أن «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ»كأنه- فقط- ربه لاوربهـم، ثـم وهو بحاجة إلى مناصرة في مقاتلة الجبارين، مما يدل صارخة أنهم لمّا يؤنـوا بـاللّه وحتـى قـدر إيمـان المشركين به، المعترفين بأنه رب السماوات والأرض وله الملك! ولأنهم كانوا من المشـبهة المجسـمة كـما هو صريح آيات اختلقوها في التورات ك «إن إسرائيل صارع الله فصرعه فأخذ بركة النبوة لنفسه عوضا عن العيص ثم خلص الله بهذه المعاوضة» أو «إن الله كان يمشي في الجنة قائلا: يا آدم يا حوا أين أنـتما حيثأراكما» أمّا ذا من تجسيم جسيم حسيم لساحة الربوبية المقدسة!.

و يا له من تخاذل أمام الجبارين عن نصر الحق وتوهين الباطل، وتجاهل أمام اللّه، فدخولا في التيه.

و هكذا يكون دور المتخاذلين هودا أو نصارى أو مسـلمين دون اختصـاص بطائفـة دون أخـرى وكـما خاطب علي أمير المؤنين (ع) أضراب هؤاء اليهود قائلا:

---

[1] .مصباح الشريعة قال الصادق عليه‌السلام في كلام طويل وقال عز وجل «وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» جعل ...

«أيها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي أضعافا خلفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الأدنى ووصلتم الأبعد»[1].

فنفس الهجوم على العدو ولا سيما بطمأنية الإيمان وأمر اللّه وضمانه للغلبة، ذلك مظهر من مظاهر القوة القاهرة للداخل المهاجم، فيهابه المهاجم عليه مهما كان أقوى منه، فإنه يزدادك قوة وينقصه عن قوته، فالضربة الأولى هي القاضية على المضروب، سادّة عليه كل الدروب للفرار عن النكسة، أو القرار للتغلب.

و هكذا يكون دور الحجاج أن الغلبة الأولى قاضية وإن لم تكن حقة فضلا عن الحاقة.

فعلى المحاور المحق أن يقدم في حواره أقسى الضربات حتى يربح أقصاها، ومن تلتيكات الحوار الناجحة أن تصغي إلى محاورك فتعرف كل ما عنده من حجة، ثم تبتدر في الإجابة عنه أضعف نقطه فتركز عليها بضربة قاسية قاضية، وبذلك تنجح على مدار الحوار.

فشكلية الحوار هي قد تكون أهم من مادتها، والجمع بينهما كأحسنهما وأقواهما أجمع وأقوى في النضال، وكما تعرّفنا إلى كل صنوف الجدال على أضواء القرآن في سرده محاورات اللّه وأنبياءه.

ذلك الجهل الكافر والتخلف العاهر من بني إسرائيل ونحن نقول يا رسول الهدى محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله: لانقول كما قالت بنو إسرائيل .. «و الذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك الغماد لاتبعناك»[2].

و هكذا يحرج الجبناء فيتوقحون ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون بأرجلهم كالحمر المستنفرة فرت من قسورة، بل يريد كل امرئ منهم أن يخدمه اللّه ورسوله وهم في أريحيتهم عائشون.

و هذه هي نهاية المطاف بموسى في رسالته المليئة بالعقبات والعقوبات والنكرانات واحتمال كل الرذالات والانحرافات والالتواءات من بني إسرائيل، نكوصا عن الأرض المقدسة، وارتدادا إلى أدبار الجاهلية والوخزة الفرعونية، فما ذا يصنع- إذا- بهؤاء وقد وصل النكران إلى ذلك الحد القاحل الجاهل؟.

ماذا؟ إلّا أن يلتجئ إلى ربه داعيا ملتمسا أن يفرق بينه وبينهم وقد فعل:

قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ ٢٥.

دعوة مليئة بالآلام والأسقام مع الاستسلام، دعوة الفراق بينه وبين هؤاء اللئام، فإلى من يشكو حاله إلّا إلى اللّه الملك العلّام، يشكو بثه وحزنه ونجواه إلى اللّه حيث يعلم من اللّه ما لايعلمون، إنه لاتربط

---

[1].نور الثقلين ١: ٦٠٩ عن نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي عنه عليه‌السلام.

[2].الدر المنثور ٣: ٢٧١- أخرج أحمد والنسائي وابن حبان عن انس أن رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله لما سار إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه عمر ثم استشارهم فقالت الأنصار يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله قالوا «لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها ...».

وفيه عن ابن مسعود قال لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به آتى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله وهو يدعو على المشركين قال واللّه يا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل ... ولكن نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت وجه رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله يشرق لذلك وسر بذلك.

بهم بعد ذلك النكول الكافر أية رابطة صالحة، لانسب ولا تاريخ ولا جهد سابق، فإنما الرباط فيما بين كان الدعوة إلى اللّه وقد فشلت وشلّت، متقطعا عنهم من كل وشائج الأرض حين تنقطع العقيدة الصالحة، فما هي الجدوى- إذا- في كونه معهم ولم يعمل فيهم طائل الزمن الرسالي إلّا بعدا، اللّهم إلّا قلة قليلة منهم.

و ترى ماذا عنى موسى عليه‌السلام من «لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسِي وَ أَخِي»؟ وهناك معه رجلان من الذين يخافون أنعم اللّه عليهما ومعهما سائر النقباء وسواهم من الذين يخافون، وقد أدوا رسالة موسى في هذه الحالة المحرجة؟.

فهل نتوسع في «أخي» أنها جنس الأخ، شاملة لإخوته في الإيمان إلى أخيه هارون في النسب والرسالة؟ وصالح التعبير عن هذه الجمعية «إخوتي»!.

أم «لا أملك» في نفاذ الدعوة الرسالية على ضوء الولاية المطلقة الشرعية إلّا نفسي- وإلا أخي؟ فكذلك الأمر! حيث نفذت في الذين يخافون وأنعم اللّه عليهم: «وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» (٧: ١٥٩) وذلك في زمن موسى عليه‌السلام حيث يتلوها «... وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى ..».

أم «لا أملك» أنا «إلّا نفسي» في تطبيق أمرك «و» لايملك كذلك «أخي»؟ فكذلك الأمر! إضافة إلى أن صالح التعبير- إذا- «إني وأخي لانملك إلا أنفسنا»! مع أنهما ملكا أمر الولاية الشرعية وقد أثرت فيمن أثرت.

«إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسِي وَ أَخِي» قد تعني ملك تطبيق الرسالة في هؤلاء الفاسقين، فله ملك الرسالة الأصلية ولأخيه ملك الرسالة الفرعية- وهو الولاية المطلقة الشرعية الرسولية- تحت ملكته الرسالية، ثم «لا أملك» هنا نسبية أمام هؤلاء الفاسقين، وأما ملك هذه الرسالة بالنسبة للمؤنين القلة معه فهو أمر واقع لامردّ له كما في نص الآية «رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ ..»

فقد يعني بقوله أني وأخي نفضنا أيدينا عن بلاغ الرسالة كما أمرنا، وهنا «لا أملك» مضارعة تعني حاله ومستقبله دون ماضيه حيث أثرت دعوته مهما كانت في قلة قليلة، فلأن الرسالة لاتعني بدورها إلّا تحقيقها وقد تحققت في هؤلاء القلة، ثم تجمدت أمام هؤلاء الكثرة الفاسقة فلا طائل- إذا- نحت تبقية الرسول وقد نفض يديه عن الوحي بلاغا وإبلاغا، ثم لايرى لاستمرارية بلاغه بينهم إلّا مزيدا لفسقهم أو كفرهم، وهكذا تكون أدوار الحياة الرسولية أن الرسول حين ينفض يديه عن كامل الوحي الرسولي بلاغا وإبلاغا ثم لايرى بعد فترة تأثيرا في دعوته، أن بقاءه بعد فيهم ليس تحته طائل، إذا يصح دعاءه: «فَافْرُقْ بَيْنَنا» أنا وأخي كرسولين، وسائر المؤنين نقباء وسواهم كأعضاد هذه الرسالة، «فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ»، إذ كلت الدعوة وما أثرت إلّا نكوصا ونكولا، وما خلفت فيهم إلّا نكالا، فلا تعني «فافرق» طلبا لفرقه عن أصل الرسالة أم عن دعوتها، بل هو تطلب لموته أمّا أشبه بما يخلصه عن هذه الورطة، ولكن اللّه- حسب المفهوم من آيات لم يستجب دعاءه في موته إن كان هو المطلوب، بل حوّل استجابته إلى تحريم الأرض المقدسة عليهم كأصل، وتحريم سائر البلاد عليهم كفرع فلقد راعى موسى الأدب الرسالي فلم يترك الحوزة الرسالية خلافا ل «ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً ..» بل التجاء إلى الدعاء: «فافرق» دون تعيين لمصداق له تأدبا، فاستجابه اللّه في فرق صالح بينه وأخيه، وبين القوم الفاسقين في «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ» لاوعليهما، فقد كانا يزوران القدس خلال هذه الأربعين.

فالمطلوب في دعاءه هو فرق ما ينجيه من ذلك الفرق وقد نجاه اللّه بفرق صالح دونما موت أو عزل له عن الرسالة أم دعوتها، ونفس ذلك التيه فيه ما فيه من فرق فيه لهم فرق يرجعهم عما كانوا فيه

من طيش، عذاب فارق بينهم وبينهما، ومن ثم فارق الموت بعد دخولهم في الأرض المقدسة، كما فرق بينهما وبين جمع منهم ماتوا في التيه.

قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ ٢٦.

هل «قال» الله إجابة لدعوته «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ..» وهذا فراق بينهم وبين الأرض المقدسة دونه وإياهم وقد تطلب «فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ»؟، علّ الفاء في «فإنها» إشارة إلى تحريمها عليهم عقوبة وهي كافية في الحكمة التربوية، وأما «فافرق»فلا تصلح الفراق بين رسول ومرسل إليهم إلّا بموتهم أو موته، وهل مات موسى عليه‌السلام في التيه[1] بعد ما عاش معهم ردحا فيه فخلفه يوشع بن نون في رسالته[2] إذ مات خليفته الأولى هارون قبله، وقد يروى أن قبر موسى قذفة حجر من الأرض المقدسة[3]؟ ذلك لا تناسب الآيات التالية ولا سيما «أدخلوا مصرا ...».

و ترى ما هي وأين هي أرض التيه؟ إنها بطبيعة حال خروجهم عن مصر تجاه الأرض المقدسة هي بينهما وقد تاهوا فيها، ونحن تائهون في تعايشهم أربعين التيه اللّهم إلّا ما بينه الله لنا من ماءهم فيه وغذاءهم وتظليل الغمام عليهم: «وَ قَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَماً وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (٧: ١٦٠)- (وَ إِذِ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثّائِها وَ فُومِها وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ ..» (٣: ٦١).

فهكذا يدخلون مصرا وعلّها الأرض المقدسة التي كتب الله لهم: «وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ» (٧: ١٦٢).

---

[1].نور الثقلين ١: ٦٠٨ في الكافي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله مات داود النبي عليه‌السلام يوم السبت مفجوعا فأظلته بأجنحتها ومات موسى عليه‌السلام في التيه فصاح صائح من السماء مات موسى وأي نفس لا تموت؟.

[2].المصدر في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بأسناده إلى أبي حمزة عن أبي جعفر عليهما‌السلام حديثا طويلا يقول فيه: ان اللّه تبارك وتعالى أرسل يوشع بن نون إلى بني إسرائيل من بعد موسى بنبوته بدؤا في البرية التي تاه فيها بنو إسرائيل.

[3].الدر المنثور ٢: ٢٧٢- أخرج عبد بن حميد عن الحسن قال لما استسقى موسى لقومه أوحى اللّه إليه أن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فقال لهم موسى ردوا معشر الحمير فأوحى اللّه إليه قلت لعبادي معشر الحمير وإني قد حرمت عليكم الأرض المقدسة قال يا رب فاجعل قبري منها قذفة حجر فقال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: «لو رأيتم قبر موسى لرأيتموه من الأرض المقدسة قذفة بحجر».

ذلك، وقد تلمح «فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» أنه أسى على؟؟؟؟
أربعين سنة، إذ ما كان يخلد بخلده أن اللّه يستجيبه هكذا، فإنما فرقا بينه وبينهم،جمعا في تيه العذاب، اللّهم إلّا ردحا منه قليلا يسقي قومه بما ضرب عصاه الحجر وما أشبه.
و لأن موسى وهارون والنقباء الاثنى عشر ومعهم المؤنون كانوا مع القوم في التيه فقد يبرز هذا السؤل، كيف يستجيب اللّه دعاء موسى على نفسه كما على قومه؟. والجواب أن تيه الأربعين كان عليهم عذابا لم يسأله موسى، ولم يكن له عذابا إذ لم يكن دخول الأرض المقدسة محرما إلا عليهم «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ» ثم اللّه سهل على رعيل الإيمان ما لم يسهل على الفاسقين، ومنه لموسى عليه‌السلام تظليل الغمام وانفجار العيون بما ضرب موسى عصاه، وإنزال المن والسلوى، آيات ثلاث ربانية كانت لصالح الرسالة الموسوية علّهم يؤنون.
فأما دعاءه «فافرق ..» فقد فرق اللّه بينه وبينهم بموته دون عزله عن الرسالة فإنه عضل، ولا فرقه عنهم حيا فإنه انعزال لايجوز في سنة الرسالة مهما كان المرسل إليهم عزّل عن الإيمان وعضّل، ومن الفرق هو فارق العذاب لهم في التيه دونه وهارون والمؤنين معهما.
و القول إن اللّه فرق بينهم وبين القوم فور دعاءه قبل التيه، تيه في القول حيث كان انبجاس العيون وتظليل الغمام وما أشبه، آيات ربانية بيد موسى عليه‌السلام وهم في التيه، إذحاجة إلى ذلك الاستسقاء الجمعي وتظليله إلّا في التيه.
فلقد تاهوا في تلك التيهاء لايهتدون من أي إلى أي، وقد لاتعني «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ» حرمة تعبدية إذ هم لم يكونوا يتعبدون بسلب ولا إيجاب، بل هي محرمة عليهم حتى إن لم يكن فيها جبارون حيث أتاهم اللّه عنها فظلوا في التيه إذ ضلوا عن الأرض المقدسة فيه واللّه أعلم بما في التيه ومن فيه، بسالبه ومنفيه.
هذا ما يقوله القرآن عن سبب التيه في التيه، وإليكم نصا من التوراة نائها في سبب التيه: «فقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تؤنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل لذلك لاتدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياه. هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو إسرائيل الرب فتقدس فيهم»(سفر الإعداد ٢٠: ١٢- ١٣).
لك، ولم يسبق هذا النص المزري بحق الرسولين الكريمين إلّا قصة إخراج الماء من الحجر بأمر اللّه حيث ١٠ (قال لهم اسمعوا أيها المردة. أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء. ١١ ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير. فشربت الجماعة ومواشيها. فقال الرب ....».
و حصيلة المعني من دعاءه عليه‌السلام باستجابته أن اللّه حرم عليهم الأرض المقدسة أربعين سنة، وليس على موسى وهارون وسائر المؤنين، فقد يلمح أنهما مع هؤاء كان لهم الدخول إلى الأرض المقدسة خلال الأربعين على أية حال حتى إذا دخلوا مصرا.
إذا فلم يكن موت موسى عليه‌السلام في التيه، ولم تكن استجابة دعاءه في الفرق بينه وبينهم إلّا بفارق عذاب التيه حيث قال «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ»دون «عليكم».
و هكذا تكون أدعية الصالحين، غير جازمة فيما يطلبون، وإنما حسب المصلحة الربانية، ولم يكن لحاضر موسى من العقدة إلا «لا أَمْلِكُ إِلّا نَفْسِي وَ أَخِي» وبناء عليه «فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ» وقد فرق بينهما وبينهم بما فرق.

فهنا في «فافرق ..» المتفرعة على «إِنِّي لا أَمْلِكُ ..» احتمالات عدة:
١ (فافرق» بعزلي عن هذه الرسالة؟ وتطلّب العزل عضل من رسول معصوم وفرية جهل على اللّه تعالى كأنه جهل صلاحية هذه الرسالة فليعزله عنها حين لايملكها!.
٢ (فافرق» بتركي حوزه المسئولية في هذه الرسالة، انعزالا عن هؤاء المرسل إليهم إلى عزلة خالية عن الدعوة؟ وتطلّب الانعزال لايناسب «عُذْراً أَوْ نُذْراً» في الرسالات كلها، ولقد ظلم ذا النون «إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً ..»
حيث ترك حوزه الدعوة دونما استئذان من اللّه!. ٣ (فافرق» بموتي حيث تم الوحي الرسالي وطم الإنذار فلا طائل بعد تحت هذه الرسالة؟ ولا طائل تحت هذا الطلب ممن يعلم مدى صالح الدعوة الرسولية!.
٤ (فافرق» بموتهم؟ وهكذا الأمر! وعلّ فيهم من يؤر فيه كرور الدعوة.
٥ (فافرق» بفارق العذاب الذي هو قضية ذلك التخلف المتواتر المتواصل منهم فلا تشملني وأخي والمؤنين بذلك العذاب.
٦ (فافرق» كما تراه صالحا؟ وهذا هو الأدب الرسولي السامي المرجو من مثل موسى عليه‌السلام.
«قالَ فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً» وليس قضية خصوص هذه الحرمة أن يمنعوا عن بلاد أخرى غيرها، ولكن «أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ»أتاهتهم عن غيرها كما عنها، والتيه عذاب أليم أيا كان، ولا سيما في غير بلد وهم في الصحراء وليس لهم إلّا طعام واحد وجوّ واحد، كلما يحاولون الوصول إلى مصر لايسطعون فإن «يتيهون»إخبار عن واقع لامرد له.
حول التيه وما ورد فيه:
أ تراهم وهم في التيه ما حاولوا أن يدخلوا الأرض المقدسة أم غيرها من البلاد ولماذا وهم حائرون بائرون من تيه التيه؟.
«فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ» تعني حرمة واقعية إلى حرمة شرعية فلذلك لم يسطعوا أن يدخلوها، ثم «يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ» نبأ عن واقع حرمانهم عن الدخول في أية بلدة إلا أربعين التيه، وقد ورد فيه من الآثار والأخبار ما فيه ما فيه، اللّهم إلا ما يوافق الواقع المعقول المقبول، الذي يتلقاه المؤن العاقل بالقبول.[1]

---

[1] .بحار الأنوار ١٣: ١٧٦ عن أبي جعفر عليهماالسلام قال: لما انتهى بهم إلى الأرض المقدسة قال لهم: «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» قالوا: «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ، قالَ رَبِّ ...» فلما أبوا أن يدخلوها حرمها اللّه عليهم فتاهوا في أربعة فراسخ أربعين سنة «يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ...»قال عليه‌السلام: وكانوا إذا أمسوا نادى مناديهم: أمسيتم الرحيل فيرتحلون بالحداء والرجز حتى إذا أسحروا أمر اللّه الأرض فدارت بهم فيصبحون في منزلهم الذي ارتحلوا منه فيقولون: قد اخطأتم الطريق، فمكثوا بهذا أربعين سنة ونزل عليهم المن والسلوى حتى هلكوا جميعا إلا رجلين: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وأبناءهماكانوا يتيهون في نحو من أربعة فراسخ فإذا أرادوا أن يرتحلوا ثبت ثيابهم عليهم وخفافهم .... وفيه ١٨٠ عن أبي جعفر عليهماالسلام ... وكانوا ستمائة ألف ... وعن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهماالسلام عن قوله: «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ...» قال: «كتبها لهم ثم محاها» وعن أبي عبد اللّه عليه‌السلام إن بني إسرائيل قال لهم «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» فلم يدخلوها حتى حرمها عليهم وعلى أبناءهم وإنما دخلها أبناء الأبناء.
وعن إسماعيل الجعفي عن أبي عبد اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله قال قلت له: أصلحك اللّه: «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ...» أ كان كتبها لهم؟ قال: «أي والله لقد كتبها لهم ثم بدا له لا يدخلوها» وعنه عليه‌السلام قال: «كتبها لهم ثم محاها ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وعنه عليه‌السلامفحرمها الله عليهم أربعين سنة وتيههم فكان إذا كان العشاء أخذوا في الرحيل ونادوا الرحيل

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنّا إِلّا أَنْ آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ (٥٩).

هنا «تنقمون» منا تتبنّى ككلّ فسقهم عن الايمان باللّه في مثلث «أَنْ آمَنّا بِاللّهِ»وأنتم غير مؤنين باللّه، لاإيمانا به إلها واحدا حيث الصبغة الشركية المتخلفة المختلفة الحاكمة فيكم، ولا إيمانا به تسليما وإلّا فلما ذا تكفرون بشرعته الأخيرة المبينة ببراهين الصدق أكثر من كل شرعة.

٢- (وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا» من القرآن حيث ينسخ ما أنزل من قبل في بعض الطقوس، وهو نازل على رسول غير إسرائيلي.

٣- (وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» حيث الايمان بما أنزل من قبل لزامه الإيمان بهذه الشرعة الأخيرة بما يحمل من بشارات في تصريحات وإشارات لها ولرسولها وكتابها.

فثالوث النقمة علينا بمثلث الايمان يجعل منكم فاسقين في هذه الثلاث، فإذا كانت هنا نقمة فلتكن لنا منكم لفسقكم عن شرعة الله وايماننا.

و قد يعني الكثير وجاه «أكثركم» الذين هم مؤنون بهذه الشرعة، ومعهم المستضعفون الذين لايعلمون الكتاب إلّا أماني، قاصرين عن ذلك الإيمان الإسلامي الذي هو قضية الإيمان الكتابي السليم[1].

و النقمة هي الإنكار بقال أم حال أم أعمال، ولقد جمع أهل الكتاب ثالوث النقمة منا، وقد تندد «ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» بديلة عن «ما أنزل إليكم»تندّد بهم كأنه ما أنزل إليهم إذ عاملوا كتبهم معاملة النكران بكفر أو كفران ولأن كلا من أهل الكتابين لهم تفرقات بين رسل اللّه وشرائعه، فالجمع بين الإيمان باللّه ورسله وكتبه ككل، يناحر سيرتهم المتخلّفة، إضافة إلى انحرافهم في كلّ من زوايا الإيمان الثلاث، فهم-

---

الرحيل الوحي الوحي، فلم يزالوا كذلك حتى تغيب الشفق حتى إذا ارتحلوا واستوت بهم الأرض قال الله للأرض: ديري بهم فلم يزالوا كذلك حتى إذا أسحروا وقارب الصبح قالوا: إن هذا الماء قد أتيتموه فأنزلوا فإذا أصبحوا إذا أبنيتهممنازلهم التي كانوا فيها بالأمس فيقول بعضهم لبعض يا قوم قد ضللتم وأخطأتم الطريق فلم يزالوا كذلك حتى أذن الله لهم فدخلوها وقد كان كتبها لهم».

وفيه عنه عليه‌السلام يقول: نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها وبئس البلاد مصر أما إنها سجن من سخط اللّه عليه ولم يكن دخول بني إسرائيل مصر إلا من سخط ومعصية منهم للّه لأن اللّه قال: «ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» يعني الشام فأبوا أن يدخلوها فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفيا فيها ثم دخلوها بعد أربعين سنة، قال: «و ما كان خروجهم من مصر ودخولهم الشام إلا من بعد توبتهم ورضى الله عنهم».

وفيه عنه عليه‌السلام في الآية قال: «كان في علمه أنهم سيعصون ويتيهون أربعين سنة ثم يدخلونها بعد تحريمه إياها عليهم».

[1].الدر المنثور ٣: ٢٩٤- اخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس قال أتى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وغازي بن عمرو وزيد بن خالد بن أبي إزار وأسقع فسألوه عمن يؤن به من الرسل قال: «آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤن بعيسى فأنزل اللّه «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ ..».

إذا- كافرون بها جمعا وإفرادا، فلو كانوا يؤنون باللّه إيمانا سليما لكانوا مؤنين بكل رسالاته وكتاباته دون تفريق، ولو كانوا يؤنون بما أنزل إليهم لكانوا- بأحرى- مؤنين بهذا القرآن العظيم، فإن سلسلة الرسالات الربابية بكتاباتها سلسلة واحدة موحدة، رسالة واحدة من إله واحد لاتّجاه واحد يحملها كل رسل اللّه مهما اختلفت شرائعهم في بعض الطقوس ابتلاء ف «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ ..»(۵: ۴۸). قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللّٰهِ مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطّاغُوتَ أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (۶۰):

ف «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمْ» الفسق بثالوثه «مَثُوبَةً عِنْدَ اللّٰهِ مَنْ ..» وكيف «مثوبة»وهي عقوبة مغلّظة تخطت الآخرة إلى الدنيا؟ المثوبة هي من أصل الثوب وهو رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها، أو إلى الحالة المقدرة المقصودة، ولأن جزاء الأعمال ليس إلّا ظهور الأعمال فحقائقها فهو مثوبة في خيرها وشرها، مهما غلب استعمالها في خيرها حيث المثوبة الخيّرة هي المقصودة، كما أن سببها هي الحالة السليمة الفطرية.

و قد تعني «مثوبة» هنا- إضافة إلى أصل الرجوع إلى الحالة الأولى- التعريض بهؤاء أن ثوابهم هو أشد العقاب حيث تخلفوا عن الايمان باللّه معاندين.

ذلك، كما وأن «حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ» (۳: ۱۴۸) تقتسم الثواب إلى حسن وسوء والثاني هو العقاب، وكذلك «وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً» (۲۸: ۸۰) تنحو منحى ذلك التقسيم وهذا مثل البشارة الخاصة في أصلها بالخيرات وتأتي تهكما للشر ك «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ»حيث تعني لو أن لهم بشارة فليست إلّا العذاب الأليم فضلا عن الإنذار.

و قد تعني «بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ» شرا من مثلث الإيمان مجاراة وتنازلا بتهكم، إلى شر فسقهم بثالوثه، فلئن كان ذلك الإيمان شرا عندكم ف «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ ..»أشر من ذلك، وإن صدقتم أن فسقكم ذلك شر ف «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ ..» أشر من ذلك، والمعنيان معنيّان حيث يحملان كلا الحقيقة والمجاراة، ولكن الأصل هنا هو المجاراة حيث المقام مقام النكران. ومن عجيب التماثل بين ثالوثهم السالف ذلك الثالوث الذي هو شر منه: «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ- وَ غَضِبَ عَلَيْهِ- وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطّاغُوتَ»! وهنا «عَبَدَ الطّاغُوتَ»معطوفة على «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ» بفاصل- وجعل ..- أم على «جعل ..»أي جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير.

و لايرد على الثاني أنه يقتضي كون عبادة الطاغوت من جعل اللّه حيث يعني الإذن تكوينيا بما اختاروا عبادة الطاغوت، لاتسييرا عليها ولا تشريعا لها، وذلك مثل «نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» والكل من باب «فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ».

ثم المعنى الأوّل وهو أسلم منه، لايرد عليه ذلك الفصل فإن «غضب عليه- إلى- والخنازير» مواصفة ل «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ»، ثم «وَ عَبَدَ الطّاغُوتَ»معطوفة على «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ»، وقد يعني العطف كليهما عناية لهما وهو أجمع وأجمل دلالة ومدلولا.

ذلك، فمن «لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ» جماعة من اليهود حيث تغلّب عليهم غضب اللّه مهما شمل

غيرهم كما في آيات[1].

و أما من جعل منهم قردة فهم المتخلفون من أصحاب السبت «فَلَمّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» (٧: ١٦٦).

و قد يرجح من جعل منهم خنازير أنهم من النصارى وكما هدّدهم اللّه تعالى في إجابة دعاء المائدة: «قالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ» (٥: ١١٥) ولا يحمل ذلك الجعل إلّا هذه الآية، فحيث المقام هو مقام التنديد بكفرة أهل الكتاب فليكن للنصارى نصيب كما لليهود، أم إنهم كالقردة من اليهود و«عَبَدَ الطّاغُوتَ» من النصارى، أم كل هذه منقسمة على كل من هو شر مكانا وأضل عن سواء السبيل من جمع أهل الكتاب، اللهمّ إلّا القردة الخاصة باليهود حسب النص[2] و«من عبد الطاغوت» هم كل هؤاء الذين استسلموا للطواغيت حيث «اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ ..» (٩: ٣١).

و هل إن كل القردة والخنازير هي من أنسال هؤاء الذين جعلهم اللّه قردة وخنازير؟ كلّا، فقد خلقت القردة والخنازير قبل هؤاء وتستمر، و«إن الله لم يهلك قوما أو يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عاقبة وإن القردة والخنازير قبل ذلك»[3]، «و لكن ذا خلق فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم»[4].

و هذه قضية العدالة الربانية أن يعذب من يستحقه أن يجعل قردا أو خنزيرا دون نسله حيث «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» ومن جعل قردا أو خنزيرا إنما يجعل جسمه مثلهما دون روحه حتى يتحقق العذاب بما يشعر أنه إنسان بصورة قرد أو خنزير.

«أُولئِكَ شَرٌّ مَكاناً» منكم، أو ومنا لو كنا من الأشرار «و أضل» منا ومنكم «عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ» فيا اخوان القردة والخنازير الذين لعنهم اللّه وغضب عليهم وعبدوا الطاغوت هل نحن المسلمين المؤنين باللّه وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل شر مكانا أم أنتم؟.

ذلك وليست النقمة اليهودية والنصرانية من المسلمين تقف لحد، بل انها في شدّ ومدّ ما شد الإسلام

---

[1].كالآية ١٦: ١٠٩ و٤٢- ١٦ و٧: ١٧١ و٢٠: ٨١ و٨: ١٦ و٤: ١٣، حيث تجعل غضب الله على كل من يستحقونه من كافة الملل والنحل دون اختصاص.

[2].في تفسير الفخر الرازي ١٢: ٣٦ قال أهل التفسير عني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروي ايضا ن المسخين كانا في أصحاب السبت لأن شبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير.

[3].الدر المنثور ٢: ٢٩٥- اخرج مسلم وابن مردويه عن ابن مسعود قال سئل رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله عن القردة والخنازير أ هي مما مسخ اللّه فقال: ...

[4].المصدر اخرج الطيالسي واحمد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود قال: سألنا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله عن القردة والخنازير أ هي من نسل اليهود؟ فقال: لا إن اللّه لم يلعن قوما قط فمسخهم فكان لهم نسل ولكن ..

ومدّ، فهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء العشواء التي لم تضع أوزارها قط ولن، منذ أن قام للمسلمين كون وكيان في المدينة وتميزت لهم شخصية.
فهم يشنّون عليهم مختلف الحروب الباردة الدعائية والحارة الحارقة لالشيء إلّا لأنهم مسلمون للّه مستسلمون، ولا تطفأ هذه النار عنهم إلّا أن يرتدوا عن دينهم فيتبعونهم رغم ظاهر إسلامهم الفاضي عن الحقيقة والحيوية ف «لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصارى حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدى»(٢: ١٢٠).
فالإسلام الفائض بمثلث الإيمان باللّه وما أنزل من القرآن وما أنزل من قبل، ذلك الإسلام ينقم منه ومن المسلمين له ما طلعت الشمس وغربت من قبل اليهود والنصارى، إلّا أن يصبح فاضيا عن حقيقته تابعا للاستعمار اليهودي والنصراني كما نراه في الأكثرية المطلقة من الدول الإسلامية حيث يساندها الاستعمار ولا يحاربها.
وَ إِذا جاؤُكُمْ قالُوا آمَنّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ (٦١): «وَ إِذا جاؤُكُمْ» أنتم المؤنين هؤاء الناقمون منكم «قالُوا آمَنّا» نفاقا عارما وشقاقا خارما، تجسسا فيكم لاتحسسا لكم «وَ قَدْ دَخَلُوا»هكذا في ظاهر الإيمان الإقرار «بالكفر» كما «وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ»فدخولهم في ظاهر الإيمان كخروجهم ليس إلّا «بالكفر» مهما كانوا يكتمون «وَ اللّهُ أَعْلَمُ بِما كانُوا يَكْتُمُونَ» كما ويعلمكم بحالهم حتى تأخذوا منهم حذركم وترقبوهم داخلين وخارجين[1].
و ذلك النفاق العارم من أهل الكتاب كان ويكون على مر الزمن يقصد من وراءه إضافة إلى التجسس عن خبايا المسلمين البلبلة فيهم وكما يقولون «آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (٣: ٧٢) بسبب ذلك التشكيك اللئيم.
وَ تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢):
«ترى» أنت الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله و«ترى» أنت المخاطب بالقرآن أيا كنت من المسلمين وأيان «تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ» أولاء الناقمين منكم «يُسارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ» ثالوث من العصيان الجاهر المائر «لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ».
فالإثم هو كل ما يبطئ عن الخير والثواب، فالمسارعة فيه والسباق إليه سباق ومسارعة في سد أبواب الثواب وفتح أبواب التبات. والعدوان هو العداء في ثالوثه المنحوس ضد المسلمين للّه وللقرآن وما أنزل من قبل، مسارعة في حروبهم الباردة والحارة طول تاريخهم المنحوس المركوس.
و أكلهم السحت والباطل من مختلف مجاريه ومؤلف مهاويه ومساويه «لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ».
و إنها صورة ترسم للتبشيع والتشنيع حيث النفوس ألبئيسة التعيسة يستشرى فيها الفساد وتسقط القيم، من سائقين متسابقين في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، وآخرين منساقين في تياره، وهكذا تكون كل المجتمعات الهابطة الى دركات البهيمة النهماء، حيث يشمل الفساد عاليهم وسافلهم، وفي

[1].الدر المنثور ٢: ٢٩٥- اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية «وَ إِذا جاؤُكُمْ ..» قال أناس من اليهود وكانوا يدخلون على النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فيخبرونه انهم مؤنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالهم وبالكفر فكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله.

ذلك الموقف المزري البئيس:
لَوْ لا يَنْهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ وَ الْأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ (۶۳):
«لو لا» و«هلا» هما بمعنى التوبيخ والتحضيض والتخفيض لموقف الموجه إليهم.
و ذلك صوت قرآني صارخ على مدار الزمن في رسالته العالمية ان على العلماء الربانيين تكفل الأمر والنهي في أوساطه الأمة، فلا بد من حافظين لحدود اللّه في كل امة هم ربانيوها كرعيل أعلى من علماءها، ثم أحبارها حيث المكانة التالية للربانيين.
فليس الأمر والنهي فوضى جزاف يتكفلهما أيّ كان، فشرط الربانية علميا وعمليا شرط اصيل بمراتبها في حقل الأمر والنهي، مع سائر الشروط الفرعية المسرودة في الكتاب والسنة.
إذا فسمة السكوت لمدراء الشرعة والربانية عما يقع في الأمة من اثم وعدوان وأكل السحت- وهي رؤس المحرمات في أية شرعة- هي وصمة
لمجتمعات التي كسدت وفسدت آذنة بالانهيار.
فالمجتمع الذي يسوده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل الصالحين هو المجتمع الراقي الحبيب، والذي لايسودانه هو مجتمع الباغي الكئيب.
و هنا سوط اللائمة على الربانيين والأحبار لتركهم المتخلفين عن قولهم الإثم وأكلهم السحت، إنه سوط على كافة العلماء والمؤنين الذين لهم ذلك المنصب، صوت النذير بذلك السوط لكلّ ودونما اختصاص بالربانيين والأحبار، وهو أشد والم لرباني الأمة الاسلامية حيث الشرعة كلما نضجت وارتقت وأخلدت وتوسعت اكثر فالمسئوليات أمامها لحملتها وسائر متشرعيها اكثر، والخروج عن عبء هذه المسؤليات أعسر.
ف «يا ايها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار فلما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار اخذتهم العقوبات فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقطع رزقا ولا يقرب أجلا»[1].
«و إن عندكم الأمثال من بأس الله وقوارعه، وأيامه ووقائعه، فلا تستبطؤا وعيده جهلا بأخذه، وتهاونا ببطشه، ويأسا من بأسه، فان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي والحلماء لترك التناهي» (الخطبة ۱۹۰/ ۴/ ۳۷۲).
فيا «أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا والسّخط وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم اللّه بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه: فعقروها فأصبحوا نادمين- فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوّارة»(الخطبة ۱۹۹/ ۳۹۵).
و «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم» (الخطبة ۲۸۶/ ۵۱۲).
«و الجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنآن

[1].الدر المنثور ۲: ۲۹۶- اخرج ابن أبي حاتم عن علي رضي اللّه عنه انه قال في خطبته، وفي نور الثقلين ۱: ۶۴۸ رواها عن الكافي بسند متصل عن يحيى بن عقيل عن حسن قال خطب امير المؤنين عليه‌السلام ..

الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنئ الفاسقين وغضب للّه غضب اللّه له وأرضاه يوم القيامة» (٣٠ ح/ ٥٧٠).

ذلك والناس على أقسام «فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميّت الأحياء وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل اللّه عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحر لجّي، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقرّبان من أجل ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جائر»(٣٧۴ ح/ ۶۴۲).

ذلك واجب ربّانيّ الأمة، وعليهم أن يصغوا إليهم ويعوا ما يصدرونه عن كتاب اللّه ف «اين تذهب بكم المذاهب ويستر بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن اين تؤون وأنى تؤكون ولكل أجل كتاب ولكل غيبة إياب فاستمعوا من ربانيكم وأحضروه قلوبكم واستيقظوا أن يهتف بكم»*.

فالربانيون التاركون للنهي عن المنكر، «لَبِئْسَ ما كانُوا يَصْنَعُونَ»والآثمون العادون الآكلون للسحت «لَبِئْسَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» والصنع أركز وقيعة من العمل، حيث الصنع هو الذي يصنع العمل، فالمنكر الواقع في مجتمع له عامل هو عامله، وله صانع هو تارك النهي عنه.

و قد عبر عن كلا «الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ» هنا ب «قول الإثم» لأنه غول في توغل الإثم من القائل وممن يسمعه متقبلا من المستضعفين، فقد يعمل بالإثم دون أن يحمل إشاعة له وتحريضا لآلخرين، ولكن القول الإثم- وهو بطبيعة الحال مع فعل الإثم، إنه إشاعة وتشجيع للإثم ف

«ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل من المعاصي هم أعز منه وأمنع أن يغيروا إلا أصابهم الله منه بعذاب» *.

ذلك، ومن قولهم الإثم الذي يتهدم به الايمان من أصله:

وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (۶۴): «يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ»؟! .. «يد اللّه» هي قدرته ورحمته وعلمه، أم بصيغة واحدة كل قدراته رحمانية ورحمية على علمه الطليق، كما أن قدرته طليقة، فهذه اليد المغلولة تعني تحديدها عن طلاقتها، مغلولة بما غلّها هو نفسه بخلا، أم بما غلّها غيره سلطة عليه، أم بما كانت مغلولة منذ الأزل قصورا ذاتيا! والجمع هو ثالوث الغل، في تكوين وتقدير وتشريع، فقد كانوا يحيلون النسخ على اللّه وهذا غل ليده في التشريع.

و ذلك الثالوث تشمله «يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ» مهما تشعبت الآراء المعلولة المغلولة فيما بينها.

و هنا «يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ» تختص غلها بحقل الإنفاق كما في «لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ» وعلّ المعني من «يَداهُ مَبْسُوطَتانِ» يد الرحمة والغضب، أنه ليس مسيّرا فيها فله الخيار حسب الحكمة الربانية في البسط والإقتار، فلا بسطه في الإنفاق دليل أنّه مجبر ولا إقتاره دليل الغل المسيّر.

لقد قيل في الله كثير من القيلات الغيلات ولم يسد أبوابها تسييرا عن نفسه تعالى وتقدس فكيف يسده عن خلقه اللّهم إلّا فضحا لأصحابها بقيلاتهم أنفسهم الويلات فإنهيفلح الظالمين «إن يحيى بن زكريا سأل ربه فقال يا رب اجعلني ممن لايقع الناس فيه فأوحى الله يا يحيى هذا شيء لم أستخلصه لنفسي كيف أفعله بك اقرأ في المحكم تجده: وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالوا يد الله مغلولة وقالوا وقالوا» *. ذلك ويداه المبسوطتان في الإنفاق يقضي على قيلة «فرغ من الأمر»[1] أنه خلق ما خلق ثم أمسك حيث خول أمر التدبير إلى خلقه أم جعل أمرهم فوضى جزاف.

ثم الفراغ من الأمر قد يكون بعد خلقه الخلق ألّا تدبير له فيهم كما في قيلة اليهود، ولكنه هو الخالق للخلق كله، أم وأفضح منه أنه خلق الخلق الأول ثم سائر الخلق يخلقه الخلق الأول والثاني كما في خرافة العقول العشرة سنادا إلى قاعدة بائدة متفلسفة: «الواحد لايصدر منه إلّا واحد»فلأن الله واحد بحقيقة الوحدة فلا يصدر منه إلّا خلق واحد!.

رغم أن هذه القاعدة فاشلة في العلل الخلقية فضلا عن الخالق. فهب إن النار لاتصدر منها إلّا الحرارة النارية، فهل لو كانت مريدة مختارة لكانت- بعد- هكذا والفاعل بالإرادة يفعل ما يشاء دون حد إلّا في المحدود الإرادة.

فالعلل المادية التي هي مولدات لمعاليلها، هي مسانخة لها لامحالة فلا تلد إلّا ما في ذواتها، ولكنها إذا كانت ذات إرادة وتصميم بإمكانها أن تولد ما تشاء من ذاتها أم من ذوات أخرى، وأما الله تعالى وهو تجردي الذات فليس خلقه ولادة حتى يشابه خلقه ذاته، إنما هو خلق بالمشيئة ولا حد لها ولا حدود، فكيف تنطبق عليه «الواحد لايصدر منه إلّا واحد»؟!.

ذلك، فيهود هذه الأمة القائلين هذه المقالة هم أهود من سائر اليهود إذ هم ما غلّوا يد الله تعالى عما سوى الخلق الأوّل مهما غلوها عن التدبير دائما أو أحيانا.

أو قد عنت اليهود الأغبياء فقر الله في المال وكما «لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ ..» (٣: ١٨١) فعلّهم عنوا هنا نفس المعنى، وهو في نفس الوقت تعريض بالمسلمين الفقراء في البداية إن إلههم فقير، لأن الله الذي هم يعتقدونه فقير.

فقد بان البون بين قيلة اليهود «إن الله فقير- يد الله مغلولة» وبين قيلة يهود هذه الأمة إن «الواحد

---

[1] .نور الثقلين ١: ٦٤٩ في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه‌السلام مع سليمان المروزي بعد كلام طويل له عليه‌السلام في اثبات البداء وقد كان سليمان ينكر ثم التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب؟ قال: أعوذ باللّه من ذلك وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود يد اللّه مغلولة، يعنون ان اللّه قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئا فقال عزّ وجلّ: «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا» وفي كتاب التوحيد باسناده إلى إسحاق بن عمار عمن سمعه عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام انه قال في قول اللّه عزّ وجلّ: «وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ» لم يعنوا انه هكذا ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص وقال اللّه جلّ جلاله تكذيبا لقولهم: «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ..» الم تسمع اللّه عزّ وجل يقول: «يَمْحُوا اللّٰهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ».

و في الدر المنثور ٢: ٢٩٦ عن ابن عباس قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس ان ربك بخيل لا ينفق فأنزل اللّه «وَ قالَتِ الْيَهُودُ ..».

وفي تفسير القمي قال: قالوا قد فرغ اللّه من الأمر لا يحدث غير ما قدره في التقدير الأول فرد اللّه عليهم فقال: «بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ» أي يقدم ويؤر ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة.

لايصدر منه إلّا واحد»حيث غلّوا يدي اللّه عن كل خلق إلّا الخلق الأوّل الذي هو واحد كما أنه نفسه واحد لانطباق هذه القاعدة وقاعدة مسانخة العلة والمعلول!.

لقد قالت اليهود أمثال هذه القولة «إن اللّه فقير» بمناسبات عدة منها فقر المسلمين الأولين، ومنها أمثال قوله تعالى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً»(٢: ٢٤٥) قائلين إن اللّه الذي يستقرض من عباده الفقراء هو فقير- بطبيعة الحال- بل هو أفقر من هؤاء الفقراء، وكل ذلك تعريض جانبي بخصوص المسلمين نقمة منهم أنهم مسلمون، فقد أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال للّه سبحانه بسائر مخارجه، وقد بلغ من غلظ حسهم الحيواني البغيض، وجلافة قلوبهم ألّا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه تعريضا وهو البخل بلفظه المباشر الجانبي ك «ربكم بخيل»فقالوا: «يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ»- «إن اللّه فقير»فانه أشد وقاحة وتهجما وكفرا.

و هنا «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ» إخبار وليست دعاء حيث اللّه لايدعوا، فممن يطلب طلبه حين يدعوا، اللّهم إلّا طلبا من نفسه أن يغل أيديهم أو طلبا من مؤني عباده أن يتطلبوا منه غل أيديهم!.

و قد تعني «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ» مثلث المعنى، فهم مغلولو الأيدي أولا بمعنى ما لسائر الخلق من غل الأيدي، إذ لايد طليقة لأي من خلق في أيّ من الأعمال إلّا بما يطلقها اللّه، ولايطلقها طلاقة طليقة كما له تعالى وسبحانه عما يشركون.

ثم هم مغلولو الأيدي لمكان الفقر الجبلي لهم مهما كانوا أغنياء حيث «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ» فهم أبخل بخلاء البشر طول تاريخهم، كما غلت أيديهم عن أن يمسوا من كرامة اللّه ورسل اللّه إلّا وهم مفضوحون فيما يعملون.

اجل «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ» أنفسهم دون يد اللّه «وَ لُعِنُوا بِما قالُوا» كما «لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ وَ عَبَدَ الطّاغُوتَ».

«بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ» وهنا «يداه» دون «يده» المنقولة في قيلتهم، لتدل على واسع قدرته، ف «يده» قد تلمح لبسط جانبيّ ليد الرحمة أم يد العذاب أماهيه، ولكن «يداه»هي عبارة أخرى عن قدراته كما يقال: فلان مبسوط اليدين.

صحيح أن اليد تستعمل في اليد الجارحة، ولكنها مستعملة اكثر منها بكثير في اليد القدرة المديدة، ولأن اللّه ليست له يد جارحة فلتجرد اليد واليدان له عن أية جارحة، إلى سائر اليد علما وقدرة ورحمة، يد الألوهية والربوبية الطليقة الواسعة لكل شيء.

فقد يعبر عن كل ذلك بصيغة الإفراد ك «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» (٣: ٢٦) و«بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» (٣٦: ٨٣) و«بِيَدِهِ الْمُلْكُ»(٦٧: ١) و«يَدُ اللّٰهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»(٤٨: ١٠) فيما يراد بها الربوبية الموحدة.

و أخرى بصيغة التثنية كما هنا «بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ» و«أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ»(٣٨: ٧٥) و«لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ» (٤٩: ١) فيما يراد بيان كامل الربوبية في بعدي صفات جلاله وجماله، وعلى أية حال «كلتا يديه يمين»القدرة علما ورحمة رحمانية ورحيمية أماهيه.

فقد يعنى من يديه: يد الخلق والتدبير، أو يد التكوين خلقا وتدبيرا ويد التشريع بدء ونسخا، أو يد النعمة الدنيوية والأخروية، أو يد العذاب والنقمة، أو يد النقمة الظاهرة والباطنة، وعلى الجملة يد السلب والإيجاب في ربوبياته كلها حسب المصالح الواقعية أو الابتلائية، وقد تعني «يداه»كل هذه

المثنيات على البدل، ومعها بسط اليدين بمعنى طليق اليد في كافة الشؤن الربانية[1]. ذلك وقد تجمع القيلة اليهودية بين هذه القيلات، فمن فسلفتهم التي تسربت إلى الفلسفة الإسلامية فترسبت قاعدة «الواحد لايصدر منه إلّا واحد» ومن مهزلتهم وجاه المسلمين أن إلهكم فقير وإلّا فلما ذا أنتم المسلمون فقراء ولماذا يسألكم قرضا حسنا، ومن قسمتهم الضيزى للربوبية أن له الخلق ولخلقه التدبير فقد فرغ من الأمر، ومنه قولهم باستحالة النسخ فقد غلت يده في التشريع كما في التكوين وما أشبه هذه من غلّ وهي كلها غلّ وانحراف تجمع بينها العقيدة اليهودية وهي متفرقة بين سائر الأمم و«البداء» المتواتر في إثباته براهين الكتاب والسنة يعني بسط يدي اللّه في كافة ربوبياته دون فراغ من الأمر وفراق عن الربوبية، فالبداء يعني استمرارية الربوبية دون وقفة في أي من شؤنها، دون الظهور بعد الخفاء فان اللّه لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

ذلك، ومنه البداء في القضاء بعد القدر، فلا يعني البداء أنه قضي الأمر كما أراده اللّه فلا خيرة في أمر لأحد من الخلق، إبطالا للتكليف فبطلانا للحساب والثواب والعقاب!.

بل يعني أن اللّه يقضي فيما قدر إذا قضى المكلف ما قدر له في القدر، ف «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين».

«بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ» ولكنه ليس بسطا كما يهواه خلقه بل «يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ»توسعة وتقتيرا: «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ» «وَ لَوْ بَسَطَ اللّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ».

ذلك، وليس ما كتب على نفسه من الرحمة غلا ليده في طليق القدرة، حيث القصد من «يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ» صفة نقص ومذمة ومذلة والرحمة كمال وخلافها خلافه، ثم وليس غلا ليده من عند نفسه حيث الغلّ هو اللّااختيار وربنا هو المختار بذاته مهما كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه خلافها.

«وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً» كما وأن قولهم «يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ» هي من تلك الزيادة، قولا غولا باستحالة النسخ، غلا ليد التشريع الربانية، وقولا ساخرا بأنه فقير فإن عباده المسلمين فقراء.

و ترى أن زيادة طغيانهم وكفرهم بما أنزل إلى الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله تحكم بعد إنزاله حفاظا على حالتهم الأولى كما يهرفه خارف يسمي نفسه مفسرا للقرآن؟ كلّا! إذ ليس القصد من ذلك الانزال تلك الزيادة حتى تنسب إلى اللّه فيقال لاتعني أفعاله تعالى مصلحة وحكمة[2].

ثم وإذا دار الأمر بين صالح إنزال القرآن بطالح المزيد من طغيانهم وكفرهم، وبين صالح البقاء على

---

[1].الدر المنثور ٢: ٢٩٧- اخرج من عدة طرق عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: ان يمين اللّه ملء لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه قال وعرشه على الماء وفي يده الأخرى القبض يرفض ويخفض.

[2].يقول الفخر الرازي في ١٢: ٤٤ من تفسيره: قال أصحابنا: دلت الآية على أنه تعالى لا يراعى مصالح الدين والدنيا لأنه تعالى لما علم أنهم يزدادون عند إنزال تلك الآيات كفرا وضلالا فلو كانت أفعاله معللة برعاية المصالح للعباد لامتنع عليه إنزال تلك الآيات!.

قليل كفرهم وطالح ترك إنزال القرآن فأيهما أصلح؟! فإذا كانت رعاية الأقل مصلحة أولى من الأكثر مصلحة فلا أولوية لمصلحة إرسال الرسل وإنزال الكتب حيث سبّبا مزيد الطغيان والكفر للطاغين والكافرين: «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إِلّا خَساراً»(١٧: ٨٢). «وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ» وتراهم باقين زمن دولة المهدي القائم من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله وهي تشمل العالم كله؟ أجل ولكن لادور لغير الإسلام سلطة روحية وزمنية، فغير المسلمين- إذا- كلّهم أهل ذمة في تلك الدولة السعيدة، لادور لهم إلّا كور. وتلك العداوة والبغضاء الملقاة بينهم أولاء اليهود، ثم العداوة والبغضاء المغراة بين النصارى كما في آية اخرى، هي من نتائج كيدهم وميدهم ضد دين الله والدينين المؤنين بالله.

«كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ» وهنا «ناراً لِلْحَرْبِ» استعارة لطيفة حيث شبهت بواعث الحرب بالنار لاحتدام قراعها وجد مصاعها وأنها تأكل أهلها كما تأكل النار حطبها، والقصد من نار الحرب هي التي ضد المسلمين القائمين بشرائط الإيمان، ف «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ» (٣: ١١١) ونارا للحرب قد تعني الحرب الباردة الدعائية ضد الإسلام ف «أَطْفَأَهَا اللّهُ» هنا بارزة بحجة القرآن البالغة التي تذود عن ساحته كل وصمة وكل دعاية مضللة، ثم الحرب الحارة دينيا وكذلك الأمر، وأما العسكرية فهنا الحرب سجال، وثالوث حربهم مطفية بما أطفأها الله، اللهم إلّا الحروب التي تشن على المسلمين غير القائمين بشرائط الإيمان.

«وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» وذلك صبغة يهودية عالمية أينما وجدوا، ولا سيما بعد ما شكّلوا دويلة أو دولة بما احتلوا فلسطين والقدس، ويحاولون أن يوسعوا نطاق الاحتلال الصهيوني، وقد أخبرنا الله بقضائه إليهم وعليهم: «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً .. فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا ...

فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» (١٧: ٧)[١] ومن لطيف الوفق العددي بين الحرب والأسرى بمختلف صيغهما ان كلا يذكر في القرآن (٦) مرة مما تلمح بان الحرب الاسلامية قضيتها الأولى الأسرى من الكفار!. ذلك، وليست وصمة العداوة والبغضاء على اليهود والنصارى لازبا لهم لزاما لأنهم- فقط- أهل الكتاب ولمّا يسلموا، إنّما هي لكفرهم وتكذيبهم بآيات الله وكيدهم على شرعة الله:

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ (٦٦):

«لو» هنا وهناك تحيل مدخلوها واقعيا لاإمكانيا، فالواقع الأكثري من أهل الكتاب عدم الإيمان والتقوى وإقامة الكتاب، «وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ»بكتابهم «و اتقوا»مخالفة الكتاب إلى ما يهوون «لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» التي عملوها «وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ».

---

[١] .لتفصيل البحث حول الآية راجع الفرقان ١٥.

و ليس الإيمان بالكتاب- فقط- هو قراءته والإعتقاد به، بل هو إقامته عمليا كما يقام عقيديا ولفظيا، إذ ليس الكتاب الرباني إلّا لإصلاح واقع الحياة دون تصورها فقط والإعتقاد بذلك التصور.
فإقامة التوراة والإنجيل هي بعد الانتساب إليهما والإقرار بهما، عبارة عن تحقيق محتوياتهما في ميادين العمل والتبشير، فقد يذهب العلم بالكتاب حين لاينتفع به كما
يروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله «يوشك أن يرفع العلم .. حين تركوا أمر الله»[1].
هنا إقام التوراة والإنجيل يقتسمان بين أهليهما ولا سيما أهل الإنجيل إذ يؤنون بالتوراة تلقائيا، مهما كان إيمان أهل التوراة بالإنجيل تكليفا ربانيا، وكما أن من إقامهما بتمحيصهما عن كل زيادة وتأويل عليل، كذلك تطبيقهما عمليا على ضوء الإيمان بهما، ومن ثم الإيمان بالمبشّر به فيهما وهو القرآن ورسوله، فمثلث إقام التوراة والإنجيل مطوي في إقامهما.
ثم «ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ» قد تعني إلى كل كتابات السماء- بين الكتابين حيث توضّح الدخيل فيهما عن الأصيل، وتبين منهما كل إدغال وتدجيل- تعني القرآن فإن الإيمان به وإقامه هما من القضايا الرئيسية لإقامهما، وليست «إليهم» لتختص النازل إليهم بالكتابات الإسرائيلية، حيث الواجهة القرآنية لأهل الكتاب هي قبل غيرهم، فهم الركيزة الأولى من وحي القرآن لمعرفتهم بطبيعة الوحي أكثر من سواهم.
فكما أن من قضية إقام التوراة هي تصديق الإنجيل فإقامه، كذلك إقام القرآن هو رأس القضايا لإقامهما، إذ لايختص إقام كتاب الوحي بمواصلة التطبيق لأحكامه- فقط- بل ومن إقامه النقلة إلى كتاب آخر يؤر بها في الكتاب.
إذا فالانتقال من هذين الكتابين إلى القرآن إقام لهما وللقرآن، وفي الترسب فيهما دون نقلة إلى القرآن ترك لإقامهما.
فاليهودي والمسيحي الحقيقي هما اللذان يقيمان الكتابين بالإيمان بالقرآن لمكان البشارات المتظافرة فيهما بحق القرآن ونبيه.
و ليس يختص هنا وعد الرحمة على ضوء إقام الكتاب بالمذكورين، فليس ذكرهم إلّا لأنهم أهم الكتابيين الموجودين زمن نزول القرآن، وإلّا فقد تعم الرحمة الموعودة أهل القرى كلهم على ضوء الإيمان والتقوى:
«وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» (٧: ٩۶).

---

[1]. الدر المنثور ٢: ٢٩٧- اخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير ان رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله قال: يوشك أن يرفع العلم قلت كيف وقد قرأنا القرآن وعلمناه أبناءنا؟ فقال ثكلتك أمك يا ابن نفير ان كنت لا أراك من افقه أهل المدينة أو ليست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى فما اغنى عنهم حين تركوا امر اللّه ثم قرأ «وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ ..» وفيه عن زياد بن لبيد قال ذكر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال وذلك عند ذهاب أبنائنا قلنا يا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله وكيف يذهب العلم ونحن نقرء القرآن ونقرؤ أبناءنا ويقرءه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد ان كنت لأراك من افقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهودالنصارى يقرءون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون مما فيهما بشيء.

فتواتر الرحمة الربانية من السماء والأرض هو طبيعة الحال بما وعد الله للذين آمنوا بالله واتقوا، «لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» حيث تعني لباس الرحمة من كل الجوانب لهم، والأكل هنا يعني كل الحاجات المعيشية فهو سعة الرزق ورفاهة العيش كما يقال: فلان مغمور في النقمة من قرنه إلى قدمه.

كما وأن «ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» (۴۲: ۳۰) فقد «ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»(۳۰: ۴۲) معاكسة النتيجة عند معاكسة الأعمال «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى».

ذلك و«مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ» حيث يقيمون كتابات السماء دونما تدجيل وتأويل «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ» حيث يعيشونها في أهواءهم ورغباتهم بكل تأويل وتدجيل.

و هنا يجمع الله بين بركات الآخرة والدنيا على ضوء الإيمان والتقوى لأهليهما كتابيين أو مسلمين، فلآلخرة «لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْناهُمْ جَنّاتِ النَّعِيمِ»وللدنيا كما تلائم الآخرة: «لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» وهكذا يدعو عباد الله الصالحين: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النّارِ. أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمّا كَسَبُوا وَ اللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ» (۲: ۲۰۱).

فقد يبدوا أن الإيمان والتقوى لايعنيان- فقط- حسنى الآخرة، بل وكذلك معها حسنى الدنيا، فالمنهج الإيماني للحياة لايجعل الدين بديلا عن الدنيا، ولا يجعل سعادة الآخرة بديلة عن سعادة الدنيا، فلا يجعل طريق الآخرة غير الطريق في الدنيا فإنما «الدنيا مزرعة الآخرة» كلّ يمسك على الآخر، إذا فليس في تحصيل الآخرة إهمال الدنيا، ولا في تحصيل الدنيا إهمال الآخرة، حيث المؤن دنياه آخرة حين يتذرع بها إليها، فحياته فيها حسنة مهما كانت الآخرة هي الحسنى.

فخلاف ما يزعم ليس العداء بين الحياتين والنشأتين عداء لازبا أصيلا، بل هو طارىء من انحراف أهل الدنيا حيث يؤّلونها فيستأصلون الحياة الأخرى، فلا استئصال بينهما كأصل، وكما نجد في وعد الله أن تواتر البركات الدنيوية قبل الأخروية هو من قضايا الإيمان الصادق والتقوى، فكيف ينافيان تعمير الحياة الدنيا، اللّهم إلّا التركيز عليها كأصل أخير.

فكما المنهج الإيماني يقرر أن الصلاة والصوم والحج عبادة، كذلك العمل للحصول على عيشة راضية هنا عبادة محسوبة على الآخرة كما هي محسوبة على الدنيا.

كيف لاوقد استعمرنا الله في الأرض دونما استهدام ف «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ»(۱۱:۶۱).

فاستعمار الأرض المطلوب من ربنا لنا هو الذي لايستهدم الآخرة بل ويستعمرها جمعا بين الاستعمارين الصالحين وهو للكادحين الصالحين، ف «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ» (۸۴: ۶) كدحا في كلا الاستعمارين. فليس المنهج الإسلامي ليفوّت على ناهجيه دنياه لنيل الآخرة، ولا آخرته لنيل الدنيا، إذ ليستا- في الأصل- نقيضين أو بديلين في ذلك المنهج، وإلّا لم تستخدم الدنيا كمدرسة ومزرعة لآلخرة.

و ما مذمة الحياة الدنيا في القرآن والسنة إلّا جانبية تعني التي تفوّت الآخرة، فهي على حدّ تعبير الأمير عليه‌السلام تبصرة لآلخرة:

«من أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته».
فالمذاهب الروحية التي تحاول استبقاء الدين عقيدة وعملية بعيدة عن نظام الحياة، كما المذاهب المادية التي تحاول استئصال الدين كأنه يناحر مصالح الحياة، أو أن الدين للّه والحياة للناس، إنها مذاهب بين إفراطية وتفريطية بحق الدين والحياة، حيث لم تعرف الدين ولا الحياة، فالدين الحق هو الذي يكفل صالح الحياة الدنيوية إلى جانب صالح الحياة الأخروية، دون تفدية لإحداهما للأخرى اللّهم إلّا تأصيلا للأخرى لأنها الحياة الدائمة وهذه هي الفانية.
ذلك، وليس الرخاء الظاهرة في الأمم المتحلّلة عن الإيمان والتقى مما تبقى حيث تبغى، إنما هي جولات عابرات، وهي مع الوصف حافلة بكل شقاء وخوف وعناء.
فمن ذلك سوء التوزيع في هذه الأمم مما يجعلها حافلة بالشقاء وبالأحقاد والمخاوف من الثورات والانقلابات المتوقّعة حينا بعد حين، نتيجة الأحقاد الكظيمة والمظلمات العظيمة، فهي بلاء رغم ظاهر الرخاء بالنعماء.
ذلك وعلى حد التعبير القرآني العبير «مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى» (٢٠: ١٢٤).
و لقد نلمس مختلف مظاهر الضنك في المعيشة خلقية وسياسية واقتصادية حيث الانهيار محلّق على كل حلقاتها مهما كانت الظواهر والمظاهر برّاقة.
ذلك، ولكن الصلة باللّه في كل زوايا الحياة تجعل الحياة طيبة في الفقر والغنى، في الضيق والسعة وعلى أية حال، وتنمي محاولة النماء في مختلف جنبات الحياة، مادية إلى روحية، وروحية إلى مادية، تعيشان مع بعضهما البعض فتعيّشان الإنسان كما يرضاه الرحيم الرحمان «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ»؟!.
و لقد نسمع تلك القدسية في حديث قدسي يرويه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله عن اللّه مخاطبا لعباده في بلاده: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا .. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم .. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم .. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم .. يا عبادي إنكم تخطؤن بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم .. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني .. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا .. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا .. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم فيها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].
وَ آتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧).

[1] .رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله عن اللّه تبارك وتعالى.

هنا «بينات» من أمر الشرعة التوراتية، وبينات من أمر الآية الرسالية، آيات بينات تكوينية وتدوينية، حاسمات فاضلات لاغموض فيها ولا عوج ولا انحراف، بينات ربانية كالشمس في رايعة النهار لاتدعو إلى اختلاف، وإنما إلى العلم الواضح.

«فَمَا اخْتَلَفُوا» في بينات الأمر رسالة وكتابا «إِلّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ»بغيا على البينات، وعلى حملة البينات بعضهم على بعض، وبغيا على الأمة، تحريفا كما يهوون، وتجديفا كما يشاءون «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ».

و لقد وصل أمرهم في اختلافهم في أمرهم إلى حد من نكرهم في إمرهم لايتحمل، إلّا أن يتحول أمر الشرعة إلى غيرهم وكما هددوا في التوراة ولكن لاحياة لمن تنادي! في العهدين الجديد والعتيق بشارات بانتقال أمر الشرعة الإلهية إلى بيت إسماعيل في الرسالة المحمدية صلى‌الله‌عليه‌وآله ونموذجا منها ما في حزفيال ١٩: ١٠- ١٤ (أمّك مثل كرمة غرست على المياه فصارت كثيرة الثمار والأفنان من غزارة المياه (١٠) وصارت قضبان صلبة صوالجة للسلاطين وارتفع قوامها بين الفروع الملتفة فظهرت في ارتفاعها وكثرة عذباتها (١١) ثم إنها قلعت بحنق وطرحت على الأرض فأيبست الريح الشرقية ثمرتها وكسرت قضبانها الصلبة وأكلتها النار (١٢) والآن هي مغروسة في البرية في أرض قاحلة ظمئة (١٣) فخرج من قضبان شعبها نار أكلت ثمرتها فلم يبق فيها قضيب صلب صولجان للتسلط هذا رثاء ورثاء سيكون (١٤). فالكرم هنا ابراهيم حيث المخاطب في أمك اما حزقيال او كافة بني إسرائيل، فالأغصان هي نسل إبراهيم من بيت إسرائيل، إذ سكنوا فلسطين فنموا وريّوا وتمتعوا فتحصلت من هذه الأغصان قضبان صلبة هي النبوة الإسرائيلية، «ثم قلعت بحنق وطرحت» وهي انقضاء الحكم والنبوة والكتاب عنهم «و الآن هي مغروسة في البرية في أرض قاحلة ..»

هي برية فاران أرض الحجاز، حيث تحولت القضبان الإسرائيلية من هذه الشجرة الإبراهيمية إلى قضبان إسماعيلية في الرسالة الأخيرة المحمدية، والنار الخارجة منها هي الشريعة النارية التي هي نار للشاردين ونور للواردين، نار تحرق كل أغصان الباطل، وتورق أغصان الحق من تلك الشجرة الطيبة ..»[1] ذلك ما تلمح به آي من الذكر الحكيم، حين تذكر رحمة الكتاب والحكم والنبوة ورزقهم من الطيبات وتفضيلهم على العالمين:

ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ إِنَّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩).

إنه لابد من حكم في الجماهير المحتشدة المختلفة، فإما شريعة من امر اللّه وإما شرعة الأهواء الهباء، فلا وسط بينهما ولا أنصاف حلول، فشرعة الأهواء الخالصة أو الملتقطة من الشرعتين هما على سواء، وقد تكون الضلالة في شرعة الالتقاط أعمق وأهوى، حيث تبرز الحق بمظهر الباطل ليتجنب، والباطل بمظهر الحق ليتّبع، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجى الذين سبقت لهم من اللّه الحسنى! فلا يترك أحد شرعة اللّه إلا ليحكّم الأهواء، فكل ما عدى شرعة اللّه الخالصة هوى يهفو إليه الذين

---

[1] .راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) ص ٣١- ٣٢- وفيه بشارات اخرى كهذه تدل على انتقال الشريعة من بني إسرائيل الى بني إسماعيل.

لايعلمون، سقطات في هوّات ولأتباع ضلالات! أمر اللّه- وهو دينه- واحد والشرائع إليه عدة تنحو منحى واحد، مهما اختلفت الشكليات حسب مختلف القابليات والبليات: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى- أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» (۴۲: ۱۳)[۱].

إن الأمر الدين هو كتاب الوحي ورسول الوحي ببينات الوحي، وفي هذا المثلث ترسم شرعة من الأمر، وشريعة من الأمر- الأخيرة- هي تحمل الأمر كله، والشرائع المستقدمة عليها تهيئات لها ومبشرات بها، ومحضّرات إياها للعالمين إلى يوم الدين.

إتباع هذه الشرعة منذ بزوغها إلى يوم الدّين هو الدين كله، والأمر كله، كما اتباع سواها إتباع لأهواء الذين لايعلمون، على دركاتهم في ال «لا يعلمون»من ملحدين ومشركين وكتابيين أو ومسلمين التقاطيين أمّن ذا من هؤاء الذين ينجرفون عن محض شرعة الإسلام إلى غير محضها، مهما كان خليطا منها وسواها، أم كلّها سواها أم ماذا؟

إنها شريعة واحدة تستحق هذه السمة «فاتبعها» ثم ولما عداها «وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» ولماذا تتبعها تركا لشرعة اللّه أو لشيء منها؟ هل ليغنوا عنك من اللّه شيئا في تشريع شرعة، ولا مشرّع إلّا اللّه «إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً»!.

أم ليغنوا عنك بديلا عنها أو عن بعضها نصرة لك في الدعوة أو كثرة في اتباع الدعوة ف «لن ...» فإنهم وأنصارهم إذا أتباع أهوائهم دون هذه الشرعة! أم ليغنوا عنك يوم القيامة بديلا عن عذاب اللّه؟ و«لن ...» فإنهم يكفيهم ما هم فيه من عذاب عظيم! أماذا من إغناء ترجوه منهم ف «إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ إِنَّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ» فلا يغني عنك من اللّه هنا وفي أيام اللّه إلّا اللّه، وهو لايغني إلّا المتقين المتحرزين عن إتّباع الأهواء.

إن الظالمين بأمر اللّه وشرعته وبرسول اللّه وكتابه، هم بعضهم أولياء بعض، فلا تكن من هؤاء الأبعاض ف «اللّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ» دون الظالمين.

فاتّباع غير هذه الشريعة من الأمر ظلم وضلال مهما كان في حكم مصلحيا أو أحكام، فشريعة اللّه لايتاجر بها، ولا تخالطها أهواء الذين لايعلمون.

هكذا يؤر الرسول فأحرى بمن سواه من المكلفين إلى يوم الدين أن يتخذوا شرعة القرآن وعلى هامشها السنة الإسلامية، يتخذونها لاسواها نبراسا ينير الدرب على الحائرين، ومتراسا يجابهون به المائرين!

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۱۳.

«فَبِما نَقْضِهِمْ» بني إسرائيل دون نقباءهم، فإن بعيث اللّه لاينقض ميثاقه، وأخذ هذا الميثاق كان- فقط- على بني إسرائيل إذ قوبلوا بنقبائهم.

---

[۱]. راجع تفسير الآية في الشورى تجد فيها بحثا مفصلا يساعدك على ما هنا من امر الشرعة الأخيرة.

و دور «ما» هنا علّه دور التأكيد والإبهام لفرض الإكبار لميثاقهم والتحقير لنقضهم إياه، أم هي موصولة صلته «نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ» فبالذي نقضوا من ميثاقهم، أم موصوفة وصفها الجملة، فلا تبقى دون معنى على أية حال.

«فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ» في المواد الست «لعناهم» تبعيدا عن ساحتنا الربوبية حيث لن تشملهم «إني معكم» في حقلها الرحيمي الخاص بالمؤنين، ومن مصاديق ذلك اللعن مسخ جماعة منهم قردة خاسئين كأصحاب السبت «فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ» (٢: ٦٥): ومن «مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنازِيرَ»(٥: ٦٠) فالقردة من اليهود والخنازير من النصارى.

و منها صمّ آذانهم وعمى أبصارهم: «أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ» (٤٧: ٢٣) أمّا أشبه من لعن لعنوا به أكثر اليهود وقسم من النصارى بما نقضوا من مواثيق اللّٰه.

«وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً» لما قست عن ذكر اللّٰه والإيفاء بميثاق اللّٰه، فهذه القسوة الربانية المسيّرة هي ختم على قلوبهم بقسوتها المخيّرة، فلا يصح تأويل «جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً» ب: أخبرنا بقساوة قلوبهم، فإن عبارته الصالحة نفس عبارته، دون «جعلنا»الذي يعبر عن جعل رباني بقساوة القلوب، زيغا بزيغ: «فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ»، ومن قضايا هذه القساوة المزدوجة:

«يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ» ولا سيما كلم البشارات المحمدية تحريفا لها لفظيا بكل أبعاده، ومعنويا قصدا إلى تجميدها عن دلالتها على الرسول محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله، فالمواضع اللفظية والمعنوية هي مجالات مختلف التحريفات والتجديفات الإسرائيلية، يعيشونها طوال تاريخهم النحس النجس.

«وَ نَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ» ومما ذكروا به ذكرى الرسالة المحمدية صلى‌الله‌عليه‌وآله وهي لهم حظوة أمام المشركين حيث كانوا يستفتحون عليهم، وحظوة لهم فإن فيها تكملة الرسالة الإسرائيلية، فقد نسوا ذلك الحظ الرفيع الحظيظ حيث نزلوه إلى الحضيض. «وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى» عملية أو قولة أو طوية ونية «خائِنَةٍ مِنْهُمْ»بحق الحق في شرعة اللّٰه، فلهم مواقف خيانية متواترة لاتزال، أم «خائنة»مبالغة خائن: كثير الخيانة.

فرغم أن الدولة الإسلامية مكّنت لهم الحياة الرغيدة، لكنهم كانوا في المدينة- ولا يزالون- عقارب وحيات وثعالب وذئابا تضمر دوما كل كيد وخيانة، فإن أعوزتهم القدرة على التنكيل الظاهر بالمسلمين نصبوا لهم الشباك وأقاموا لهم المصائد وتآمروا عليهم مع كل عدو لهم شرس.

و قد تتحمل «خائِنَةٍ مِنْهُمْ» احتمالات عدة كالتالية:

تقديرا لموصوف بإثبات الصفة المعرّفة به، كالفعلة الخائنة والنية الخائنة والقولة الخائنة والنظرة الخائنة وكل محاولة خائنة يجملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة، مما تجعلهم كأنهم في كيانهم «خائنة».

أم إن «خائنة» مبالغة في الخيانة للموصوف الأول، أو الثلاثة الأخرى، والجمع أجمل، فإن خيانتهم في نقض الميثاق مبالغة، ودون اختصاص بناحية دون أخرى، فإنهم «خائنة» بكل كيانهم!.

«إِلّا قَلِيلًا مِنْهُمْ» الثابتين على ميثاق اللّٰه «فَاعْفُ عَنْهُمْ» لاعفوا عن بكرته حيث‌يعفى عن هذه الخيانات في شرعة اللّٰه، فالعفو عنها خيانة بشرعة اللّٰه، ثم ليس العفو عن العصيان أيا كان بيد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله إلّا ما كان ظلما بحقه شخصيا وبشروطه، وأما الظلم رسوليا ورساليا فليس للرسول أن يعفو عنه لأنه حق جماهيري لايختص بمحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله بل هو حق الرسول والرسالة الربانية الذي لايعفى عنه.

إنما «فَاعْفُ عَنْهُمْ» عفوا ظاهرا ألا تجابههم بقسوة متجاهرة عاجلة، نظرة المجابهة الآجلة أم توبة لهم نصوحا، وذلك العفو المؤت لامح في آيات ك «أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِما كَسَبُوا وَ يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ» (٤٢: ٣٤) حيث يعف عن كثير وجاه الإيباق بما كسبوا ليس إلّا تأجيلا لكثير بعد تعجيل القليل.

«فَاعْفُ عَنْهُمْ» هكذا «و اصفح» عنهم كأنك لم ترهم ولم تسمعهم ما نقضوا من ميثاقهم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

و ترى العفو هنا والصفح عن هؤاء الخونة إحسان؟ وهما إساءة بحق الحق! إنه إحسان بحقهم إمهالا لهم علّهم يثوبون، ولا سيما حين يرون ألا قسوة في هذه الرسالة الجديدة تجاههم على قوتها وضعفهم، ثم وهو إحسان بحق الحق فإنه يظهر ويتبلور أكثر مما إذا كانت القسوة عاجلة، فإمهال الخائن إحسان ما لم يكن فيه إهمال بحق الحق.

إذا فليست الآية منسوخة بأخرى في غير المائدة هي «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» حيث المائدة ناسخة غير منسوخة، وهم بعد ليسوا بمشركين حتى تشملهم آيتهم هذه.

و قد تعني «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اصْفَحْ» هؤاء القلة غير الناقضة للميثاق، فاعف عن سيئاتهم واصفح؟ ولكن العفو عن السيئة كيفما كانت ليس من شأن الرسول، اللّهم إلّا أن يعني عاملهم معاملة المعفو فإن اللّه عاف عنهم.

ذلك، فهذه من سمات اليهود اللعينة التي لاتفارقهم، لعنة بادية على سيماهم، بادئة في أولاهم إلى أخراهم- إلّا من هدى اللّه وهم قليل-.

لعنة تنضح بها جبلتهم الطريدة من الهوى، المليئة من الردى، وقسوة تبدو في ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، المالئة من حشاشة الزحمة، الناعمة في الملمس عند الكيد والوقيعة.

هذا وقد ذكرت اللعنة بمختلف صيغها كعديد الكراهية (١٣) مرة مما يساعد على المعني من الكراهية أنها هي التي تستجر اللعنة، خلافا للمصطلح المختلق أن الكراهية هي ما دون الحرمة، وقد ذكرت كلما ذكرت في موقف غليظ الحرمة تكليفا، والاستحالة واقعا، ومن الأولى: «كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً»(١٧: ٣٨) والمذكور من ذي قبل هو من أكبر المحرمات وأكبر الواجبات، ف «سيئه» المكروه هو من المحرمات الكبيرة اللعينة.

نقباء بني اسرائيل

«وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ وَ أَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ»١٢.

«وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ» على كامل الإيمان تحقيقا لقضاياه وصبرا على رزاياه، وصمودا على بلاياه: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ..» (٢: ٨٣) (أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ»(٧: ١٦٩) (وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ»(٣: ١٨٧).

ذلك «وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» و«نقيبا» هي منقطعة النظير في القرآن كله، فمن هم النقباء في بني إسرائيل ثم سواهم؟.

النقيب من النقب: الثقب، ف «نقيبا» هنا بمناسبة الرسالة هو الذي ينقب بوحي الرسول وينقب المرسل إليهم ويرقبهم باحثا عنهم وفاحصا عن أحوالهم وأعمالهم كوسيط بينهم وبين الرسول كما الرسول وسيط بينهم وبين الله، ولأن بني إسرائيل كانوا اثني عشر أسباط أما ف «اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» يناسب أن كلّا كلّف بنقابة جمعه الذي هو منهم، نقباء رقباء، حفّاظا على من تحت نقابتهم، وإخبارا للرسول عنهم ما يجب على الرسول أن يطلع عليه منهم، ولا تعني تلك النقابة استمرارية حياة النقباء حياتهم أولاء الأسباط الإثني عشر، بل هي ما داموا فيهم كما الرسل، ثم تبقى آثار الدعوات الرسالية وعلى ضوءها النقابية بين الأمة، وكما في الأمة الأخيرة الإسلامية حيث أدى الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله رسالته وأدى النقباء نقاباتهم، ثم بقيت السنة الرسالية والنقابية- على ضوء القرآن- محورا لها في الرد والقبول قضية اختلافها واختلاطها فيما بينهم.

ذلك وقد يروى عن رسولنا الأعظم صلى‌الله‌عليه‌وآله أن خلفاءه اثنى عشر كعدة بني إسرائيل يعني نقبائهم[1] وقد تعنيهم «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» (٢: ١۴٣) (وَ جاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» (٢٢: ٧٨).

و لأن النقيب فعيل يتحمل الفاعل والمفعول فقد تعني «نقيبا» هنا كلا الناقب والمنقوب، فما لم ينقب الإنسان بصالح الحال والقال والأعمال لايصلح أن يبعث ناقبا عن هذه في الأمة، فقد اختارهم موسى على علم بأحوالهم المرضية فارتضاهم لنقب أحوال أمته، وهكذا الأمر في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ لايحق القيام بهما إلّا لمن هو مؤمر بما يأمر ومنته عما ينهى. ولأن الفعيل مبالغ في فعله فلا بد للنقباء أن يكونوا منقوبين بهمامة ودقة بالغة حتى يصلحوا أن يكونوا ناقبين بهمامة ودقة.

فلا تعني النقابة هنا- فقط- التجسس عن أحوالهم، بل هي الرقابة والتحسّس عنهم إصلاحا لهم عما يفسدون بنفسه كوكيل عن الرسول، أم بما يخبر به الرسول ليكون هو الكفيل في ذلك الإصلاح.

و من الفوارق بين نقباء بني إسرائيل ونقباء الأمة الإسلامية أن هؤلاء الأكارم نقباء الأمة في غياب الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله اللّهم إلّا علي عليه‌السلام في شطر من النقابة الوزارية في حياة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله.

و ترى الخطابات التالية: «إِنِّي مَعَكُمْ .. أَقَمْتُمُ ..» تخص هؤلاء النقباء؟ ولا شاهد على الإختصاص، ثم وليست «إني معكم» على ضوء تحقيق هذه الفرائض لتختص بجماعة خصوص أيا كانوا!.

أم تخص بني إسرائيل؟ وهذه التكاليف عامة، ثم النقباء أحوج منهم في: «إني معكم»!.

---

[1] .الدر المنثور ٢: ٢٦٧- أخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود أنه سئل كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال: سألنا عنها رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال: إثنا عشر كعدة بني إسرائيل، وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: لو صدقني وآمن بي واتبعني عشرة من اليهود لأسلم كل يهودي كان، قال كعب اثنى عشر وتصديق ذلك في المائدة «وَ بَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً» وفيه اخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس أن موسى عليه‌السلام قال للنقباء الاثنى عشر سيروا اليوم فحدثوني حديثهم وما آمرهم ولا تخافوا أن اللّه معكم منا أقمتم الصلاة ...

فهم إذا جمع النقباء مع بني إسرائيل، وإنما الفارق في تحقيق الميثاق ونقضه، حيث حققه النقباء ونقضه الأكثرية الساحقة من بني إسرائيل، فليس من الممكن أن يصبح بعيث اللّه للنقابة على أمة تعيسا في بعثه، نحيسا في إمرته وفحصه!.

«وَ قالَ اللّٰهُ إِنِّي مَعَكُمْ» معية خاصة رحيمية إضافة إلى المعية الرحمانية الشاملة لكل خلق: «.. وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ..»(٥٧: ۴).

فهنا المعية المشروطة بالشروط التالية للتالين، الحاضرة للنقباء هي معية التوفيق الرباني في خوض المعارك الرسالية ضد الأعداء، والتصبّر على جهالات الأمة، والصمود في الدعوة، والنجاح فيها بعون اللّه وإنه وعد عظيم، فمن

ان اللّه معه فلا شيء ضده أم هو هباء منثور لاوجود له أمامه ولا أثر، إذا فلن يضل عن سواء السبيل، فإن هذه المعية الربانية تهديه كما هي تكفيه، فإن قربه من اللّه يطمئنه ويسعده، مضمونة له الحياة السعيدة.

«إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ» دون «قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ» فإقام الصلاة تعني معنى زائدا على القيام إليها، أن تقام في كل متطلباتها ظاهريا وباطنيا، فرديا وجماعيا، كما هي مسرودة في الكتاب والسنة، أن تصبح الصلاة صلات متواصلات باللّه ناهية عن الفحشاء والمنكر حيث تقام لذكر اللّه وهو المنعة المنيعة عن كل فحشاء ومنكر.

و قد يعني تقديم إقام الصلاة وإيتاء الزكوة على الإيمان بالرسل وتعزيرهم، أن الأولين كانا لهم أسهل قبولا مهما لم يؤنوا تماما، أم إن القصد من «رسلي» هم غير من هم كانوا به مؤنين كموسى عليه‌السلام فليؤنوا بالمسيح ومحمد عليهماالسلام، وليؤنوا بمن قبل هؤاء الرسل، أم إن القصد كمال الإيمان برسلهم وأصل الإيمان بكماله بسائر الرسل.

ثم الوجه في تأخير «وَ أَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً» أنه قضية إقام الصلاة وإيتاء الزكوة والإيمان بالرسل، أن يقطعوا عن أنفسهم للّه ما يصح ويمكن قطعه، قطعا لأنفسهم ونفائسهم في سبيل اللّه، الشامل لكامل الجهاد بكل أبعاده في هذه السبيل.

فليس إقراض اللّه قرضا حسنا ليختص بقرض المال، بل وبأحرى قرض النفس والحال، أن يقطع الإنسان كافة علاقاته في اللّه، وينقطع كليا إلى اللّه، فلا ينحو إلى سواه على أية حال وذلك هو القرض الحسن مهما كان درجات.

«وَ آتَيْتُمُ الزَّكاةَ» وهي زكاة كل شيء يمكن أن يزكى علما وفهما وتعقلا ومالا وحالا على أية حال، وهي من المال هو الزائد عن حاجيات الحياة الضرورية، فلا تختص بالزكوة المخصوصة المعروفة في كمها وعديد الأموال المزكاة.

فحين تؤى الزكاة إيتاء وافيا كافيا لحاجيات المحاويج فلا يفضى المجتمع الإسلامي إلى ترف في طرف وإلى شظف في طرف، اختلالا في التوازن الاقتصادي فاختلالا في الحياة الجماعية بأسرها.

«وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي» في مثلث الزمان، ولا سيما الموعود في كتابات السماء الرسول الأعظم محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله .. فهو إيمان بكل الرسل في مثلث الزمان الرسالي، «وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ»تعزيز التعزيز، شخصيا في عقيدة الإيمان، وجماعيا في التعريف بهم أمام الجماهير، وفي كل ما يتطلّبه التعزيز فإنه لغويا هو الرد، فله مصداقان متعاكسان مشتركان في الرد، فقد يرد عن المعزر ما يضر به ويؤيه، فهو المراد هنا من تعزير

الرسل، أو يرد المعزّر عن القبيح وهو التعزير في التأديب أن يعزر المتخلف ردا عن تخلفه.
إذا فليس هو التوقير فإنه ناحية إيجابية والتعزير تنحو الناحية السلبية ولذلك جمع بينهما في «تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ» (۴۸: ۹).
فقضية الإيمان برسل اللّه ليست هي مجرد عقيدة باطنية، أم وطقوس عملية، بل وهنا زاوية ثالثة هي تعزيز الرسل دفاعا عنهم في مضطرب الدعوات والدعايات.
فدين اللّه منهج مثلثة الجهات في كل الحياة، والزاوية الثالثة هي العماد لبقاءها وحماية لعمودها.
«وَ أَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً» وهو القطع للّه إلى اللّه وإلى عباد اللّه ما بالإمكان قرضه من مال أو حال.
لئن طبقتم هذه الست من قضايا الإيمان- وهي رؤس زوايا الإيمان.

ضرب الذلة والمسكنة على اليهود

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّٰهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ وَ باؤ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّٰهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ ۱۱۲.
هذه تضرب عليهم الذلة إلا بحبل من اللّه وحبل من الناس، ثم تضرب عليهم المسكنة دون استثناء، وأخرى تضربهما عليهم دون ذكر للحبلين:
«وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ باؤ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّٰهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ»(۲: ۶۱).
و هذه مقيدة بتلك قضية تقييدها وطبيعة الحال في زوال تلك الحال.
و من الذلة الدائبة على اليهود سوم العذاب عليهم من المجاهدين مسلمين وسواهم في دويلاتهم النحسة الويلات كما قال اللّه «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَ قَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِكَ وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»(۷: ۱۶۸).
و ترى الذلة المضروبة «عليهم»: فسقة اهل الكتاب، هي التشريعية لمكان «أَيْنَ ما ثُقِفُوا» أي وجدوا في تحري المؤنين الملاحقين إياهم، حيث الثقف هو الحذق في إدراك الشيء ومنه الثقافة فانها حذق في ادراك العلوم.
فبحذق المؤنين تكميلا لشروط الإيمان، وحذقهم في ملاحقة المؤين من فسقة اهل الكتاب، «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ»«فَإِمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ»(۸: ۵۷) (مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلًا» (۳۳: ۶۱) (وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ» (۳: ۱۹۱) فحذار حذار ألّا يثقفوكم بفاشل إيمانكم ف «إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ»(۶۰: ۲).
أم وهي الذلة التكوينية حيث الفسق ذل في نفسه وذل في المجتمع الصالح، وذل عند الفاسق نفسه إذ لايفلح الفاسقون مهما أبرقوا وأرعدوا ردحا من الزمن، و«ذلك»الضرب في ذلة وسكنة «بِأَنَّهُمْ كانُوا

يَكْفُرُونَ بآياتِ اللّٰهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ».
«ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ..» ولكن لاعلى أية حال ومهما تحولت الأحوال، بل هي دون الحبلين ف «إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّٰهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ» يصد عنهم الذلة تشريعا وتكوينا، فما هما الحبلان؟.
«بِحَبْلٍ مِنَ اللّٰهِ» معروف انه «حبل الله» اعتصاما باللّٰه وبكتاب اللّٰه وتنكير «حبل»تلميح بان كل قدر من حبل اللّٰه له عصمته عن الذلة، فإذا اكتمل يصبح عاصما طليقا عن كل ضرّ.
فبزوغ الإيمان من فسقه اهل الكتاب هو «حبل من الله» ولمّا يكمل، ثم تكامل إيمانهم بشروطه تكامل لاعتصامهم بحبل اللّٰه، فليس الاعتصام إلا بقدر فتل الحبل، ولا الذلة إلا على قدر فلّ الحبل، إذا ف «حبل من الله»طليقة بالنسبة لكل درجات الحبل: رسوليا ورساليا، فحين يؤن الكتابي الفاسق بكتابه كما يحق فلا ذلة له، مهما لم يؤن برسالة الإسلام قصورا كما في آية اللاسواء التالية، وحين يؤن بهذه الرسالة ولمّا يكمل إيمانه تكامل عزه، حتى يصل إلى القمة المعنية بالآيات السالفة اعتصاما كاملا بحبل اللّٰه.
و هكذا الأمر «حَبْلٍ مِنَ النّاسِ» حيث تقصد بعد اللّٰه بكتابه، رسول اللّٰه، ثم الدعاة الرساليين ثم سائر المؤنين، او ومن ثمّ سائر الناس أجمعين حيث الجمعية المعاضدة لها أثرها عضدا مهما كانت باطلة فضلا عن الجمعية الحقة الحقيقية وبين «حبل من الله»و«حبل من الناس»عموم من وجه، ف «حبل من الله» فقط هو الاعتصام باللّٰه وبكتاب اللّٰه ف «حبل من الناس» فقط هو الاعتصام بالناس غير الرساليين، ومجمع بينهما هو الناس الرساليون معصومين وسواهم من المؤنين حيث يجتمع هنا الحبلان مع بعضهما البعض.
و لقد بين الحبلان في آية الاعتصام «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً» ف «بِحَبْلِ اللّٰهِ»هو الأصل ل «بِحَبْلٍ مِنَ اللّٰهِ»و«جميعا»هو الأصل ل «حَبْلٍ مِنَ النّاسِ»ولا سيما الثقل الأصغر رسولا وعترته[1].
فالحبلان العاصمان يعصمان المعتصمين بهما عن كل ذل ومسكنة في كافة الحقول الحيوية ضمانا صارما من اللّٰه وهو حسبنا ونعم الوكيل: «وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ».
«وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ» وكما نلمسها في اليهود مهما كانوا أثرياء فإنهم مساكين فقراء في ذوات نفوسهم.
و ترى ان هذه المسكنة تزول عنهم كما الذلة بحبل من اللّٰه وحبل من الناس؟ طليق المسكنة بعد الاستثناء يقول: لا، ثم «لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ»(۵: ۶۶)، هذه واضرابهما من الواعدة زوال الذلة والمسكنة تقول: نعم، فقد تلمح تأخر المسكنة بطليقها تأخر زوالها عن هؤاء

---

[1].نور الثقلين ۲: ۳۸۳ في تفسير العياشي عن يونس بن عبد الرحمن عن عدة من أصحابنا رفعوه الى أبي عبد الله عليه‌السلام في الآية قال: الحبل من الله كتاب الله والحبل من الناس هو علي بن أبي طالب عليه‌السلام.
أقول وهذا من التفسير بالمصداق الوسيط بين الرسول والأمة، تلحيقا له بالرسول امام ناكريه، وقد مضى الحديث عن تفسير البرهان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جواب السائل بين لنا ما هذا الحبل؟ فقال هو قول الله: الا بحبل من الله وحبل من الناس فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيي ...

الفسقة، أم وبأحرى أن زوال الذلة يكفيه حبل من اللّه وحبل من الناس، وليس زوال المسكنة ليكفيه حبل ما الموافق لبقاءهم على دينهم قاصرين، وكما نرى اليهود القاصرين في مسكنة بيّنة، وهذا هو الفارق بين الذلة والمسكنة هنا، حيث الثانية هي لزام التأخر عن كامل الحبلين كما هو ملموس في اليهود!.

و ذيل الآية المعلّل للذلّ والمسكنة يقرر أنهم هم فسقة اليهود، إذ لم يعهد من النصارى أن يقتلوا النبيين، فمصب الآية منذ «لَنْ يَضُرُّوكُمْ»- حتى- «المسكنة»هم اليهود، مهما شمل استحالة الضر- كل فسقة اهل الكتاب لمكان رجوع ضمير الجمع إلى «وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ» حيث لايختص بفسقة اليهود.

إذا فثالوث: الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من اللّه- يشمل كل فسقة أهل الكتاب على قدر فسقهم ومروقهم، ولا سيما اليهود المغضوب عليهم وهم أشد عداوة للذين آمنوا وأضر ضراوة عليهم كما قال اللّه: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ»(۵: ۸۳).

و ترى إذا السابقون كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق فما على اللاحقين الذين لم يقتلوا؟ ذلك لأنهم سلسلة موصولة طوال تاريخهم المنحوس المدسوس، فأولئك قتلوا الأنبياء وهؤاء قتلوا النبوات، فلو وصلت أيديهم إليهم لقتلوهم، فهم نمط واحد على طول الخط، فتشملهم الذلة والمسكنة كذلك «إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ».

قتل الأنبياء وسواهم هو في مثلث مهما اختلفت زواياه:

١ سفك دمائهم بأيديهم عنادا وعتوا على رسالات اللّه.

٢ التسبب لتقلهم ان يذيعوا عنهم أمورا يسبب قتلهم *.

٣ الرضا بما فعل القتلة حيث الراضي بفعل قوم هو منهم.

أعربها، وأنهم مبتدء الدعوة فلتكن بلغتهم، وأنهم قوم لّد ليسوا يتقبلوا قرآنا بغير لغتهم ولايقلبوا إليه!

اختلاف اليهود في التورات

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (۴۵).

«كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» تربية لهم على ضوء تربيتك، فإنها الميزان لكل العالمين، أ تراها هي «وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ (۷: ۲۷)؟ ونحن نرى عذابات الاستئصال تترى في المكذبين بآيات اللّه طيلة التاريخ الرسالي، فلما ذا قضي عليهم دون قوم موسى! هنا «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ»والاستئصال قاض عليهم، فإنما القضاء بينهم إزالة للاختلاف بخارقة مارقة تجلي لهم الحق عيانا بعد بيان، وتلجئهم إلى الإيمان بعد شك قاصد مريب، ولكنما الدار دار ابتلاء وامتحان، وليست دار فصل وحسبان، إذا يذرهم واختلافهم في خوضهم يلعبون، وفي غيهم يترددون.

ثم الشك منه مريب وهو أشره ومنه لايريب، فهم يظهرون شكهم بمظهر المريب، ثم وليس العمل الصالح لصالح الرب، إلّا لأنفس المربوبين يوم الدنيا ويوم الدين «وَ ما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ» أن يسيّر على غير الصالح ثم يحاسب عليه، ظلما ذا بعدين يجعل من ربك ظلاما للعبيد! صحيح أن من أساء تعديا على من سواه فقد أساء على من سواه، ولكن المحور الرئيسي في ردة فعله ليس إلا المسيء نفسه، وكما العمل الصالح على سواء.

فالإساءة والإصلاح غير المتعديين هما لزام المسيء والمصلح دون سواهما، والمتعدي منهما فيه ضعف لهما إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فصاحبه هو الأصيل في فعله وافتعاله، ثم اللّه لانصيب له من خيره أو شره، ف «وَ اللّٰهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ».

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السّاعَةِ وَ ما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلّا بِعِلْمِهِ وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنّاكَ ما مِنّا مِنْ شَهِيدٍ (۴۷) علم الساعة مردود إليه، محفوظ لديه، لايعدوه إلى سواه حتى رسل اللّه، فإذا سئلوا عنه ردوا علمه إليه، وليس فقط علم الساعة، بل «وَ ما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ»من أوعيتها الأكمام، «وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى» نباتية أم حيوانية أم انسانية أماهيه «وَ لا تَضَعُ»حملها «إِلّا بِعِلْمِهِ».

هنا «من ثمرات» و«من أنثى» تستغرق الكل من كل دونما استثناء، أنها بحيطة علمية إلهية ولا تسامى، مهما علم العالمون شيئا ضئيلا من هذه وتلك.

و ذلك توحيد لربوبية العلم والقدرة «وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ» إذ تقطعت الأسباب وحارت دونه الألباب «أَيْنَ شُرَكائِي»؟ الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء، «قالُوا آذَنّاكَ» إعلاما وإعلانا «ما مِنّا مِنْ شَهِيدٍ» لاهنا فأنت أنت اللّه الواحد القهار، ولا يوم الدنيا مهما خبطنا وأخطئنا.

و هنا «مِنّا مِنْ» ضاربة إلى عمق بعيد من سلبية الاستغراق، فلا أحد منا يشهد أن لك شركاء! وهنالك:

وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (۴۸).

فهنالك ظهور الحقايق، فليضل الشركاء المختلقون، فذواتهم هناك موجودة، وصفاتهم مفقودة، وذلك ضلالهم والضلال عنهم، أم وذواتهم مخبوة لترذّلها، اللّهم إلّا الأولياء الذين اتّخذوا للّه شركاء.

و لماذا هنالك «ظنوا» واحتمال المحيص لهم ساقط بما يرون من عذاب اللّه؟ علّهم لنكرانهم الشهداء من ناحية، ولمسة المسرحة الرحيمية للّه من أخرى، قد يخلد بخلدهم أن لهم «من محيص» ف «ظَنُّوا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ».

لا يَسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ (۴۹).

«لا يَسْأَمُ الْإِنْسانُ» ولا يملّ «مِنْ دُعاءِ الْخَيْرِ» أن يدعوه طلبا في حال وفعال وقال، أو يدعى له، فدعاء الخير يعم دعاءه الخير بنفسه أم دعاء غيره له بالخير، وسواء عنده أن يدعو ربه أم سواه، بل قد يفضل عليه سواه، ولمّا ييأس عن سواه يدعوه مخلصا ولكي يحصل على مناه.

فكل ما يراه خيرا يكدح في طلبه كدحا بكل صنوف الدعاء، ولكنه «إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ» كأن لم يكن هناك خير، ففي لمسة من شر ينسى كل خير قبله كأن لم يعطه من ذي قبل.

مجرد مس الشر يقنطه عن كل خير مأمول، وهو رسم دقيق واقع صادق للنفس البشرية لاغترارها الكادح بالسراء، وجزعها بمس الضراء.

وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هذا لِي وَ ما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى

رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ (۵۰).
و ما أحمقه في قولته الخواء «هذا لي» نكرانا أنه للّه ومن اللّه، دونما استحقاق له من رحمة اللّه، فإن كانت لك فلما ذا سلبت عنك فأنت يؤ قنوط، ثم الدنيا ليست دار جزاء يجزى فيها أهل الحق برحمة، فحتى لو كنت منهم ف «هذا لي»غلطة ثم «وَ ما أَظُنُّ السّاعَةَ قائِمَةً» ثانية «وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي» ثالثة، فهل أنت بثالوثك المنحوس تستحق رحمة ربك، والمؤنون لايستحقون؟
و هنا في «ربي» اختصاص لربوبيته تعالى بنفسه كأنه ليس ربأ لسواه، وفي «إن لي للحسنى» تاكيدان اثنان أن له حسنى الحياة، ولماذا هذه الإشراكة باللّه، ونكرانه يوم لقاء اللّه، إذا فالموحدون المؤنون هنالك يحرمون، وهؤاء الغباوى يكرمون؟ «تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى»!.
وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ (۵۱).
و هذه حالته الغفلانة الرديئة إلّا من هداه اللّه.
قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (۵۲).
فهلا يكون ذلك احتمالا يستحق الاحتياط، فما ذا أخذتم لأنفسكم من وسائل الاحتياط، فإن لم يكن القرآن من عند اللّه فنحن وإياكم شرع سواء، لايضرنا ما صمنا وصلينا، ولا ينفعكم متعة الحياة الدنيا.
و أما إن كان من عند اللّه كما تدل عليه دلائله «ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ» فمن أضل منكم حيث عشتم في شقاق بعيد.
و ذلك دليل عند فقدان الدليل، أم تعنّت خانق أمام الدليل، لاينكره حتى المجانين، فالأخذ بالحائطة طريقة العقلاء، حيث الاحتياط طريق النجاة، كلما كان المحتاط له أهم فالاحتياط له أتم وأعظم.
سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۵۳) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (۵۴).
هنالك آيات ترى بعين الفطرة والعقل والحس أمّاذا من جوارح جوانح، فلا حاجة إلى إرائتها، وآيات أخرى غامضة يريها اللّه بما يبين في كتاباته وألسنة أنبيائه أم إلهامات غيبية، وهي حالة حالية وماضية على أية حال، فما هي الثالثة التي «سنريهم»؟ وتبين الحق في القرآن لزام كل مكلف على أية حال، وإلّا لم تكن حجته بالغة على كل حال! ضمير الغاب في «أنه» هو اللّه العزيز وكتابه العزيز، و«آياتنا»تعم التدوينية القرآنية والتكوينية الكونية، ولأن «في أنفسهم» تعم دواخل نفوسهم، وإياهم فيما بينهم، ف «في الآفاق» تعم خوارج نفوسهم، والخارج عما بينهم، ف «نفوسهم» تخص الدواخل، «و أنفسهم» تعمها وما بينهم.
صحيح أن بصر العين وبصيرة العقل والفطرة كافية لتبنّي أصل الإيمان باللّه وكتابه، ثم الإرائه الإلهية تزيد إيمانا على إيمان: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا»وهدى على هدى: «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً» إلا أن لكل مستقبل من الزمن إشراقة تبيّن وإرائة فوق إرائة، هي من عوامل تبيّن الحق في زاوية ثالثة للذين اهتدوا، ومن الأسباب القاطعة القاصعة لتبيّنه للذين جحدوا بها، كالأخبار المستقبلة، فوقوعها كما أخبر عنها إراءة مستقبلة، وكالتقدمات العقلية والعلمية الناصعة التي ترى عيانا ما لم يكن يرى من ذي قبل إلّا بعين البصيرة ف «إن للقرآن آيات متشابهات يفسرها الزمن».
فالتقدمات العقلية والعلمية هي من الآيات الأنفسية الأولى، فآفاقيتها هي الكشوف العلمية التي تكشف- دوما- النقاب عن وجه كتاب التكوين حيث تجاوب كتاب التدوين.

و الانتصارات الإسلامية هي من الأنفسية الثانية كفتح مكة وغلب الروم الكتابيين على المشركين: «الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ» وقد حصل، أماذا من غلبات وانتصارات وسواها من ملاحم أخبر عنها القرآن «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»[1].

و الانهزامات لغير المسلمين هي من الآفاقية الثانية لهم، وقد يجمعها خير جمع وأفضله: «وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ..»(٢٤: ٥٥) حيث يعز أولياءه ويذل أعداءه، آفاق فائقة للذين آمنوا، بائقة للذين كفروا.

فالمسلمون وسواهم من الناظرين إلى القرآن يعيشون دوما آيات اللّه تدوينا وتكوينا في الآفاق وفي أنفسهم، حيث يريهم اللّه إياها، فهما يبيّنان لنا الحق في اللّه، والحق في كتاب اللّه في مثلث التبيين- أم لأقل تقدير- في زاوية أولى، ومن ثم ثانية لتبين الحق أمام الطالبين، وإذ لم يكف «أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»[2].

إن شهادته على كل شيء كما في آيات عدة كهذه[3] هي حضوره علميا وقيوميا وتلقيا لأعمال وحالات، وحضوره تربويا، فربوبيته ناصعة في كل شيء و«على»هنا تشهد أن شهادته تعالى عالية محيطة هي لزام ذوات الأشياء كيفما كانت وأنّى وأين، منذ خلقت وحتى القيامة والفناء لما يفنى! و«ربك»حيث تعني التربية الإلهية القمة ف «عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» هي في قمة الشهادة المحيطة علوا فيها علميا وقيوميا وتلقيا وتدليلا له عليه، وهذه الشهادة المربعة دائبة طول الزمان وعرض المكان لكل إنس وجان.

و «العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية قال اللّه «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»: أي موجود في غيبتك وحضرتك»[4].

---

[1].نور الثقلين ٤: ٥٥٥ ح ٧٣ في كتاب الاحتجاج روى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسن بن علي عليه‌السلام قال: ان يهوديا من يهود الشام وأحبارهم قال لعلي عليه‌السلام فان هذا موسى بن عمران قد أرسله اللّه الى فرعون وأراه الآية الكبرى قال له علي عليه‌السلام: لقد كان كذلك ومحمد صلى اللّه عليه وآله وسلم أرسله اللّه الى فراعنة شتى مثل أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة وأبي البختريالنضر بن الحرث وأبي بن خلف ومنبه ونبيه ابني الحجاج والى الخمسة المستهزئين الوليد بن المغيرة المخزومي والعامر بن وائل السهمي والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب والحارث ابن الطلاطلة فأراهم الآيات في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق.

[2].الواو هنا عطف على مثل ما ذكر حيث يصلح لان يكفي بربك ارائة لآياته في الآفاق وفي أنفسهم.

[3].وَ أَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ٥: ١١٧ «إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ٢٢: ١٧ «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ٣٤: ٤٧ «وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ٥٨: ٦ و٨٥: ٩ «إِنَّ اللّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً» ٤: ٤١ و٣٣: ٥٥- وبالنسبة للأعمال: «وَ اللّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ» ٣: ٩٨ «ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ» ١٠: ٤٦.

[4].مصباح الشريعة قال الصادق عليه‌السلام.

و من تبين الحق في اللّه وفي القرآن وفي كل حق ما يريه من آيته العظمى وحجته الكبرى الحجة القائم المهدي من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله[1].

وهكذا يتجاوبان ويتناظران كتاب التدوين القرآن وكتاب التكوين أيا كان على طول الخط منذ نزل القرآن حتى القيامة الكبرى، تجاوبا في رؤة وإرائة «آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»؟

«ألا» حذارهم حذار «إِنَّهُمْ» غارقون «فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ» هنا ويوم يقود الأشهاد «ألا» تنبها وحضورا «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ» كما هو على كل شيء شهيد، إحاطة في مربع الشهادة، وشهادة في مربع الإحاطة لامفلت عنه، ولا مناص عن لقائه! أ ترى بعد ذلك كله أن «هم» في سنريهم تخص الحاضرين؟ كلا إنه يعمهم والذين يلحقون بهم من خلفهم وإلى يوم الدين، يعيشون إرائة الآيات الآفاقية والأنفسية تدوينية وتكوينية! ومن المستقبل المعني في «سنريهم» عند الموت وعند النشور، لمن عمي عن آيات اللّه رغم رؤتها وإرائتها، فلا أحد إلّا وقد يرى آيات اللّه في الآفاق والأنفس «حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»!. أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ١٣٣.

هنا في ذكر إسماعيل في عداد آباء يعقوب دليل السعة في لغة الأب فهي تختلف عن الوالد، فأبوه آزر في آيات ليس والده، لاسيما وانه تبرء من آزر «فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ» ثم نراه في أواخر عمره يدعو لوالديه «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ»إذا فوالده غير أبيه.

و إنه لمشهد عميق التدليل- في لحظات الموت- على عمق عقيدة التوحيد بين آل ابراهيم، فيعقوب- وهو رأس الزاوية في بيت إسرائيل- لايوصي عند احتضاره بمال، ولا يشغله بال، إلّا ذلك الأمر الجلل فهو المبتدء وهو الآمل، فهو- فقط- تركته وتركة آباءه، قضية كبرى لاتشغله عنها سكرات الموت، بل هي تشغله عما سواها.

«ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي» اختبار حاسم تظهر فيه مدعى الدعوة التوحيدية لهم طول حياته الرسالية، يتلوه جواب حاسم «نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ ...»أن إلهنا جميعا إله واحد، خلاف المشركين الذين لكلّ منهم إله او آلهة، ثم «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»لافقط مقرون وإنما إسلام له قلبا وقالبا.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤).

«تِلْكَ أُمَّةٌ» موحدة مسلمة «قَدْ خَلَتْ» فخلف من بعدها خلف أضاعوا ملتها الوحيدة الموحدة المسلمة، وتخلفت عن شرعة اللّه المرسومة بينها، ف «لَها ما كَسَبَتْ»من خير «و لكم» الخلف المتخلف «ما كَسَبْتُمْ»- «وَ لا تُسْئَلُونَ»أنتم «عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ» كما وهم‌يسألون عما كنتم تعملون، كما «و

---

[1].نور الثقلين ٤): ٥٥٥ ح ٧٤ في روضة الكافي عن الطيار عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام في الآية قال: خسف ومسخ وقذف قال قلت «متحاربتين لهم»؟ قال: دع ذا ذاك قيام القائم وفيه عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال سألته عن هذه الآية قال: نريهم في أنفسهم المسخ ونريهم في الآفاق انتقاض الآفاق عليهم فيرون قدرة اللّه عز وجل في أنفسهم وفي الآفاق قلت له «حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»؟ قال: خروج القائم هو الحق عند اللّه عز وجل تراه الخلق لا بد منه.

لكم«المسلمين «ما كَسَبْتُمْ ...«أمم ثلاث لكلّ ما كسبت وعليها ما اكتسبت.
و ليست الإمة في ميزان اللّه أمة الجنس والإقليم والعنصر والتراب والدم، فإنها موازين لحيونة الأمم، أم وإنسانيتها المنفصلة عن شرعة اللّه، وإنما هي جماعة ذات قصد واحد: خيرا أو شرا، مهما اختلفت أجناسهم وأواصر الأنساب والقرابات فيما بينهم.
أجل- إنها أمة دينية وليست أمة طينية، وعلى هذا القياس فالكتلة الموحدة المسلمة من آل إبراهيم «أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ» ثم الكتلة الكافرة من آل إبراهيم أمة «وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ» وكذلك المسلمون، من آمن منهم حق الإيمان ومن لم يؤن، فلكلّ حساب حسب الصالحات والصالحات، دونما فوضى جزاف بحساب القوميات والعنصريات أم سائر الصّلات غير الروحية.
وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥).
قالت اليهود: «كونوا هودا تهتدوا» وقالت النصارى: «كونوا نصارى تهتدوا»[1] فكلّ يتمسّك بطائفية خاوية عن «مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً» فمجرد كونك من أولاء أم هؤاء يكفيك هدى! «قل» لاهذا ولا ذاك «بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً»لانسل إبراهيم كإبراهيم- إسرائيل وسواها- وإنما «مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» هذه هي الهدى دون سواها، أيا كنت في أصلك ونسلك، في وصلك وفصلك، وقد يروى عن رسول الهدى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌قوله: بعثت بالحنيفية السمحة[2]، وترى الحنافة لمّا تكفي هدى لأنها الإعراض عما يخالف الحق، ويقابله الجنف، فلما ذا- إذا- «وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»؟.
علّه لأنهم تمسكوا بظاهر الحنيفية وانتساب النسب إلى إبراهيم الحنيف، فلكي يسد عليهم كل ثغرات الجنف تحريفا لمعنى الحنف يصرّح «وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»وقسم من الهود والنصارى مشركون.
و لقد وصف «حنيفا» وصف إيضاح ب «مسلما» في أخرى: «ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(٣: ٦٧) مما يلمح أنهم كانوا يتذرعون بصيغة «حنيفا» لإلصاق أنفسهم إلى إبراهيم، وكأن «حنيفا»لقب يلقب به نسل إبراهيم أيّا كانوا، فجاء «مُسْلِماً- وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» كإيضاح يخيّب آمال المشركين الحنفاء الجنفاء!.
فلان الملة الإبراهيمية هي الناصعة بين الغابرين في خالص التوحيد، المعروفة لدى الخواص والعوام، لذلك فليعلن بملته الوحيدة الكبرى بين أهل الملل الثلاث وسواهم من الموحدين- رفضا لكل الفواصل المختلقة- من لدن إبراهيم إلى موسى والمسيح وإلى خاتم النبيين صلى‌الله‌عليه‌وآله:
قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما

---

[1] .الدر المنثور ١: ١٤٠ عن ابن عباس قال قال عبد اللّه بن صوريا الأعور للنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتدي، وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل اللّه فيهم ...

[2] .الدر المنثور ١: ١٤٠- أخرج احمد عن أبي امامة قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم:، وفيه عن ابن عباس قال قيل يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) أي الأديان أحب إلى اللّه؟ قال: الحنيفية السمحة، وعن سعد بن عبد اللّه بن مالك الخزاعي قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): أحب الدين إلى اللّه.

أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣۶).
«قولوا» أيا كنتم من الملل، سلسلة موصولة متواصلة من ملل كتابية «آمَنّا بِاللّهِ»كأصل هو رأس زوايا الإيمان، ومن ثم فروع: «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا»ككل الكتابيين، «وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا» كمسلمين، والإيمان بكتابات السماء ذريعة للإيمان بالقرآن وكما
يروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: «آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل وليسعكم القرآن»[1].
أم و«قولوا» أيها المسلمون «آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا»: القرآن- لافحسب بل «وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ ... وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ»قبل إبراهيم وبعده ككلّ.
و ترانا كيف نؤن بعد ما أنزل إلينا- وهو ناسخ- بما أنزل إلى سائر النبيين وهي منسوخة؟.
إنه إيمان تصديق بكل ما أنزل اللّه أنه من اللّه، ثم وإيمان تطبيق لكلّ في زمنه، فتطبيق لشرعة القرآن الناسخة للبعض من سائر الشرائع، وهو تصديق لها إذ تبشر بالقرآن، ثم ومحور الإيمان هو الإيمان باللّه وبرسالاته واليوم الآخر، الأصول الأساسية لكل إيمان، «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»في هذه الأصول، ولا سيما رأس الزاوية وهو توحيد اللّه «و نحن» ككل «و نحن»المسلمين «له»لالسواه «مسلمون».
كما و«لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» في ضابطة الإيمان، أن نؤن ببعض ونكفر ببعض، فلا تفريق هنا أو هناك، وذلك كلمة الإيمان الجاسم الحاسم «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»حيث «آمَنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ....»(٢: ٢٨۵).
هذه هي قضية الإيمان المجرد عن انحيازات طائفية أم قبلية أما هي من امتيازات جاهلة قاحلة لادور لها في حقل الإيمان الصالح.
و ترى لماذا اختلاف التعبير لمنازل الوحي ب «ما أنزل» أولا و«ما أوتي»ثانيا، وهذا أعم من الوحي كما «وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ» (٣: ١٢) والوحي النازل الى موسى وعيسى أعلى نازلا ومنزلا من النازل الى إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؟!.
علّه لأن أصل الوحي هو النازل على إبراهيم، ثم تبعا له ولمن تبعه، ومن ثم أوتي موسى وعيسى- والنبيون نفس الوحي مهما اختلف وحي عن وحي في درجات وبعض الطقوس، وذلك معاكسة لما كان يزعمه الهود والنصارى أنهم الأصل في الوحي.
و كما أن «أنزل» أعم من الإيتاء والإعطاء، كذلك «أوتي» أعم من الوحي وسواه، فهذان التعبيران لسلسلة الرسالات الحاملة للوحي- علّها- للتدليل على أن النازل إلى المرسلين ليس عطية لهم فهم مالكوها، بل هو إيتاء كأمانة ووديعة مرجوعة بعد تطبيقها، فتلك الوحدة الكبرى بين الرسل والرسالات في أصول الدعايات والاتجاهات، هي القاعدة المتينة الرصينة للتصور الإيماني المسلم السليم، السائرة في كل الدروب على هدى ونور، التي تجمع كل الشعوب- بلا تمييز- على درب الإسلام التام والسلام العام، مفتوحا للناس جميعا وكل العالمين في مودة ووئام، ذلك هو الإيمان الإسلام السليم أيا كان وأيان ومن أيّ كان: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ

[1] .الدر المنثور ١: ١٤٠- أخرج ابن أبي حاتم عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ...

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧).
«آمَنُوا بِمِثْلِ ...» دون «آمنوا بما آمنتم به» تنازل في درجات الإيمان، فإنهم لم يكونوا مؤنين بمثل ذلك الإيمان المجرد عن حسابات دخيلة فيه، فكيف يدعون إلى نفس ذلك الإيمان المجرد، إلّا قفزه لاتناسب سليم الدعوة والدعاية.
فليؤنوا أولا «بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ» إيمانا بكل ما أنزله اللّٰه على رسله دون تمييز، ثم وذلك الإيمان المجرد يجرهم بطبيعة الحال إلى نفس ما آمنتم به من رسالة الإسلام، حيث الإيمان السليم بالوحي الكتابي، يجذب الى الإيمان بمحور الوحي: القرآن العظيم، ولايعني «بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ» مثل اللّٰه الذي آمنتم به، حتى تسقط «مثل»عن لفظ القرآن[1] إذ «ليس كمثله شي» بل هو مماثلة في أصل الإيمان، لاالذي يؤن به، إيمانا باللّٰه كما آمنتم، وإيمانا برسالات اللّٰه كما آمنتم.
«وَ إِنْ تَوَلَّوْا» عن مثل هذا الإيمان «فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ» تقسيم لبلد الإيمان الى شقين: إسرائيلي وإسماعيلي، وذلك شقّ لوحدة الدين والإيمان، وخروج عن واقع الإيمان إلى اللّاإيمان، أم هو أنحس- أحيانا- من الكفر المطلق!.
إذا «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰهُ» بعد ما أديت واجب الدعاء وبالغ الدعوة.

حول بقرة بني اسرائيل

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (٦٧) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (٦٨) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النّاظِرِينَ (٦٩) قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وَ مَا اللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (٧٤)
هنا عرض فسيح يفصح عن مدى لجاج اليهود أمام اللّٰه ورسوله، تمحّلا للمعاذير الواهية المهينة في أمر كان لصالحهم، وقد تساءلوا موسى عنه، وهو قصة القتل التي خلقت فيهم جوا من الحجاج واللجاج.
كلّ من قبيلي النزاع يتهم الآخر، مما يكاد يولّع نيران الحرب بينهم، وكما ورد في الأثر[2] المؤّد بملامح

---

[1] .الدر المنثور ١: ١٤٠ عن ابن عباس قال: لا تقولوا «فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ» فان اللّه لا مثل له، ولكن قولوا: فان آمنوا بالذي آمنتم به، وفيه عن أبي جمرة كان ابن عباس يقرأ: فإن آمنوا بالذي آمنتم به.

[2] .البحار ١٣: ٢٥٩ عن تفسير القمي أبي عن ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه‌السلام‌قال: ان رجلا من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأت منهم، فأنعمت له، - وخطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقا رديئا فلم ينعموا له، فحسد ابن عمه

آيات القصة: «وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»(٧٢- ٧٣).

ندرس في قصة البقرة- القصيرة- آماد الحمق والعناد في العمق لهؤاء الأباقرة العباقرة! وكم بقروا: كلّا في بصائرهم الكليلة العليلة في العقلية الإنسانية، مهما بقروا: شقا للمسالك الحيوانية الشهوانية، فهم في الروحية الإنسانية في أسفل سافلين، وفي الترسّلات الحيوانية والسياسات المادية في أعلى عليين!.

هنا السمات الرئيسية للطبيعة الإسرائيلية، والوصمات النكدة النكبة، تبدو واضحة وضح النهار في هذه القصة، من مدى انقطاع الصلة بين قلوبهم المقلوبة وبين مقلب القلوب، انقطاعا عن نبعة الحياة الروحية الشفافة الرقراقة، واتصالا طليقا حليقا بالمظاهر المادية، لحد قد يسبقون الماديين في دورهم الدائر وحورهم الحائر حول المادة والحيوية الحيوانية الشرسة.

و لقد سميت سورة البقرة بها بمناسبة قصة البقرة، وهؤاء الأباقرة فيما تقصه عنهم في هذه المجالة وسائر المجالات المعروضة فيها، عرضا لحمقهم في عمقهم لحدّ قد تهان البقرة في تمثيلهم بها وعبادتهم إياها!.

و ترى كيف يلفت عن خطاب الحاضر لهم- فيما سبق هنا من خطابات- إلى عرض غائب في تقاولاتهم هذه، ثم نقلة إلى خطابهم عرضا لمادة القصة المقدمة عليها: «وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها» وهي أحرى أن تقدّم بطبيعة الحال التسلسلية؟.

علّه لأن القصة غير مذكورة في التوراة زمن نزول القرآن كما الحاضرة، فليعرضوا غيّبا فيها، ومن ثم-

---

الذي انعموا له فقعد له فقتله غيلة ثم حمله الى موسى عليه‌السلام فقال: يا نبي اللّه هذا ابن عمي فقد قتل، فقال موسى عليه‌السلام من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيما جدا فعظم ذلك على موسى فاجتمع اليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي اللّه؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بارّ كان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأسه وكان نائما، وكره ابنه أن ينبهّه وينغص عليه نومه: فانصرف القوم فلم يشتروا سلعته، فلما انتبه أبوه قال له يا بني، ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها ان المفتاح كان تحت رأسك فكرهت ان أنبهك وأنغص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضا عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر اللّه لابنه، ما فعل بابيه، وامر موسى بني إسرائيل ان يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلما اجتمعوا الى موسى وبكوا وضجوا قال لهم موسى: «إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً»فتعجبوا وقالوا: «أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً» نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة! فقال لهم موسى «أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ»فعلموا انهم اخطأوا فقالوا: «ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ» والفارض التي ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر التي لم يضربها الفحل، فقالوا: «ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها» اي شديدة الصفرة «تَسُرُّ النّاظِرِينَ» إليها «قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ. قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ» اي لم تذلّل «وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ» اي لا تسقي الزرع «مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها» اي لا نقطة فيها الا الصفرة «قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلّا بملىء جلدها ذهبا فرجعوا الى موسى عليه‌السلام‌فأخبروه فقال لهم موسى: لا بد لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملىء جلدها ذهبا فذبحوها، ثم قالوا: يا نبي اللّه، تأمرنا؟ فأوحى اللّه تبارك وتعالى اليه: قل لهم اضربوه ببعضها وقولوا من قتلك؟ فأخذوا الذنب فضربوه و قالوا: من قتلك يا فلان؟ فقال: فلان ابن فلان ابن عمي الذي جاء به، وهو قوله: فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.

وبعد تثبيت القصة- يأتي دور العرض لقتلهم نفسا وتدارئهم فيها، ولها إشارة في التوراة[1] تلفيقا دقيقا رفيقا للواقع المغفول عنه بالواقع المشار إليه فيها وليذكّروا ماضيهم فيعرفوا من هم؟.

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ ۶۷.

يقولها لهم موسى لمّا راجعوه بشأن القتيل المجهول أمره ليوضّح لهم، وإذا هم بأمريناسب في قياسهم سؤهم وسؤلهم، وهو في نفس الوقت هتك لما يحترمونه من البقرة لحد عبدوها لفترة، بل «وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ» (۲: ۹۳) ثم إذا كانت هناك صلة فلتكن إحياء الميت بذبح البقرة وذلك هو أبعد البعد صلة بأمرهم! فكيف- إذا- يذبحون بقرة؟ ولا تمتّ بصلة قريبة ولا بعيدة لمعرفة القاتل، أم كيف يعرف القاتل بقتل آخر! لكنهم تناسوا الحكمة الربانية الخفية في أوامره، الجليلة في تطبيقاتها، كما جربوها ردحا بعيدا من الزمن، فتثاقلوا في الائتمار، واثاقلوا في الحوار، فرارا عما أمروا به إلى سواه، بسيّئ الأدب مع اللّه ورسوله في أصل الأمر وفصله، ولكنهم في نهاية الأمر «فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ» بعد ما تحمّلوا مواصفات زائدة في «بقرة» ما كانت عليهم لو ائتمروا من فورهم دون تعنّت وتساءل! الأمر الأول لم يحمل إلّا «بقرة» طليقة عن كل صفة إلّا كونها «بقرة»ثمينة أو رخيصة، فارضا أم بكرا أم عوانا، صفراء أم سوداء أم بيضاء أم عوانا، فقد كانت تكفيهم في البداية- حسب طليق الأمر- أيّة بقرة.

و كما يروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قوله: «... ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدّد اللّه عليهم»[2].

---

[1] .في الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التثنية: ١ إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعا في الحقل لا يعلم من قتله ٢ يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون الى المدن التي حول القتيل ٣ فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير ٤ وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى وادي دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون - عنق العجلة في الوادي ٥ ثم يتقدم الكهنة بنو لاوي لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب حسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ٦ ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة لمكسورة العنق في الوادي ٧ ويصرحون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر ٨ اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب ولا تجعل دم بريّ في وسط شعبك إسرائيل. فيغفر لهم الدم فتنزع الدم البريّ من وسطك إذا عملت الصالح في عيني الرب.

[2] .الدر المنثور ١ : ٧٧- أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: لو لا ان بني إسرائيل قالوا: وانا ان شاء اللّه لمهتدون- ما اعطوا أبدا لو انهم ... أقول:قد رويت عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) بألفاظ مختلفة، المتفق عليه فيها إطلاق الأمر واجزاء أية بقرة، ولكنهم لما شردوا شرد اللّه عليهم، مما يلائم ظاهر الأمر الطليق في الآية، وهنا عشرة كاملة من الأحاديث تحمل تدرج الأمر في قيود المأمور به وقد رواها أبو هريرة وعكرمة وابن جريح وقتادة وابن عباس عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) والبزنطي ومقاتل بن مقاتل ومحمد بن عبيدة عن الرضا عليه‌السلام وعلي بن يقطين عن موسى بن جعفر عليهما‌السلام وابن طاووس عن الباقر عليه‌السلام وهي كلها موافقة لظاهر القرآن في ذلك فلا يصغى الى قيلة القائل ان المأمور به كان مقيدا من اوّل الأمر، لا سيما وان قوله فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ امر حال بإتيانه ولمّا تذكر سائر المواصفات التالية، ولو كان كما قيل لكان امرا بالمحال ان يأتوا بما لم يتبين بعد قيوده!

يقول لهم موسى الرسول: «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً» فيردون عليه «أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً» ويكأن الله يهزء بعباده عن جهالة، أو أن رسول الله يفتري على الله ما فيه جهالة!.

«قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً» في ذلك الأمر الإمر، البعيد عن تحقيق سؤنا، «قالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ» في نقل الأمر افتراء، وهو من أجهل الجهالة، أم في نفس الأمر أن يحمل امر الله بما أحمله جهالة الاستهزاء!.

هنا نتبين أن الهزء من الجهالة، وطبعا إذا كان بدائيا ومن جاهل، وفي حالة الهجمة، وأما الجزاء الوفاق من المجازي الحق دفاعا عن الحق فليس من الجهل، وكما في نوح عليه‌السلام: «وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنّا فَإِنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ» (١١: ٣٨) وكما الله «وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ. اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ»(٢: ١٥) فالهزء والسخرية البادئة هما من الجهالة وسوء الصنيعة، وقد نهي عن الاستهزاء في (٣٣) آية، وفي عديدة أخرى عن السخرية، مما يبين لنا مبدئيا أنها من المحرمات الناتجة عن الجهالة القاصدة المقصرة، واما القاصرة فلا تكليف فيها ولا تنديد.

ففيم تهزء بإنسان؟ أفي نقص من خلقه في مقياسك؟ وليس إلّا من خلق الله، فلا تهزء- إذا- إلّا بالله، وهذه جهالة بالله!.

أم في نقص قاصر من فعل أو ترك؟ فكيف يهزء بقاصر وليس مكلفا في أيّ من الأعراف!.

أم في نقص مقصر؟ إذا فهو مريض بحاجة إلى تمريض، ولا يزيده هزئك به إلّا مرضا إلى مرض، وعليك أن تكون له طبيبا إن استطعت، أم تأتي له بطبيب يداويه، أم تتركه وحاله، لاله ولا عليه إن لم تستطع في علاجه.

أم لأنك تظنك على كمال هو فاقده؟ فكذلك الأمر، وليس ظنك صائبا على أية حال!: «لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ» (٤٩: ١١) وحتى إذا كانوا خيرا منهم «وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ»(١٢)! فلا مجال للسخرية والهزء إلّا بمن يسخر بالحق بدلا عن الانتباه، هزء عن مصدر العلم والحكمة دون أية جهالة بالله، أم جهالة بالأعراف الشخصية والجماعية، أو الواجبات الدعائية، وهنا السخرية لها مجال اعتداء بالمثل، وصدا عن نشوب الباطل بين أهل الحق.

«قالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ» هو عوذ بالله في بعدية، بالله الذي أمره أن يقول لهم: «اذبحوا بقرة» فلا يجهل أمر الله، والله الذي يعصم رسوله عن الجهالة فلا يجهل في رسالة الله، وهم عارفون أنه رسول الله، القائل قوله عن الله، وهم يتهمونه بهذه الجهالة الفاتكة لاستبعادهم- في قياسهم المتهوس المركوس وعقليتهم الحيوانية- ألّا صلة لذبح بقرة باتضاح أمر القتيل، وقد اتضح أخيرا، إضافة إلى بيان الواقع من إحياء الموتى، وجزاء الولد البار بأبيه في قصة البقرة.

لقد كان في ذلك التوجيه الوجيه كفاية لهم أن يثوبوا إلى أنفسهم، ويتوبوا إلى ربهم، تنفيذا لأمره لصالحهم في المبدء والمصير، أمرا كان لهم من السهل اليسير، ولكنهم بدلوه بالأمر العسير، أمرا واحدا طليقا يتبدل في تساؤاتهم المتعنتة بأوامر عدة لاتنطبق إلّا على بقرة يتيمة منقطعة النظير، وهم لابد لهم من تطبيقه حسما لمادة النزاع في «من هو القاتل»؟.

و هنا ندرس دراسات أصلية أصولية على أضواء هذه الآية الطليقة، المقيدة بعد بما تقيدوا.
١ لايجوز تقييد المطلق بسناد الاستغراب أو الاحتياط أو أنه القدر المتيقن أمّا هي من تقييدات لاسناد لها إلّا تخيلات لاحجة فيها، اللّهم إلّا قيودا عفوية من قبل الشارع نفسه، في كتاب أو سنة قاطعة، وقد كانت في «اذبحوا بقرة»منفية، فلما تعنتوا في التساءل وشدّدوا شدّد الله عليهم جزاء وفاقا.
٢ كما أن إطلاق المقيد بدليل محظور، كذلك تقييد الإطلاق دون دليل محظور، فإنهما تخلف عن ظاهر الدليل أو نصه، ومشاقة مع الشارع في التشريع.
٣ تقييد الإطلاق- وهو في مقام البيان- هو تجهيل للمطلق كأنه قصّر في بيانه «قُلْ أَ تُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ...»؟. إذا فهو محظور عقائدي بجنب المحظور العلمي.
٤ وحتى إذا لم يتبين قطعا أن المطلق في مقام بيان كامل مراده، فظاهر الحال يقتضي التماشي مع الإطلاق حتى يتبين له قيد أو قيود، فإن كانت قبل وقت العمل فتقييد تبيين، وإن كانت بعده فنسخ قدره.
٥ وهنا نرى تعاضل الأمر- بتضايق في أوصاف المأمور به- ما تعاضل المأمورون به، فقد كان في البداية طليقا عن أيّة صفة إلّا أنه «بقرة» ثم لصقت بها أوصاف تلو بعض ولصق بعض حيث اثّاقلوا عن تطبيقه طليقا وتعاضلوا، وهذه بلية ربانية يبتلي بها المتعنّتون ولا ينبئك مثل خبير.
و رجوع ضمائر التأنيث إلى البقرة الأولى الطليقة لايقيدها لأول الأمر، فإنما القيود آتية تلو بعض والبقرة هي جنس البقرة، ف «إِنَّها بَقَرَةٌ ...» تعني أن المطلوب الآن بقرة ...الأوّل فإنها كانت دون قيود.
قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ ۶۸.
«ربك» هنا، دون «ربنا- أو- رب العالمين»- وقد كررت في ثالوث سؤلهم المنحوس- ذلك يشي بأنهم لايزالون في ريبهم يترددون، وفي غيّهم وعيّهم يعمهون، كأن موسى هازئ بهم، أو أنه ينقل عن رب سوى ربهم، ويكأن هناك أربابا عدة هم متشاكسون في أوامرهم، ثم وهم أولاء يحترمون رب موسى أكثر من أربابهم، لذلك «قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ ...»!
ثم «ما هِيَ» سؤلا عن الماهية، إنه تجاهل عن أنها بقرة، وقد نص عليها أوّل مرة، ثم مزايدة جاهلة قاحلة حول ماهية البقرة من حيث الكيان في عمرها، وكل أمرها، حيث الأسعار والفاعليات تختلف حسب مختلف الحالات والمجالات.
«قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ» جوابا عن الماهية الأولى «لا فارِضٌ وَ لا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ» جوابا عن الثانية «فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ» وقد أمرتم أولا في طليق الأمر، ثم زدتم عليه- تطلبا جاهلا- مواصفات ماهوية ما كانت من ذي قبل إلّا أنها «بقرة»«فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ» دون مزايدة ومكايدة، حيث الأمر صريح لاإبهام فيه، لايبقي مجالا لأي سؤل! ذلك تأكيد أكيد على واجب الوقوف لحد الأمر- أيا كان- بحدوده المذكورة معه أم دون حدود، مما يوضّح أن «بقرة»كانت طليقة، ثم زيدت عليها قيود بأوامر أخرى جزاء بما كانوا يتعنتون.
و الفارض- هنا- هي العجوز والبكر هي الشابة غير المضروب عليها بالفحل، و«عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ» هي الوسط بين هذه وتلك، وهو وسط العمر وكماله.

و قد تسمى فارضا لفرض السن وقطعه، ولفرض الأرض وقطعها، ولفرض ما يحمّل عليها وقطعه من أشغال، فروض ثلاثة في الفارض، يجمعها طليق «فارض».
و تقابلها البكر، بكرا في العمر فما فرضته، وبكرا عن الحرث فما استعملت له، وبكرا عن ضرب الفحل فما انضربت به إذا فعوان بين ذلك يعني الوسط بينهما،متقدمة في العمر ولا حمولة وقد ضربها الفحل.
و لماذا «ذلك» مفردا مذكرا وكلّ من فارض وبكر مؤث؟ علّه يعني ما ذكر من مواصفات.
و لقد كان في هذا وفي ما قبله كفاية لمن يصغي إلى الحق المرام، ولكن إسرائيل هي إسرائيل!.
فإلى لجاج ثالث، تضييقا لدائرة الموضوع، علّهم ينجون عن أصله، أم يتأكدون أكثر وأكثر في أصله:
قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النّاظِرِينَ ٦٩.
فكما أن الأثر علّه في ماهية خاصة من البقرة، كذلك علّه في لون خاص، وفي ذلك تجهيل لساحة الربوبية كأنه قاصر أو مقصر في البيان، وهم أحرى بالحائطة على أوامره تعالى!، ثم تعجيز له سبحانه، كأن الأثر في خصوص بقرة خاصة وليس من اللّه، ف «ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها»بين مختلف الألوان «قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ» وهنا لايكتفي بمطلق الصفرة تقريبا لمضايقتهم في خاصة الميّزة، وقطعا لمعاذيرهم في تساءلات أخرى حول نوعية الصفرة، فهي- إذا- «فاقِعٌ لَوْنُها» صادق الصفرة بمشبعها فالفاقع في الأصفر هو أشده وأشبعه وأنصعه، كما يقال: أصفر فاقع، وأسود حالك، وأبيض يقق، وأحمر قان، وأخضر ناضر.
«تَسُرُّ النّاظِرِينَ» بلونها وسائر شمائلها، فلا هي مكسورة ولا عوجاء ولا قبيحة المنظر من ناحية أخرى، بل هي في مثلث الجمال والكمال، ماهية ولونا شكلا، ولا يتم سرور الناظرين إلّا أن تقع أبصارهم على فراهة وحيوية ونشاط والتماع في تلك البقرة.
و قد تلمح «تَسُرُّ النّاظِرِينَ» بعد «صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها» أن فاقع الصفرة هو من أحسن الألوان وأنضرها فانظرها حسنا وجمالا وكما يروى».
أ تراهم اكتفوا بعد بهذه المواصفات؟ كلّا! فهم إسرائيل الحجوج اللجوج، إذ عادوا مرة أخرى هي الأخيرة- إذ لم تبق بعده مواصفة يتعنّتون بها- يسألون فيها عن ماهيتها مرة أخرى:
قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠.
و هم في هذه المرحلة الأخيرة مسندون إلى بقاء التشابه في موضوع الأمر:
«إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا» وواعدون الاهتداء بها بمشيئة اللّه: «وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ».
و لماذا «الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا» دون «البقرة» المكررة هنا وهناك؟ علّه جنس البقرة مهما كانت أنثى، فليس أي جنس من البقر له ذلك التأثير، فليكن بقرا منقطع النظير لامثيل له حتى يؤى منه ذلك الأثر المنقطع النظير.
فهؤاء الحماقى يفتّشون بعد عن بقرة خاصة لها خاصتها هذه، متجاهلين أن الأثر كله هو من خالق البقرة وليس في البقرة نفسها، ولو لاقولهم أخيرا «وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ» لما بينت لهم آخر الأبد والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا «إِنْ شاءَ اللّٰهُ»لحيل بينهم وبينها ابدا[1] أترى أن اللّه لم يشأ

[1].تفسير الفخر الرازي ٣: ١٢٠ قال الحسن عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم:

اهتداءهم حتى الآن؟ فهم إذا معذورون! أم شاء؟ فتخلفت المشية عن الواقع! فما هو دور «إنشاء الله» هنا إن كان لهم الإختيار؟.

لقد شاء اللّه اهتدائهم بشرعته لما أمرهم بما أمرهم فتخلفوا عنه عاصين، ولم يشأ حتى الآن اهتداءهم تكوينا إذ هم لم يشاءوا بسوء اختيارهم، فليس ل «إنشاء الله»هنا دور إلّا تكوينا لاهتدائهم إن شاءوا هم أن يهتدوا وقد شاءوه أخيرا لما عيوا وأيسوا عن مكرهم.

و المتورط في العصيان عليه التبرك ب «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» لصقا بمشيئته إلى مشيئة اللّه تعالى، ثم «لمهتدون» قد تعني إضافة إلى هدي التطبيق لأمر اللّه، الاهتداء إلى بقرة تحمل كل هذه المواصفات، ثم الاهتداء إلى معرفة القاتل في هذا البين، فقد يشاء اللّه- بما شاءوا- اهتدائهم إلى ذبحها، ثم لايشاء اهتداءهم إلى القاتل أن يضربوا المقتول ببعضها، أم لايشاء اهتداءهم إلى هذه البقرة الخاصة بعد ما شاء اهتداءهم لائتمارهم جزاء بما تعنتوا.

قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ ٧١.

فلم تعد هذه البقرة- إذا- متوسطة العمر صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فحسب، بل هي بقرة غير مذللة بإثارة الأرض وسقي الحرث، ثم هي مسلّمة: خالصة اللون في الصفرة الفاقعة «لا شِيَةَ فِيها» لاتشوبها علامة، ولا تمازج لونها لون آخر، كما هي مسلمة عن سائر العيوب:

و ترى «لا شِيَةَ فِيها» هي- فقط- إيضاح ل «مسلمة»؟ وليس القرآن كتاب لغة! ومسلمة اللون- طبعا- «لا شِيَةَ فِيها» إذا فهي توضيح للواضح! قد تعني «مسلمة»عن كل العيوب ومنها «شِيَةَ فِيها» ومسلمة عن آثار العمل، ومسلمة عن الحبس للعمل وعن كل نقص متصور لبقرة، أم ومسلّمة من والد إلى ولده البار به جزاء بره، أمّا ذا من مسلمات في بقرة.

«قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» ويكأنه قبل الآن كان جائيا بالباطل من ربه، ويكأن اللّه ما كان يعرف ما عرفوه «فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ» نكرانا لأن يؤر ذبحها في التعرف إلى القاتل، وتماسكا عن دفع مال في ذلك المجال، وتمنعا عن ذبح بقرة ولهم سابق العبادة لها، وذلك الثالوث المنحوس كان يمنعهم عن ذبحها لولا سؤهم المدقع في التعرف إلى القاتل، أم وليجربوا موسى في الإجابة عن سؤلهم! ففي هذه الضفة- البخيلة المماكسة الناكثة لعهود اللّه، المتشاكسة في أمر اللّه- ينتهي أمر اللجاج إلى بقرة منقطعة النظير في كل إسرائيل عن بكرتها.

ثم في الضفّة المؤنة: رجل بارّ بأبيه[1]، تارك ربح التجارة حرمة له، توهب له هذه البقرة بعينها جزاء بما

---

[1].نور الثقلين ١: ٨٧ في عيون الأخبار بسند متصل عن البزنطي قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه‌السلام يقول: ان رجلا من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى ان سبط آل فلان قتلوا فلانا فأخبرنا من قتله؟ قال: ايتوني ببقرة «قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً ...» ولو انهم عمدوا إلى أي بقرة اجزأتهم ولكن شردوا فشرد اللّه عليهم «قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها ...» ولو انهم عمدوا الى بقرة لأجزأتهم ولكن شردوا فشرد اللّه عليهم «قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ ...»فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال لا أبيعها إلا بملىء مسكها ذهبا فجاؤ الى موسى عليه‌السلام فقالوا له ذلك فقال: اشتروها فاشتروها وجاؤ بها فأمر بذبحها ثم امر ان يضرب الميت بذنبها فلما فعلوا ذلك حيي المقتول وقال: يا رسول اللّه ان ابن عمي قتلني دون

كسب، والضفتان تتلاقيان في هذه الوهبة الأبوية بوهبة ربانية تجعله من أغنى الأغنياء في بني إسرائيل، كما وان ضرب المقتول ببعضها شهادة معلنة أنه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير.

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٧٢ فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٧٣.

هنا «نفسا» و«بقرة» هما مؤثان، فكيف تختص إحداهما بذكورة الضمير «اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها»؟

علّ تذكير الضمير الراجع إلى «نفسا» باعتبار أنها القتيل، وليوضّح أنه المضروب ببعض البقرة وليست هي المضروبة به، ولا سبيل لذلك الإيضاح إلّا تذكير ضمير «نفسا»القتيل.

و هنا عرض لمادة القصة الأصيلة وهي واقع إحياء الموتى، ففي «اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها»

نموذج منه يدل على إمكانية وواقع إحياء الموتى بالأولى، فإذا يحيى ميت بضرب ميت آخر به، فلئن يحيى بإرجاع الروح إليه أحرى وأولى.

أنتم «قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِيها» كلّ يدرؤ عن نفسه ويلقيه على آخر «وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»[1] بهذه الخارقة البارعة أن تضربوه ببعضها «كذلك»البعيد في قياسكم، القريب القريب في قياس اللّٰه «يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى»على طول الخط، مهما اختلفت الإحياءات هنا وفي الأخرى، ولكنما الإحياء في الأخرى أحرى.

أحرى «لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى» وهنا الإحياء لم يكن إلّا إخراجا لما كنتم تكتمون، كواقعة جزئية تهتدون فيها إلى جزاء القاتل بعد ما تعرفون.

و أحرى لأنه أهون من الخلق الأوّل: «وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» (٣٠: ٢٧) (أَهْوَنُ عَلَيْهِ» في قياسكم، إذ ليس في قياس اللّٰه لنفسه هين وأهون، ف «كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ» ثم و«كَذلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»

مما يلمح أنهم كانوا في شك من إحياء الموتى، وكما لانرى في التوراة الحالية- على طولها- نصوصا حول المعاد، اللهم إلّا إشارات، مما يدل على حالة النكران الإسرائيلي- العريقة فيهم- منذ نزلت عليهم التوراة فضلا عما بعدها، فقد حرّفوا عن التوراة آيات المعاد فجرّفوها بجرّافات التجديف والتحريف! فطالما المسافة بين الموت والحياة هائلة غائلة تدير الرؤ، ولكنها في حساب الخالق سهل يسير، ففي ضمن ما يجيب عن سؤلهم يعطفهم إلى واقع إحياء الموتى الذي هم فيه مترددون.

فقد كان بالإمكان الإجابة: أن فلانا هو القاتل، ولكنهم- حسب طبيعتهم- قد ينكرون تكذيبا لموسى، فليكن القائل هو نفس القتيل حتى يصدقوه شاءوا أم أبوا.

من يدعى عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله فقال لرسول اللّٰه موسى بعض أصحابه: ان هذه البقرة لها نبأ ٢ فقال وما هو؟ فقال: ان فتى من بني إسرائيل كان بارا بابيه ... فقال رسول اللّٰه موسى انظروا الى البر ما يبلغ بأهله!.

[1]. ١٠: ٧٨- اخرج احمد والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله وسلم: لو ان رجلا عمل عملا في صخرة صماء لا باب فيها ولا كوة خرج عمله الى الناس كائنا ما كان، وفيه اخرج البيهقي من وجه آخر عن عثمان قال قال رسول اللّٰه (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم): من كانت له سريرة صالحة او سيئة اظهر اللّٰه عليه منها رداء يعرف به.

و كان بالإمكان إحياء القتيل ليشهد شهادته دون هذه الطائلات البليات في قصة البقرة، ولكنهم قد يتشككون في كونها خارقة إلهية بيد موسى الرسول.
و كان بالإمكان إحياءه بأن يضرب به موسى يده أو عصاه، ولكنه ما كان يفيد كامل الفائدة: أن يؤروا بذبح ما كانوا يحترمونه لحد العبادة، وأن يشتروها وهم الأنجاس، وأن يضربوه ببعضها فيحيي تدليلا على إمكانية بروز الحياة بضرب ميت بميت فضلا عن رجوع الروح الحي إلى البدن الميت! ف «كَذلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».
أ ترى أي جزء من جسد البقرة كانت له هذه الفاعلية بإذن اللّٰه؟
«ببعضها» يلغي كل الاختصاصات عن أي جزء منها، فكما «بقرة»كانت طليقة لأوّل مرة، كذلك «ببعضها» على طول الخط، إذ لم يتزايدوا فيه كما تزايدوا فيها فلم يخرج عن إطلاقه! فيا لقصة البقرة من آماد بعيدة وآيات غريبة قريبة، لم تك تحصل إلّا بما حصل، ما يحق أن تتسمى بها السورة لهذه البقرة وهؤاء الأباقرة.
و قيلة القائل- الغيلة على آيات اللّٰه البينات- أن «يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى»
هنا يعني حفظ الدماء التي كانت عرضة للسفك بسبب الخلاف في: من هو القاتل، إنها مردودة عليه ب «كذلك» المشيرة إلى «اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها»
ف «كذلك» الضرب «يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى» ولو لم يكن في ذلك الضرب إحياء القتيل، فكيف عرف القاتل بذلك الضرب، وما هي الصلة بينه وبين معرفة القاتل لو لاإحياء القتيل! ثم ولا إشارة في القصة باحتمال سفك الدماء لو لم يعرف القاتل! صحيح أن إبقاء الحياة قد يسمى إحياء: «وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً»ولكن كيف تبقى حياة بين المتدارئين في: من قتل القتيل، إلا بمعرفة القاتل الحقيقي، وكيف يعرف ب «اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها»
لو لاإحياءه بذلك الضرب، ثم «وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» ليس إلا تعريفا عمليا بالقاتل، كما و«يُرِيكُمْ آياتِهِ»
تلميحة بينة أن هناك آية خارقة إلهية بها عرف القاتل.
إنما هي انتفاض الميت مبعوثا ناطقا شاهدا فيما ادّارءوا، على ضربة من بعض جسد لبقرة بكماء مذبوحة، ليس فيها من حياة ولا مادة حياة «كَذلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتى وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ».
لا كما يقوله هذا الهارف الخارف، المأول آيات اللّٰه المعجزات إلى دعايات متعودات.
ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وَ مَا اللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ ٧۴.
«ثم» بعد هذه الآيات البينات «قَسَتْ قُلُوبُكُمْ» أكثر مما كانت قاسية بدلا عن أن تلين لذكر اللّٰه «قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ» الإحياء إجابة عن سؤل وإيتاء لسؤ، كما «بَعْدِ ذلِكَ» التنبيه بكل نبهة في مختلف المجالات.
أ ترى الخطاب هنا يختص بالسابقين؟ فما هو ذنب اللّاحقين! «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى»! أم يخص اللّاحقين «مِنْ بَعْدِ ذلِكَ» الذي حصل للسابقين عبرة للّاحقين، ف «قَسَتْ قُلُوبُكُمْ» إذ «أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ» (٢٨: ۴۵): (أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ

الْحَقِّ وَ لا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ»(۵۷: ۱۶).

قد يشملهم الخطاب جميعا، فإنهم سلسلة موصولة على طول التأريخ الإسرائيلي، أنهم تقسى قلوبهم أكثر وأقسى مما كانت من قبل، وآيات اللّه تترى عليهم لصق بعض ليل نهار، كما «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إِلّا خَساراً». «ثُمَّ قَسَتْ ... فَهِيَ كَالْحِجارَةِ» في القسوة الصلبة الصلتة، لافحسب «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً».

و ترى «أو» هنا تضرب عن قسوة الحجارة إلى أشد قسوة؟ وليست قلوبهم- ككل- إلّا كالحجارة أو أشد قسوة، فلا مجال للإضراب إلّا ممن يجهل مدى القسوة فيها! أم هي للإضراب بالنسبة لبعضهم؟ و«كم» لاتعني البعض، فقلوب الكل إما هي كالحجارة أو أشد قسوة!.

قد تعني «أو» هنا التقسيم، فقلوب البعض كالحجارة، وقلوب الآخرين أشد قسوة.

أم وتعني مختلف الحالات في بعض القلوب، فقد كانت قاسية، ثم اشتدت قساوتها فهي كالحجارة، ثم تشتد فهي أشد قسوة، فكلا الإضراب والتقسيم- إذا- معنيّان من «أو» أم وثالث هو الإبهام[1]، وهو- فقط- بالنسبة لمن لايعرف مدى قساوة القلوب، التي هي كالحجارة أو أشد قسوة، ويلحقه رابع هو التشكيك، والأخيران هما في دور واحد! ودليلا على «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً»: تفجر الأنهار من بعض الحجارة، وتشقق البعض بخروج الماء منها، وهبوط البعض من خشية اللّه! وهذه القلوب الخاوية المقلوبة لاتتفجر منها أنهار المعرفة، ولا تتشقق بخروج مياهها منها، ولا تهبط من خشية اللّه، بل هي جافة صلدة صلتة لاتزداد في خضم الآيات البينات إلّا تصلّدا وجمودا وجفافا وخمودا!.

لقد رأوا الحجر انفجرت منه اثنتا عشرة عينا بما ضرب موسى عصاه، ولم تنفجر قلوبهم بعصا الرسالة الموسوية! ورأوا الجبل اندك بما تجلى له ربه، ولم تندك جبال قلوبهم بتجلي هذه الرسالة السامية، وجلوات آيات اللّه البينات، فهي لاتلين بها ولا تندى، ولا تنبض بخشية ولا تقوى، بل وتزداد طغوى على طغوى! قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة ليست لتلين بذكر اللّه أيا كان وأيان «وَ مَا اللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ» ف «لا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غافِلًا عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ».

نرى أن «مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ» كما نرى «وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ» فما هي الحجارة التي تهبط من خشية اللّه وهي لاتعقل ولا تكلّف بشيء؟

أ هي كما قال اللّه: «لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ» (۵۹: ۲۱)؟ (وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»(۲۱) تحوّله إلى مثل‌واقع له، و«لو» تحيل واقعه، فلن ينزل اللّه على جبل ذكرا: قرآنا وغير قرآن، وهناك اللّه في اقتسام الجبال يضرب مثل الواقع من الجبال

---

[1]. خيّر أبح قسم باو وأبهمو اشكك وإضراب بها أيضا نمي

و فيما يروى عن الامام الحسين عليه‌السلام من تفسير الآية أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً أبهم على السامعين ولم يبين لهم كما يقول القائل: أكلت خبزا او لحما، وهو لا يريد به انه لا ادري. ان يبهم على السامع حتى لا يعلم ماذا أكل و ان كان يعلم ان قد أكل أيهما ...

لبيان مدى قساوة هذه القلوب، فليكن هبوطها من خشية اللّه واقعا كتفجر الأنهار من بعضها، وخروج الماء من تشقق الأخرى!.
ثم لو كان الهبوط من خشية اللّه على فرض نزول الوحي عليه لعم الجبال كلها كما «عَلى جَبَلٍ» تعممه لها كلّها، دون «وَ إِنَّ مِنْها»! أم «إِنَّ مِنْها» هنا راجعة إلى القلوب لتقدم ذكرها، ومهما كانت الحجارة اقرب مرجعا، فالقلوب أنسب وأليق معنى؟ وهو بعيد أدبيا لبعد المرجع، وبعيد معنويا حيث القلوب تقلّب ولا تهبط، اللهم إلا هبوطا عن علوائها المقلوب، فتنضبط ذاكرة للّه، متذكرة بآيات اللّه.
هذا ولكن الجبال كجبال هي مثال لقساوة القلوب، وليست القلوب الخاشية الهابطة من خشية اللّه- وهي القلوب المؤنة المطمئنة باللّه- ليست هي بالتي تناسب ضربها مثلا لإثبات أن قلوبهم أقسى من الحجارة!.
قد يعنى هبوط بعض الجبال من خشية اللّه، هبوطها الهابط منها بأمر اللّه تكوينا وهي شاعرة له ومدركة، ف «إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»(١٧: ۴۴) تعمم الخشية الشعورية إلى كل شيء، فالهابط من الجبال تهبط بخشية اللّه، كما الثابت منها تثبت بخشية اللّه، ولا ينافيها الأسباب الطبيعية لهبوطها، فانها كلها منتهية إلى اللّه، ولا يعمل اي سبب عمله إلّا بأمر اللّه و«كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ» (٢: ١١۶) فظاهر الخضوع فيها لتدبير اللّه بآثار الصنعة وإحكام الصنعة لحد الهبوط فيما تهبط، تقريع على تلك القلوب المقلوبة غير الخاشية للّه.
فحينما الحجر يهبط من خشية اللّه، لاتهبط قلوب هؤاء- الأشد قسوة من الحجارة- من خشية اللّه «وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ».
إنهم خونة في أمانة اللّه لايوجد لهم مثيل في الكائنات ف «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا» (٣٣: ٧٢) وآية الأمانة هذه- كما فسرناها في سورتها- تحمل حملة عنيفة على الإنسان الظلوم الجهول في خيانته أمانة العقل والتكليف، فحمل الأمانة يقابل أداءها، فهو خيانتها.
و على حد المروي عن سيد الشهداء الحسين بن علي عليهماالسلام في تفسير الآية: يبست قلوبكم معاشر اليهود كالحجارة اليابسة، لاترشح برطوبة، اي: انكم حقّ اللّه تؤون، ولا لأموالكم تتصدقون، ولا بالمعروف تتكرمون، ولا للضيف تقرون، ولامكروبا تغيثون، ولا بشيء من الإنسانية تعاشرون وتواصلون ...[1]
فيا ويلاه من قسوة القلوب ف

[1].نور الثقلين ١: ٩٠ في الخرايج والجرايح روى عن الحسين بن علي عليهماالسلام في قوله تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ...- نقلنا تفسير او أشد قسوة في العدد السابق- وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، اي قلوبكم في القساوة بحيث لا يجيء منها خير يا يهودي، وفي الحجارة، يتفجر منه الأنهار فيجيء بالخير والنبات لبني آدم «وَ إِنَّ مِنْها» اي من الحجارة «لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ» دون الأنهار، وقلوبكم لا يجيء منها الكثير من الخير ولا القليل «وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ» أي من الحجارة أن أقسم اللّه عليها باسم اللّه يهبط، وليس في قلوبكم شيء منه ...

«ما جفت الدموع إلّا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب»[1] و«لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسو قلبك والقاسي القلب مني بعيد»[2].

أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (٧٧) وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلاّ أَمانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ (٧٩)وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ إِلاّ أَيّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ ما لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٨١) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٨٢)

لقد كان المسلمون على علم- حسب القرآن- أن اليهود يعرفون القرآن ويعرفون رسول القرآن كما سطرت لهم في التوراة، فكانوا- قبل الهجرة- يأملون أن يؤنوا لهم، حتى هاجروا وخاب أملهم، وهنا يطمئنهم اللّٰه أنهم ليسوا ليؤنوا لهم بسابق غيّهم وقساوة قلوبهم، وتحريفهم كلام اللّٰه:

ۨ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ٧٥.

«يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ نَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ وَ لا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ...» (٥: ١٣).

هنا «يُؤْمِنُوا لَكُمْ» كأضرابها، تعني الإيمان لصالح المسلمين، وليس الإيمان بالمسلمين، كما «آمن لَهُ لُوطٌ» فإن في انسلاك لوط في سلك إبراهيم- وقد كان مؤنا باللّٰه قبل- أزر وشدّ ظهر للدعوة الإبراهيمية، وكذلك اليهود- وهم أعظم أهل الكتاب- كان في إيمانهم برسالة الإسلام، اطمئنانا لصالح المسلمين فإيمانا لهم أمام مشركي الجزيرة، ولكنهم أصبحوا أنكر وأكفر منهم.

«أَ فَتَطْمَعُونَ» بعد ما سمعتم من قساوة قلوبهم أمام شرعتهم الإسرائيلية أنفسهم «أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ» وهم لم يؤنوا لرسولهم «وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللّٰهِ» التوراة «ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ» معنويا، أم وتعبيريا «مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» الحقّ الرسالي لمحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله فيما عقلوه، كسائر الحق الذي كانوا يحرفونه من بعد مواضعها!.

و ذلك الفريق هم بطبيعة الحال مدراء الشرعة التوراتية، المسموع كلامهم عند أتباعها، لحد لايؤنون لكم اتباعا لهم، وليس يختص هذا الفريق بالذين عاشروا موسى عليه‌السلام ولا الذين عاشروا محمدا صلى‌الله‌عليه‌وآله بل هم كل من كان يسمع آيات التوراة ثم يحرفه من بعد عقله لها وهو يعلم ماذا سمع

---

[1] .المصدر ٩٢ في كتاب العلل باسناده الى الأصبغ بن نباتة قال قال امير المؤنين عليه‌السلام.

[2] .المصدر في الكافي عن علي بن عيسى رفعة قال: فيما ناجى اللّٰه عز وجل به موسى عليه‌السلام يا موسى ...

وماذا ولماذا حرفّ؟.
فحين يسمعون كلام اللّه من موسى «نابيء آقيم لاهم مقرب إحيحم كموشه وناتتي دباري بفيو ويـدبر الوهيم إت كال أشر أصونوا» (تث ١٨: ١٩):
«نبي أقيم لهم من أقرباء أخيهم كموسى وأضع كلامي في فمه لكي يبلغهم جميع ما آمـره بـه». هكـذا يسمعونه ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهـم يعلمـون، يحرفونـه تحريفـا مشـوّها كـما في الترجمـة العربية عن اصل يوناني ١٦٨٧:
«أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (١٩) فقـد بدلت «من أقرباء أخيهم» إلى «من وسط إخوتهم»حتى تنحرف هذه البشارة عن النبوة غير الإسرائيلية، فأخيهم هنا هو عيص أخو يعقوب وكما في «تث ٢٨: ٨) ولأن عيص تزوج بنت إسـماعيل وأولـد منهـا ولدا ومن غيرها آخرين، لذلك أصبح بنوا إسماعيل من عيص أقرباء بني عيص، إذا فأقرباء إخوة بني إسرائيل هم بنوا إسماعيل من عيص وقد بعث من بينهم محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله[1]! وحين يسمعون كـلام اللّه من موسى «و ليشمعيل شمعتيخا هينه برختي أوتو وهيفرتي أوتوا وهيربتـي أوتـوا بمئـد مئـد شـنيم عاسار نسيئيم يولد ونتتيو لغوى غادل» (التكوين ١٧: ٢٠):
«و لإسماعيل سمعته (ابراهيم) ها أنا أباركه كثيرا وأنميه كثيرا وأرفع مقامه بمحمد واثني عشر إماما يلدهم إسماعيل واجعله امة كبيرة».
هكذا يسمعونه ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، كما في نفس الترجمة: «و أما إسـماعيل فقد سمعت لك فيه. ها انا أباركه وأثمره وأكثره جدا اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة».
فقد ترجموا «بمئد مئد» وهو محمّد- وحتى بحساب الأعداد الـذي يعتمـدون عليـه، فانـه (٩٢) كـما محمد (٩٢)- ترجموه ب «أكثره جدا» رغم أن معناه كثير الحمد المعبر عنه بأحمد ومحمد![2].
و حين يسمعون كلام اللّه من هوشع: «كي هنيه هالخو ميشود ميصريم تقبصـم مـوف تقـبرم محمـد لكسفام قيموش ييراشم حوح باهاليهم» (هوشع ٩:٦):
«ها إنهم يرتحلون لأجل الخراب، فمصر تجمعهم، وموف تدفنهم، ومحمد لفضتهم والقراص يـرثهم، والعوسج يستولي على أخبيتهم».
هكذا يسمعونه ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون من هو محمّد، وكـما نـرى في مختلـف التراجم:
«و القراص يرث فضتهم الشهية- يرث القريص نفائس فضتهم- الأمكنة المرغوبة لفضتهم- بيت الأمـل لفضتهم» محرفين محمدا بهذه الأربع مخافة عن أن تعني محمدا صلى‌الله‌عليه‌وآله[3]! وحين يسمعون كلام اللّه

---

[1].راجع كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) ٣٣- ٣٩.

[2].راجع «رسول الإسلام» ٤٠- ٤٣.

[3].بخصوص لفظة محمد في بشارة هوشع بينا هناك ان تحريفهم يحمل اغلاطا من الناحية الادبية كما المعنوية ٧٣- ٧٩.

من سليمان عليه‌السلام في مواصفة عريضة لمحبوب وحيد له وفي النهاية:
«حكو ممتقيم وكولو محمديم زه دودي وزه رعي بنت يرشالام» (نشيد الأنشاد ٥: ١٦):
«فمه حلو وكله محمد هذا محبوبي وهذا ناصري يا بنات أورشليم».
هكذا يسمعونه ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون انه محمد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله.
ففي الترجّمة التقليدية للتورات نجدها هكذا: «حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم!»[1].
و هكذا نجد وفيرا من البشارات التوراتية بحق محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله أوردنا قسما منها في كتابنا «رسول الإسلام في الكتب السماوية» بين محرفة لفظيا او معنويا من هذا الفريق الغريق في أنانيات العنصريات.
وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ ٧۶.
قد تلمح الآية أن هؤاء هم فرقة غير متطرفة من هذه الفرقة العالمة المحرفة، فهم يراعون الجانبين «وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا» بما سمعنا من خبر محمد والقرآن في التوراة «وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا»: البعض الثاني المحرّف اللجوج، للبعض الاوّل «أَ تُحَدِّثُونَهُمْ»: المسلمين «بِما فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ»: من هذه البشارات «لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لماذا لم تؤنوا «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» أن تحديثكم هذا خلاف المصلحة الطائفية، وقد يبوء بالخسار يوم الآخرة!.
و ترى إذا كانت هذه البشارات فتحا لأهل التوراة، فلما ذا- إذا- إخفاءها؟.
إنها كانت لهم فتحا على الذين كفروا قبل مبعث الرسول محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله، فتحا جانبيا وقتيا، ثم بعد ما جاء دور الرسول المبشر به كفروا به: «وَ لَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكافِرِينَ» (٢: ٨٩).
هؤاء الحماقى يعتبرون التحديث بهذا الفتح للذين آمنوا خلاف العقل «أَ فَلا تَعْقِلُونَ»تنديدا بفريق منهم غير متطرف يحدث به لهم إذ ليسوا من المعاندين المتواطئين[2].
و قد يلمح «وَ إِذا لَقُوا» رجوعا لضمير الجمع الى الفريق السابق ذكرهم، السامعين كلام اللّٰه المحرفين له، أنهم كانوا ينافقون الفريقين: المسلمين واليهود، مهما كانوا أقل تطرفا من أقطاب التحريف والتجديف، إذ هم يجهّلونهم بما يحدثون للمسلمين.
أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ ٧٧.

---

[1]. رسول السلام في الكتب السماوية ٨٠- ٨٣.

[2]. نور الثقلين ١: ٩٢- في مجمع البيان حول الآية روي عن أبي جعفر الباقر عليهما‌السلام «انه كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم فيحاجوكم به عند بكم» فنزلت هذه الآية.

أ فلا يعقلون هم أولاء الأنكاد المجاهيل «أَ وَ لا يَعْلَمُونَ» متجاهلين عن علم كتابي وعلم عقلاني «أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ»من بشارة وسواها «وَ ما يُعْلِنُونَ»إذا لقوا الذين آمنوا؟ فسواء عليه في حجاجه عليهم أسرّوا ما فتح عليهم أم أعلنوا، فحين لايؤنون بما فتح لهم فانه يحتج عليهم يوم القيامة من فتح عليهم، سواء أحاجّهم المؤنون به عند ربهم أم لم يحاجوا، فلا صلة بأصل هذه المحاجة الربانية لهذا الإعلان، ولا لمحاجة المؤنين إن علموا.

ويكأن اللّٰه لايعلم إلا بما علم المؤنون، ولا يحاجهم إلّا إذا حاجوهم به عند ربهم، فاللّٰه- إذا- هو الفرع وهؤاء وأولاء هم الأصلاء!.

فاللّٰه هو الذي فتح عليهم هذه البشارة، وهو الذي فرض عليهم إتّباع هذا النبي، فهل ينسى او يتناسى يوم القيامة ما فتح عليهم؟ فهو يحتج إذا حدثوه به المسلمين! ولا يحتج إذا لم يحدثوا!. فيا لحمقهم من عمق، ولعمقهم من حمق، كيف يجهّلون اللّٰه مصلحية الحفاظ على الرسالة الإسرائيلية في زعمهم.

و من أعجب العجاب أنهم يجهّلون غير المعاندين منهم، المجاهرين بذلك الفتح للذين آمنوا: «أَ فَلا تَعْقِلُونَ» وهم أنفسهم يحملون من اللّاعقل ما ينفر منه الحمر المستنفرة، حاسبين ألّا حجة للّٰه عليهم إلّا أن يصارحوا المسلمين بذلك الفتح! فحقا إنهم أباقرة عباقرة!.

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلّا أَمانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُّونَ ٧٨.

هذه فرقة ثالثة إسرائيلية، جاهلة قاحلة مستضعفة، بعد الأولى العالمة المعاندة المستكبرة المحرفة، والثانية المتعلمة المنافقة غير المتطرفة، والويل كل الويل على الأوّلين، ثم الآخرين حسب دركات في تقصيراتهم، ثم المستضعفون القحّ غير المعاندين قد تدركهم رحمة من اللّٰه.

ف «أميون» هنا يعني عن معرفة الكتاب، سواء هؤاء الذين لم يدرسوا قط اي كتاب، ولم يسمعوا سمع المعرفة لعلم الكتاب[1]، أم الذين هم دارسون علوما غير علم الكتاب، أو الذين درسوا ألفاظه وهم عن معانيه غافلون، وعن مغازيه جاهلون، ومهما اختلفت دركات ثالوث الأمية، ولكنهم كلهم قد يعتبرون هنا من الأميين، وكما اعتبر غير أهل الكتاب- ككل- من الأميين، إذ لم تسبق لهم معرفة كتابية: «وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَ أَسْلَمْتُمْ» (٣: ٢٠).

فالأمية قد تكون مطلقة وأخرى نسبة، نسبة إلى علم الكتاب الرسالي بدرجاته، و«لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلّا أَمانِيَّ» هنا، تعني هذه النسبية، فقد يكون بارعا في العلوم التجريبية، ولكنه فارغ من العلوم الكتابية، فهو- إذا- من الأميين، كما الأمي الطليق منهم، مهما اختلفت مسئولياتهم حسب مختلف أمياتهم.

«لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلّا أَمانِيَّ» هي جمع أمنية، وهي البغية الخيالية المتهوسة التيواقع لها حقا، فقد يقرءون الكتاب وهم عن معانيه غافلون، وهنا مسرح الأمنيات الفارغة من عند أنفسهم أو

---

[1].نور الثقلين ١: ٩٢ عن الاحتجاج للطبرسي باسناده الى أبي محمد العسكري عليه‌السلام في الآية: إنّ الأمي منسوب الى الأم، اي هو كما خرج من بطن امه لا يقرء ولا يكتب، لا يعلمون الكتاب المنزل من السماء ولا المتكلم به ولا يميزون بينهما إلا أماني، اي إلّا ان يقرء عليهم ويقال لهم ان هذا كتاب اللّه وكلامه، لا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما هم فيه «وَ إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُّونَ» اي ما يقرأ عليهم رؤاءهم من تكذيب محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم في نبوته ...

المستكبرين المحرفين الكلم عن مواضعه، فهم حضور عند الألفاظ والقراآت، غيّب عن المعاني والمرادات «وَ إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُّونَ»فيما يتمنون من معان،يسندون إلى علم او أثارة من علم إلّا «أَمانِيَّ»لأنفسهم، أم تقاليد جاهلة عمياء.

إذا ف «إِلّا أَمانِيَّ» استثناء منقطع، حيث الأماني أمام الكتاب ليس علما بالكتاب في وجه من الوجوه، فإن الأماني هي من الشيطان: «يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلّا غُرُوراً» فهي- ككل- تخيلات بعيدة عن الواقع الحق وعن حق الواقع، بعيدة عن كتاب اللّه وعن كل شرعة اللّه!.

فالعلم الحجة من شرعة اللّه، هو بين علم عن اجتهاد سليم، ام علم عن تقليد سليم، ثم لا ثالث «إِلّا أَمانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُّونَ».

و لايعني التقليد في شرعة الحق التنازل عن كل عقل وعلم، إنما هو تفتيش عاقل عالم عمن يعقل تماما ويعلم شرعة الحق، عالما عيلما أمينا على دينه، صادرا عن شرعة الوحي الحق، ووارد مورد الحق. فالأمي الطليق الذي يجهل، ويجهل أنه يجهل دونما تقصير، هو من «المستضعفين الذين لايجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم».

و الأمي العارف بأميته وجهله، عليه ان يتعلم، او يتبع خطى من يعلم، دون ترسّل في تقاليد جاهلة عمياء، فهو مستضعف مقصر في تقليده، مسئول عند ربه.

و الأمي الذي هو على درب التعلّم، ولا يقلّد إلا فيما ليس ليعلم، وانما يقلّد من يعلم وهو أمين، انه على سبيل نجاة[1].

ثم الويل كل الويل هو للذين يستجهلون الأميين استحمارا واستثمارا استكبارا في الأرض.

---

[1].في تفسير بيان السعادة ١: ١٠٦ نقل انه قال رجل للصادق عليه‌السلام: فإذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم الى غيره فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلّا كعوامنا يقلدون علماءهم فان لم يجز لأولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم؟

فقال: بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة، اما من حيث استووا فان اللّه قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذم عوامهم، واما من حيث افترقوا فلا، قال: بيّن لي ذلك يا ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم قال عليه‌السلام: ان عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام والرشا وبتغيير الأحكام عن وجهها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وانهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحق من تعصبوا له من اموال غيرهم وظلموهم من أجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم الى أنّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز ان يصدّق على اللّه ولا على الوسائط بين الخلق وبين اللّه فلذلك ذمهم لما قلّدوا من قد عرفوا ومن قد علموا انه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤيه إليهم عمن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في امر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إذ كانت دلائله أوضح من ان تخفى وأشهر من ان لا تظهر لهم وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتطالب على حطام الدنيا وحرامها- وإهلاك من يتعصبون عليه وان كان لإصلاح امره مستحقا، والرفق والبر والإحسان على من تعصبوا له وان كان للإذلال والإهانة مستحقا، فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم اللّه بالتقليد لفسقة فقائهم.

فأما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا على هواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه وذلك لا يكون إلا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإن من يركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئا ولا كرامة لهم.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ ٧٩.

لقد جلسوا مجلس التشريع بإنزال الكتاب، وتبديل بعضه ببعض «لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا» وكل ثمن الدنيا في ذلك الاشتراء قليل، فهم يكتبون الكتاب بأيديهم كما يهوون ثم يقولون للبسطاء الأميين هذا من عند اللّٰه، بغية مكاسب دنيوية مالا ومنالا فوبالا على أية حال.

إن ذلك هو أنحس دركات التحريف، حيث التحريفات المعنوية والألفاظ باقية كماهيه، ليست إلا تخريفات للأميين الجامدين، فأما الذين يتحرون عن حق الوحي والوحي الحق، فهم- بفضل اللّٰه ورحمته- سوف يهتدون الى الحق، متحللين عن تلكم التحريفات المعنوية، بترك هذه التقاليد العمياء.

«فَوَيْلٌ لَهُمْ» أولئك الكاتبين الكتاب بأيديهم «مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ»و«وَيْلٌ لَهُمْ»أولاء أصلاء، وللمنافقين التابعين لهم وسطاء، وللأميين أتباعا «مِمّا يَكْسِبُونَ» من هذه المختلقات الزور!. فقد

«عمدوا إلى التوراة فحرفوا صفة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله- فيما حرّفوا- ليرفعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود»[1].

و ترى ما هو موقف «بأيديهم» ولم يك يكتب الكتاب إلّا بأيديهم، ثم إذا كتب بإملاء أم آلات كاتبة أخرى، فهلّا يندد به إن كان تحريفا وتجديفا.

قد تعني «بأيديهم» كافة القوات والآلات الكاتبة، لا- فقط- الأيدي الجارحة، فلكي يحلّق النهي على كافة المحاولات في تحريف الكتاب، فالأصلح الأصرح الأكفى هو «يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ» حتى تجتث كافة المحاولات بأية قدرة من القدرات لتحريف الكتاب، تلزيقا له بوحي الكتاب، وتعليقا على كتاب الوحي كأنه هو من الوحي.

ثم لمحة أخرى في «بأيديهم» أن كتب الكتاب لم يكن بأيد ربانية ككتاب الوحي، أم نقلا واستنساخا لكتاب الوحي، بل بأيدي أنفسهم، بنفسياتهم وهوساتهم، أيا كانت تلك الأيدي بقواتها، سواء في ذلك الكتابات الخطية إملائية وسواها، أم الكتابات الصوتية أو الصورية، أم كتابات عملية أنهم يعملون أعمالهم الشهوانية، متظاهرين أنها ربانية، ف «الكتاب» قد يشمل كتب التقرير والعمل والبيان أيا كان، كما الأيدي تشمل كافة القوات الكاتبة بآلاتها متصلة ومنفصلة.

وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ إِلّا أَيّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ ما لا تَعْلَمُونَ ٨٠.

أمنية فارغة خارقة لاتستقيم مع عدل اللّٰه، ولا مع ايّ من الأعراف المستقيمة، ولا تتمشى مع التصور الصحيح في حقلي العمل والجزاء، ان يحسبوا أنفسهم ناجين من العذاب العدل والجزاء الوفاق مهما فعلوا وافتعلوا، لالشيء إلّا أنهم من بني إسرائيل!.

كما وإخوانهم المسيحيون قد يحسبون أنفسهم ناجين عن العذاب لالشيء إلّا أنهم يعتقدون في ثالوث الالوهية، وأن ربهم المسيح افتداهم- بصلبه ودخوله الجحيم- عن لعنة الناموس!.

أمنيات جاهلة متجاهلة ميزان العدل الرباني في عباده، يتمسك بها الذين يهوون الحرية الكاملة في

---

[1] .نور الثقلين ١: ٩٣ في المجمع وقيل كتابتهم بأيديهم انهم عمدوا ... وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام.

الشهوات والحيوانات في كل النزوات الطائشة، وهم رغم كل هذهتمسهم النار إلّا أياما معدودة أم ولا تمسهم أصلا، ولن ...

ف «لن» تحيل- في حسبانهم- أن تمسهم النار- وهم يستحقونها خالدين بما كتبوا وكسبوا- «إِلّا أَيّاماً مَعْدُودَةً» في اي عدد وعدد، عدد الأيام التي عبدوا العجل، أم عدد الأيام التي اجترموا ما اجترموه، أم أي عدد في حسبانهم[1].

«قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّهِ عَهْداً» في هذه الأمنية الفارغة البعيدة؟ وطبعا كلّا! فان اتخذتم عند اللّه عهدا «فَلَنْ يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ» فلن تمسكم النار إلّا أياما معدودة «أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» وإنما تتهوسون وتأملون دون أي سناد إلّا اماني وإن أنتم إلّا تظنون.

هؤلاء الأنكاد الأغباش الأبقار اتخذوا عنصريتهم حذرا عن خلود النار، فهم- إذا- أحرار فيما يعملون بما يأملون: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ. أُولئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ. أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ إِلّا أَيّاماً مَعْدُوداتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ»(٣: ٢٤).

و في «لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ إِلّا ...» تلميحة أن النار لاتحرقهم وهم داخلوها أياما معدودة، وإنما تمسهم مسا دون دخول فيها ولا إحراق، وكأن ذلك تنازل منهم في استحقاق العذاب، وإلا فهم شعب اللّه المختار فلا يعذبهم اللّه مهما كفروا وعصوا وكذبوا بآيات اللّه! والجواب كلمة واحدة:

بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ٨١.

«مَنْ كَسَبَ» أيا كانوا من الأمم، ملحدة أم مشركة أم كتابية، هودا أو نصارى أم مسلمين، ف «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً. وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً» (۴: ۱۲۴):

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ٨٢. فالخالدون هنا في طاعة اللّه، هم الخالدون هناك في رحمة اللّه، والخالدون هنا في معصية اللّه، هم الخالدون هناك في نقمة اللّه «وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً».

و لايعني الخلود في النار- رغم ما يزعم- لانهائية المقام في النار، مهما عناها الخلود في الجنة لأنها

---

[1] .الدر المنثور ١: ٨٤- اخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: اجتمعت يهود يوما فخاصموا النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم فقالوا: لن تمسنا النار الا أياما معدودات وسموا أربعين يوما، ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم وأصحابه فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ورد يده على رؤسهم: كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها ان شاء اللّه تعالى أبدا، ففيهم أنزلت هذه الآية، واخرج مثله في العدد ابن جرير عن زيد بن اسلم عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم).

و عن تفسير القمي في الآية قال قال بنو إسرائيل: لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الأيام المعدودات التي عبدنا فيها العجل فرد اللّه عليهم قل يا محمد لهم: أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّهِ عَهْداً ....

حسب القرآن «عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» ولكن النار هي جزاء وفاق، فعلى قدر الكفر والعصيان يكون الخلود في النار، وحتى الآبدين في النار يفنون يوما ما بفناء النار بعد ما ذاقوا وبال أمرهم قدره، وقد فصلنا البحث حول مدى الخلود في النار كرارا وتكرارا.

«كَسَبَ سَيِّئَةً» هو الكسب القاصد العامد المعاند، دون الجاهل القاصر، أو المضطر غير العامد، ثم «وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ»شرط ثان يكمّل أهلية الخلود في النار، وإحاطة الخطيئة التي هي من خلفيات السيئة التي استمرت ولم يتب عنها- حيث الخطيئة وهي الحالة الرديئة المخلّفة عن السيئة البائتة- إنها تعم الخطايا العقائدية والعملية حيث يصبح المسيء خطيئة كله، فلا منفذ- إذا- إلى قلبه أو قالبه من نور، بل أصبح كله نارا، والشيءيحيط بالشيء من جميع جهاته إلّا بعد أن يكون سابغا غير قالص، وزائدا غير ناقص! «فَأُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ».

ثم يقابلهم «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ»فلا يرون نارا ولا تمسهم النار.

و من ثم بينهما عوان، لأنه أحاطت به خطيئة، ولا أحاطت به طاعته، فهم- إذا- عوان بين الجنة والنار، وحين يبقى لهم- عند موتهم- إيمان وعمل الإيمان، فآخر مصيرهم الجنة.

أ ترى «سيئة» هنا تعني أية سيئة وإن كانت صغيرة؟ والصغيرة تكفّر بترك الكبيرة: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً» (۴: ۳۱)

ثم والكبيرة يعفى عنها بالتوبة، أم وأخيرا بالشفاعة، فأين- إذا- أحاطت به خطيئته، واين خلود النار؟ الشوط القريب في هذه السفرة النكدة يعني من السيئة أمثال الشرك بالله والتكذيب بآيات الله، وتحريف كتاب الله[1]، فمن ثمّ «أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ»التي هي من خلفيات تلك السيآت العظيمة! وقد يعبر عن هذه الحيطة الخليفة ب «السيآت»: «وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ» (۱۰: ۲۷) خلودا بخلود وعلى قدره وأثره، حيث أغشيت كل وجوههم الظاهرة والباطنة بظلمات السيآت: «فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ»(۲۸: ۸۴).

ثم أشواط أخرى في سيئات أخرى مهما كانت صغيرة، حيث الإصرار فيها دون توبة يجر أصحابها إلى سيئات كبرى حتى ينتهي المسيء إلى تلكم السيآت الكبيرة التي تخلّف إحاطة الخطيئة، سدا لمنافذ النور والتوبة.

فعلى أية حال ليست كل سيئة بالتي تخلّد في النار، إنما هي التي تخلّف إحاطة الخطيئة، فيموت صاحبها محاطا بالخطيئة عقائديا وعمليا، فطبعا «أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ».

ثم وفي «كَسَبَ سَيِّئَةً» دون «عمل- أو- اقترف» أمّا شابه، تلميحة إلى حالة اقترافها، أنها اجتراح لها بالتذاذ واستساغة كأنها من مكاسب الحياة، فلو كانت كريهة في قياسه لما اجترحها متحمسا حريصا، ثم وما تركها تحيط به خطيئة، فكان يأتيها كارها أو مكرها أم غافلا ثم يتوب عنها، ويلوذ إلى كنف

---

[1]. نور الثقلين ۱: ۹۳ في التوحيد بسند متصل عن ابن أبي عمير قال سمعت موسى بن جعفر عليهماالسلام يقول: لا يخلد اللّه في النار الا اهل الكفر والجحود واهل الضلال والشرك.

غيرها، فهو- إذا- يتخلص عن تبعتها، وهي إحاطة الخطيئة به، حيث لم تغلق عليه منافذ التوبة.
فذلك هو التعبير الصحيح الفصيح عن حالة المسيء في هذه السيئة، كما «وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» تفسرها، لمحتان اثنتان تخرجان سائر السيآت- صغيرة وكبيرة- عن هذه السيئة، التي تخلف إحاطة الخطيئة «وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ»!
]سورة البقرة : الآيات ٣٩ الى ٨٣]
وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (٨٦) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ(٨٧) وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَ لَمَّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ (٩٠) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (٩٢) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)
هنا عرض لعشرة كاملة من المواثيق أمرا ونهيا، التي نقضوها كلها وهم يعتبرونها من النواميس الأحكامية الأصيلة في الشرعة التوراتية، ثم عرض آخر لإرسال الرسل إليهم تترى، استكبارا أمام من لاتهواه أنفسهم تكذيبا لهم وقتلا، وتكذيبا- في النهاية- بالقرآن وهم عرفوه من قبل استفتاحا- بمستقبل نزوله- على المشركين، بحجة اختصاص إيمانهم بما نزل عليهم فقط وقد كفروا به وقتلوا أنبياءهم من قبل، كما اتخذوا العجل أمام موسى.
وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ٨٣. ميثاق في شرعة التوراة عليهم، مذكور فيها بصيغة «الناموس»وتذكر هنا بنود الميثاق تقديما للأهم فالأهم:
١ (لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» أمر بصيغة الإخبار، تأكيدا أكيدا على تطبيقه وكأنه واقع قبله، مما يوحي ألّا بديل عنه ولا عذر في تركه، فكما الله واقع لامرد له، كذلك عبادة الله واقعهمرد لها، مزوّدة بحكم

الفطرة والعقل وكلّ الأعراف المصدّقة بوجود اللّه.
٢ (وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» دون «تحسنون بالوالدين» تنازلا عن أكيد الأمر الى مرحلة ثانية، كما والإحسان بالوالدين ليس فرضه إلّا بعد فرض عبادة اللّه، وليس- فقط- أن تحرم الإساءة إليهما، بل الفرض هنا واجب الإحسان بهما في كافة الاتصالات والانفصالات الحيوية، روحية ومادية.
٣- ٥ (وَ ذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ» مرحلة ثالثة من الفرض على اختلاف مراتب هذه الثلاث، فالإحسان بهؤاء يأتي في ظل الإحسان بالوالدين، لتأخره عنه، ودمجهم في «إحسانا» في الوالدين، وكما الإحسان بالوالدين كان مدمجا في ظل عبادة اللّه، وكل هذه من فروع عبادة اللّه.
ثم و«ذي القربى» في نفسها درجات «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ» وكذلك اليتامى والمساكين، الأيتم منهم والأسوء حالا ومسكنة.
فالأقرب الأيتم الأسكن، هو أوجب ممن سواه، وعلى هذا القياس دونما فوضى جزاف.
٦ (وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً» مرحلة سادسة من واجب الحسن والإحسان تجاه الخالق والخلق، فانه «يعني الناس كلهم»[١] ف «قولوا» تفرض حسن العشرة العملية بالأولوية القطعية، وليس «قولوا» هنا إلّا بيانا لأقل الواجب تجاه الناس، و«حسنا»دون «حسنا»تفرض خالص الإحسان وكأنه تجسّد للحسن، مبالغة بليغة في الحد المفروض من حسن العشرة قولية وعملية مع الناس، كضابطة ضابطة كلّ التخلفات الخلقية في عشرة الناس كل الناس «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»ف «جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها»: «ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»- «وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ».
فالضابطة السارية الجارية كأصل أوّلي في عشرة الناس هي الحسن، بل ومعاقبة الظالمين أيضا حسن بالناس، بل وحسن بالظالمين أيضا لكي يرتدعوا، أم ينتهوا شاءوا أم أبوا، ولكي يخفف عنهم يوم الحساب!.
ف «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم»[٢] «و لاتقولوا إلّا خيرا حتى تعلموا ما هو»[٣] ف «اتقوا اللّه ولا تحملوا الناس على أكتافكم ...»[٤]. أجل «للناس كلهم مؤنهم ومخالفهم، أما المؤنون فيبسط لهم وجهه، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان فان ييأس من ذلك يكف شرورهم عن

[١].الدر المنثور ١: ٨٥- اخرج البيهقي في شعب الايمان عن علي بن أبي طالب عليه‌السلام في الآية: ...

[٢].نور الثقلين ١: ٩٤ في اصول الكافي باسناده الى جابر بن زيد عن أبي جعفر عليهما‌السلام في الآية ...

[٣].فيه باسناده الى معاوية بن عمار عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام في الآية ...

[٤].في تفسير العياشي عن عبد اللّه بن سنان عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال سمعته يقول: ان اللّه يقول في كتابه: وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً.

نفسه وعن إخوانهم ...»[1] ف «لا تدع النصيحة في كل حال»[2].
فالمؤن حسن ومحسن أيا كان وأيان، يصلح ولا يفسد في كل مجالات العشرة الحيوية، فكل قوله «حسن» وكل فعله «حسن» وكل نيته وعقيدته حسنة، فهو في نفسه جنة لاتبوء إلى نار حتى يلاقي ربه في دار القرار.
ثم حسن القول يعم الدعوة الحسنى، والأمر والنهي بالحسنى، وسائر العشرة القولية بالحسنى، ولكي يخلق المؤن حسن الحب بحسن القول للناس وحسن المعاملة والعشرة معهم.
٧ و٨ (وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ ...» هنا إقام الصلاة عبارة أخرى عن «لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» بأفضل مصاديقها وقد تعني إقام الصلاة فيما عنت إقام الصلوة على محمد وآله، وهي من إتمام الصلاة[3]. كما وإيتاء الزكوة عبارة أخرى عن كل مراحل الإحسان روحيا وماديا، حيث الزكوة تعم زكوة الأرواح الأحوال إلى زكوة الأبدان والأموال «و هي زكوة المال والجاه وقوة البدن»[4].
ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ٨٣.
«توليتم» عن كل هذه الثمان أم بعضها «إِلّا قَلِيلًا مِنْكُمْ» إذ أقبلوا إليها «و أنتم»المتولون «معرضون».
وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ .٨۴
٩- ١٠ هنا تكملة للعشرة ناموسا أحكاميا للشريعة، حرمة الدماء والأموال: «لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ» لأن سفك دم أخيك هو سفك لدمك نفسك، فإن نفسه نفسك ونفسك نفسه، فكما يحرم عليك سفك

---

[1].تفسير البرهان ١: ١٢٢ عن الأمام العسكري عليه‌السلام قال قال الصادق عليه‌السلام وقولوا للناس حسنا، قال: ... ثم قال: ان مداراة اعداء اللّه من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه، كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم في منزله، إذن استأذن عليه عبد اللّه بن أبي سلول فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): بئس أخو العشيرة ائذنوا له، فلما دخل أجلسه وبشر في وجهه فلما خرج قالت عائشة يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): قلت فيه ما قلت وفعلت فيه من البشر ما فعلت؟ فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يا عويش يا حميراء ان شر الناس عند اللّه يوم القيامة من يكرم اتقاء شره.

[2].نور الثقلين عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه‌السلام: قال اللّه: وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً.

[3].تفسير بيان السعادة ١: ١١١ قد فسر في الخبر اقامة الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها وحفظ مواقيتها وأداء حقوقها التي إذا لم تؤّ لم يتقبلها رب الخلائق، و(قال عليه‌السلام أ تدرون ما تلك الحقوق؟ هو اتباعها بالصلاة على محمد وعلي وآلهما صلوات اللّه عليهم منطويا على الاعتقاد بأنهم أفضل خيرة اللّه والقوّام بحقوق اللّه والنصّار لدين اللّه تعالى.
قال عليه‌السلام: وأقيموا الصلاة على محمد وآله عند احوال غضبكم ورضاكم وشدتكم ورخاكم وهمومكم المعلقة بقلوبكم.

[4].تفسير البرهان ١: ١٢٢ عن تفسير الامام العسكري عليه‌السلام قال: وآتوا الزكاة من المال والجاه وقوة البدن، فمن الحال مواسات إخوانك المؤنين، ومن الجاه إيصالهم الى ما يتقاعسون عنه لضعفهم عن حوائجهم المترددة في صدورهم، وبالقوة معونة أخ لك قد سقط حماره او حمله في صحراء او طريق وهو يستغيث ولا يغاث من يعينه حتى يحمل عليه متاعه وتركبه وتنهضه حتى يلحق القافلة وأنت في ذلك كله معتقد لموالات محمد وآله الطيبين وان اللّه يزكي أعمالك ويضاعفها بموالاتك لهم وبرائتك من أعدائهم.

دمك، كذلك نفس محرمة أخرى غير مهدورة الدم، لايحل سفكه، وكذلك إخراج أنفسكم من ديـاركم بنفس النمط، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه.
ثم في واجهة أخرى إن قتل نفس الغير وإخراجها من ديارها يخلف نفس القتـل والإخـراج لأنفسـكم قصاصا وجزاء، ف «لا تقتلون ولا تخرجون» لها أبعاد ثلاثة كلها منهية مهما اختلفت.
تلك عشرة كاملة تولوا عنها وهم معرضون:
ثُمَّ أَنْتُمْ هؤلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَـيْكُمْ إِخْـراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُـونَ بِـبَعْضِ الْكِتـابِ وَ تَكْفُـرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلّا خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ ٨٥.
«أنتم» لحاضر الخطاب و«هؤاء» لغائبه، فكيف يجتمعان والحضور في الخطاب هنا هم الغيب؟
قد يعني «أنتم» شعب إسرائيل المتمثـل في الحـاضرين زمـن الخطـاب، وهـؤاء هـم السـابقون مـنهم القاتلون أنفسهم والمخرجـون، دمجـا للحضـور في الغيـب لأنهـم نفـس الـنمط، ولهـم نفـس الخلـق مأخوذين بنفس المأخذ، لأنهم سلسلة موصولة فيما كـانوا يفتعلـون، ولا أقـل أنهـم كـانوا بمـا فعلـوا راضين، والراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم.
أم إن «هؤاء» هنا كمنادى تكرار منبّها لهؤاء الحماقي أم كإشارة إليهم تأكيدا لصدور الجريمة منهم.
و الآية تتحدث عن واقع قريب العهد، قبيل غلبة الإسلام على قبيلي الأوس والخزرج، فقد كانوا كلهم مشركين، ويهود المدينة هم- وقتئذ- أحياء ثلاثة، مرتبطة بعهود، كلّ مع كلّ من حيـي الشرـك، فبنـوا قينقاع وبنو النضير هما حلفاء الخزرج، وبنو قريظة هـم حلفـاء الأوس، فكانـت الحـرب إذا نشـبت بينهم قاتل كل فريق من اليهـود مـع حلفـاءه المشركين ضـد آخـرين ومعهـم يهـود آخـرون، فيقتـل اليهودي مثله كما يقتل المشرك دونما تمييز تمسكا بالأحلاف، وتناسيا لحلف الله وميثاقه الذي واثقهم به.
كما وكانوا يخرجون فريقا منهم من ديارهم إذا غلـب فـريقهم، نهبـا لأمـوالهم وسـبيا لفريـق مـنهم حلفاء مع عدوهم «تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ» كما تتظاهرون على خلطاءهم المشركين، وهذا خلاف نص الميثاق في ناموس التوراة.
و من ثم «وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ» دافعين الفدية عنهم حتى تستلموهم وتحرروهم، وفقا لنص آخر من التوراة «وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ» فكيف الجمع بين قتالهم وقتلهم وإخراجهم وأسرهم، وبين مفاداتهم «أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ»فتفادونهم «وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ»فتقـاتلونهم وتخرجـونهم مـن ديارهم وتأسرونهم؟.
و «هو» هنا إمّا ضمير شأن، أو مبتدء مبهم مفسّر ب «محرمّ» والجملة الخبرية خبرها.
«فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ» النقض لشرعة الميثاق التوراتي «مِنْكُمْ إِلّا خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» أن تقاتلوهم إخوانكم لصالح أعداءكم المشركين «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ» لأن ذلك من أشد العصيان لشرعة الله «وَ مَا اللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ»خلاف ما أنتم تزعمون. ولكي يلفت أنظار المسلمين إلى أهمية ذلك المحظور، دون اختصاص باليهود، يخاطبهم:
أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ ٨٦.

إعلان صارخ في هذه الإذاعة القرآنية يحذر المسلمين عن مثل ما افتعله اليهود، كيلا يحارب بعضهم بعضا لصالح الكافرين.

خطة تقليدية لعينة إسرائيلية في إمساك عصيهم من أوساطها، انضماما إلى المعسكرات المتطاحنة كلها حيطة على مصالحهم المادية ومغانمهم على أية حال، نقضا لميثاق اللّه الذي واثقهم به، وتحكيما لميثاقهم مع أعداء اللّه، مصلحة وقائية وقتية، تجعل شرعتهم على هامشها، أم رفضا لها عجالة حتى يربحوا المسرح، اشتراء للحياة الدنيا بالآخرة!.

و ترى الآخرة كانت مملوكة لهم حتى يشتروا بها الدنيا فهم مالكوها؟ وذلك بيع مايملك!.

لكلّ من المكلفين نصيب مقدّر من نعيم الآخرة إن عمل لها، فالذي لايعمل لها كأنه باعها حيث بطل على نفسه استبدالا بها نعيم الدنيا، و«الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ».

«فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ» في تجارتهم الخاسرة من خسارهم «وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ»إذ لا ناصر يومئذ إلّا اللّه وليس بمخفف العذاب.

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ ٨٧.

ية التقفية هذه نراها يستدل بها عند المبشرين المسيحيين على أن المسيح خاتم النبيين، يقول قائل منهم: في القرآن كله، في النصوص كلها التي يرد فيها ذكر المسيح، ظاهرتان: الأولى: يقفي القرآن على كل الرسل بالمسيح، ولا يقفي على المسيح بأحد (٢: ٨٧) يعني هذه، و(٥: ۴۶) (٥٧: ٢٧).

الثانية: المسيح نفسه في ما ذكر القرآن عنه لايبشر بأحد من بعده على الإطلاق إلّا في بعض تلك الآية اليتيمة: «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» وهذا يجعل تعارضا ما بين الموقف المتواتر والموقف الشاذ اليتيم فيه، والعقيدة في كتاب منزل تؤذ من المحكم فيه لامن المتشابه[1].

يستدل بآيات التقفية- الثلاث- على أن المسيح هو خاتم النبيين، فالثانية «وَ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» (۴۶).

و الثالثة: «ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ ...»(٢٧).

و لكن آية البقرة تؤي موسى الكتاب ثم تقفّي من بعده بالرسل، فلو كان المعني منهم كل الرسل لخرج المسيح عليه‌السلام ايضا عن جماعة الرسل، فهم- إذا- معظم الرسل الإسرائيليين، وقد قفى من بعدهم بالمسيح وهو خاتم الرسل الإسرائيلين، وليست هذه التقفية الإسرائيلية إلّا توطئة لبيان انتقال الرسالة إلى رسول غير إسرائيلي «... وَ لَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ» (٩٠)! فقد تلعن- بين الملعونين- القائلين أن المسيح هو خاتم المرسلين على الإطلاق، ناكرين رسالة القرآن العظيم! كما وأن آية المائدة أيضا لاتقفّي بالمسيح إلّا على الرسل الإسرائيليين:

«إِنّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ... وَ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ

[1] .ذكره الحداد البيروتي في كتابه مدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي ص ٣٦٤ ...

مَرْيَمَ ...» مما يبرهن ان المسيح عليه‌السلام هو آخر الرسل الإسرائيليين التابعين لشرعة التوراة، ثم «لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيهِ ... وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»(۴۸)! وكذلك آية الحديد، فإنها لاتقفي بالمسيح إلّا الرسل الذين ذكروا قبله، لاكل الرسل، «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ ... ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...» ثم يقفي بهذا الرسول خاتما لكل الرسالات: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ ...»[1].

فتراهم- هؤلاء البعيدين عن علم الكتاب- كيف يستندون بآيات الرسالة الختمية المحمدية على نكران رسالته عن بكرتها، ولا يفصحون إلّا أنفسهم لو كانوا يشعرون!(۳۸).

ثم التقفية بالرسول أم برسول تعني تأييد كل لاحق من الرسل سابقه، وبيان ما حرّف بأيدي الدس والتحريف، فليست لتعني الختم في الرسالة على أية حال، فالرسالات الإلهية هي سلسلة موصولة طول التاريخ الرسالي، ف «لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»! لقد أتاهم رسلهم تترى تلو بعض ولصق بعض، كلّهم رسل التوراة، داعين إليه، وآخرهم عيسى بن مريم المزوّد بالبينات، المؤد بروح القدس، ولكنهم كفروا وكذبوا: «أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ» على هؤاء الرسل «فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ».

هذه صنيعتهم برسلهم في ماضيهم النّحس النّجس، فما ذا يرجى من حاضرهم أمام نبيّ إسماعيلي؟!.

و إذا كانت رسالات إسرائيلية لاتمشي على أهواءهم فهم بها يكفرون رغم توافق العنصرية، فما ذا يرجى منهم أمام رسالة غير إسرائيلية لاتوافق هذه العنصرية.

«وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» علّه روح القدس الرسالي ككل وهو مثلث الوحي والعصمة الرسالية وملك الوحي، وهذه الثلاث لايصيبها ما يصيب سائر الأرواح الإنسانية[2].

وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ ۸۸.

---

[1].راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية ۱۶۲- ۱۷۷.

[2].نور الثقلين ۱: ۹۸ في أصول الكافي باسناده الى المنخل عن جابر عن أبي جعفر عليهماالسلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الايمان و روح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا، تحت العرش الى ما تحت الثرى، ثم قال يا جابر! إن هذه الأربعة الأرواح يصيبها الحدثان الا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب.

وبإسناده إلى محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: سألته عن عم الامام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته مرضى عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن اللّه تبارك وتعالى جعل في النبي خمسة أرواح روح الحيوة فبه رب ودرج، وروح القوة في نهض وجاهه، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الايمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الامام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ولا يلعب، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو وروح القدس كان يرى به.

«غلف» هي جميع أغلف أو غلاف، وهو الذي في غلاف مبالغة، أو كالمتعود من غلاف السيف، فهل يعنون بغلف قلوبهم أنها «فِي أَكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ»لاتنفذ إليها دعوة جديدة غير إسرائيلية: «وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ» (۴۱: ۵).

فهي- إذا- غلف بطبيعة الحال عما تدعونا إليه، فما هو ذنبنا وقد خلقنا غلف القلوب، والجواب كلمة واحدة: «بَلْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ»- «فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ»- «وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً»(۶: ۲۵).

فليست هي غلفا بما خلق اللّه، بل «فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنّاهُمْ وَ جَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً» (۵: ۱۳).

أم يعنون أنها غنية عن أية شرعة غير إسرائيلية، فهي مغلفة عن غيرها، غنية بها، مليئة منها، ومن ثم «أنها أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثم هي معذلك لاتعرف لك يا محمد فضلا مذكورا في شيء من كتب اللّه ولا على لسان أحد من أنبياء اللّه»[1].

قد يعنون ذلك الثالوث من غلف القلوب، وردا عليهم فيها كلمة واحدة: «بَلْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ» قلوب لعينة مقلوبة عن الخير بكفرهم، امتناعا لقبول الحق بالاختيار!.

و لأن اللّه لعنهم بكفرهم «فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ» قليلا منهم، وقليلا من الإيمان، والقلتان معنيتان، فإنهما من خلفيات لعنهم بكفرهم، فقليلا منهم يتخلصون عن كفرهم، وقليلا يؤنون حين يتخلصون.

ويروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله «القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغفل مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مفصح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤن سراجه فيه وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المفصح فقلب فيه ايمان ونفاق، ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فاي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»[2].

لقد قالوا قولتهم الهارفة الخارقة هذه تئيسا لمحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله وتعليلا لعدم إجابتهم له:

وَ لَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ ۸۹.

هنا «مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ» لاتصدق كلّ ما معهم، فإنه دخيل من كل تحريف وتجديف، إذا فهو الذي

---

[1].تفسير الامام الحسن العسكري قال عليه‌السلام في تفسير الآية ... ومثله في الدر المنثور عن ابن عباس.

[2].الدر المنثور ۱: ۸۷- اخرج احمد بسند جيد عن أبي سعيد قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم: ... وفيه- اخرج ابن أبي شيبة في كتاب الايمان والبيهقي في شعب الايمان عن علي رضي اللّه عنه قال: ان الايمان يبدو لحظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الايمان ابيض القلب كله، وان النفاق لحظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظما ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله وايم اللّه لو شققتم على قلب مؤن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود».

أقول: يعني منه قلب الروح و«لو» المحيلة لذلك الشق يؤده ولا استحالة في شق قلب الجسم.

كانوا يستفتحون به على الذين كفروا من بشارات هذه الرسالة السامية القرآنية[1].
ثم وفي وجه آخر لما معهم، هو وحي التوراة خالصا عما يشوبه، حيث القرآن يصدق كل كتابات الوحي، ويزيف كل دخيل فيها لأنه مهيمن عليها:
«وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ. وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ ...»(۵: ۴۸).
و الاستفتاح هنا هو طلب الفتح على المشركين، كقولهم فيما يروى «اللّهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم»[2] أو وطلب الفتح منهم أن يخبروهم هل ولد من وصفته التوراة؟ ولكنه لايصلح إلّا ضمن المعني من الاستفتاح عليهم لأنه طلب الفتح منهم لاعليهم!.
لقد كانوا يستفتحون ببشارة القرآن في توراتهم، على المشركين، كمصلحة وقتية «فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا» من ذلك الفتح الرسالي «كَفَرُوا بِهِ»مصلحية الحفاظ على الشرعة العنصرية «فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكافِرِينَ».
بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ ۹۰.
فالإنسان- أيا كان- يعادل نفسه بثمن ما قليلا أو كثيرا، وأما أن يعادلها بالكفر بآيات اللّٰه، فتلك هي أبخس الصفقات وأنحسها، وذلك واقع إسرائيلي أن اشتروا أنفسهم بالكفر، بغيا وحسدا من عند أنفسهم أن ينزل اللّٰه من فضله على من يشاء من عباده، كفرا بما عرفوه في استفتاحهم، وبما حسدوا صاحب هذه الرسالة الأخيرة «فَباؤ» رجوعا عن ذلك المتجر الخاسر الحاسر «بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ»لبعدي الكفر بالتوراة وبالقرآن «وَ لِلْكافِرِينَ» المغضوب عليهم «عَذابٌ مُهِينٌ» كما أهانوا رسالة اللّٰه. وإليكم إشارات من بشارات الفتح التي كانوا بها يستفتحون، ففي كتاب حبقوق النبي (۳: ۳- ۶) في الأصل

---

[1].تفسير البرهان ۱: ۱۲۶ قال الامام العسكري عليه‌السلام ذم اللّه اليهود فقال: «وَ لَمّا جاءَهُمْ» يعني هؤلاء اليهود الذين تقدم ذكرهم وإخوانهم من اليهود جائهم «كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ» القرآن «مصدق»ذلك الكتاب «لِما مَعَهُمْ» من التوراة التي يبين فيها ان محمدا الامي من ولد إسماعيل...

[2].الدر المنثور ۱: ۸۸- اخرج ابو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال:
كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل ان يبعث محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم يستفتحون اللّه يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللهم ... فلما جاءهم ما عرفوا- يريد محمدا ولم يشكوا فيه- كفروا به.من طريق أصحابنا في نور الثقلين أخرجه بأسانيد وأخصرها متنا ما رواه القمي عن إسحاق بن عمار قال سألت أبا عبد اللّه عليه‌السلام في الآية قال: كان قوم فيما بين محمد وعيسى صلوات اللّه عليهما، وكانوا يتوعدون اهل الأصنام بالنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ويقولون ليخرجن نبي فليكسرنّ أصنامكم وليفعلن بكم وليفعلن، فلما خرج رسول اللّه (صلى اللّه - عليه وآله وسلم) كفروا به. وفيه عن روضة الكافي عنه عليه‌السلام يقول فيه بعد تفصيل للقصة وكانت اليهود تقول لهم- المشركين القاطنين بالمدينة- اما لو قد بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعث اللّه محمدا (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) آمنت به الأنصار- وهم وقتئذ من المشركين- وكفرت به اليهود وهو قول اللّه عز وجل وَ كانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ... وفي تفسير الامام العسكري عليه‌السلام ... وكان اللّه عز وجل امر اليهود في ايام موسى وبعده إذا دهمهم أمر او دهتهم داهية ان يدعو اللّه عز وجل بمحمد وآله الطيبين وان يستنصروا بهم وكانوا يفعلون ذلك، حتى كانت اليهود من اهل المدينة قبل ظهور محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بسنين كثيرة يفعلون ذلك فيكفون البلاءالدهماء والداهية.

العبراني:
«إلوه متيماه يا بوء وقادوش مهر پاران سلاه كيثاه شاميم هودو ويتهلاتو مالآيه ها ارص ٣ ونغه كاأور تهيه قرنيم ميادو لو شام حبيون عوزه ۴ لفاناي يلخ دابر ويسيء رشف لرجلايو ۵ عامد ويمودد أرص رآه ويتر غويم ويت تصصو هر ري عد شحو جبعوت عولام هليخوت عولام لو ۶).
«الله من تيمان يأتي والقدوس من جبل پاران: حرى- فأراني (يأتي) مع الأبد. غطى جلاله السماوات وامتلأت الأرض من تسبيحه ٣ شعاعه كالشمس وشع من يمينه النور وهناك استتار قوته ۴ قدام وجهه يسير الوباء، وأمام قدميه تبرز حمى ملهبة ۵ وقف ومسح الأرض، نظر وأذاب الأمم، وتبددت الجبال القديمة وخسفت وانحنت إكام وأتلال القدم، مسالك الأزال له ۶).
و في الأصل العبراني (تث ٣٣: ١- ٢) من التوراة:
«و زئت هبراخاه أشر برخ موشه إيش ها إلوهيم ات بني يسرائيل لفني موتوا ١ ويومر يهواه مسيني باو زارح مسعير لامو هو فيع مهر فاران وآتاه مر ببت قدش مى مينو اش دات لامو ٢).
«و هذه بركة باركها موسى رجل الله بني إسرائيل عند موته ١ وقال: الله من سيناء جاء، تجلى من ساعير، تلعلع من فاران، وورد مع آلاف المقدسين، من يمينه ظهرت الشريعة النارية ٢).
هنا يبشر الله بلسان موسى عليه‌السلام بتجليات ربانية ثلاث، فموسى «من سيناء»والمسيح «من ساعير» ومحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله «من فاران» تعبيرا عن الكل بالماضي تثبيتا لتحقق وقوعها، تزويدا لمحمد المتجلي من فاران أنه ورد مع آلاف المقدسين،
ن يمينه ظهرت الشريعة النار وهي شريعة الجهاد.
و في سالفة لها تختصر البشارة بآيتين «من تيمان» وهو مبعث المسيح فانه ساعير جنوبي القدس، ومن فاران وهو مبعث محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله ثم تصفه بشرعته ما تصف، بهيمنة وشوكة وأبدية ...[1].
هكذا كانوا يستفتحون به على الذين كفروا وهم يعرفونه «فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنْزَلَ اللّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فَباؤ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ».
وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٩١.
«نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا» جوابا عن «آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللّهُ» قسمة ضيزى في الإيمان بما أنزل الله، قضية العنصرية الحمقاء فيهم، ف «يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ»أيا كان النازل وعلى أيّ كان، ما لم يكن نازلا على إسرائيل! «و هو» «ما أنزل الله» الخالص الناصع دون خليط ولا تبدّل حتى آخر زمن التكليف، فمهما كان النازل عليهم حقا في أصله فهو حقّ وليس «هو الحق» كلّه، وهذا «هو الحق»كلّه هنا لكونه «مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ» فيما كانوا به يستفتحون.
و حتى لو أنكم تؤنون بما أنزل إليكم «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللّهِ مِنْ قَبْلُ»وهم منكم «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بخصوص الوحي النازل على الرسل الإسرائيليين؟! وهنا «فَلِمَ تَقْتُلُونَ»خطاب الحال للحضور في تلك

[1] .راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية ٤٤- ٥٣.

الحال بصيغة الحال والاستقبال، مما يحمل عليهم قتل الأنبياء حالا واستقبالا، و«من قبل» توجها الى الماضي، هما مما يؤدان طبيعة القتل فيهم حاضرهم وغابرهم، سلسلة موصولة طول التاريخ الإسرائيلي، فلو كان زمن خطابهم نبيّ أو أنبياء لقتلوهم، كما قتل أسلافهم، ولقد قتلوا- في حسبانهم- الرسالة المحمدية بنكران بشاراته وتكذيبه!.

وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ ٩٢.

و هل إن اتخاذكم العجل من بعده: بعد أن جاءكم بالبينات، وبعد ما غاب عنكم فترة قصيرة إلى الطور[1]، هل إن ذلك ايضا مما أنزل إليكم فهو من وحي الايمان والايمان بالوحي!.

لقد كفرتم بما أنزل إليكم في وحي التوراة، ثم ما أنزل في وحي الإنجيل وهما الركنان الركينان من الوحي الإسرائيلي، ثم أنتم تكفرون بوحي القرآن وقد كنتم تستفتحون به على المشركين، فما دائكم وما دوائكم! «وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ» موسى وشرعته، فظالمون الحقّ النازل من عند اللّه، وظالمون أنفسكم!.

ذلك وإلى مرات ومرات من التمردات والتنمردات عن شرعة الحق النازلة عليكم: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٩٣.

«... بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (٦٣) ثم توليتم من بعد ذلك ... (٦٤) (وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثاقِهِمْ وَ قُلْنا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً ...»(٤:١٥٤).

قصة واحدة تأتي في مجالات عدة بمختلف الألفاظ الجانبية والأصل واحد، وهنا الجواب الفصل عن «خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ»- واسمعوا:

«قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا» والعصيان بعد حجة السمع هو أجرء عصيان.

ثم «وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ» وكيف يشرب العجل في القلوب؟ ولا يشرب العجل بل يوكل! وليس الشارب هو القلوب!.

إنها مبالغة بليغة في حب العجل، فكأنها تشربت حبّه فمازجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ، ولأن القلوب هي أعماق الكيان الإنساني، فإشرابهم حب العجل في قلوبهم كناية عن أن حبه تعرق وتعمق في كل كيانهم.

و ما ألطفها رواية- إن صحت- أن «عمد موسى فبرد العجل- قطعا بالمبرد- من أنفه إلى طرف ذنبه ثم أحرقه بالنار فزرّه في اليمّ، وكان أحدهم يقع في الماء وما به إليه من حاجة، فيتعرض لذلك الرماد فيشربه ...»[2].

---

[1].تفسير البرهان ١: ١٣٠ قال الامام العسكري عليه‌السلام قال اللّه عز وجل لليهود الذين تقدم ذكرهم وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ الدالات على نبوته وعلى ما وصف من فضل محمد صلّى اللّه عليه وآله‌سلم وشرفه على الخلائق ... ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إلها مِنْ بَعْدِهِ بعد انطلاقه الى الجبل وخالفتم خليفته الذي نص عليه وتركه عليكم وهو هارون وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ كافرون بما فعلتم من ذلك.

[2].نور الثقلين ١: ١٠٢ عن تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليهما‌السلام في الآية: ... وهو قول اللّه: وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ.

فقد أشربوا العجل في قلوب أرواحهم وقلوب أجسادهم لكثرة حبهم له، فكما أن شرب الماء كسب لاستمرارية الحياة، كذلك هؤاء الأباقرة ركزوا حياتهم على حب المادة وعبادتها، المتمثلة في حب العجل وعبادته، وما أمرهم أن يذبحوا بقرة- ولا سيما تلك الثمينة الغالية- إلّا أمرا بذبح ما كانوا يحبون ويعبدون، وكما أمروا بقتل أنفسهم بعد هذه العبادة القاحلة.

و تراهم من أشربهم في قلوبهم العجل؟ إنه طبيعتهم المنجذبة الى المحسوسات، ثم هو السامري الذي استغل فيهم هذه الجاذبية، ثم اللّه لم يردعهم تكوينا وتسييرا حيث الدار دار الإختيار.

و قد يعني «وَ أُشْرِبُوا ...»- فيما تعني- أنهم أمروا أن يشربوا من ماءه ليتبين العابد له عن سواه[1] ولكنه لايصلح إلّا ضمن المعني مما تعني، وقد تعني ثالوث الشرب، في قلوب أرواحهم، ثم الأجساد، من عند أنفسهم أم بما أمروا، والنص يصلح لها كلها بكفرهم.

«قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ» أن تكفروا بما أنزل اللّه، وبهذه الرسالة الاخيرة «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» فهو ايمان بئيس نحيس وليس ايمانا باللّه! وترى الايمان يأمر أو ينهى حتى يصح هنا «بئسما»؟ الأمر هو الدافع كما النهي هو المانع، وهما أصل الأمر والنهي قوليا أم واقعيا، فلا امر ولا نهي تكوينيا او تشريعيا إلّا بدافع أو مانع، أم هما بدافع كتعبير أصح وأعمق.

قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٩٤) وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ (٩٥) وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلى حَياةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ (٩٨) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ ما يَكْفُرُ بِها إِلاَّ الْفاسِقُونَ (٩٩) أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَ لَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)

---

[1].تفسير البرهان ١: ١٣٠ قال الامام العسكري عليه‌السلام ... في الآية: عرضوا بشرب العجل الذي عبدوه حتى وصل، ما شربوه ذلك الى قلوبهم، وقال: ان بني إسرائيل لما رجع إليهم موسى وقد عبدوا العجل تلقوه بالرجوع عن ذلك فقال لهم موسى من الذي عبده منكم حتى انفذ فيه حكم اللّه خافوا من حكم اللّه الذي ينفذه فيهم فجحدوا ان يكونوا عبدوه وجعل كل واحد منهم يقول: انا لم اعبده وانما عبده غيري ووشى بعضهم ببعض فذلك ما حكى اللّه عن موسى من قوله للسامري وَ انْظُرْ إِلى إِلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً فأمره اللّه فبرده بالمبارد وأخذ سجالته فذرها في البحر العذب ثم قال لهم: «اشربوا منه فشربوا فكل من كان عبده اسود شفتاه وانفه فمن كان لم يعبده ابيض شفتاه وانفه فعند ذلك انفذ فيه حكم الله».

قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ۹۴. فلأن اليهود زعموا أنفسهم شعب اللّه المختار وأبناءه: «وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى» (۲: ۱۱۱) دعوى خاوية خالية عن أي برهان، لذلك يختصون بأنفسهم الدار الآخرة، ولكن البراهين تترى على بطلانها ومنها «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» في دعواكم، نقلة من هذه الحياة الظالمة المظلمة، الضيقة الكدرة، إلى دار لقاء اللّه: «قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»(۶۲: ۶).

أ ترى أن تمني الموت هو من قضايا الايمان الخالص والدار الخالصة للموت من عند اللّه؟ والحياة الدنيا هي حياة الاستعداد للأخرى، وهي مزرعة الآخرة! والتعرض للموت محرّم في شرعة اللّه! والفرار من بواعث الموت واجب في شرعة اللّه، فكيف يصبح- إذا- تمني الموت من قضايا صدق القول إن لنا الدار الآخرة خالصة عند اللّه.

تمني الموت ليس هو ولا منه التعرض للموت، فلا يتمنى ما بالإمكان تحصيله او التعرض له، وإنما هو الترجي الصالح لأصلح الصالحين الذين هم من خلصاء اللّه والسابقين الى رضوانه، وكما يروى عن علي عليه‌السلام «و اللّه لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه» وسعن الصديقة الطاهرة عليهاالسلام: «اللّهم عجل وفاتي سريعا»[1] ولأنهم موقنون بالسعادة الآتية، راغبون في لقاء اللّه!. ام وللذين يوقنون بتلك السعادة العظمى أطاعوا اللّه ام عصوا، فما ذا تفيدهم- إذا- بقية الحياة الدنيا إلّا بعدا عنها وعن لقاء اللّه «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»! ثم من سواهم لايجوز لهم تمني الموت كما لايجوز لهم التعرض للموت، فان الموت لهم انقطاع عن حياة التحصيل ورجاء التلافي لما قصّروا، او المزيد فيما قصروا عنه

«و لأنا لانأمن من وقوع التقصير فيما أمرنا به ونرجو في البقاء التلافي»[2].

و قد يجوز تمني الموت لمن لايرجو في البقاء التلافي، بل ومزيد العصيان، أم هو موقن بذلك، واليهود- فيما يدعون- هم القسم الثاني من الأربعة فليتمنوا الموت إن كانوا صادقين، فإن النقلة من ضيق الحياة وضنك المعيشة الى سعتها الخاصة الخالصة دون اي شرط إلّا أنك إسرائيلي، إن تمني تلك النقلة هي طبيعة الحال لأصحابها، بل وذلك أدناها، حيث الطمأنة المطلقة تقتضي التعرض للموت، بل

---

[1].نور الثقلين ۱: ۱۰۲ في الخصال عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام سمعت أبي يحدث عن أبيه عليهماالسلام ان رجلا قام الى امير المؤنين عليه‌السلام فقال يا امير المؤنين بما عرفت ربك؟ قال: بفسخ العزائم- الى ان قال-: فيما ذا أحببت لقاءه؟ قال: لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت بان الذي اكرمني بهذا ليس ينساني فأجبت لقاءه.

وفيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهماالسلام قال أتى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) رجل فقال له: ما لي لا أحب الموت؟ فقال له: أ لك مال؟ قال: نعم، قال: فقدمته؟ قال: لا، قال: فمن ثم لا تحب الموت.

[2].في مجمع البيان قال امير المؤنين عليه‌السلام- وهو يطوف بين الصفّين بصفّين في غلالة- شعار يلبس تحت الثوب الدرع- لما قال له الحسن ابنه عليه‌السلام ما هذا زيّ الحرب؟ فقال: يا بني إن أباك لا يبالي وقع على الموت ام وقع الموت عليه، واما ما روي عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم انه قال: لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم احيني ما دامت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي، فانما نهي تمني الموت لأنه يدل على الجزع، والمأمور به الصبر وتفويض الأمور اليه، ولان لا نأمن ...

والانتحار.
إنهم يعبرون عن أنفسهم بما عبروا، وعن المؤنين بالناس، تعبيرا ساقطا مسقطا لهم عن أية رحمة ربانية تشملهم، والدار الآخرة خالصة لهم أنفسهم لايشاركهم فيها هؤاء الناس!.
فهنالك دعوا إلى تلك المباهلة، كبرهان واقع على كذبهم بعد كل البراهين التي رفضوها:
ولقد أمر الرسول أن يقولها لهم فقال «إن كنتم في مقالتكم صادقين قولوا: اللهم أمتنا، فو الذي نفسي بيده لايقولها رجل منكم إلّا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا وكرهوا ما قال لهم فنزل[1]:
وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ ٩٥.
و كيف يتمنونه وهم يخشون أن يستجيب الله لهم فيأخذهم من فورهم، فهم قد خسروا الدنيا بالموت الذي طلبوه انقطاعا عن شهواتهم، وخسروا الآخرة بالعمل السيء الذي قدموه!.
قد يتمنى المشرك او الملحد الموت لأسباب طارئة، ولأنه لايخاف بعد الموت، ولكنهم «لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ»لأنه نهاية شهواتهم وبداية بلياتهم بما قدموا «وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ» أنهم لن يتمنوه، بل هم أحرص الناس على حياة:
وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلى حَياةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللّٰهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ ٩٦. هنا «حياة»منكّرة دون «الحياة» المعرّفة، لمحة إلى أن حرصهم لايخص الحياة الراقية المريحة المربحة، بل هي مطلق الحياة، ما تتسمى حياة، مهما كانت أرذلها، لأنها على أية حال أفضل من الحياة الأخرى بما قدمت لهم أنفسهم.
ف «الناس» في «أَحْرَصَ النّاسِ» هم كل الناس دونما استثناء، وحتى الذين أشركوا، وكما يبيّنه: «وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا»أي: وأحرص من الذين أشركوا، لأنهم يخافون عما بعد الموت ما لايخافه المشركون.
إجل إنها «حياة» أيّة حياة، ملمّحا لها بذلك التنكير النكير الحقير، حياة ديدان او حشرات، وإنما «حياة» ثم لاشيء آخر، الحياة الرزيلة التي لايقبلها اي ذي حياة،وحتى الذين أشركوا!.
فهم- رغم أنهم عارفون القدر المتعوّد من الحياة- يجتازونها إلى أعلى ما بالإمكان في تقديرهم: «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ» كسبا أكثر وأوسع من ملذات الحياة الدنيا، ابتعادا أوفر عن عذاب الأخرى، ولكنه «وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ» وكل آت قريب، فحتى لو عمّر أحدهم الدنيا فليعذب اكثر واكثر مما لو انه لم يعمّر، لأنه يزيد في تعميره الأكثر استحقاقا للعذاب أكثر، فتعميره الكثير- إذا- يبوء الى العذاب الكثير! «وَ اللّٰهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ».
و اختصاص المشركين هنا من بين الناس لأنهم أحرصهم على حياة، ولكن اليهود هم أحرص من أحرص الناس على حياة.
«يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ...» كما يرجع إلى اليهود، كذلك إلى الذين أشركوا، ام هو راجع إليهم، ثم اليهود يود

[1].الدر المنثور ١: ٨٩- اخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في هذه الآية: قل لهم يا محمد ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة كما زعمتم خالِصَةً مِنْ دُونِ النّاسِ يعني المؤنين فتمنوا الموت ان كنتم صادقين انها لكم خالصة من دون المؤنين فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ...

أحدهم لو يعمر اكثر من ألف لأنهم أحرص منهم على حياة[1].
و«لو» هنا للتمني لاالاستحالة، حيث سمعوا او رأوا من عمّر الف سنة او يزيد، فلانه شاذ بعيد يتمنونه مزيدا في الشهوات.
أ تراهم بعد ليس لهم تقليب الاقتراح في هذه المباهلة: إن كانت لكم المسلمين الدار الآخرة خالصة عند اللّه من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين، ام ولترضوا ان نقتلكم عن بكرتكم تخلصا الى نعيم الجنة الخالصة عن هذه الدار المحفوفة بالبلاء؟.
كلّا! حيث الرسول والمسلمون معه لم يدّعوا لأنفسهم خالص الدار الآخرة دون شرط، ف «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً. وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً» (۴: ۱۲۴).
فلم يدّعوا لأنفسهم خالص الدار الآخرة، ولا دون شرط ولا دون الناس، بل «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى» ثم منهم من يتمنّى الموت دون مقت للحياة، بل هيمانا للقاء اللّه دون تعرض للقتل او الموت فانه محرم في شرعة اللّه، بل تجب عليهم مقاتلة الكفار المضللين.
و منهم من لايتمناه بغية الحصول على استعداد أكثر للموت، تحصيلا لمزيد الثواب، وقضاء على مزيد العقاب، فكيف- إذا- يقلب عليهم السؤل وهم ليسوا بمدعين دعواهم الخاوية الفوضى الجزاف؟
ثم «عِنْدَ اللّهِ- خالِصَةً- مِنْ دُونِ النّاسِ» هي ثالوث منحوس في دعواهم، ف «عِنْدَ اللّهِ» هي منزلة خاصة منقطعة النظير، و«خالصة» هي الخلاص عن شريطة العمل الصالح، والخلاص عن أي شوب من العقاب والخلاص عن شركاء، و«مِنْ دُونِ النّاسِ» اختصاص لهؤاء الناس دون سائر لناس، والقرآن طارد هذه الدعاوي الخاوية، فكيف يقلب السؤل على أهله؟.
ثم في «لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً» تحد سافر على هؤاء المدعين، وملحمة غيبية أن «لَنْ يَتَمَنَّوْهُ» وقد كان لهم أم لأحدهم أن يتمنوه تغلّبا في هذه المباهلة على الرسول، ولكنهم لم يتمنوه ولن! تخوفا من وقوع الواقعة، وذلك من قضايا المباهلة حين لاتنفع أية حجة، وكما حصلت مرارا وتكرارا ومنها مباهلته صلى‌الله‌عليه‌وآله مع نصارى نجران.
قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ ۹۷.
لقد عاد هؤاء الحماقى الأنكاد- فيمن عادوا- جبريل، لما نزّل القرآن على نبي غير إسرائيلي؟ ثم لماذا نزل عليه نكايات على أهل الكتاب؟ ولماذا نزل عليه بشارات التوراة وكتب الأنبياء بحقه؟ ولماذا يطلع محمدا على أسرارنا؟
و ذلك- في الحق- كفر باللّه الذي أرسله لما أرسل بما أرسل.
لقد قالوا للرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في حوار دار بينهم أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك، او نفارقك، قال صلى‌الله‌عليه‌وآله: وليي جبريل ولم يبعث اللّه نبيا قط إلّا هو وليه، قالوا: فعندها

[1] .الدر المنثور ۱: ۸۹ عن ابن عباس في الآية قال هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم: زه هزار سال- يعني الف سنة.

نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك، قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: هو عدونا، فانزل الله تعالى: «مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ»- إلى قوله- «كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ»«فعند ذلك باءوا بغضب على غضب»[1].

ومن عداءهم لجبريل أنهم ما أبقوا له ذكرا في كتابات الوحي إلّا أربعا تفلتت عنهم، في «دانيال ٨: ١٦ و٩: ٢١) من العهد العتيق، ثم في «لوقا ١: ١٩ و٢٦) من العهد الجديد، ثم لانراه يذكر في الأسفار الخمسة التوراتية ولا في سائر كتابات العهدين ولا مرة واحدة، وهو الملك العظيم، حامل الوحي الى رسل الله، لايمكن ان يترك اسمه في هذه الكتب المذكورة فيها اسماء الكثير ممن هم دونه ام لايحسبون بشيء!.

ثم المذكور فيما ذكر يعبر عنه ب «الرجل جبرائيل» (٩: ٢١) مهما جاء في في «لوقا»: وقال إن جبرائيل الواقف قدام الله (١٩) و«أرسل جبرائيل الملاك من الله ...» (٢٦).

و لقد ذكر في القرآن بهذا الاسم مرات ثلاث، هنا وفي الآية التالية لها وفي التحريم(٤): (وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ».

و هو مذكور مرات عدة في الذكر الحكيم باسم «الروح القدس- الروح الأمين- الروح من أمره» ولاسمه عليه‌السلام صيغ سبع: جبريل- جبريل- جبرئيل- جبرائل- جبرائيل- جبرايل- جبرين[2]، والأصح هو صيغة القرآن المتواترة «جبريل»المعربة عن الأصل العبراني «جبرائيل» وكأنها مركبة من «جابر- ايل».

و جابر: العبرانية:- بمعنى: «قدر- اقتدر- اشتد- تجبر- زاد- ساد- تقوى- تغلب- تفوق- أخضع» كما

---

[1].نور الثقلين ١: ١٠٦ في العلل باسناده الى انس بن مالك عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم حديث طويل قال فيه لعبد اللّه بن سلام وقد سأله عن مسائل أخبرني بهن جبرئيل عليه‌السلام آنفا، قال: هل أخبرك جبرئيل؟ قال: نعم قال: ذلك عدو اليهود من الملائكة، قال: ثم قرأ هذه الآية ... وفي الدر المنثور ١: ٨٩- أخرج الطيالسي والفرياني واحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابو نعيم‌البيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس قال: حضرت عصابة اليهود نبي اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلّا نبي، قال: سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا الى ذمة اللّه وما أخذ يعقوب على نبيه لئن انا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني، قالوا: فذلك لك، قالوا اربع خلال نسألك عنها، أخبرنا اي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة وكيف الأنثى منه والذكر، وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة، فأخذ عليهم عهد اللّه لئن أخبرتكم لتتابعني فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق، قال: فانشدكم بالذي انزل التوراة هل تعلمون ان إسرائيل مرض مرضا طال سقمه فنذر نذرا لئن عافاه اللّه من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه كان أحب الطعام اليه لحمان الإبل وأحب الشراب اليه ألبانها؟

فقالوا اللّهم نعم، فقال: اشهدوا، قال: أنشدكم بالذي لا إله الّا هو هل تعلمون ان ماء الرجل ابيض غليظ وان ماء المرأة اصفر رقيق فأيهما على كان له الولد والشبه بإذن اللّه، ان علا ماء الرجل كان ذكرا بإذن اللّهان علا ماء المرأة كان أنثى بإذن اللّه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد قال فانشدكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان النبي الأمي هذا تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، قالوا أنت الآن فحدثنا من وليك ...

[2].الاولى هي القراءة المتواترة في كتب القرآن وهي قراءة سائر القراء والثانية: ابن كثير والثالثة: حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم، ثم الصيغ الأربع الأخرى هي لغات فيها.

و«ايل» هو اللّه، إذا ف «جبريل» هو قدرة اللّه وقدره واشتداده وتجبره وزيادته وسيادته وتغلبه وتفوقه وإخضاعه، وكل هذه المعاني تناسب ساحة جبريل فانه مظهر لهذه الأسماء الحسنى الربانية تكوينا وتشريعا، فإنه وسيط الوحي إلى رجالات الوحي، ومن وسطاء التكوين، وقد يصح تفسيره ب «عبد اللّه»[1] ولأن العبودية الخالصة للّه تجعل العبد وسيطا بين اللّه وخلقه. «قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ» لأنه نزل على قلبك ما نزّل «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ» دون هواه ام هوى سواه «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ» في أصل الوحي كسلسلة موصولة بين رسل اللّه، وفي البشارات المحمدية، ثم «وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ» بهذه الرسالة السامية، إذا فلما ذا يعادى؟ لكنّه إسرائيل!.

«ويحك أ جهلت أمر اللّه، وما ذنب جبريل أن أطاع اللّه فيما يريده منكم، أرأيتم ملك الموت أهو عدوكم وقد وكله بقبض أرواح الخلق ...»[2].

موسى وفتاه في رحلة مدرسية

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (٦٠) فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (٦١) فَلَمّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً (٦٢) قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (٦٣) قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ فَارْتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (٦٤) فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً (٦٥) قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦) قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧) وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (٦٩) قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ

---

[1].الدر المنثور ١: ٩١- اخرج الديلمي عن أبي أمامة قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: اسم جبريل عبد اللّه واسم ميكائيل عبيد اللّه واسم إسرافيل عبد الرحمن، وكل شيء راجع الى «إيل» فهو معبد للّه.

[2].نور الثقلين ١: ١٠٣ في الاحتجاج قال ابو محمد الحسن العسكري عليه‌السلام: قال جابر بن عبد اللّه سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم عبد اللّه بن صوريا غلام أعور يهودي، تزعم اليهود انه أعلم بكتاب اللّه وعلوم أنبياءه، عن مسائل كثيرة تعنّته فيها فأجابه عنها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) بما لم يجد الى إنكار شيء منه سبيلا فقال له يا محمد! من يأتيك بهذه الأخبار عن اللّه تعالى؟ قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): جبريل، فقال: لو كان غيره يأتيك بها لآمنت بك، ولكن جبرئيل عدونا من بين الملائكة، فلو كان ميكائيل او غيره سوى جبرئيل يأتيك بها لآمنت بك، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله‌سلم: و لم اتخذتم جبرئيل عدوا؟ قال: لأنه ينزل بالبلاء او الشدة على بني إسرائيل، ودفع دانيال عن قتل بخت نصر حتى قوي أمره وأهلك بني إسرائيل، وكذلك كل بأس وشدة لا ينزلها إلا جبرئيل، وميكائيل يأتينا بالرحمة، فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): ويحك أ جهلت امر اللّه ... أرأيتم الآباء والأمهات إذا وجروا الأولاد الكريه لمصالحهم يجب أن يتخذهم أولادهم اعداء من اجل ذلك؟ لا! ولكنكم باللّه جاهلون، وعن حكمته غافلون، أشهد ان جبرئيل وميكائيل بأمر اللّه عاملان، وله مطيعان، وانه لا يعادي أحدهما إلّا من عادى الآخر، وانه من زعم انه يحب أحدهما ويبغض الآخر فقد كذب، وكذلك محمد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) وعلي عليه‌السلام أخوان كما ان جبرئيل وميكائيل اخوان، فمن أحبهما فهو من اولياء اللّه، ومن أبغضهما فهو من اعداء اللّه، ومن أبغض أحدهما وزعم انه يحب الآخر فقد كذب وهما منه بريئان واللّه تعالى وملائكته وخيار خلقه منه برآء.

شَيْءٍ حَتّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧٠) فَانْطَلَقا حَتّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (٧١) قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٢) قالَ لا تُؤ'٧c'خِذْنِي بِما نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (٧٣) فَانْطَلَقا حَتّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (٧٤)

قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٥) قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (٧٦) فَانْطَلَقا حَتّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (٧٧) قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً(٧٩) وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (٨١) وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (٨٢)

حلقة منقطعة النظير في القرآن كله عن مسيرة موسى عليه‌السلام مع من تعلم هو منه شيئا مما كان يجهله، تقص مقاطع هامة من قصته تهم السالكين سبيل الهدى، المتعلمين على سبيل نجاة من الردى.

إنها ليست اسطورة مختلفة كما يهرفها الخارفون، بل هي حقيقة تقصّ من عمق التاريخ كسائر القصص القرآنية، تحمل أمثالا حقة من التربية الإلهية، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد.

و ترى إن موسى القصة هو ابن عمران ثالث اولى العزم من الرسل الذين دارت عليهم الرحى؟ وأولوا العزم هم المفضّلون على من سواهم من رسل وأنبياء أمن ذا في زمنهم وحتى ولاية عزم اخرى علما وعملا لدنيا من عند ربنا، فكيف يحمل موسى هذا نصبا في سفره حتى يلقى لنفسه معلما بأمر اللّه: «عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً، قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً، قالَ إِنَّكَ لَنْ ..»؟! ومعلمه هذا أيا كان هو من أمته ومتعلمه في شرعته خضرا أمّن ذا؟! فهل هو- إذا- موسى غير ابن عمران، نبيّا او أيّا كان، بتعلم من معلّم له هو فوقه علما وخبرا؟ وقد ذكر موسى فيما ذكر (١٣٤) مرة يعنى به ابن عمران، أفي هاتين المرتين اليتيمتين هنا يعنى به غيره دونما أية قرينة ولا إشارة؟ سبحانك اللّهم إن هذا إلا خرافة جارفة جازفة لاصحيحة في ادب التعبير ولا فصيحة![1].

---

[1].الدر المنثور ٤: ٢٩! اخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس: ان نوفا البكالي يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل؟ قال ابن عباس كذب عدو اللّه حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم يقول: ان موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل اي الناس اعلم؟ فقال: انا! فعتب اللّه عليه إذ لم يرد العلم اليه فأوحى اللّه اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى: يا رب كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا تجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ فأخذ

إنه هنا موسى بن عمران كما في سائر القرآن، وقد ابتلى بسفره النصب بسبب منه حيث خيّل إليه أنه أعلم ممن سواه في علمي الظاهر والباطن، فقد وكلّ موسى بعلم لايطيقه خضر كما وكلّ خضر بعلم لايطيقه موسى فليتعلم كلّ ما عند الآخر ليكتمل بما عند الآخر كما وعلّ آصف بن برخيا وزير سليمان كان أعلم منه حيث آتاه عرش بلقيس قبل ان يرتد إليه طرفه، وكان آصف من أمته في الشرعة الظاهرة.

فعلم الشرعة الظاهرة وعلم الباطن قد يفترقان كما في موسى وخضر وسليمان وآصف وقد يجتمعان كما في أهل بيت الرسالة المحمدية صلى‌الله‌عليه‌وآله وكما قد ينتفيان كمن يجهلهما وحيا أمّاذا؟.

و خضر هذا نبيا كان ام غير نبي هو كلقمان[1] كان أعلم من موسى بن عمران في التأويل: «آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً ..»-

«قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً»! «وَ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» اللهم إلّا علام الغيوب، أو من علّمه من علم ما كان وما يكون وما هو كائن كالرسول محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله وأهل بيته المعصومين! ولان القرآن لايذكر زمن هذه القصة، أ كانت في نبوءة موسى قبل رسالته؟ ام كانت في بداية رسالته ولما تنضج النضجة الكاملة بعلم التأويل، ام في نبوته بولاية عزمة وفي قمتها، إذا فكل محتمل، مع العلم أنه كان يوحي إليه، وإلّا فكيف عرف ذلك الموقف لمجمع البحرين و«قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ»ولا يأتي مثل هذا الغيب إلّا بوحي، اللّهم إلّا وحيا دون نبوءة كما «أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ» فقد تكون هذه المصاحبة قبل نبوته ام فيها قبل رسالته، ام فيها قبل ولاية عزمه، ام وفي ولاية عزمه، فعلى أية حال لايبقى اشكال في كيف يتعلم موسى من خضر؟ فان ولاية العزم في الشرعة الظاهرة لاتلزمها الولاية الباطنة مهما تجتمعان في البعض من أولياء العزم كالرسول محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله.

و لكن الرقابة على تكاليف الشرعية تنتج نورانية في الباطن ف «مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» و«إِنْ

حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا الى آخر القصة وقد نذكر مواضيع منها حسب المناسبات- إنشاء اللّه تعالى.

وفي نقل أخر بنفس السند عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ان موسى بني إسرائيل سأل ربه فقال اي رب ان كان في عبادك احد اعلم مني فدلني عليه قال: نعم في عبادي من هو اعلم منك فنعت له مكانه، فان له في لقية فخرج موسى ومعه فتاه ومعه حوت مليح قد قيل إذا حيي هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك .. وفي نور الثقلين ٣: ٢٧ ج ١٢٨ في تفسير القمي وفي العياشي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام وكان سبب ذلك انه كلم اللّه موسى تكليما وانزل عليه الألواح وفيها كما قال اللّه عز وجل «وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» رجع موسى عليه‌السلام الى بني إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم ان اللّه عز وجل قد انزل عليه التوراة وكلمه وقال في نفسه: ما خلق اللّه خلقا اعلم مني فأوحى اللّه عز وجل الى جبرئيل عليه‌السلام أدرك موسى قد هلك واعلمه ان عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجل اعلم منك فصر اليه وتعلم منه فنزل جبرئيل عليه‌السلام على موسى عليه‌السلام وأخبره فذل موسى في نفسه وعلم انه اخطأ ودخله الرعب وقال لوصيه يوشع: ان اللّه عز وجل قد امرني ان اتبع رجلا عند ملتقى البحرين وأتعلم منه فزود يوشع حوتا مملوحا فلما خرجا وبلغا ذلك المكان وجدا رجلا مستلقيا على قفاه فلم يعرفاه، فاخرج موسى الحوت وغسله الماء ووضعه على الصخرة ومضيا ونسيا الحوت وكان ذلك الماء ماء الحيوان فحيي الحوت ودخل الماء:

[1].تتضارب الروايات هنا في ان خضر كان نبيا او لم يكن نبيا، ولا دلالة في هذه الآيات على نبوته، ولا اثر عنه في ساير القرآن.

تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ»فكيف إذا كانت رقابة العصمة في ولي العزم، فليعلم موسى من علم الباطن ما يعلمه خضر وسواه بل واكثر وأحرى، فكيف يتطلب منه ان «تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً»؟

علّه لأنه كما علم الشريعة قد يحصل بتحصيل، وقد لايحصل إلّا بوحي، فما كل متعلّم محاول للحصول عليه يوحى إليه، كذلك علم الباطن منه ما يحصل بتلك الرقابة، ورقابة العصمة أحرى وأجري

لحصول عليه ولكن منه ما لايحصل برقابة كالعلم الباطن اللدني، فعلم الوحي الشريعة لايستلزم ذلك العلم اللدني مهما يستلزم علما دون ذلك، فقد أوتي خضرا رحمة من عند الله وعلم علما من لدن اللّه ليس من مخلفات وحي الشريعة والرقابة التامة عليه!.

و لان ولاية العزم لزامها الحفاظ على حقوق الامة ومصالحها في الباطن كما الظاهر، فليعلم موسى الرسول في ولايته العظيمة العزيمة، تأويل قضايا كمثل السفينة والغلام والجدار، فقد يحتمل أن القصة كانت في بداية أمره ولما يعظم ويعزم امر رسالته القمة- واللّه اعلم حيث يجعل رسالته!.

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ- حُقُباً (٦٠) مجمع البحرين هو عنوان ملتقاه مع خضر كما أوحي إليه ولكن موسى لايعرفه بتفصيل، فلو كان عارفه فلما ذا «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً» سنة الى ثمانين وكما جاوزه إذ نسيا حوتهما، فقد يعرف ان فيه ملتقاه وأنه في سفرته هذه يمرّ عليه، كما تلمح له «مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ»لا«مجمعا لبحرين» حتى تكون له مصاديق عدة، وإنما قال كغير عارف بالملتقى «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً»لأن مجمع بينهما كان متسعا شاسعا قد يحتاج الوصول الى منتهاه الى ان يمضي حقبا واقله التأكيد على ذلك التصميم وإن لم يحتج وصوله الى مضي- حقب، فحق لموسى وفتاه لمّا بلغا مجتمع بينهما أن ينسيا حوتهما حيث بهرهما بلوغ المجمع نظرة الملتقى، وأما فتاه فزاد نسيانا على نسيان لما أويا الى الصخرة.

موسى الرسول ما كان يعرفه بعينه، ولا أن القرآن عرّفه لنا، فما لنا من سبيل الى معرفته القطعية إلّا حدسيات: أنه منطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر كملتقى بحري الروم والقلزم أي الأبيض والأحمر، ومجمعهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التسماح، او مجمع خليجي العقبة والسويس الأحمر، او ما ينتهي اليه بحر الروم من الجانب الشرقي وبحر الفرس من الجانب الغربي أمّاذا؟

إلا ان مسرح تاريخ بني إسرائيل المعلوم لدى الجميع يختلف عن مسرح موسى الرسول (صلوات اللّه عليه) الخاص به، وهو لايعرفه بتفصيل، والا فلما ذا «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً»؟ فلنترك ما تركه القرآن ونسكت عما سكت اللّه عنه، وقصارى ما يعرفه موسى من ذلك الملتقى أنه مجمع البحرين وفيه حياة الموتى كما اتخذ غذائه الحوت فيه «سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً .. عَجَباً»«قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ فَارْتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً، فَوَجَدا ....»

و فتى موسى هو صاحبه الخاص فعلّه وصيه يوشع بن نون بفتوّة صحبة الايمان[1] وقد يكون «و إذ قال

---

[1] .الدر المنثور في الحديث السابق عنه صلّى اللّه عليه وآله وسلم «ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون .. وفي نور الثقلين ٣: ٢٧٢ ج ١٣٠ عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: كان وصي موسى بن عمران يوشع بن نون وهو فتاه الذي ذكره اللّه في كتابه.

...» معطوفا على محذوف يناسبه ام على قصة اصحاب الكهف ان يـذكره الرسـول ومـن معـه ذكـرى ثانية للرحمة الخاصة الإلهية الخانية على عباده الأخصاء وهو من أخصهم، فلتتواتر عليه رحمة مـن لدنه وعلم من لدنه، ربوة على كل عالم ومرحوم! ولا أَبْرَحُ تصريحة بملاحقة السير في هذه السفرة إذ يقصد من ورائها امرا امر بالحصول عليه إعلانا لفتاه في البداية استعدادا لوعثاء السفر ونصبه، مهما طال الزمن: «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً»تعبيرا حاسما عن تصميمه القاطع، عارفا صارما بوصوله عاجلا او آجلا الى ملتقاه في مجمع البحرين.

و هذه من السنن الحسنة مع رفقة السفر التابعين لك ان تعلن دون إسرار كالشمس في رابعة النهار مسيرك ومصيرك في سفرتك دون تحميل عليهم كما «قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتّى أَبْلُغَ» دون «لا نـبرح حتى نبلغ ...»وليجعل صاحبه في سعة من أمره إن شاء لزمه عارفا بالسفرة وان شاء تركه.

و «لا أبرح» يعني لاأزال سائرا مسافرا دونما انقطاع، مما يوحي باهمية بالغـة للهـدف المـرام، اعـدادا لفتاه إن شاء استعد على علم بهامة السفر ونصبه.

و ليبلّغه مدى تصميمه مقصدا وزمنا لأقصى حدّه كما أبلغه «أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً»! و«مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ» هنـا هو الغاية القصوى من السفر النصب وليجمع فيه بين بحري العلم الظاهر من موسى والبـاطن مـن خضر، او بحري الرسالة الظاهرة والولايـة الباطنـة، وكـما قـال لـه خضر- في ملتقـاه «إني وكلـت بـأمر لاتطيقه ووكلت بأمر لاأطيقه».

فيما لمجمع البحرين من نبضات الحياة ووميضاتها حيث الحوت المطبوخ الغذاء فيه يحيـى[1] (فَاتَّخَـذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً»و عجبا»وموسى الرسول يزداد حيـاة مـن علـم البـاطن إلى علمـه الظـاهر وكـما الخضر يزداد علم الظاهر الى علمه الباطن.

فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْـرِ سَرَبـاً (٦١) فَلَـمّا جـاوَزا قـالَ لِفَتـاهُ آتِنـا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً (٦٢) لَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَـإِنِّي نَسِـيتُ الْحُـوتَ وَ مـا أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (٦٣) قالَ ذلِـكَ مـا كُنّـا نَبْـغِ فَارْتَـدّا عَـلى آثارِهِما قَصَصاً(٦٤).

الحوت هو السمك العظيم، والسرب هو المنحدر المسبّل ذهابا مخـيرا، لاسـقوطا أو انقفـازا مسـيّرا، أ ترى أن حوتهما الغذاء أخذاه من مجمع بينهما؟ و«نَسِيا حُوتَهُما» عند بلوغ المجمع! فقد كان معهـما قبل بلوغه! أو أنه كان حيا معهما في سفرتهما ليطبخاه إذا جاعا؟ ولزامه ان يأخذا معهـما مـاء بقـدر يكفيه بقية الحياة، وهذا غريب في سفرة كهذه النصب، حملا لكثير الماء ليعيش فيه الحوت: السمك العظيم ولماذا هذا التعب الشعب نصبا على نصب؟! حـوتهما هـذا كـان غـداءهما فلـيكن مطبوخـا جاهزا لغذائهما حيث السفرة لاتسمح للطبخة ولا سيما تلك الساذجة الناصبة، فقد كان ميتا مطبوخا

---

[1] .في الدر المنثور في حديثه صلى الله عليه وآله وسلم عن القصة: فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي فاتخذ سبيله في البحر سربا. و كما في أحاديث عدة ولا نجد في اي حديث أنه كان حيا.

وكما في حديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله[1].

ثم «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً» تصريحة بحياته، فلتكن بعد موته، إذ لاعجب الحيوان البحر أن يتخذ سبيله في البحر سربا منحدرا إليه، بل وتركه عجب. ترى وماذا كان يدري موسى من الملتقى وماذا لايدري؟ «حَتّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ»دليل أنه كان يدري ان مكانا من المجمع هو الملتقى، ولكنه اين هو الذي يحيى فيه ميت وما هو؟ لايدري أنه حوته وإلّا لم ينسه! ولم يطلبه بعد ذكره غداءه! فقد «قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ»فما كان يدري ان الملتقى هو المجمع الذي بلغاه، وإلّا لما تجاوزه! ولا أن الذي فيه يحيى هو حوتهما، وإلّا لماذا اتخذه غداءهما، ولماذا نسيه؟ معلومان ومجهولان لموسى، وفتاه يجهل ثالثا هو أن حياة ميت فيه آية انه الملتقى المبتغى وإلّا لما نسيه إذ رأى الحوت «اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً»!.

«فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما»: بين البحرين وبين موسى وخضر، وما درى موسى منه ملتقاه وإلّا لما تجاوزاه «نَسِيا حُوتَهُما»موسى وفتاه، نسيان موسى كان بطبيعة الحال حيث السالك يركّز على الغاية الملتقى فينسى الغداء أماذا من وسائل اللقاء، ولكنما الفتى لماذا ينسى وقد حمّل حمله والحفاظ عليه؟ علّه لأنه ينابع مسيرة موسى فعلى هامشه ينسى أمام الغاية غيرها! وهذا النسيان المشترك كان عند بلوغهما المجمع.

ثم هنالك نسيان ثان يخص فتاه لما أويا الصخرة «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ::» أ نسيانا مع موسى فهنالك نسيا وهنا نسيت؟ فهو إذا نسيان ثان تدخّل فيه الشيطان يخص فتاه: «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً» .. هنا «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ ..»

عطفا على نسيانه، وهناك «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ...» تفريعا على نسيانهما، فبينهما فرق قديكون إلّا أن النسيان الاوّل أغفلهما عن كونه معهما «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ ..»والنسيان الثاني هو بعد ذكر «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً»فالواو إذا للحال، أنني نسيته حال أنه اتخذ سبيله في البحر عجبا، نسيت أن اذكره بعد ذلك وأذكرك، وعلّه لأنه ما اهمته غدائهما رغم ذلك العجب أمام غايتهما القصوى، فقد ينسى الطريق والرفيق فضلا عن الغداء إمّا ذا:

---

[1].اتفقت الأحاديث التي تنقل القصة ان الحوت حيي عند الصخرة واتخذ سبيله في البحر سربا وعجبا، ولكنه تختلف في انه كان مشويا او مملوحا وفي مرسلة القمي وروايات الشيخين والنسائيالترمذي وغيرهم انه كانت عند الصخرة عين الحياة وفي رواية مسلم ان الماء كان ماء الحياة من شرب منه خلّد ولا يقاربه شيء ميت الا حيى فلما نزلا ومس الحوت الماء حيي، وفي بعضها ان فتى موسى توضأ من الماء فقطرت منه قطرة على الحوت فحيى، وفي ثالث انه شرب منه الفتى ولم يكن له ذلك فأخذه الخضر وطابقه في سفينة وتركها في البحر فهو بين أمواجها حتى تقوم الساعة، وفي رابع انه كانت عند الصخرة عين الحياة التي كان يشرب منها الخضر ثم الباقية خالية من ذكرها- ثم في رواية الاحتجاج وغيرها ان الحوت سقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، وفي بعض ان موسى لما رجع ابصر اثر الحوت فأخذا اثر الحوت يمشيان على الماء حتى انتهيا الى جزيرة من جزائر العرب، وفي حديث الطبري عن ابن عباس فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء ويتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئا من البحر الا يبس حتى يكون صخرة، وفي أكثرها ان موسى لقي الخضر عند الصخرة، وفي بعضها انه ذهب من سرب الحوت أو على الماء حتى وجده في جزيرة من جزائر البحر، وفي بعضها انه وجده على سطح الماء جالسا او متكئا.

«فَلَمّا .. نَسِيا حُوتَهُما» استغفالا عنه إذ لم يكن محورا في تلك السفرة «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً» لم يدره موسى ودراه فتاه وكما اخبر «وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً»وترى ما هي سبيله السرب؟ «قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ»فمن الصخرة العالية منحدر يتخذ إليه سبيل سرب فالسبيل هو الطريق المنحدر، والسرب هنا انحدار ثان يزيد السبيل سبلة وانحدارا.

أو هي عين الحياة المنحدرة من الصخرة الى البحر[1] وقد حيي بها الحوت فاتخذها سبيلا؟ ام ساقية اخرى وقد حيي بغيرها؟ ام قفزة من منحدره ام لزقة فانزلاقا الى البحر وبينه وبينه بر إمّا ذا؟ على أية حال «اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً»! فاتخاذ سبيل سرب عجب ذو دلالات على أن حوتهما الغداء الشواء أصبح حيا على الصخرة على غفلة لموسى وذكر لفتاه، ومن ثم تناساه فنسي- ان يخبر موسى بأمره:

«فَلَمّا جاوَزا» بداية المجمع والسرب العجب «قال» موسى «لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا»الحوت «لقد» تأكيدا ذا بعدين «لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً» فلنتغذّ لكي نستجدّ طاقة بدنيّة نواصل بها سفرنا، مما يدل أنه كان متغافلا جوعهما مع نسيان حوتهما، ثم النصب ذكره غداءهما الحوت فطلبه من فتاه، فانه التعب المنصوب تأتيا في مداه:

و الغداء هي غذاء الغداة، فلعّلهما جاوزا مجمع بينهما ليلا، ولم يعتبره موسى ملتقاه إذ لم ير ما يريه انه هو ملتقاه حتى أخبره به فتاه:

قالَ أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ المطلّة على البحر، فأنت رأيت إذ أوينا إليها تخفيفا عن وعثاء السفر، او وانتظارا علّه هو الملتقى «فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ» ما ذا حصل له وماذا فعل، بعد ما نسيناه مع بعض «وَ ما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ»واتخذ: حال انه «اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً» نسيان عجب بعد ما رأيته اتخذ سبيله في البحر عجبا حيث الحوت الميت المطبوخ يمشي في سبيله السرب إلى البحر! ولم يكن نسيانا مني تغافلا عن أمره العجب وانما ذلك الشيطان انسانيه ان اذكره فاذكّرك بسربه العجب.

أفترى الشيطان له سبيل إلى الأنبياء، وكان فتاه يوشع منهم؟ علّه لم يكن حينذاك نبيا، فقد كان وصيا ثم بعد موت موسى أصبح نبيا وصيا! ام بقي وصيا دون نبوة؟[2]

أم إن هكذا نسيان ليس في عداد نسيان ذكر الرب حتى ينحى عنه الشيطان، فانما هو حسب الظاهر نسيان الغداء أولا ومن ثم نسيان السرب العجب، وقد يبرران امام الهدف الإمام وهو التحري عن

---

[1] .في عديد من الروايات انه عين الحياة كما في نور الثقلين ٣: ٢٧٢ ح ١٣١ في عيون الاخبار عن الرضا عليه‌السلام قال قال علي عليه‌السلام وقد سأله بعض اليهود عن مسائل- وأنتم تقولون ان اوّل عين نبعت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس وكذبتم، هي عين الحياة التي غسل يوشع بن نون السمكة وهي العين التي شرب منها الخضر عليه‌السلام، وليس يشرب منها احد الا حيي؟

قال: صدقت واللّه انه لبخط هارون وإملاء موسى ورواه مثله في كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى أبي الطفيل عامر بن واثلة عن علي عليه‌السلام وفيه ايضا باسناده الى ابراهيم بن يحيى المدائني عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام حديث طويل يقول فيه عليه‌السلام ان علما وفيه ايضا باسناده الى الحكم بن مسكين عن صالح عن جعفر بن محمد عليه‌السلام عن علي عليه‌السلام أقول: على اختلاف في بعض الألفاظ واتفاق في عين الحياة:

[2] .لا دلالة في القرآن ولا في السنة واضحة ان فتى موسى كان حينذاك نبيا:

ملتقى البحرين، ولم يكن يدري فتاه أن من آيات ملتقاه حياة ميت او علّها هي منها حتى يتذاكر الحوت، رغم أن سربه العجب هو آية الملتقى:

قالَ ذلِكَ ما كُنّا نَبْغِ فَارْتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (۶۴): ذلك البعيد المدى العظيم المحتوى، الملتقى المدلول عليه بآية السرب العجب «ما كنا» طول سفرنا «نبغ» ٥- فلنرجع الى مجمع بينهما من نفس الطريق الذي جئنا «فارتدا»رجوعا إليه «عَلى آثارِهِما» آثار الأقدام في مشيتهما «قصصا»: تتبّعا لتلكم الآثار كيلا يخطاها.

فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً (۶۵).

فيا لوجد الوجدان من شعف وشغف، ما ينسي نصب السفر ووعثاءه، وكيف عرف موسى خضره؟ طبعا كما عرّف بوحي اللّه مكانه، كذلك عرّف مكانته والمؤن ينظر بنور اللّه! تعريف إلهي لطيف بخضر في زوايا ثلاث ١- (عَبْداً مِنْ عِبادِنا» ٢- (آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا» ٣- (وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً»! هنالك عبودية في كمالها دون أكملها- فانه لاوّل العابدين- فرحمة على صاحبها: «من عندنا»خاصة، ثم «مِنْ لَدُنّا عِلْماً»دون تعلم خلقي، إنما علما لدنيّا بوحي او الهام ليس في نطاق وحي النبوة لزاما، إلّا الأنبياء الأولياء الذين جمعوا علمي الوحي ظاهرا وباطنا كالرسول محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله وأضرابه في الوحي القمة أو إلهامه[1].

و تلك الرحمة ليست هي العلم لقرنها به، فهي من مدارج الرحمة المعرفية والمعارج العملية، فلقد كانت عبودية ذات جناحين، لاعلما دون معرفة ولا معرفة دون علم، مهما كان علم ظاهر الشريعة تقليديا عن رسول كما كان هو يقلد موسى الرسول عليه‌السلام، رغم أنه معلمه من علم الباطن وكما قال: «إني وكلت بعلم لاتطيقه ووكلت بعلم لاأطيقه»[2] وقال «اني على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه أنت وأنت على علم من علم اللهأعلمه»[3].

و قد يكون تنكير «عبدا» هنا للتفخيم كما الإضافة «من عبادنا»للإفاضة والتعظيم. وخضر هذا تتواتر في شأنه الروايات الإسلامية وسواها[4] وانه باق الى قيام المهدي (صلوات اللّه عليه) ولا تنافي حياته لهذا

---

[1].نور الثقلين ٣: ٢٧٥ ج ١٤٢ في اصول الكافي باسناده الى سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد اللّه عليه‌السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال عليه‌السلام علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدا فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ثلاث مرات لو كنت بين موسى وخضر لأخبرتهما اني اعلم منهما وانبأتهما بما ليس في أيديهما لان موسى والخضر عليهما‌السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) وراثة.

[2].نور الثقلين ٣: ٢٨١ ج ١٥٤ في كتاب علل الشرايع عن جعفر بن محمد عليهما‌السلام قال له الخضر «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً» لاني وكلت .. وفي البحار ١٣: ٢٧٩ بدل بعلم «بأمر».

[3].المصدر.

[4].هنالك في مختلف النقل والتاريخ قيلات ومقالات حول خضر لا يهمنا ذكرها الا ما نبه عليه القرآن في مثلث التعريف ب «عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً»! وقد رويت القصة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم كما في الدر المنثور بعدة

الحد اصل من الأصول الإسلامية، اللّهم إلّا إذا كان نبيا، إلّا بانقطاع الوحي عنه يوم نبئ الرسول محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث لا نبوة بعد نبوته ولا وحي بعد وحيه الى يوم القيامة، وكما في المسيح عليه‌السلام وهو في السماء حيث ينزل زمن المهدي (صلوات اللّه عليه)، فالخضر والمسيح وسائر المكلفين أيا كانوا وأيان، إنهم منذ بزوغ الرسالة المحمدية أصبحوا من أمته وتحت لوائه، وهل عزل المسيح عن رسالته بعد نصبه؟ إنه انعزال عن أمته وليس عزلا! ثم لابأس بعزل ليس فيه مهانه! قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً (۶۶) عند اللقاء الحبيب سلم عليه موسى عليه‌السلام فقال الخضر:

و أنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى! قال: موسى بني إسرائيل؟

قال: نعم- أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال: إنك لن تستطيع معي صبرا، يا موسى! اني على علم من علم اللّه علمنيه لاتعلمه أنت وأنت على علم من علم اللّه علمك اللّه لاأعلمه.[1] «إني وكلت بأمر لاتطيقه» ووكلت بأمر لاأطيقه.»[2]

موسى الرسول عليه‌السلام بعد ما يتحمل أعباء السفر ووعثاءه ليلقى الخضر، تراه كيف يحترمه ويتأدب عنده، وهو رسول إليه في الشرعة الإلهية، وولي عليه، وان كان الخضر- علّم من علم التأويل ما لم يعلمه موسى فليكونا- لأقل تقدير- على سواء! ولكنه يعلمنا أن المتعلم أيا كان عليه في سبيل التعلم من أيّ كان ان يحترمه ويتأدب لديه: «هَلْ أَتَّبِعُكَ ...»؟ دون ان تأخذه طنطنة الأعلمية الرسالية فيقول: «اتبعني آخذ عنك مما عندك،» او يتنزل شيئا:

«أتبعك ...» ولكنه قال: «هل اتبعك .. استيئذانا منه في اتباعه تعلما، حال أنه رسول اللّه، وقد أمره اللّه ان يتعلم مما عنده! «اتبعك» اتباعا لأمرك في سبيل التعلم، ومتابعة لك أينما تذهب، دونما استقلال أمامك فاستغلالك لصالح التعلم، وانما «أتبعك» إن تسمح لي، تواضعا مضاعفا أمام المعلّم مهما كان المتعلم إمامه في شرعته وهو يقتضي كونه متبوعا او مساويا ومستقلا بجنبه لاتابعا، ولكنه في مقام التعلم يتأدب هكذا! و«مِمّا عُلِّمْتَ» دون «ما علمت» تواضع آخر أنني لأعني من هذه المتابعة ان أصبح مثلك وإنما «مِمّا عُلِّمْتَ» أن تعلمني بعض ما علّمت! ثم وليس ذلك الإتباع تقليدا أعمى وانما «عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً»:

طرق من ارباب الجوامع كالبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وغيرهم عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم):

[1]. من حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم وقد ذكرنا شطرات منها».

[2]. نور الثقلين ۳: ۲۷ ح ۱۲۸- القمي حدثني محمد بن علي بن هلال عن يونس قال: اختلف يونس وهشام ابن ابراهيم في العالم الذي أتاه موسى عليه‌السلام أيهما كا اعلم وهل يجوز ان يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة اللّه عز وجل على خلقه؟ فقال قاسم الصيقل: فكتبوا الى أبي الحسن الرضا عليه‌السلام يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فاما جالسا واما متكئا فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذا كان بأرض ليس فيها سلام قال: من أنت؟ قال: انا موسى بن عمران- قال: أنت موسى بن عمران الذي كلمه اللّه تكليما؟ قال: نعم- قال: فما حاجتك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشدا، قال: انى وكلت بأمر لا تطيقه ووكلت بأمر لا أطيقه.

رشدا في اتباعك ورشدا فيما تعلمني ورشدا مما علمت، فاتباع المعلم وتعليم الرشد في أسلوب غير رشيدة، غير سديد، كتعليم الضلال في أسلوب رشيده، فانه ضلال بعيد حيث يخيل الى المتعلم أنه رشيد.

فعلى المتعلم أن يكون على بصيرة للحصول على رشدي التعلم بعد رشد الإتباع: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ»: اي الى علمه الذي يأخذه عمن يأخذه وكيف يأخذه؟

و بهذا الأدب اللائق بنبي يستفهم دون جزم ويطلب العلم الراشد من المعلم الراشد، باتباع راشد فانه ليس ليستسلم أمام ذلك التعليم ما لم توافق مواده موازين العقل والشرعة الإلهية! لذلك ينبهه العبد الصالح بما يؤل أمره، لاختلاف ميزاني الظاهر عند المتعلم، والباطن عند المعلّم.

قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (۶۷) وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (۶۸).

إحالة في تأكيدي: «إن- لن» ان يصبر معه صبرا، ولا في مادة واحدة، حيث النكرة في نطاق النفي المؤد ولا سيما المحيل، إنها تفيد الاستغراق الحاسم الجاسم.

و لكي لاتكون هذه البداية مزعجة غير مترقبة من صالح الى نبي، وبعد هذه الآداب، والحرمات المسبقة، يعذره المعلم في «لَنْ تَسْتَطِيعَ» ب «وَ كَيْفَ تَصْبِرُ»على ما ترى من خلاف الشرعة وهو خلاف العدالة العصمة أن يسكت صاحب الرسالة عن التنديد بأمر إمر، أو نكر، او خلاف العقل، حيث التقرير زاوية من مثلث السنة! يعذره عن أن يصبر «عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً»وحيطة الخبر لزام عقلي وشرعي فيما يخالف ظاهره الشرع او العقل، لكي يتغلب باطنه الأمين على ظاهره غير الأمين فيصبر على إمر الظاهر لأمر الباطن، والصبر ما أوله مرّ وآخره حلو فمن دخله من أواخره فقد دخل ومن دخله من اوائله فقد خرج ومن عرف قدر الصبر لايصبر عما منه الصبر ..»[1] وموسى يعرف قدر الصبر وموقعه فلا يصبر عما منه الصبر وهو عصيان في ظاهر الشرعة وحتى في احتمال أن آخره حلو! فالشرعة الإلهية أعلى محتدا وواجب رعاية وحرمة من حرمة المعلم ايّا كان، إذا تناحرتا، فلا طاعة لمخلوق- ولا رعاية- في معصية الخالق، وكما لامعصية لمخلوق في طاعة الخالق، وانما هي طاعة اللّه لاسواه، واحاطة الخبر فريضة عادلة في كل فعل او ترك ان يعرف وجهه في شرعة اللّه فيؤى به او يترك، بوحي او اجتهاد او تقليد صالح، وليس موسى ممن يقلد خضرا فانما يمشي ويمضي بوحي، ثم التقليد الصالح قد يجابه بما يحير العقل فسؤلا وجوابا مقنعا ام تركا واعتراضا محتاطا! ومهما يكفي خبر ما في فعل او ترك لايرفضه العقل، ويفرضه ظاهر الشرع، فلا يكفي فيما يرفضه حكم العقل وظاهر الشرع إلّا احاطة الخبر لحدّ يحوله الى مسموح او مفروض! نرى موسى حينما يواجه ويجابه ب «لَنْ تَسْتَطِيعَ» حيث تحيل أهليته لذلك التعلم، لايتبرّم وينزعج فيترك تعلما فيه مهانة، بل يجيبه بما يؤله «إِنْ شاءَ اللّهُ»ويعذره «إِنْ شاءَ اللّهُ»فيمضي في هذه الرحلة الدراسية على ضوء «إِنْ شاءَ اللّهُ»تعليم صعب وتعلّم صعب على عبدين من الرعيل الأعلى في علم الظاهر والباطن.

قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (۶۹).

---

[1] .مصباح الشريعة عن الامام الصادق عليه‌السلام واستدل في ختامه بالآية قال اللّه تعالى في قصة موسى والخضر عليهما‌السلام «وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً»!

يقولها موسى ولا يدري أنه يواجه امرا إمرا او نكرا او خلاف العقل! وحيث الصبر- وبمشية الله في هكذا أمر- لايترجّاه مؤن فضلا عن موسى الرسول عليه‌السلام.
و «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» هنا هي مشية الله تشريعا فتكوينا ف «سَتَجِدُنِي ...
صابِراً وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً» مهما أبهم أمره، ما وافق شرعة الله ثم شاءه الله توفيقا لما أشاءه.
و هذه تكفل حتمية الصبر من موسى عليه‌السلام شرط «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» في بعديها، فلا خلف في وعده ولا تخلف عن مشيئة الله إذ لم يصبر على أمر إمر أو نكر، إذ لايشاءه الله في شرعة ظاهرة، ولا تكوينا بعد ان لايصبر موسى حسب تكليفه الظاهر.
اجل «وَ لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً» إلّا ان يكون أمرك عصيانا لله وإمرا، فقد تمت شروطات وآداب التعلم من موسى عليه‌السلام وثم ماذا من الخضر؟
قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧٠) ينبّهه أن أمره يثير السؤل العاجل وقد لايصبر عنه إلى آجل، فلذلك يشترط عليه الآخر المطاف ترك العجال في السؤل ويربطه بمتابعته التي هي اوّل المطاف في هذا المجال! «فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي» دون ان يفرض عليه عدم السؤل إلا بشرط اتباعه المطلق في رحلته المدرسية، الذي لزامه التسليم أمام المعلم كما يراه لصالح التعليم، تأدبا أمام موسى الرسول عليه‌السلام كما تأدب هو أمامه مع أنه إمامه في الشرعة الإلهية! إذا فلا سؤل فيما يأتي من امره كيفما كان «حَتّى أُحْدِثَ» دون سؤل «لَكَ مِنْهُ ذِكْراً» هو اجابة عن كل سؤل على أية حال في هذه الرحلة العلمية إحداثا منه وابتداء دون سؤل! ويا لها من صعوبة ان موسى الرسول المحيط خبرا بكل ما يفعل او يقول، او يؤى أمامه عن اي فاعل او قائل، أن يسكت طول هذه الرحلة عن مجاهيل الأمر، على احتمال ان فيه نكرا او إمرا! لكنه مأمور لمواصلة هذه الرحلة، وهكذا مأمور معذور إلّا فيما لايعذر، فعليه التحمل ما لم يكن حملا لا يحمله الشرع والعقل، فيرضى موسى محتاطا في صبره وعدم عصيانه وسؤله ب «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» رقابة تامة على ظاهر الشرعة، وعلى ضوءها ما يحدث في رحلته مواصلة لها، وقد يتناسى لرعاية الشرعة لزوم صبره وإن كان على أمر إمر، وخضر يستأجله في تأويل ما لم يحط به خبرا، ولكنما التعود على الالتزام بظاهر الشرع ولرسول معصوم لايمهله ان يصبر حيث يراه إهمالا للشرع! ..
فَانْطَلَقا حَتّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (٧١)
(فانطلقا» هنا دون «انطلقوا» دليل ان موسى ترك فتاه في الملتقى، ولأن الانطلاق هو التخلي عن وثاق كما الطلاق تخلية عن وثاق، فقد كان وثاق حتى الملتقى فمن هناك الانطلاق، وثاق موسى بفتاه، ووثاقه بعلم الظاهر، ثم وثاق خضر بوحدته وبعلم الباطن، «فانطلقا» يعني لكلّ انطلاقين والى مجمع بحري الظاهر والباطن:
«... حَتّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ» .. «السفينة» معرفة تلمح أنها بخصوصها كانت مقصودة للخضر كأوّل المطاف في هذه الرحلة، فلم يقل «سفينة» كما وأن «إذا» تؤد هذه المعرفة المستبقة عن السفينة، فهما إذا في هذه الرحلة المدرسية «في السفينة» يتابعان واجب التعليم والتعلم!- «خرقها»! مسافر باجرة ام

دون اجرة[1] ولا يملك السفينة وحتى لو ملكها «خرقها»؟ أمر امر: داهية عظيمة، تستقبل موسى بداية الأمر! لن يستطيع موسى امامه صبرا فيبتدر في اعتراض: «قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها» كغاية يخلفها خرقها وان لم يقصد به غرقها ولكنه حسب العادة يعرف غرقها بخرقها! «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً» حكم على أمره بإمره في تأكيدين: «لقد» حيث الإمر وهو الداهية العظيمة هناك، كان إمرا من جهات عدة أعظمها الذي ذكره كغاية كأنها المقصودة فقط: «لِتُغْرِقَ أَهْلَها» وفيه ضمن أهلها غرقهما، وفيه- لأقل تقدير- تصرف ضار في مال الغير، فلان تعريض الغير ولا سيما جماعة الى الخطر أنكر من تعريض النفس كما هو أنكر من إتلاف المال، لايأتي هنا من إمر أمره إلّا «لِتُغْرِقَ أَهْلَها» حيث الخرق كان لحد الغرق. لقد كان موسى عليه‌السلام هنا معذورا في اعتراضه بلفظة قاسية، ويعذره موقفه الرسالي من ناحية، وعلّه لم يدر ان خرق السفينة هو من موارد تعليمه ومواده من اخرى، حيث تعود التعلم بوحي الشرعة قولا، وامّا ان عملا ما كهذا داخل في التعليم فلم يتعوده رساليا، ففوجأ هنا بالخرق الغرق فانبرى غضبانا أسفا «أَ خَرَقْتَها ... إِمْراً»؟! سفينة تحملهما بركاب لها وهم وسط اللجة تلعب بها في جزرها ومدها، ثم يأتي عبد الصالح في رحلة تعليمية لموسى الرسول عليه‌السلام فيخرقها ليغرقها وأهلها، انها طامة كبرى وداهية عظمى تغطي على موقف المعلّم وما وعده موسى «سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّٰهُ صابِراً» ولكن كيف يشاء اللّٰه صبرا في مثل هذه الداهية، فحق له أن ينسى ما وعده وإن لم يستثن وقد استثنى! ثم العبد الصالح لايزيد على ما بدء.

قالَ أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٢): وهذه اوّل خطوة في رحلتنا ما صبرت معها، وكما قلت لك بداية الرحلة، وما هي الفائدة في تعليم لاتتوفر شروطه ولن:!؟ إذا فاتركني وشأني وشأني، ام حاول لإحالة ظاهر الحال الإمر إلى باطن الأمر بصبر هو مفتاح الفرج! قالَ لا تُؤ'٧cخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَ لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (٧٣) فانما نسيت وعدك دون تقصير، بل نسيان او تناس واجب بظاهر الشرع فترك ذلك النسيان عصيان، فلا تؤخذني! «وَ لا تُرْهِقْنِي»: لاتغشني بقهر في تكليف التكلّف ألّا أنسى ومن حقي أن انسي أو أتناسى «لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي» تعلما في هذه الرحلة العسيرة «عسرا» على عسرها، فان لم اصبر أنا ولن .. فاصبر أنت إذا، ولكي ننهي أمرنا على إمره، فلا تزد إمرا على إمر وعسرا على عسر! والتكليف في عسر مرفوض في ظاهر الشرع ف «لا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً»! و«امري» يشمل أمري النسيان والرحلة المدرسية، فلا تندد بي إذ نسيت ولا تترك تعليمي بعد ما نسيت.

نرى هنالك اجتمعت المشيئتان التكوينية والتشريعية التي تبنتها أن لم يصبر على امره الإمر، وينهاه

---

[1] .الدر المنثور في حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم عن القصة «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم فعرفوا. الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا السفينة فلم يفجأه الا والخضر وقد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عهدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد شيئا امرا ...

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم اللّه الأمثل نقص هذا العصفور من هذا البحر.

وفي نور الثقلين ٣: ٢٧ ح ١٥١ في تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن سيابة عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام وساق القصة الى قوله عليه‌السلام فانطلقا حتى انتهيا الى معبر (سفينة) فلما نظر إليهم اهل المعبر قالوا: واللّه لا نأخذ من هؤاء اجرا اليوم فحمل عليهم فلما ذهبت السفينة وكثرت الماء خرقها ...

موسى عن مؤخذته بما نسي وإرهاقه من أمره النسيان والتعليم عسرا، ولو كان نسيانه محظورا لكانت المؤخذة عليه حقا في ظاهر الشرع، فلما ذا ينهاه موسى عن مؤخذة وإرهاق وليس لينهى إلّا حسب الشرع، كما لم يصبر حسب الشرع! وترى «أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ ..» لم تكن فرية على الخضر- وحكما على أمره بإمره، ومجال الاحتمال لحلية أمره واقع حيث التنبيه المسبق «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً .. فَلا تَسْئَلْنِي ..»؟

الجواب انه سؤل استفهام وليس حكما، ولم تكن المؤخذة «أَ لَمْ أَقُلْ ..»إلّا على سؤله لا فريته، و«لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً»حكم على فرض عدم الجواب المقنع، او حكم بظاهر الشرع دون باطنه فلا محظور فيه، وقد أعذره الخضر! فَانْطَلَقا حَتّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (٧۴).

«فانطلقا» انطلاقة ثانية في مواصلة الرحلة المدرسية، انطلق موسى تخليا وتخلصا عن وثاق الوعد: النسيان الاعتراض في سؤل التنديد، وانطلق الخضر عن المؤخذة بما نسي موسى عليه‌السلام إرهاقه العسر- «حتى إذا»وقعا في وثاق ثان «لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ»: قتله فور لقاءه دون حوار، وحسب الظاهر دون معرفة مسبقة عن حاله، وهذا أمر وأدهى من خرق السفينة[1] فانه يخلّف الغرق وقد يمنعه مانع من سدّ الخرق كما فعل، ولكنما القتل واقع لايجبر بشيء، فانبرى موسى نبرة أشد من الأولى ناسيا وعده هنا وكان أحرى إذ يرى نكرا بعد ما رأى إمرا «قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً». ترى وكيف عرف ان الغلام نفس زكية، أو أن قتله كان بغير نفس؟

أ كانت زكية حيث الغلام لائح في غير البالغ، وهو نفس زكية على أية حال حيث كونه مرفوع القلم حتى وان قتل نفسا فالدية إذا على العاقلة دونه.

و لكن فرض الدية على العاقلة لايجعل القاتل غير البالغ زكيا وغير قاتل، وان لم يجز قتله حيث القلم عنه مرفوع! أو أنه كان بالغا والغلام من بلغ حدّ الغلومة والشبق بالغا وسواه، وقد نتبلّغ بلوغه هنا من «بِغَيْرِ نَفْسٍ»اللائح في تجويز قتله بنفس، ومن ثم الجواب في تجوز قتله بكفره المرهق «فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً» والكفر المرهق الطاغي مما يفرض القتل فانه فتنة وفساد كبير «وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» فانها قتل لنفوس مؤنة لايمانها! وكيف عرف موسى انه نفس زكية دون معرفة عنه مسبقة، وانه لم يقتل نفسا او لم يأت بما يهدر دمه؟ علّه لأنها كانت لقياه الاولى، والأصل في كل نفس كونها زكية غير كافرة، وانها لم تقتل نفسا، أو انها زكية عن قتل الغير ان كانت اللقيا في ارض كافرة، ف «بِغَيْرِ نَفْسٍ» تأكيد لكونها زكية، وأصل البراءة حكم من ظاهر الشرع يحكم بهذه وتلك، إلّا ما خرج بدليل، ولا دليل على خلافه حاضرا في هذه اللقيا، وموسى عليه‌السلام رسول وامام يحكم بظاهر الشرع: «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً»: يستنكره كل عارف بموقفه!. او ان حكمه لم يكن بتا حيث احتمال البراءة قائم، فانما حكم شرط كونها «نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ»وإذا «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً».

و لماذا يذكر موسى مسوغا واحدا للقتل «بِغَيْرِ نَفْسٍ» ان قتل النفس إنما يجوز بنفس؟ علّه لأنه المسوغ

---

[1] .الدر المنثور في حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم عن القصة ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى ... وهذه أشد من الاولى ..

الأصل لقتل النفس قصاصا ثم يلحقه غيره من فساد في الأرض ام ماذا «مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً»(٥: ٣٢) نقلا قرآنيا عن ذلك الحكم في التوراة! او ان «زكية» تلمح الى سبب عام في هدر الدم، انها كافرة بارتداد إمّا ذا، ام مفسدة في الأرض؟ وقد أجمل عن أسباب اخرى كهذه حيث الغلام بعيد عنه إفساد على غلمته! فإذا كانت المرحلة الاولى من هذه الرحلة خرق السفينة واحتمال غرق من فيها، ففي الثانية «قتل نفس زكية بغير نفس»امر نكر لايستطيع موسى أن يصبر عليه، فقد يستنكر هنا دونما نسيان، وكما لم يعتذر كالأولى «بِما نَسِيتُ» وانما «إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي ..»دونما تأول سبب يعتذره- هنا- وبعد هذا السؤل العضال- يردد المعلم تنديده الأديب.

قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٥).

كما مضى دون زيادة إلّا «لك» اقل لك موسى الرسول كليم اللّه متابعي في هذه الرحلة، لك لاسواك، لك مرتين: قبل الرحلة وعند الخطوة الاولى «إِنَّكَ لَنْ ..»كمستحيل عليك ان تستطيع معي صبرا، حيث «وكلت بأمر لاتطيقه ووكلت بأمرأطيقه»فكما لاتطيق أنت معي صبرا بحكم الشرعة الظاهرة، كذلك أنا لاأطيق على سؤلك صبرا بحكم الشرعة الباطنة!

لو كانت لهذا المعلم ولاية مطلقة إلهية على ذلك المتعلم كان عليه التسليم المطلق، ولكنما الولاية المطلقة هناك انما كانت لموسى عليه‌السلام على خضر عليه‌السلام وهو من أمته، فكيف يستلم له في رحلته وان كان وعده متابعته واتباعه، ولكنه استثناها بمشيئة اللّه في بعديها، وهذه تختلف في بعد المشيئة التشريعية عن المتابعة المطلقة لمن له الولاية المطلقة كأنبياء اللّه وأضرابهم، والبعد التكويني في استثناء المشيئة كائن أيا كان ولأي كان وكما الرسول «وَ لا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلّا أَنْ يَشاءَ اللّهُ».

لذلك لايستسلم موسى أمام الخضر إلّا على ضوء ظاهر الشرعة الإلهية مهما بلغ في رحلته من رهق الصعوبة او الحرمان.

قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (٧٦).

إن المرة الثالثة بعد الأولى والثانية هي آخر المرات وليست آخر الخطوات، ولكنكتحملني وأنا لاأحملك لاختلاف المعيارين، ف «إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها»وأحاول ألّا اسأل «إِنْ شاءَ اللّهُ»- «فَلا تُصاحِبْنِي» استمرارا في هذه الرحلة ف «قد بلغت» إذا «مِنْ لَدُنِّي عُذْراً»حيث أعذرك في ترك الصحبة إذ لاتتحمل سؤلي قبل ان تحدث لي جوابا، ولكنني اتحملك في تأجيل الجواب مهما لااتحملك عن تعجيل السؤل، والفرق لائح من «قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي»دون «قد بلغت عذرا من لدني ولدنك»! فحيّاه إلى المشهد الثالث والأخير.

فَانْطَلَقا حَتّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً (٧٧).

خطوة ثالثة وهي الاخيرة من تلك الرحلة المدرسية هي أخف وطأة من سابقتيها فانها في ظاهر الحال خلاف العقل وليس محرما شرعيا ام يخف! «فانطلقا» كلّ من وثاقه «حَتّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها» الأهل الثاني علّهم الأهل من أهلها: من فيه الأهلية ان يستطعم، أ ترى كيف يجوز عليهما الاستطعام؟ أ سؤلا وهو حرام إلا عند الضرورة المدقعة بقية على حياة ولم تكن حيث أقام

الجدار! ام استضيافا كما «فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما»؟ فكذلك الأمر وان كان أهين.
علّه كان جوعا لحد الحرج حيث لايسطعان مواصلة الرحلة الواجبة، والاستضياف عنده، وممن يؤل للإضافة هو في حدّ الوجوب، ام لأقل تقدير يجوز، ثم وليظهر لهم لؤهم، فتظهر اقامة الجدار دون طلب لأجر أكثر واظهر عجابا لموسى فتكتمل الرحلة بذلك الأمر الأمر العجاب، وليخجلوا لما رأوا إقامة الجدار دون بغية الأجر، إمّا ذا من حكم مجوزة او موجبة لاستضيافهما.
و ما الأمهم حيث «أبوا أَنْ يُضَيِّفُوهُما» وقد يروى أنهم لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاءوا الى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله بحمل من الذهب وقالوا يا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله:
نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء في «أبوا» تاء: «أتوا» لينـدفع عنا هذا اللؤ؟ فامتنع رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله..[1].
أ ترى بعد هذه اللئامة اللعينة والإهانة المهينة يستحق أهل هذه القرية كرامة متعبة مجانة وعلى رهق الجوعة المهلكة؟ ولكن «فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ»على وعثاء السفر وشقوة الجوع ولئامة أهلها «فأقامه» الخضر، وطبعا لايساعده موسى حيث السؤل الفادح: «قالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً» و«لو»هنا تلمح الى حالة من الجوع والنصب يرثى لها وتحيل اي عمل فضلا عن إقامة الجدار، ف «لو شئت»عملا كمستحيل تحميلا على نفسك لاتخذت قبله عليه أجرا.
جدار يريد أن ينقض، وكيف يريد الجدار ولا إرادة للجماد، إلّا تصويرا لمقارفة الانتقاض، حيث ظهرت فيه أماراته من ميل بعد ثبات واضطراب بعد انتصاب! وترى ان الخضر- استأذن صاحب الجدار فأقامه؟ و«كان لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ» إنه اقامه بولاية شرعية، ولكنه مجهول لدى موسى فيعترض «لو شئت ...». وترى «لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً» بعد ما أقامه؟ وليس لغير الأجير أجر، بل وعلّه عليه وزر تصرفا في مال الغير بدون إذنه! طبعا قبل ما أقامه عليه أن يستأذن أهله على اجر، حيث الضرورة قائمة هناك على أخذ الأجر، مما يفرض عرض الإنسان نفسه لعمل بأجر بقية على حياة وتداوما في تلك الرحلة الواجبة.
فحسب الظاهر ليس هذا الموقف موقف الترحم على هؤاء اللئام، فليرحم نفسه وصاحبه بأخذ الأجر، فتركه خلاف العقل ولا يسمحه الشرع!.
قالَ هذا فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (٧٨).
فراق حسب الشرط «فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً» وقد تعلم منه مما علّمه رشدا، وقد تبين الرشد في كليهما معلما ومتعلما بكل احترام دون اختراع.
ي الخطوة الاولى والثانية اعتذرت فأعذرتك وللثالثة أعذرت دون اعتذار ف «هذا»السؤل دون إعذار «فِراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ» كما اتفقنا «سأنبئك» كما وعدتك: «حَتّى أُحْدِثَ ..» بتأويل مأخذ ومرجع «ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً»! فراق حنون بعد وفاق حنون وكلّ خطى خطواته كما علّم، وقد حصل ما قصد

---

[1].التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢١ ص ١٥٧: رأيت في كتب الحكايات ...
و في روآية ابن بابويه والقمي ان هذه القرية هي الناصرة التي تنسب الى النصارى، وفي بعضها أن الأرض كانت آذربيجان والقرية باجر وكان أهلها لئاما وعن القرظي أنها طنجة.

كأن يعلم موسى أن في أمته من هو أعلم منه في علم الباطن، مهما كان هو أعلم منه في علم الظاهر، ف «فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»اللّهم إلّا علّام الغيوب، فلا يزعمنّ أحد أنه أعلم الخلق أجمعين وإن كان كموسى الرسول، فضلاً عمن سواه، حيث العطيات موزّعات بعلم العليم الحكيم حسب القابليات! أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (٧٩).

أراد اللّه أن تبقى السفينة لمساكينها، ولو شاء لحقق ما يشاء بصرف إمّا ذا من خارقة. ولكنه شاءه بفعل من غيره غير خارق: «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها»أردته تحقيقا لمشيئة تشريعية، واخرى تأييدة تكوينية إلهية كما في كافة الواجبات.

لم يقل أردنا حيث لم يشاركه موسى، ولا أراد اللّه حيث لم يرد اللّه الإعابة بفعله خارقة، وإنما أراد تعالى إصلاحها بما أعابها الخضر، فالإعابة فعله بسماح شرعي، والإصلاح فعل اللّه بسماح تكويني.

«وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ»: ملك وراء المساكين يلاحقهم أيا كانوا «يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً» فليست الوراء هنا وراء الخلف،[1] وانما وراء التخلّف والملاحقة من أية جهة كانت و«كُلَّ سَفِينَةٍ» تعني من مساكين وسواهم حيث هي صالحة للاستثمار، فلتكن صالحة غير معيبة، «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها» في الظاهر لأصلح أصلها لكيلا تغتصب.

على الملوك أن يكونوا وراء الشعوب ولا سيما المساكين خدمة لهم وإصلاحا، وهذا الملك كان وراءهم خيانة وإفسادا «يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً»فلأنني أحطت بذلك خبرا أعبتها للحفاظ على أصلها، ثم الحفاظ على أهلها عن غرقها حاصل بما سددنا ثغرتها.

بهذا العيب الصغير نجت السفينة عن الضرر الكبير الذي يكنه الغيب إن لم يكن لها عيب، ولتكن هذه سنة للحفاظ على الأصلح وكما عاب الإمام الصادق عليه‌السلام زرارة في ظهر الغيب حفاظا على نفسه، وبهذا المعنى الغاية تبرر الوسيلة، فإعابة السفينة محرمة لو لاهذه الغاية، دون أن تتبرر كل وسيلة بكل غاية، وإنما الغاية الأهم بوسيلة دون الأهم، فغاية توطيد اركان الخلافة بواسطة تثبيت معاوية ردحا من الزمن لاتتبرر، حيث الخلافة العادلة لاترتضي ظلما يتبناها او يوطّدها، وإبقاء معاوية إبقاء للظلم ريثما يثبت العدل ثم يزيل معاوية الظلم، ومن ذا الذي يضمن بقاء الإمام في هذه الفترة حتى يعزل معاوية، ومن ذا يضمن إمكانية عزله إن بقي الإمام وهو يقوى كما الإمام يقوى، حيث هما في سبيلهما إلى الاستبقاء! فهنا نرى ان في امهال معاوية الطاغية رعاية لاستحكام حكم علوي مجهول، وإبقاء لاستمرار واستحكام ظلم الطاغية وهو معلوم، بيد ان غاية العدليبررها

---

[1] .الدر المنثور ٤: ٢٣٧- اخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم كان يقرأ «و كان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا».

أقول: اما «صالحة» فهي تفسير بيان للسفينة، واما «امامهم» فقد يعني «بين أيديهم» دون ان يكون «امامهم» بدل «وراءهم»و«صالحة» محذوفة عن القرآن، حيث تطارده أحاديث العرض و لا نصدق الا كتب القرآن المتواتر والمجمع عليه طوال القرون الاسلامية! ويشهد لذلك ما رواه العياشي عن حريز عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) انه كان يقرء «وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ»يعني امامهم «يأخذ كل سفينة صالحة غصبا».

اي ظلم! فليست «الغاية تبرر الوسيلة»ضابطة صالحة لاتستثنى، ولا حابطة طالحة لاتصلح، وانما الضوابط الشرعية الاخرى هي التي قد تبرر وقد لاتبرر، كما بررت في خرق السفينة، دون إمهال معاوية!.

إذا فكل ما دون قتل النفس من المحرمات تتبرر كمقدمات للحفاظ على النفس، كأن تغتاب أخاك او تفتري عليه او تهتكه وتضربه أمّاذا حفاظا على نفسه، وكلما هو فوق القتل كضياع الشرع أماذا لاتتبرر للحفاظ على النفس، وهذه الفوقية والتحتية مستفادة من الشرع، فإذا كانا على سواء فعلى سواء، ضابطة عامة في تقديم الأهم على المهم! هنالك شروط عدة في تبرير الغاية الوسيلة، من كونها أهم من الوسيلة كما في زرارة والسفينة، وكون الغاية الأهم قطعية كالوسيلة، فان كانت هي محتملة والوسيلة قطعية فلا تبرر، إلّا فيما المحتملة ايضا أهم من تلك الوسيلة، كمظنة حفظ النفس او احتماله حيث تبرر وسيلة خفيفة كضرب او شتم او اغتياب إمّا ذا؟

و ان تتوارد الغاية والوسيلة على فرد او جماعة، كأن تظلم فردا او جماعة بظلم لئلا يظلم بأكثر منه كما في السفينة، فأما ان تظلم فلانا ليسلم غيره من ظلم وان اكثر منه فلا كما في إبقاء معاوية تظلم الجماعة المؤنة في فترة بقاء معاوية لسدّ ظلم اكثر منه- ولا اكثر منه!- في مستقبل مجهول وعن جماعة غير معلومة، علّ فيها من هؤاء- لاكلهم- وعلّهم ليسوا فيها!. لانسطع في هذا المجال الخاصر الحاصر ان نستعرض كل المعارضات بين الوسائل والغايات من الفقه كله، فنحشر الفقه لنحشركم على حافة من المسرح العام، فليتبع وفي كلّ ضابطته علما بان الغاية ليست لتبرر الوسيلة كضابطة عامة، فقد تبرر بضابطة وقد لاتبرر بضابطة، فليست هي إذا ضابطة وانما السلب والإيجاب لتبريريها حسب الضوابط المقررة في مجالاتها.

و من أهم السياسات الحفاظية على الصالحين كسرهم عند من يريد كسحهم حتىيبيدهم وكما فعل الامام الصادق عليه‌السلام بزرارة معتذرا إليه في تعييبه إياه موضحا له موقفه قائلا له «يرحمك اللّه فانك واللّه أحب الناس إلي وأحب أصحاب أبي إلي حيا وميتا فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام وإن من ورائك لملكا ظلوما غصوبا يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها وأهلها فرحمة اللّه عليك حيا وميتا ورحمته ورضوانه عليك ميتا[1].

و في دوران الأمر بين المهم والأهم لابد من تشخيص ذلك من اجتهاد او تقليد كما يصح: دون الهوسات والتصورات السطحية الخاطئة، حيث تورّط الى طامة كبرى لاعلاج لها ام يصعب.

ف «الغاية تبرر الوسيلة» ليست ضابطة فقهية عامة، حتى تلعب بها العامة كما تستعملها الخاصة،

---

[1].نور الثقلين ٣: ٢٨٥ ح ١٦٣ في كتاب تلخيص الأقوال في تحقيق احوال الرجال في ترجمة زرارة ابن أعين روى في الصحيح ان أبا عبد اللّه عليه‌السلام أرسل اليه انما أعيبك دفاعا مني عنك! فان الناسالعدو يسارعون الى كل من قربناه وحمدنا مكانه لادخال الأذى فيمن نحبه ونقربه ويذمونه لمحبتنا له وقربه ودنوه منا ويرون إدخال الأذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه فانما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا ويميلك إلينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس فيكون ذلك دافع شرهم عنك لقول اللّه عز وجل «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً»هذا الرسل من عند اللّه صالحة، واللّه ما عابها الا لكي تسلم من الملك، فإنهم المثل يرحمك اللّه فانك واللّه أحب الناس اليّ واصحاب أبي الي حيا وميتا فانك أفضل سفن ذلك البحر القمقام وان من ورائك لملكا ظلوما غضوبا يرقب عبور كل سفينة.

وحتى إذا كانت ضابطة فلا تنضبط في التحقيق والتطبيق إلّا عند أهلها الخاصة، ولكنها كما نبهنا ليست آية من كتاب أم رواية من سنة، بل هي حسب المظاهر المواتية للواقع، ضابطة سياسية يبرر بها الساسة دسائسهم الجهنمية، وكما نجدها في الأصل عند الصهيونية العالمية، حيث أوصلوها الى حدّ إقحام آيات في التورات وتحريف آيات أخرى إمّا ذا من اقتحامات ضالة مضلة.

ثم على ضوء الفقه الاسلامي السامي نصلح هذه الضابطة غير الضابطة بحيث تصلح في العناوين الثانوية حسب الضوابط الاسلامية القاطعة.

وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً (٨١).

هنا يبرر الخضر قتل الغلام بفساده كفرا وإفساده أن يرهق أبويه المؤنين طغيانا وكفرا، «وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» والإفساد في الأرض من مبررات القتل «كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً»(٥: ٣٢).

«إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ ..» (٥: ٣٣) وإرهاق الأبوين المؤنين طغيانا وكفرا- وهما يستحقان رحمة اكثر ممن سواهما- انه من أبرز الإفساد والسعي فيه.

فكون الغلام حينذاك كافرا دليل كونه مكلفا![1] وكون أبويه مؤنين يجعله مرتدا فطريا يستحق القتل ولا يستتاب وإن تاب لم تقبل! فخشية ارهاقه إياهما طغيانا وكفرا يهدّر دمه ثانيا بعد تهدره بارتداده! وارادة ابدالهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما، زاوية ثالثة تفرض قتله! فحتى لو كان غير بالغ لكان يحق القتل دفعا للإفساد المحتوم.

فهذا الغلام الذي لايبدو في ظاهره وحاضره انه مستحق القتل، إذا هو في متن الغيب كافر طاغ يخشى ان يرهق أبويه طغيانا وكفرا.

و ترى لماذا هنا «فَخَشِينا .. فَأَرَدْنا» وهنالك «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها» لان إرادة الاعابة لم تكن إلّا منه دون موسى حيث ندّد بها! وحتى إذا عرف موسى جوازها فلا حاجة في الإعابة إلا ارادة واعابة واحدة، واما الخشية من الإرهاق، فهي كائنة للخضر ومقدرة لموسى وعلى كل مؤن بالله أن يخشى الارهاق، مهما كان دفع الخشية بالقتل يكفيه واحد، وبعد العلم والخشية تأتي الارادة «أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً ..».

---

[1] .الدر المنثور ٤: ٢٣٦- اخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن عبد العزيز في قوله: لقيا غلاما قال كان غلاما ابن عشرين سنة فيه اخرج مسلم وابو داود والترمذي وعبد اللّه بن احمد في زوائد المسند وابن مردويه عن أبي بن كعب عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم قال: الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو أدرك لأرهق أبويه طغيانا وكفرا وروى مثله عن ابن عباس عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) إلّا ذيله، أقول: قد يعني «طبع كافرا» انه منذ ان بلغ طبع نفسه كافرا فان اللّه لا يطبع أحدا على الكفر فكل مولود يولد على الفطرة، ثم «و لو أدرك»يؤل الى إدراكه أبويه على كفره ارهاقا لهما كفرا.

و في نور الثقلين ٣: ٢٨٥ ح ١٦٤ في مجمع البيان روى عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام «اما الغلام فكان كافرا وأبواه مؤنين أقول: وهذا تفسير وليس نقلا لاصل الآية.

وفيه (١٦٧) عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: سمعته يقول: بينما العالم يمشي مع موسى إذ هم بغلام يلعب قال: فوكزه العالم فقتله قال له موسى «اقتلت ...» قال: فادخل العالم يده فاقتلع كتفه فإذا عليه مكتوب «كافر مطبوع».

يا موسى لست أنا الوحيد في هذا الميدان، فأنت معي وكل مؤن باللّه أن نخشى ما أخشاه ونريد ما أريده بعد العلم بموقف الغلام وأبويه المؤنين، وأما إرادة الإعابة فيكفيها واحد ثم لايريد سائر من يعرف الواقع إلّا الحفاظ على سفينة المساكين باية طريقة ممكنة، دون ضرورة ايمانية في ارادة جماهيرية للإعابة! وترى إن خشية الإرهاق طغيانا وكفرا وهي دون العلم كيف تبرر القتل ولا علم ولا إرهاق حينذاك؟

هنالك المبرر لقتل الغلام يكفي كونه مرتدا فطريا وفي حالة الإفساد ولمّا يرهق أبويه، ثم الخشية لاتنافي العلم الحاضر الظاهر، حيث الواقع قد يتخلف عما تعلم، فالصيغة الأدبية عن العلم الظاهر فيما لايجوز هي الخشية، خوفا ان يستقبل خلاف ما يعلمه حاضرا، فلم يكن- إذا- قتل الغلام قصاصا قبل الجناية، حيث الارتداد الفطري هو جنايته الحاضرة، اضافة الى خشية الإرهاق حيث تلمح الى حاضر السعي في الإفساد، ولكي يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما.

أ ترى ان الغلام كان خيرا وقريب الرحم حتى يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما؟ كلّا فلا خير في هذا الكافر ولا رحم لأبويه، وإنما الافضلية في «خيرا واقرب»مجاراة ظاهرة في خير الغلام ورحمه.

و هل إن «طُغْياناً وَ كُفْراً» مفعولان ل «يرهقهما» ان يغشيهما بقهر طغيانا وكفرا، ليطغيا ويكفرا؟ ام حالان ل «يرهقها» ارهاقا لهما حالة الكفر والطغيان؟

قد يعنيهما المنصوبان حالين حال كونهما مفعولين حيث يتحملهما أدب اللفظ وجمال المعنى، فالمرهق حالة الطغيان والكفر يرهق الى حالة الطغيان والكفر دون زكاة منه ولأرحم اكثر مما في غير حالته.

و لقد سلبت «خشينا» بقتله وتحققت «أردنا» حيث أبدلهما ربهما خيرا منه زكاة: طهارة وايمانا في نفسه، واقرب رحما: رحمة لأبويه[1].

مثلث من موجبات القتل يسبب قتل هذا الغلام الكافر وزاوية منه كافية ومثلث آخر هي من موجبات الرحمة يفرض إقامة الجدار دون اجر:

وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً (٨٢).

.. جدار هو ليتيمين في المدينة يريد أن ينقض، تجب إقامته مجانا على ولي اليتيم والخضر من أفضل الأولياء «وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما» يجب الحفاظ عليه باقامة الجدار مجانا، «وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً» ويكرم الرجل في ولده، فتجب اقامة الجدار إكراما لوالديه المؤنين مجانا، زوايا ثلاث من فرض إقامة الجدار لاأجر فيها ماديا وكما قال اللّه «وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» (۴: ۶) ولم يكن موسى والخضر فقيرين رغم حاجتهما الحاضرة المفقرة، ولو كانا فقيرين فكيف يأكلان هنا

[1].في تفسير القمي عن عثمان عن رجل عن أبي عبد الله عليه‌السلام في الآية إنه ولدت له جارية فولدت غلاما فكان نبيا وفي اكثر الروآيات انها ولد منه سبعون نبيا.

بالمعروف ولا مال لليتيمين إلّا الكنز[1] الواجب حفظه حتى «يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما»وحتى إذا كان لهما مال سوى كنزهما فالفقر المجوز لأكل الولي هو الناتج عن ولايته عمليا، ولولاها لما افتقر ثم ولو لااقامة الجدار لم يكن هنا شغل له أجر! والرحمة الربانية تقتضي- الّا يؤذ من مال اليتيم، وليس «فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» للولي الفقير إلّا سماحا حالة الضرورة لافرضا، فترك الأكل «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» كما إقامة الجدار حفاظا عليه وعلى الكنز رحمة من ربك، والاطلاع على واقع الأمر رحمة من ربك «و ما فعلته من أمري»فكل ذلك كان بأمر من ربك، يرى موسى في الخطوة الاولى إمرا وفي الثانية نكرا، هما في الظاهر من أشد القساوة، ثم يرى في الثالثة رحمة زائدة لحد لايبررها موسى الرسول وهو رسول الرحمة، كتضاد في خلق الخضر يشبه طرفي النقيض، فكان لموسى موقفا حرجا لن يستطيع معه صبرا! ولماذا «فأراد ربك ورحمة من ربك»ولم يقم الجدار إلّا الخضر، لاموسى ولا ربه؟ اما الارادة فلم تكن إلّا من ربك فان بلوغهما الأشد من إرادة ربك، وكذلك الرحمة هنا في كل زواياها ليست إلّا من ربك. اعلاما له أن تحته كنز لهما، وامرا بإقامته حفظا لكنزهما، وترك الأجر وجوبا في شرعة اللّه كأجر، وأكلا دون اجر رحمة وفضلا! ثم و«ربك» تعني التربية التشريعية وليس رسولها المبلغ لها إلّا موسى، والتربية التكوينية وموسى هو امام الخضر فيما أخذ منها، فهذه حرمة وحسن ادب من الخضر- الى موسى ان قال «فَأَرادَ رَبُّكَ .. رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»فانما انا الخضر ماش على ضوء التربية الإلهية المتمثلة فيك كإمام، المتحققة عمليا بيدي كمأموم، وان كنت لم تدره حيث الشرعة ظاهرة وتلك من الغيب، كما لم أكن ادريه لو لارسالتك بالشرعة الظاهرة «ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً»! وقد نرى الأفعال المنسوبة الى فاعليها كلها في محالها، فإرادة الاعابة بفعلها هي من الخضر، لاوموسى ولا ان اللّه أرادها تكوينا إلا كما يريد فعل كل مختار، وخشية الإرهاق هي شريطة الايمان لكل مطلع على ضمير الغيب ولكنما اللّه لا يخشى، وارادة إبدالهما خيرا تتبع قتله وخشيتهما، وما أراد اللّه الأبدال الا في ظرف هذه الإرادة، والإبدال فعل من اللّه دون سواه، كما وارادة بلوغهما أشدهما ليست إلّا من اللّه ..

«وَ ما فَعَلْتُهُ» كل ذلك «عَنْ أَمْرِي» وإنما عن أمر ربك، فمهما غاب عنك الموضوع فالحكم نازل عليك

---

[1] .في بعض الروآيات ان الكنز كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه مواعظ، وفي الأب الصالح انه أبوهما الأقرب او السابع او العاشر او بينهما سبعون أبا او سبعمائة سنة.

وفي الدر المنثور ٤: ٢٣٥- اخرج ابن مردويه عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: وكان تحته كنز لهما- قال: لوح من ذهب مكتوب فيه: شهدت ان لا اله الا الله شهدت ان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يؤن بالموت كيف يفرح عجبت لمن تفكر في تقلب الليل والنهار ويأمن فجأتهما حالا فحالا! وفي تفسير العياشي عن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد اللّه عليه‌السلام يقول: ان اللّه ليصلح بصلاح الرجل المؤن ولده وولد ولده ويحفظه في دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ اللّه لكرامته على اللّه ثم ذكر الغلامين فقال «وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً» الم تر ان اللّه شكر صلاح أبويهما لهما.

وفيه عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم‌السلام ان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قال: ان اللّه ليخلف العبد الصالح بعد موته في اهله وماله وان كان اهله اهل سوء ثم قرء هذه الآية «وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً».

وفي الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن جابر قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): ان اللّه يصلح بصلاح الرجل الصالح ولده وولد ولده واهل دويرات حوله فما يزالون في حفظ اللّه ما دام فيهم.

رسولا إلي واماما علي فانا على ضوء شرعتك، فبأمر من ربك فعلت ما فعلت: «ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً»! في هذه المسارح الثلاثة كانت معارضة بين الحكم الظاهر والباطن باختلاف ظاهر الموضوع وباطنه، وقد طبق كل من موسى وخضر واجبه، وترجى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله فيما يروى عنه «يرحم الله موسى وددنا انه لو صبر حتى يقص علينا من حديثهما»

يضرب الى عمق الغيب دون تنديد بموسى عليه‌السلام كما وهو صلى‌الله‌عليه‌وآله يحيله ب «لو»وكما ان «علينا» قد تعني غيره صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث جمع، وقد اوتي صلى‌الله‌عليه‌وآله ما اوتي كل من يعلم ظاهرا او باطنا في الطول التاريخي والعرض الجغرافي وكل خليقة أيا كان وأيان! وقد أعذر الإمام الحسن نفسه في صلحه مع معاوية في قوله عليه‌السلام: «إذا كنت إماما من قبل الله تعالى ذكره لم يجب ان يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة او محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبسا، ألا ترى إلى الخضر- عليه‌السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام واقام الجدار سخط موسى عليه‌السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولو لاما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل»[1].

و أنتم أدنى من موسى وكان يحق له السؤل لولايته على خضر، وانا أعلى من خضر وموسى، ولي الولاية عليكم فما كان يحق لكم سؤلي سخطا وتنديدا! ..] سورة الكهف (١٨): الآيات ٨٣ الى ٢٠١]

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً (٨٣) إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (٨۴) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨۵) حَتّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً (٨۶) قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً (٨٧) وَ أَمّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٨٩) حَتّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً (٩٠) كَذلِكَ وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٩٢) حَتّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً (٩٣) قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا (٩۴) قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً (٩۵) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انْفُخُوا حَتّى إِذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (٩۶) فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً (٩٩) وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ

---

[1].نور الثقلين ٣: ٢٩ ج ١٩٢ في كتاب علل الشرايع باسناده الى أبي سعيد عقيصا قال قلت للحسن ابن علي بن أبي طالب عليه‌السلام يا بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم! لم هادنت معاوية وصالحته و قد علمت ان الحق لك دونه وان معاوية ضال باغ؟ فقال: يا أبا سعيد! الست حجة اللّه تعالى ذكره على خلقه واماما عليهم بعد أبي عليه‌السلام قلت: بلى- قال: الست الذي قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ليلاخي الحسين: امامان قاما او قعدا؟ قلت: بلى- قال: انا فإذا امام لو قمت وانا امام إذا قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) لبني ضمرة، وبني أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل، يا أبا سعيد إذا كانت اماما من قبل اللّه تعالى ذكره لم يجب ان يسفه رأيي فيما أتيته ..».

يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً (١٠٠) الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (١٠١) أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أَوْلِياءَ إِنَّا أَعْتَدْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ نُزُلاً (١٠٢) وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً (٨٣).

«ذِي الْقَرْنَيْنِ» لم يذكر في سائر القرآن إلّا هنا جوابا عن سؤل، فهل كان نبيا؟ لخصوص «قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ» خطابا يلمح أنه وحي، وعموم «وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً» ومنه سبب الوحي؟ ولكنما القول من اللّه لايخص وحي النبوة وحتى قول الوحي كما «وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى»فضلا عن «قلنا» وفي هذه اليتيمة فقط! ويشاركه فيه غيره «وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ»ولم يكونوا أنبياء! «وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» وما كان نبيا حينذاك او «قالَ يا إِبْلِيسُ» ولن يكون نبيا! فقد يعنى «قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ» إلهاما دون وسيط كما في هؤاء، ام وحيا بوسيط كما في سائر الوحي إلى الناس أجمعين! وظاهر القول الخطاب هو الإلهام كما في أم موسى، وليس في قوله تعالى هنا ما يحمل مادة الوحي النبوة!

السبب هو ما يتوصل به الى المقصود لايشمل سبب الوحي والنبوة، فلا يؤى النبي سبب النبوة بل نفسها، فانما سببها عند اللّه وبيد اللّه، ومن ثم لو كان نبيا لكان من أبرز التعريف به تصريحة النبوة، دون اختصاصه بالقدرات الأرضية، فلم يك نبيا وكما في أحاديثنا[1].

و هل كان ملكا؟ قد يعنيه «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً»! ولا يؤى ملك من كل شيء سببا! فقد يكون دون النبي وفوق الملك عبدا صالحا[2] قويا بما آتاه اللّه، مؤدا من عند اللّه! كمثل طالوت الملك على ضوء نبوة منفصلة! ونعرف من الإجابات التالية حول ذي القرنين أن السؤل كان حول أفعاله الخارقة، دون نبوته او ملكه او نسبه وبلده، أم وإذا كان يعم ذلك كله او يخص الثاني كما هو دأب القصيصين فلم يأت الجواب حسب الحكمة إلّا المفيد المفيد الذي فيه دعوة إلهية وذكرى إيمانية! ثم «و يسألونك» يشمل زمن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله وإلى اعماق المستقبل، فلا جواب صالحا عن ذي القرنين إلّا ما أجاب، ومهما كان السؤل عنه في العهد الرسولي من اليهود[3] ولكنما العهد

---

[1].كما في الدر المنثور ٤: ٢٤١ اخرج ابن مردوية عن سالم بن أبي الجعد قال سئل علي عليه‌السلام عن ذي القرنين أ نبي هو؟ فقال: سمعت نبيكم عليه‌السلام يقول: هو عبد ناصح اللّه فنصحه.

[2].الدر المنثور ٤: ٢٤١- اخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ في العظمة عن خالد بن معد ان الكلاعى ان رسول اللّه لا صلّى اللّه عليه وآله وسلم سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب وفيه أخرجه مثله الشيرازي في الألقاب عن جبير بن نفير ان أحبارا من اليهود قالوا للنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) حدثنا عن ذي القرنين ان كنت نبيا فقال: ... وقد تضارب الحديث عن علي عليه‌السلام انه كان نبيا ام لا وقد نفى كونه ملكا وعله بفتح اللام ردا على من زعمه ملكا، وهناك روايات متضاربة اخرى في نفي نبوته وإثباتها.

[3].المصدر ٢٤٠- اخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال قالت اليهود للنبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم: يا محمد! انما تذكر ابراهيم وموسى وعيسى والنبيين، انك سمعت ذكرهم منا فأخبرنا عن نبي لم يذكره اللّه في التوراة الا في مكان واحد، قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين، قال: ما بلغني عنه شيء فخرجوا فرحين وقد غلبوا في أنفسهم فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبرئيل عليه‌السلام بهؤاء الآيات «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ.:».

الرسالي وهو منذ الرسول الى يوم الدين تشمله «و يسألونك»! و«ذكرا» هنا يدلنا أنه لايقص قصص ذي القرنين إلّا طرفا منها هاما يذكرنا موقفه في تمكنه في الأرض، حيث لم يستخدمه إلّا خدمة للناس وطردا للنسناس الخناس .. و«ذكرا»يعني قرآنا يذكر قدر الواجب الصالح تذكرة.

و لايستثني هنا بمشيئة اللّه حيث القائل هو اللّه، وإنما الناقل هو رسول اللّه واللّهيستثني ما يريده بمشيئته اللهم إلّا تعليما «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ»! ولقد تضاربت الآراء والروايات حول «من هو ذو القرنين هذا»؟ ولا يهمنا شخصه كما سكت عنه القرآن وإنما شخصيته بذكراه أيا كان وأيان! قصارى ما يستفاد من اسمه أنه عربي، وليس من دأب القرآن مسخ الأسماء الأعجمية، وإنما تغيير مّا قدر ما يجعله وفق الأدب العربي كإبراهيم معرب آبراهام وموسى معرب موشه، و«ذي القرنين»لا يلمح بسمة غير عربية، و«ذي» تلمح كأنه من الأذواء اليمنيين وأنه اسمه الخاص أم أشهر أسمائه قضية للغة الفصحى في «بَيانٌ لِلنّاسِ»! فاسمه يدلنا على أنه أحد التبابعة الأذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن وقد تردد ذكره في عديد من أشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية[1]. ولأن هذا

وفيه واخرج ابن أبي حاتم عن عمر مولى غفر قال: دخل بعض اهل الكتاب على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) فسألوه فقالوا: يا أبا القاسم كيف تقول في رجل كان يسيح في الأرض؟ قال: لا علم الي به! فبينما هم على ذلك إذ سمعوا نقيضا في السقف ووجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم غمة الوحي ثم سرى عنه فتلا «وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ الآية فلما ذكر السد قالوا: أتاك خبره يا أبا القاسم حسبك.

وفي نور الثقلين: ٢٩٣ ج ١٩٩ في قرب الاسناد للحميري باسناده الى موسى بن جعفر عليه‌السلام حديث طويل يذكر فيه آيات النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) وفيه: ومن ذلك ان نفرا من اليهود أتوه فقالوا لابي الحسن جدي استأذن لنا على ابن عمك نسأله قال: فدخل عليّ فاعلمه فقال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): وما يريدون مني؟ فاني عبد اللّه لا اعلم الا ما علمني ربي ثم قال: اذن لهم فدخلوا فقال: اسألوني عما جئتم له ام أنبئكم؟ قالوا: نبئنا- قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين؟ قالوا: نعم- قال: كان غلاما من اهل الروم ثم ملك وأتى مطلع الشمس ومغربها ثم بنى السد فيها قالوا: نشهد ان هذا كذا وكذا:

[1]. ذكر جمع من المؤخين ان ذا القرنين احد التبابعة الأذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن كالاصمعي في تاريخ العرب قبل الإسلام وابن هشام في السيرة والتيجان وأبي ريحان البيروني في الآثار الباقية ونشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم- واختلفوا في اسمه انه مصعب بن عبد اللّه او صعب بن ذي المرائد وهو اوّل التبابعة وهو الذي حكم لإبراهيم في بئر السبع او تبع الأقرن واسمه حسان او اسعد الكامل الرابع من التبابعة بن حسان الأقرن ملكي كرب تبع الثاني ابن الملك تبع الاول او اسمه «شمر يرعش»:

و قد ورد ذكر ذي القرنين والافتخار به في عدة من اشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية ففي البداية والنهاية انشد ابن هشام للأعشى:

و الصعب ذو القرنين أصبح ثاويابالجنو في جدث أشم مقيما

و انشد عثمان بن أبي الحاضر لابن عباس قول بعض الحميريين.

قد كان ذو القرنين جدي مسلمامل‌كا تدين له الملوك وتحشد

بلغ المشارق والمغارب يبتغياسباب امر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبهافي عين ذي خلب وثأط حرمد

و فيه يقول النعمان بن بشير:

فمن ذا يعاودنا من الناس معشراكراما فذو القرنين منا وحاتم

و يقول فيه الحارثي:

سموا لنا واحدا منكم فنعرفهفي الجاهلية لاسم الملك محتملا

الاسم وصفي وليس الاسم الخاص فقد يجوز كونه ترجمة عربية عن حالته الخاصة التي تميزه عن غيره بميزة وحيدة، إضافة الى سائر أفعاله المذكورة في هذه الآيات، فقد يجوز عدم كونه عربيا كاسكندر الثاني المقدوني المعروف لدى الخاص والعام بذي القرنين، المنسوب إليه السد لحد صار مثلا يقال: كسدّ الإسكندر؟ وكما ورد في بعض الروايات[1] وقد سيطر على الشرق والغرب بما لامزيد عليه[2].
و لأن هذه السيطرة لاتخصه، وأنه كان وثنيا من الصابئين وقد ذبح ذبيحته للمشتري، والقرآن يصف ذا القرنين بالعدل وصلاح العبودية للّه، إذا فليس هو المقدوني، وقد يجوز أنه الإسكندر الاوّل، وبينهما أزيد من الفي سنة (٢٣٠٠) ق م فقد كان عبدا مؤنا صالحا وملكا عادلا[3] وكان وزيره الخضر؟

كالتبعين وذي القرنين يقبلهاهل الحجى فأحق القول ما قبلا
و يقول ابن أبي ذئب الخزاعي: و منا الذي بالخافقين تغرباو اصعد في كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغرباو في ردم يأجوج بني ثم نصبا
و ذلك ذو القرنين تفخر حميربعسكر فيل ليس يحصى فيحسب
و لقد حفظت اسماء الأذواء كالملوك المثامنة وهم ثمانية أذواء حيث ناهضوا حمير ايام دولتهم كما يقول شاعرهم:
اين المثامنة الملوك وملكهمذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذوشجر وذو جدن وذو صرواح
او ذو مغار بعد او ذو جوفزو لقد محا ذا عثكلان ما حي
ثم سائر الأذواء أكبرهم مرثد وهو جد الناظم قال فيه:
او ذو مراثد جدنا القيل بن ذيشجر ابو الأذواء رحب الساح
ثم يذكر في اشعاره التسعة عشر ٥٣ آخرين من الأذواء ك: ذونين- ذو سفر- ذو عمران- ذو بيان- ذو- الرمحين- ذو يرحم- ذو بهر- ذو يزن- ذو نوش ذو نوح- ذو الانواح- ذو تيقان- ذو أصبح- ذو الشعبين- ذو حوال- ذو مناح- ذو غمدان- ذو فائش- ذو رعين و...

[1].كرواية عقبة بن عامر عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم ورواية قرب الاسناد عن موسى بن جعفر عليه‌السلام وذهب اليه جماعة من قدماء المفسرين من الصحابة والتابعين كمعاذ بن جبل وقتادة ومن المتأخرين الامام الرازي في تفسيره.

[2].يؤد عليه الرازي في تفسيره قائلا: ان إسكندر المقدوني جمع ملوك الروم والمغرب وقهرهم وانتهى الى البحر الأخضر ثم الى مصر وبنى الاسكندرية ثم دخل الشام وقصد بني إسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينيا وباب الأبواب ودان له العراقيون والقبط والبربر واستولى على ايران وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ثم رجع الى العراق ومات في شهرزر او رومية المدائن وحمل الى اسكندرية ودفن بها وعاش ثلاثا وثلاثين سنة ومدة ملكه اثنتا عشرة سنة، فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين ملك اكثر المعمورة وثبت بالتواريخ أنه الإسكندر فليكن ذو القرنين هو الإسكندر.

[3].الدر المنثور ٤: ٢٤١- اخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر وابن أبي حاتم وابو الشيخ والبيهقي في الدلائل عن عقبة بن عامر الجهني قال كنت اخدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم- وساق حديث سؤل جماعة من اهل الكتاب عنه في ذي القرنين الى ان قال: ان أول امره انه كان غلاما من الروم اعطي ملكا فسار حتى أتى ساحل ارض مصر فابتنى مدينة يقال لها اسكندرية فلما فرغ من شأنها بعث اللّه عز وجل اليه ملكا فعرج به فاستعصى بين السماء ثم قال له: انظر ما تحتك فقال ارى مدينتي وارى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مع المدائن فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر قال ارى مدينتي وحدها و لا ارى غيرها قال له الملك

و لان التأريخ لايسجل لنا ملكا قبل المسيح بـأكثر مـن ألفـين وثلاثمائـة ملـك الأرض مـن أقصـاها إلى أقصاها وبنى السد و.. فقد لاينطبق ذو القرنين على واحد منهما! وان كان المحتمل هـو الاول قويـا، مهما لايوجد «ذو» في الاغريقيين اليونان حيث الوصفية في التسمية تحل هذه المشكلة!.

و علّه هو «كورش» أحد ملوك الفرس الهخامنشيين (٥٣٩- ٥٦٠ ق م) فقد جمع بين مملكتـي الفـارس وما دو سخر بابل وأذن في رجوع اليهود من بابل إلى أورشليم وساعد في بناء الهيكل وسخر مصر ثـم اجتاز إلى يونان فغلبهم وبلغ المغرب ثم سار إلى اقاصي المعمورة شرقا[1] وتشـهد كتـب العهـد العتيـق على ايمانه وصلاحه[2] كما النقوش والكتابات المخطوطة بالخط المسماري المـأثورة عنـه ناطقـة بكونـه موحدا، وقد سار نحو المغرب فاستولى على ليديا وحواليها ثـم نحـى نحـو المشرـق حتـى بلـغ مطلـع الشمس ووجد عندها قوما بدويين همجا ثم بنى السد المعروف بمضيق داريال بين جبال قفقاز قرب مدينة تفليس.

و لماذا يعبر عنه القرآن بذي القرنين- أيا كان مـن المـذكورين-؟ علّـه لأنـه أدرك قـرني الشـمس شرقـا وغربا[3] وعاش قرنين وضرب على قرنيه وكان لتاجه قرنان وسخر له القرنان الليل والنهار[4] وأيد في قرنيه

انها تلك الأرض كلها والذي ترى يحيط بها هو البحر وانما أراد ربك ان يريك الأرض وقد جعل لك سلطان فيها فسر فيها فعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ...

[1] .سار نحو المغرب لدفع طاغية «ليديا» الطاغي عليه ظلما دون عذر فحاربه وعاصره في عاصمته ففتحها واسره ثم عفى عنه واحسن اليه «حَتّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ..» ثم سار نحو الصحراء الكبير بالمشرق حوالي بكتريا لإخماد نائرة قبائل بدوية همجية انتهضوا هناك للافساد «حَتّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ::» وبنى السدّ الموجود في مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر الى البحر الأسود ويسمى «داريال» وهذا السد واقع بين جبلين شاهقين يمتدان من جانبيه وهو وحده الفتحة الرابطة بين جانبي الجبال الجنوبي والشمالي، وكان يهجم في تلك الاعصار أقوام شريرة من قاطني الشمال الشرقي من آسيا من مضيق جبال قفقاز الى ما يواليها من الجنوب وهجموا في حوالي المائة السابعة قبل الميلاد فعمموا البلاد قتلا وسبيا ونهبا حتى بلغوا نينوى عاصمة الآشور وكان ذلك في القرن السابق على عهد كورش تقريبا:

[2] .كما في كتاب عزرا الاصحاح ١: ١- ٤ ودانيال (الاصحاح ٦: ٢٨) وكتاب اشعياء (الاصحاح ٤٤: ٢٨ و٤٥: ١- ٢٧) وقد سمي في اشعياء راعي الرب وفي (٤٥) منه «هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس امامه امما وأحقاد ملوك أحل لا فتح امامه المصراعين والأبواب لا تغلق: انا أسير قدامك والهضاب امهد اكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد اقصف: وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابي: لكي تعرف اني انا الرب الذي يدعوك باسمك: لقبتك وأنت لست تعرفني»:

[3] .نور الثقلين عن الامام العسكري عليه‌السلام انه رأى في المنام انه أخذ بقرني الشمس فعبر له بملك الشرق والغرب وسمي بذي القرنين.

[4] .نور الثقلين ٣: ٢٩٦ ج ٢١٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة سأل رجل عليا عليه‌السلام أ رأيت ذي القرنين كيف استطاع ان بلغ الشرق والغرب؟ قال: سخر له السحاب ومدّ له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وفي نقل أخر عنه عليه‌السلام فسر بسط النور ب «كان يضيء بالليل كما يضيء بالنهار»

بكشف من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق[1] وقد اكتشف تمثال «كورش»الحجري أخيرا في مشهد مرغاب جنوبي ايران، مثل فيه ذا قرنين[2] نابتين من أم رأسه من منبت واحد أحدهما مايل إلى قدامه وثانيهما إلى خلفه، وكما في كتاب دانيال في رؤاه كورش على صورة كبش ذي قرنين[3]. وأيا كان ذو القرنين فانما يهمنا شخصية قوية روحية منه عن التاريخ لاشخصه، ولا مفخرة في كونه عربيا أم روميا ام ايرانيا امّن ذا، ولذلك أهمل القرآن إلّا عن شخصيته ولكيلا يجعل مثار التفاخرات! فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود في قصص القرآن وإنما هو العبرة المستفادة من القصة وهي حاصلة منها دون ان تزيدنا معرفة الشخص دلالة اللّهم إلّا دلالة قومية عنصرية والقرآن يطاردها! ثم التأريخ أيا كان ومن اي كان ليس الّا ركاما من خليط الحق والباطل، وبعضه باطل كله، ولا نجد الحق كله إلّا في قصص القرآن، فهي القصص الحق الجارفة تخيلات باطلة معمدة او ساهية تسربت ودخلت في

---

[1].نور الثقلين ٣: ٢٩٣ ح ٢١٥ عن الأصبغ بن نباتة عن امير المؤنين عليه‌السلام في حديث اقتسمناه حسب مختلف مواضيعه و كما في الرقم ٢:

[2].المصدر ٢١٥ عن الأصبغ بن نباتة عن امير المؤنين عليه‌السلام قال سئل عن ذي القرنين قال: كان عبدا صالحا واسمه عياش اختاره اللّه تعالى وابتعثه الى قرن من القرون الاولى في ناحية المغرب وذلك بعد طوفان نوح عليه‌السلام فضربوه على قرن رأسه الأيمن فمات منها ثم أحياه اللّه بعد مائة عام بعثه اللّه الى قرن من القرون الاولى في ناحية المشرق فكذبوه وضربوه ضربة على قرنه الأيسر فمات منها ثم أحياه اللّه بعد مائة عام وعوضه من الضربتين اللتين على رأسه قرنين في موضع الضربتين أجوفين .. أقول وأخرجه مثله في معنى قرنيه في الدر المنثور ابو الشيخ في العظمة عن أبي الورقاء عن علي عليه‌السلام ٤: ٢٤١ ورواه مثله في الاسم القمي عن أبي بصير عن الصادق عليه‌السلام:

[3].في الاصحاح ٨: ١- ٩ من دانيال «في السنة الثالثة من ملك «بيلشاصر» الملك ظهرت لي انا دانيال رؤا بعد التي ظهرت لي في الابتداء فرأيت في الرؤا وكأن في رؤاي وانا في «شوشن»القصر الذي في ولاية- عيلام: ورأيت في الرؤا وانا عند نهر «اولاي»فرفعت يميني وإذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان والواحد أعلى من الآخر والأعلى طالع أخيرا: رأيت الكبش ينطح غرباشمالا وجنوبا فلم يقف حيوان قدامه ولا منفذ من يده وفعل كمرضاته وعظم .. ثم يذكر بعد تمام الرؤا أن جبرئيل تراءى له وعبر رؤاه بما ينطبق فيه الكبش ذو القرنين على كورش وقرناه مملكتا الفارس وماد،التيس ذو القرن الواحد على الإسكندر المقدوني.

و في «قاموس كتاب المقدس» ترجمة مستر هاكس الامريكي باللّغة الفارسية ص ٧٤٣ تحت عنوان «كورس» يقول يعني: الشمس، مؤس الملك الفارسي وفاتح الممالك الاخرى، ثم ينقل عن كتاب دانيال ٦: ٢٨ ان دانيال كان حينذاك في ديوان كورش وقد توفي كورش عن الجراحة التي اصابته في حربه (٥٢٥ ق: م):

فلكورش دور في الكتب المقدسة مجيد يهمه اهل الكتاب ولذلك سألوا الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) عن ذي القرنين، ولا اثر في الكتب المقدسة عن شخصية هذه سيرته الا كورش:

و مما يبعد كونه كورش ألّا اثر عن هذا الاسم في الروايات الاسلامية إطلاقا، ففي بعضها انه عياش (كما في تفسير العياشي عن الأصبغ بن نباتة عن علي عليه‌السلام وفي البرهان عن الثمالي عن الباقر عليه‌السلام: وثان: إسكندر (كما يظهر من رواية قرب الاسناد للحميري عن الكاظم عليه‌السلام ورواية الدر المنثور عن عدة عن عقبة بن عامر عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم):» وثالث: مرزيا بن مرزبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح (كما في الدر المنثور عن بعض من اسلم من اهل الكتاب.)

و رابع: مصعب بن عبد اللّه من قحطان (كما في البداية والنهاية) وخامس: عبد اللّه بن ضحاك بن معد (البداية والنهاية عن ابن هشام في التيجان.) والى غير ذلك:

التاريخ! ولئن استفتينا التاريخ حول ذي القرنين أم أي شخص مجهول، فانما نصدق منه ما يصدقه القرآن، ونكذب ما يكذبه ونتردد فيما يسكت عنه! دون أن نستفتيه كأصل نفرع عليه القرآن فانه منكر من القول وزور! ثم هؤاء الأذواء الثلاثة المؤنون لكل منهم رجاحة متقابلة، فاليمني يترجح بان اليمن بلد الأذواد قرابة مائة، واليوناني يترجح لشهرته العالمية بذي القرنين وذكره في بعض أحاديثنا ورغم وفرة الأذواء في اليمين فلا قرنين فيه! والايراني يترجح لذكره في التوراة ولكن ليس فيه ذو ولا قرنين اللهم الا وصغبا ولكلّ وجه.

إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (٨۴):

دعامتان إلهيتان لهذه السلطة العالمية المنقطعة النظير، اللهم إلّا في داوود وسليمان عليهماالسلام سلفا، وفي المهدي القائم من آل محمد صلىالله‌عليه‌وآله خلفا: ١- تمكين إلهي في الأرض كلها- ٢- وسبب إلهي من كلّ شيء على ضوء هذا التمكين وفي سبيله! هنالك تمكين للمترفين الأثرياء ذوي السلطة والكبرياء يعني امتحانا وامتهانا وهو من مخلفات التخاذل من أهل الدين المستضعفين: «أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنّاهُمْ فِي الْأَرْضِ»(۶: ۶) ومن ثم تمكين لبسط الخير إكراما لمن يعرفون نعمة اللّه ويشكرونها: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ»(٢٢: ۴١).

و ذلك التمكين قد يكون جانبيا كما في يوسف «وَ كَذلِكَ مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ..»(١٢: ٢١) حيث يخص أرض مصر، وآخر عالمي في درجات أعلاها لبقية اللّه وحجته الكبرى وآيته العظمى محمد بن الحسن المهدي صلوات اللّه عليه وعلى آباءه الكرام، تمكين له ولصحبه الخصوص ولمن تابعه على وجه العموم: «وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ»(٢۴: ۵۵)

ثم وأدنى منها ما كان لداود وسليمان بين النبيين ولذي القرنين بين الملوك الصالحين، وادنى منه ما كان لطالوت امّن ذا؟

«إِنّا مَكَّنّا لَهُ» في تأكيدات ثلاثة ترفع من شأن هذه السلطة المباركة و«في الأرض» تعممها في كافة أرجاء المعمورة، فقد ذلت له الصعاب واستسلمت له البلاد! والسبب أيا كان هو الذي يتوسل به الى غاية لاتحصل إلّا به، من عقلي او علمي او عملي.

ثم الأسباب لبسط الملك إمّا ذا؟ قد تكون حاضرة ظاهرة، وأخرى حاضرة غير ظاهرة، ام ظاهرة غير حاضرة تحصل بمحاولة بشرية مهما طالت ام قصرت، صعبت ام يسّرت، فهي في نطاق العلم والقدرة البشرية ممكنة! وثالثة لامن هذه ولا تلك، بل هي خفية عن العلم بعيدة عن القدرة، فلا يؤيها إلّا اللّه لمن يشاء ويرضى! «وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً» يعني ثالثتها وهي الأسباب الخارقة الإلهية التي تقصر دون التوسل بها العقول والعلوم وساير القدرات غير الإلهية! و«كل شيء» هنا لايعني الاستغراق الشامل لسبب الوحي والنبوة واضرابها! وانما «كل شيء» في سبيل تمكينه في الأرض، ثم ولا يعني كلا من هذا الكل، وانما البعض من كلّ قدر ما يحتاجه كما تلمح له «من»! فقد آتاه اللّه بعضا من الأسباب

اللائقة من كل شيء في سبيل تمكينه في الأرض، من اسباب معرفة الحق الناصع الصراح عن الباطل[1] ومن اسباب السفر كالسحاب الذلول إمّا ذا؟[2] ومن اسباب الضوء حيث تضيء له ليلا كما تضيء الشمس نهارا فهو ذو قرني الليل والنهار حيث هما عليه سواء؟

و من اسباب الشبع والريّ منّا او سلوى أمّاذا؟ ثم ومن أسباب التفتح في مشارق الأرض ومغاربها كسبب تفهّم مختلف اللغات[3] وأضرابه كالطرق وكلها خارقة إلهية.

تذكر له في تالية الآيات ثلاثة أسباب لثلاثة أسفار بعيدة المدى، قد تكون هي من أهم الأسباب التي أوتيها في سفراته، وقد أطبقت أحاديثنا أنها السحاب الذلول وان الصعب منها تختص بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف![4].

و لان «سببا» تأتي بنفس الصيغة ثلاث مرات، دون أن تأتي ثانية وثالثة «السبب»اشارة الى الاوّل، فقد تعني ثلاث مركبات فضائية مهما كانت كلها من صعبة السحاب أما ذا؟

هنالك أسباب غيبية أرضية أم فوق الارضية ام السماوية تستخدم في مثلث الأسفار بما آتاه اللّه، قد يشار الى وجودها وإمكانية التسبب بها: «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ» (٣٨: ١٠) ولو لاأن هناك أسبابا ترقي الى السماوات لم يكن لهذا التحدي مجال على أية حال،

---

[1].المصدر ج ٢١٦ ص ٣٠٤ عن تفسير العياشي جبرئيل بن احمد عن موسى بن جعفر رفعه الى أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: ان ذا القرنين عمل صندوقا من قوارير ثم حمل في مسيره ما شاء اللّه ثم ركب البحر ..

و٢١٥ العياشي عن الأصبغ بن نباتة عن امير المؤنين عليه‌السلام قال: سأل عن ذي القرنين- ثم سار في جوابه عليه‌السلام الى قوله: ثم رفعه الى السماء الدنيا فكشط له عن الأرض كلها جبالها وسهولها وفجاجها حتى ابصر ما بين المشرق والمغرب وآتاه اللّه من كل شيء يعرف به الحق والباطل وأيده في قرنيه بكشف من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ثم اهبط الى الأرض واوحى اليه ان سر في ناحية غربي الأرض وشرقيها فقد طويت لك البلاد وذلّلت لك العباد فأرهبتهم منك، فسار ذو القرنين الى ناحية المغرب ... فلم يبلغ مغرب الشمس حتى دان له اهل المشرق والمغرب وذلك قول اللّه «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً ...».

[2].في الدر المنثور ٤: ٢٤٢- اخرج ابن أبي حاتم عن قتادة .. فخير بين ذلال السحاب وصعابها فاختار ذلالها فكان يركب عليها.

وفي تفسير البرهان ٢: ٤٨١ ج ١١ عن الباقر عليه‌السلام اما ان ذا القرنين قد خير بين السحابتين فاختار الذلول وذخر لصاحبكم الصعب فقلت: وما الصعب؟ فقال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق فصاحبكم يركبه اما انه يركب السحاب ويرقى في الأسباب اسباب السماوات السبع والأرضين السبع خمس عوامر وثنتان خراب.

[3].الدر المنثور ٤: ٢٤٧- اخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً»قال: علما من ذلك تعليم الالسنة كان لا يعرف قوما الا كلمهم بلسانهم.

[4].نور الثقلين ٣: ٢٩٦ ج ٢١٢ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة سأل رجل عليا عليه‌السلام أ رايت ذا القرنين كيف استطاع ان بلغ الشرق والغرب؟ قال: سخّر له السحاب ومدّ له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء و٢١٣ في تفسير العياشي عن أبي بصير عليه‌السلام قال: ان ذا القرنين خير بين السحاب الصعب والسحاب الذلول فاختار الذلول فكان إذا انتهى الى قوم كان رسول نفسه إليهم لكي لا يكذب الرسل.

ومنها المركبة المعراجية المحمدية صلى‌الله‌عليه‌وآله، وقد يشار الى إمكانية الارتقاء الى السماء بأسباب مصطنعة إمّا ذا؟: «مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ»(٢٢: ١٥).

و لقد خيّل الى فرعون إمكانية البلوغ إلى أسباب السماوات، وطبعا لم يك يعرف واقعها إلّا بمعرفة الوحي من موسى ام سواه: «وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ. أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً»(٤٠: ٣٧)[١].

المركبة الفضائية الاولى لذي القرنين فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨٥) حَتّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً (٨٦) قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً (٨٧) وَ أَمّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنا يُسْراً (٨٨) هل الإتباع هو الإلحاق يتبعه مفعولان؟ كما وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً»(٢٨: ٤٢) إذا فما هو المفعول الثاني ل «اتبع سببا؟! ام هو اللحوق ولا يتبع إلّا مفعولا واحدا: «فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ»؟ (٧: ١٧٥) أو أنه كما نراه يستعمل متعديا الى مفعول واحد أحيانا والى مفعولين اخرى؟ إذا أليس من الأفصح «فتبع»نصا في اللحوق؟ ولكنه قد يعني في مفعول واحد سرعة اللحوق وكما نراها في موارده[٢].

وهذه طبيعة الحال في المركبة الفضائية السحابية ام ماذا؟ وهي دائبة السير، فليلحقها ذو القرنين سريعا كما لحقها! «حَتّى إِذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ» وهو المغرب الأقصى، وبينه وبينه شاسعة المسافة بين المشرق الأوسط او الأدنى الى المغرب الأقصى، ولا تجتاز تلك البعيدة المدى مشيا او ركوبا بالوسائل القديمة إلّا في سنين بمعدات قد تستحيل مهما طال الزمن، وهي اولى السفرات الثلاث الطائلة لذي القرنين، فلو لاأنه «أَتْبَعَ سَبَباً»سماويا آتاه الله لما قطع واحدة منها إلّا انقطع ولمّا! مغرب الشمس وقتذاك هو آخر المعمورة اليابسة من الجانب الغربي، وإلّا فلا مغرب للشمس كنقطة خاصة من المعمورة، ولكلّ أفق من الشمس مشرق ومغرب عدد أيام السنة!.

فلأن ذا القرنين كان من الشرقيين أيا كان، فمغرب الشمس بالنسبة الى مبدءه في سفرته هو المغرب الأقصى إلى جانب البحر حيث الأفق البحري لغروبها مد البصر في البحر، هو بحر الظلمات المسمى بالمحيط الأطلانطيقي.

«وَجَدَها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ» أ ترى الشمس تغرب في عين حمئة أم غير حمته، ولا غروب حقيقيا للشمس، فلها مشارق ومغارب منذ خلقت حتى يوم تكويرها، دون شروق مطلق، ام غروب مطلق بالنسبة لارضنا وأضرابها، ام هي شارقة دون غروب بالنسبة لنفسها .. ثم وهي في مشارقها ومغاربها، وفي مشرقيها ومغربيها، وفي مشرقها ومغربها، لاتشرق او تغرب إلّا في ملتقى أفقي الأرض بريا او

---

[١].راجع تفسير الآية في المؤن تجد فيه تفصيلا عن اسباب السماوات.

[٢].فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ» ١٠: ٩٠ (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ» (٢٠: ٧٨) (فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» (٢٦: ٦٠) (فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ»(١٥: ١٨) شِهابٌ ثاقِبٌ» (٣٧: ١٠).

بحريا وأفق السماء[1] دون عين حمئة إمّا ذا؟ نجد الجواب في الآية نفسها: «وَجَدَها تَغْرُبُ ..» لأنها «غربت» فهي ينظر الى منظرها في غروبها دون واقعه «وجدها ..»بيانا لمنتهى المعمورة الغربية بالمحيط البحري الأطلانطيقي.

فكما أننا نجد الشمس تغرب في الآفاق الصحراوية، في قلل الجبال او الأتلال او مستوية الأرض إمّا ذا، كذلك سكان الجزائر لايجدون غروب الشمس او وطلوعها إلّا في الآفاق البحرية.

و كأن ذا القرنين وصل الى نقطة على شاطئ المحيط الاطلسي (بحر الظلمات) حيث يخيّل ان اليابسة منتهية عنده، وكان عند مصبّ أحد الأنهار حيث تكثر فيه الأعشاب وتتجمع حولها طين حمى: لزج، فرأى الشمس تغرب هناك كأنها «عَيْنٍ حَمِئَةٍ»: المحيط الغربي الذي فيه الجزائر «الخالدات» حيث كانت مبدء الطول الجغرافي مسبقا ثم غرقت.

و العين الحمئة قد تعني إضافة الى السوداء حيث الحمأة هي الطين الأسود، قد تعني الحارة حيث الحمأ هي الحرار المتولدة من الجواهر المحميّة والمغرب الأقصى في افريقيا الحارة من أحرّ ما فيها، فبحره حار كما برّه، فهي «عَيْنٍ حَمِئَةٍ» في حمأتين! حرارة في سواد وحمرة، كما الشمس ترى عند غروبها محمرّة.

لا نعرف بالضبط المحدّد ذلك المكان إلّا ما عرّفنا اللّه «تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ»وكفانا! وانما القصد القوم الذين عند المغرب الأقصى حيث ظلموا وأتاهم ذو القرنين تأديبا وتقويما: «وَ وَجَدَ عِنْدَها قَوْماً» (٨۶)؟ وجد عند الشمس في مغربها قوما، في منتهى اليابسة الغربية، لاعند الشمس ذاتها! ام عند العين الحمئة فيفيد نفس المعنى.

يجد هناك قوما حمئا عند عين حمأة. أ تراه تغاضيا عن أقوام ظالمين بينه وبين مغرب الشمس

---

[1] .نور الثقلين ٣: ٣٠٦ ج ٢٢١ في كتاب التوحيد حديث طويل عن أبي ذر عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم قال: كنت آخذا بيد النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ونحن نتماشى جميعا فما زلنا ننظر الى الشمس حتى غابت فقلت: يا رسول اللّه! (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) أنّى تغيب الشمس؟ قال: في السماء ثم ترفع من سماء الى سماء حتى ترفع الى السماء السابعة ..

أقول قوله «في السماء» ظاهر لا مرية فيه انها تغرب في ملتقى الأفقين الارضي والسماوي، واما «ترفع في سماء الى سماء .. حتى ترفع الى السماء السابعة» انه اما مؤل او مختلق مردود، وتأويله انه صلّى اللّه عليه وآله وسلم اقتسم ملتقى الآفاق الارضية السمائية الى سبعة ولماذا؟ لا ندري! ان الشمس تحول حول الأرض ويترائى لها مغارب سبعة وعلّها في الأقاليم السبعة امّ ماذا.

ثم أقول: وما روي ان الشمس تغرب وتطلع بين قرني الشيطان اختلاق ممن يكرهون الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، ولم ترد في بعض رواياتنا الا تقية ففي الكافي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: يصلّى على الجنازة في كل ساعة، انها ليست بصلاة ركوع ولا سجود وانما تكره الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها التي فيها الخشوع والركوع والسجود لأنها تغرب بين قرني الشيطان وتطلع بين قرني الشيطان» وتقية الفرار هنا لائحة، حيث النص الذي يروون ان كان بلفظة الصلاة فيشمل كل صلاة، وان كان نصا فيما فيها الركوع والسجود لم تك حاجة الى الاستدلال، ثم الخشوع يعم كل صلاة دون اختصاص بما فيها الركوع والسجود، ثم نرى نقضا صارما يجتث هذه الحكمة المختلقة او انها تقية، فيما أخرجه إكمال الدين وتمام النعمة باسناده الى محمد بن جعفر الاسدي قال كان فيما يورد عليّ من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري في جواب مسائلي الى صاحب الزمان: واماما سالت عنه من الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ولئن كان كما يقولون ان الشمس تطلع بين قرني الشيطان وتغيب بين قرني الشيطان فلا شيء أفضل من الصلاة وأرغم أنف الشيطان!.

والأقرب يمنع الأبعد؟ طبيعة رسالة عادلة كملكية كهذه تقتضي وتقضي بعدم التغاضي، ولكنه كيف؟ لاندري! .. قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً (٨۶).

هل القول الخطاب هنا دليل على نبوة للمخاطب؟ كلا! حيث الخطاب أعم من وحي النبوة والإلهام كما في مريم وأم موسى وآدم قبل توبته وقد يجوز انه كان معه نبي يوحى اليه بواسطته كما كان لطالوت بنبيّ معه! وترى الترديد التخيير بين التعذيب واتخاذ الحسن ليس تخييرا بين الحسن والقبيح، لقرن التعذيب باتخاذ الحسن؟

تخاذ الحسن فيهم هو السماح عما يستحقونه من النكال رجاء الرجوع والتوبة، والتعذيب تحقيق النكال، وكل يتبع ظرفه الصالح، إذا فالتخيير هنالك صالح! تخويلا قياديا صالحا لسلطة صالحة حسب المصطلحات العادلة الفاضلة.

و ترى كلهم كانوا ظالمين يستحقون العذاب؟ وتقسيمهم في الجواب «أَمّا مَنْ ظَلَمَ .. وَ أَمّا مَنْ آمَنَ ..» يطارده! أم جلّهم والباقون لايستحقون العذاب؟ فلكل حكمه ولا تخيير! إنهم جلّهم وليس التخيير إلّا فيهم، فلم يقل «إما أن تعذبهم»وإنما «تعذب»يعني من يستحق العذاب منهم «وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ»هم أنفسهم «حسنا».

قالَ أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ .. (٨٧) يعني استمرارية الظلم من قبل وحتى لقاء ذي القرنين دون ان يفيق فيؤن[1] فلا مجال له إلّا عذابه «وَ أَمّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُ جَزاءً الْحُسْنى ..» آمن بعد كفرة توبة عما سلف فحسن، ام آمن من قبل واستمر في ايمانه فأحسن، ولكلّ حسب ايمانه وعمله الصالح عدّة وعدة ومدة «جَزاءً الْحُسْنى»: أحسن مما آمن وعمل صالحا فضلا من ربك عطاء حسابا!.

و التخيير بين التعذيب واتخاذ الحسن ليس إلّا في فيمن آمن بعد ظلمه، وقد يشمل المستمر على كفره في فرض بعيد، اللّهم إلّا في غير الواجب قتله جوازا في قتله والسماح عنه، تخيرا عاقلا عادلا دون فوضى وكما في المحاربين والمفسدين في الأرض: «إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ..»فالتخير هناك كالتخير هنا راجع الى ما يختاره الحاكم الشرعي وفق مختلف الموازين في مختلف المجرمين دون ان يكون أعمى وفوضى ان يجزى اقل الساعين في الأرض فسادا قتلا، ثم ينفى أشد المحاربين حبسا! المعذب هنا يعذب حسب مرسوم الشرعة الإلهية بينا وعرفا: «فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ»ومن ثم نكرا: غير معروف ولا منتظر هنا «ثُمَّ يُرَدُّ إِلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذاباً نُكْراً»حيث ظلم دون إفاقة بعد الذكرى ورؤة البأس، واما التائب عند رؤة البأس فقد لايعذب هنا إذا كانت توبة صادقة او تحتمل، ثم أمره الى ربه! فالظرف هنا للظالمين الجلّ بمختلف ظلمهم، وتوبتهم وعدم توبتهم، هو يقتضي تخيّر الحاكم فيهم كما اختار ذو القرنين وما أحسنه، وحسب مرسوم الشرعة العادلة والفاضلة الإلهية: إعلانا في هذه الإذاعة القرآنية أن للظالمين المعتدين عذابهم عاجلا، وآجلا يزيد نكرا، ولغير المعتدين منهم إمهال دون إعجال رجاء الرجوع الى عدلهم، وللتائبين الآئبين قول يسرّدون عسرى «وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ

---

[1] .نور الثقلين ٣: ٢٩٨ ج ٢١٥ عن امير المؤنين عليه‌السلام «اما من ظلم ولم يؤن أقول: يعني لم نؤن عند ذي القرنين بعد كفره قبله، ولم يقل واما الظالم لكيلا يشمل الذي ظلم سابقا ثم تاب عن ظلمه فآمن.

أَمْرِنا يُسْراً»دون تعذيب ولا تأنيب في قولة لاذعة، فالإسلام يجبّ ما قبله! وانما قول يسر- حيث تاب عما سلف: «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ» (٨: ٣٨) ثم قول يسر فيما يتوجب عليه تداركا لما قد سلف، والأمر في «من إمرنا» شرعي للحاكم المتمكن، إشارة الى أنني لست ممن يتذرع الحكم للقول العسر والتكليف العسر، وإنما يسر في يسر.

ثم مقابلة «من ظلم» ب «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ» يوسع نطاق الظلم الى كفر عقائدي وعملي لازما او متعديا، والى فسق عملي لمن آمن على مراتبهما بأحكامهما الجزائية. وما هو «جَزاءً الْحُسْنى» للذين آمنوا وعملوا الصالحات؟ انه جزاء أحسن مما عمل ومما يجزى في الحياة الدنيا، فهناك تصريحة بعذاب الدنيا لمن ظلم «فنعذبه» لأنه ثابت حكما على أية حال وعملا لمن مكن في الأرض، وهنا تلميحة للجزاء الحسن وتصريحة بالأحسن حيث الثواب يوم الدنيا غير ثابت ولا موعود إلّا أحيانا!.

و لماذا «جزاء» منصوبا «لان الحسنى مبتدء ل «له» وقدم الخبر للحصر «له لالسواه»: فله الحسنى جزاء، والنصب على التمييز، دون حاجة الى تكلفات أدبية اخرى لايرضاها أدب القرآن!: فله- فقط- من حيث الجزاء المثوبة الحسنى أحسن مما قدم ويستحقه في الحياة الدنيا[1].

و هذه طريقة مثلي ومعاملة حسنة مع فريقي الظلم والايمان، تخيرا للحاكم المبسوط اليد بالتي هي أحسن في «إما .. وإما»دون تخير فوضى وأعمى، وإنما عدل صارم عقابا لزاما، وفضل كارم ثوابا كراما! إنه ليس الحكم والسلطة الإلهية ظلما وزورا وغرورا ما وجدت لها سبيلا، وإنما هي رحمة على المجموعة وقضيتها القضاء على المعتدين، فإمهالهم اعتداء على المظلومين، فهي رحمة ما وجدت لها سبيلا وحتى للذين ظلموا إذا كان السماح عنهم لايضر بالمجموعة وان لم تنفعهم توبة، فضلا عمن يفيق ويتوب، دستور إصلاحي بكل معانيه، يتبني الصلاح بكل مبانيه! نرى القمة الرفيعة من هذا الدستور في الشرعة الإسلامية، وتدلنا سيرة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌والأئمة من آل الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌على مدى هذه الأخلاق الفاضلة ومن نماذجها «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ» (٢٣: ٩٦) فقد يدفع السيّء بالسماح، أم إذا لزم الأمر لدفع ظلمه بتأديب وتأنيب كما يصلحه او يحجز عن ظلمه، وأخيرا كآخر الدواء الكي، القتل، إذا كانت حياته على أية حال ظلما على المجموعة، فكل ذلك الدفع ليس إلّا بالتي هي أحسن، وكصورة اولى «.. فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»(٤١: ٣٤)!.

ان التعذيب في «إِمّا أَنْ تُعَذِّبَ» يشمل مراتب النكال هنا اعتداء بالمثل او دون ذلك، من ضرب الى قتل وبينهما متوسطات، وكما أن حسن الجوزاء وحسناه في الاولى والاخرى له درجات حسب الدرجات «وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً».

و بصيغة اخرى إن تحقيق ذلك التخيّر في مراتب التعذيب وحسن الجزاء هو يمثل «وَ إِمّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً» فان تعذيب الظالمين إحسان بالمجموعة وحتى بالنسبة للظالمين رجاء رجوعهم ام- لأقل تقدير- تقليلا لظلمهم. فلو ظلوا طويلا لأضلوا وظلموا كثيرا! كما ومن اتخاذ الحسن فيهم إرشادهم

---

[1]. فالحسنى وصف لمقدر المثوبة وجزاء تمييز عن سائر ما له في الأخرى، وتقديم جزاء لافادة تهيئ اكثر من العادة، وما أحسنه لفظا ومعنى! ..

عن غيّهم ومساعدتهم عن عيّهم ولكي يجيدوا الايمان وعمل الصالحات ويجيدوا عن الطالحات.
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٨٩) حَتّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً كَذلِكَ وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً (٩١).
خطوة ثانية في مثلث الرحلة كأنها أطولها فانها من أقصى- المغرب الى أقصى- المشرق طوال اليابسة الأرضية مهما كانت بينهما بحار وأنهار! و«ثم»هنا تلمح للتراخي بين وصوله الى أقصى- المغرب ومغادرته عنها، وهذه طبيعة الحال في سفرة اصلاحية كهذه، وفي قوم لم تسبق لهم سابقة إصلاح كهذه السابغة اللائقة، هذا وإن كنا لاندري زمن ذلك المكوث اللهم إلّا لمحة ثمة من «ثم».
ُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً» وتنكير «سببا» يدلنا انه غير السبب الاوّل شخصا، مهما كان من جنسه إمّا ذا؟ فلا يهمنا شخص السبب ولا جنسه ونوعه، وإنما «سببا»إليها لم يحصل إلا بما آتاه اللّه.
اتبعه لحوقا سريعا «حَتّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ» مطلعها من أقصى الآفاق الشرقية في عين الرائي، وكما في مغربها لاقصاه، في يابسة المعمورة بجانب البحر المحيط، فما قيل عن مغرب الشمس يقال عن مطلعها دون اختلاف بينهما إلا فارق المغرب عن المشرق وعين حمئة.
.. وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً لاسترا خلقيا من مرتفعات غابات وجبال وأشجار واتلال، ولا سترا مصطنعا من بيوت[1] او خيام إمّا ذا فتنكير «سترا» يستغرق نفي الستر أيا كان وحتى[2] الملابس فانها ستر عن الحر والقرّ! ومهما كان جعله إلهيا دون وسيط من سكان الشرق الأقصى حينذاك، كالأوّل، ام بوسيط كالثاني، فهما على أية حال راجعان إلى اللّه! إذا فهم قوم بدائيون ومن أبداهم، كانوا يسكنون في أرض مستوية مكشوفة لاتظلهم إلّا شمسهم ولا تقلهم إلّا أرضهم، دون اي ظلّ او قلّ سواهما! ف «قد أحرقتهم الشمس وغيرت أجسادهم وألوانهم حتى صيرتهم كالظلمة»[3].
فهل كانوا كلهم مؤنين؟ وهو في العادة مستحيل ولهذه البدائة القاحلة البعيدة عن الدعوات الإلهية ام وسواها! ثم ولماذا لم يحدّث لنا بحديثهم البارع او حديثه لهم! ام كانوا كلهم فاسقين؟ فأحرى بهذا المصلح إصلاحا لهم او تعذيبا ولم يلمح هنا بشيء في هذا البين! ام كالقوم الاول: منهم مؤنون ومنهم دون ذلك؟ فلما ذا لم يكرر لهم ما حصل لهؤاء «تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزى»! وإذا هم خارجون عن هذا المثلث من المكلفين فمن هم إذا؟ ولماذا يتحمل هذا المصلح العالمي الكبير هذه السفرة البعيدة

---

[1].نور الثقلين ٣: ٣٠٧ ج ٢٢٢ في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه‌السلام) في قول اللّه عز وجل «لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً كَذلِكَ ..» قال: لم يعلموا صنعة البيوت وفي الدر المنثور ٤: ٢٤٩- اخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ في العظمة عن ابن جريح في قوله: «حَتّى إِذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ الآية قال: حدثت عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) «لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً» انها لم يبن فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى نزول الشمس أقول: وقد لا يلائم هذا الحديث استغراق النفي في «سترا»حيث الأسراب ستر كما البيوت.

[2].المصدر في تفسير القمي في الآية قال «لم يعلموا صنعة الثياب» أقول: تشمل الخيام.

[3].من حديث الأصبغ بن نباتة عن امير المؤنين عليه‌السلام.

المدى، وهي ابعد من الاولى والاخرى، دون انتاج له ولهم؟! يبدو كما تلمّحناه أنهم من أبدى البدائيين، كانوا ضلّالا غير عارفين، لامؤنين ولا فاسقين، ومهما كانوا هم من المكلفين، فهم ممنيهتدون سبيلا، منقطعين عن وحي الرسالات أم بلهاء لايعرفونها، إذا فهم مرجون لأمر اللّه في مختلف الدرجات تكليفا وجزاء: ١- (وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ» (١٠٠)- ٢- وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ .. (١٠١)- ٣- وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ .. (١٠٢) وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ .. فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥» فهؤاء الثلاث من قمة الايمان ودرك الكفر والمتوسط بينهما، له ما أصلح وعليه ما أطلح، ومن ثم رابع «وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّٰهِ إِمّا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(٩: ١٠۶).

و قد يكون القوم في أقصى المشرق حينذاك من أبدى البدائيين من «و آخرون»فليس لذي القرنين كثير شغل معهم مهما أرشدهم كما يسطعون، كما قد يلمح له «وَ قَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ خُبْراً» وكما يلمح لغاية أخرى من هذه السفرة أن يحيط خبرا بأدنى المكلفين في المعمورة.

«أحطنا» هنا تضرب إلى أعماق الماضي لحد الحال والاستقبال في ذي القرنين على أية حال، ولكن الخبر المحاط لربنا قد يخبرنا به وقد يسكت عنه دون ضنّة، وانما بحكمة كما هنا، وعلّنا نستعمل نحن ما لدينا من طاقات واستنباطات كالذي قلنا.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً (٩٢) حَتّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ. (٩۴)

خطوة ثالثة هي الأخيرة من هذه الرحلة العالمية، يتبع فيها سببا ثالثا نقول فيه مثل الذي قلناه في الثانية، فهي غير الاولى والثانية، وعلّه من نوعه لمكان التنكير «سببا»:

حَتّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ سفرة بسببه من أقصى المشرق الى «بَيْنَ السَّدَّيْنِ»فأين هو؟ لحد الآن لاندريه! وأما من هم «قَوْماً لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا»؟ وإذا لايفقهون فكيف «قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ ..؟!

نحن لانعرفهم ولا مكانهم إلّا ما عرّفه القرآن أنه «بَيْنَ السَّدَّيْنِ» وهو طبعا بين أقصى الشرق والغرب شمالا او جنوبا إمّا ذا؟ فانه قطعا- ليس مشرق الشمس او مغربها حيث بلغهما قبل هذه.

ثم «السدين» هما ما يسدان ويحجزان، أ هما صناعيان؟ وانما الصناعي لغرض صد الماء دفعا لضره او انتفاعا من جمعه! والفتحة ناقضة لهذا القصد، او صد الهجمات عمن وراء السدين؟ وهذان السدان لم يكونا صدين لأيّ هاجم، حيث الفتحة بينهما ممرّ لكل مارّ، وقد طلبوا إليه أن يجعل بينهم وبين المفسدين سدا! ثم وهم على سذاجتهم لحد لايكادون يفقهون قولا لم يكونوا ليفقهوا صناعة سدّ وقد فقهها المهندسون في دور التقدم والرقي، ثم ولم يكملوا الصد في السدين طمّا للفتحة بينهما؟! إذا فهما حاجزان طبيعيان لايظهر عليهما ولا ينقبان «فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً»وان كان يختص هنا بالردم، ولكن السدين ان لم يكونا في هذا الإختصاص كالردم، كان جعل الردم دون فائدة! إذا فهما جبلان[1] صلبان شاهقان، لاينقصهما حجزا عن الهاجمين إلّا ردم بينهما وقد طلبوه إليه! وقد يلمح لذلك «حَتّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ»: الجانبين الصلبين.

---

[1] .في حديث الأصبغ عن امير المؤنين عليه‌السلام «قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ» خلف هذين الجبلين وهم يفسدون في الأرض.

و لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) لايعني إلّا النفي المعمّق لفقه القول، لانفي القول، فرب قائل لايفقه ما يقال له ولكنه يفقه ما يقول! او يكاد يفقه قولا.
ثم «قولا» قد يعني معنى صالحا من قوله، لالغة، فإنهم- لأقل تقدير- يفقهون لغتهم وقد تكلموا بها «قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ ..»ولا يرجى من أهل كلّ لغة إلا تفهم لغته دون اللغات الاخرى.
فعلّهم كانوا في بساطتهم وسذاجتهم لحدّ لايفقهون قول اي قائل سواهم اللّهم إلّا من هو في مستواهم، وذو القرنين كان يتحدث مع أهل كل لغة بلغتهم بسبب إلهي آتاه اللّه من كل شيء ومنه شيء اللغة، ولكنهم «لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا»فقد لايفقه الإنسان قولا ولكنه يفقه لاستعداده ان يفقه بمحاولة، وقد لايستعد التفقه ولكنه يكاد أن يستعد فيفقه، ولكن هؤاء كانوا في البساطة وخفة الفهم لحد «لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» ايّا كان هذا القول إلّا ممن هو في مستواهم، ويردد عليهم مفاهيمهم دون ان يخطوها الى سواها، وذو القرنين يريد ليحدثهم بلغتهم وبكل بساطة، إلّا أنهم «لا يكادون» حيث الفقه هو التوصل بعلم حاضر الى علم غائب، وهم غيّب عن تفهم اي غائب ف «قولا»يعني قولا يحتاج الى تأمل وتفقه.
هنا ييأس هذا المصلح العالمي ان يفيدهم فقها ويزيدهم علما، فهل يذرهم بعد ووعثاء السفر دونما افادة؟ كلّا- إنه أصغى إليهم ما هي متطلباتهم ف «قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ ..»! فهم مهما لايفقهون قولا فقد يفقهون الخطر الحادق عليهم ليل نهار من «يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ» فلما رأوه صالحا قويا مصلحا تطلّبوا إليه صد المفسدين أن يجعل سدا.
قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤):إنهم على بساطتهم يرون فيه فاتحا عدلا قويا صارما يتوسمون فيه الصلاح والإصلاح وهم مستضعفون تحت وطأة الإفساد الدائب من وراء السدين من «يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ» حيث كانوا يهاجمونهم من وراء السدين فيعيثون في أرضهم فسادا وهم ضعاف عن مقابلتهم، إفسادا في النسل والزرع[1] أما ذا؟
فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً؟ ذات دلالتين على التماسهم منه ١- (أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا» ٢- هل تجعل سدا- وإذا فهل نجعل لك خرجا: اجرا نخرجه عما تخرجه من مال او قوة؟ دون زيادة عنهما، والأجر أعم من الخرج، فقد يتأجر أكثر مما يخرج اعتبارا بلباقة الرأي ولياقة صاحب الرأي، وهو عدل ما لم يجحف، او يسوي بين خرجه وأجره وهو فضل إذ لم يأخذ على تخصصه شيئا، ام لايأخذ خرجا وإنما يساعد طالب العمل العاجز بنفسه فيه، يساعده في طلبه، وهو فضل حيث اشتغل دون عوض، وتفضل على صاحب العمل حيث استعمله كما يستطع دون بطالة، وهكذا يفعل ذو القرنين، كأفضل ما يمكن ان يقدّمه مصلح قوي حكيم لمستضعفين مظلومين، يتعاون معهم في صالحهم، دون أن يأخذ أجرا أو خرجا إلّا ان يستعملهم، لما يطلبون إعانة بقوة ومال هما خرج للردم ودون أن يكون له شيء إلّا أجر من ربه.

---

[1] .في حديث الأصبغ عن امير المؤنين عليه‌السلام .. إذا كان ابان زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السدين فرعوا من ثمارنا وزروعنا حتى لا يبقون منها شيئا ...».

فذو القرنين يبلغ بين السدين، ويطلب منه ان يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا، ان يصد بين السدين تخلصا لهم عن افسادهم في أرضهم، مما يبين كونهم مستضعفين وغير ظالمين، وإلّا تطلبوا إليه صد الإفساد فيما بينهم كما بينهم وبين المفسدين وراء السدين، وبطبيعة الحال هؤاء البله الذين لايكادون يفقهون قولا لايسطعون الإفساد، أم إذا اسطاعوه لم يكونوا ليفسدوا فيما بينهم، يدل على كل ذلك تطلبهم إلى هذا المصلح العظيم ان يجعل سدا هو صدّ عن الإفساد في أرضهم! من هذه الدعوة على بساطتها ومن تلكم الاجابة الخارقة في ذلك التعاون الصارم ندرس مدى وجوب صد الإفساد من اي كان وأيا كان وأيان! تكريسا لكافة الطاقات البشرية مع التوصل بامدادات إلهية، خروجا عن الاستضعاف وعيث الفساد، دون اي مبرر لأية جماعة مستضعفة في تصابرهم على الفساد وتخاذلهم أمام المفسدين، فصدا صدا أو سدا سدا! بعد ما كلت كلّ المحاولات للقضاء على المفسدين او على فسادهم ام الهجرة عنهم إمّا ذا؟ فلا يتبرر المستضعف تحت نير الإفساد من المستكبرين قولة «كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ» حيث يقال لهم: «أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّٰهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» .. اللهم «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» (۴: ۹۸) فما دام هنا سبيل الى التخلص اي سبيل، كائنا او متمكنا، فلا يعذر المستضعف، وحتى إذا لم يستطع حيلة ولا يهتدي سبيلا «فَأُولئِكَ عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ...» ترجيا دون تحتم! إذ فيهم من كانت له الهجرة او أية مقاطعة فتصابر على تركها بنير الذل حتى زالت استطاعته وحيلته ..! إلّا من انتشأ وظل بين المستكبرين قصورا دون تقصير وقليل ما هم؟

فيا له تكليفا لزاما ما أشمله: مجانبة عوامل الفساد قدر المستطاع، دون سماح لأي هموم او خمول، سلبا لكل فساد، ومن ثم محاولة دوافع الصلاح والإصلاح فرضا لزاما قدر المستطاع دون سماح لاي هموم او خمول! ولنكن ثالث ثلاثة من المستضعفين في حياة الجهاد الدموي الدائب ..

و الى رابع أضلاع الحياة: «ورثة الأرض» لامستكبرين ولا مستضعفين، وانما مؤنين أقوياء في دولة مباركة عالمية زمن المهدي من آل محمد صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين! «و نقول لاقوام يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف: اخبروني أين أنتم من سليمان بن داود ثم ذو القرنين عليهماالسلام، عبد أحب اللّٰه فأحبه اللّٰه، طوى له الأسباب، وملّكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد أحدا عاب عليه![1].

قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْماً (۹۵) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انْفُخُوا حَتّى إِذا جَعَلَهُ ناراً قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً (۹۶):

«ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي» أن مكنني في الأرض وآتاني من كل شيء سببا- إنه «خير» من خرجكم .. فأنا أستعين بسبب من ربي علما وقوة، ثم «فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ» بشرية، فليست القوة الخارقة الإلهية لتبطل او تعطّل قوة بشرية، فمهما كان بالإمكان جعل الردم بسبب الهي صارم دون تسبب الى قوة بشرية، ولكنه عطالة عارمة لهذه القوة، فانما الخارقة- للعادة فيما تقصر عنه العادة قدره، ام تثبيتا لنبوة إلهية

---

[1] .نور الثقلين ۳: ۳۰۸ ج ۲۳٤ في الكافي علي بن ابراهيم عن أبيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام حديث يقول فيه عليه‌السلام لا قوام ....

ليست لذي القرنين، ام لحجة إلهية آية باهرة على رحمته.
و هذه سنة اللّه الدائبة، عدم التغاضي عن الحول والقوة الخلقية، فانه بطالة، وأحيانا فعل خارقة إلهية يساند الفعلة الخلقية، وكما في جعل ذلك الردم.
«فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ» قدر المستطاع من مال أو حال، ألا جعل لكم سدا كيفما كان؟ لا! بل «ردما» يسد الثلمة، فأيسر طريقة وأقواها هي ردم الممر بين السدين، ليردم المارين المفسدين، فلا يستطاعوا ان يظهروه لارتفاعه، ولا ان ينقبوه لحدّته، فكم من سد يظهر عليه وهو حديد، وكم من سدّ رفيع ينقب لأنه وهيد غير حديد، ولكنه ردم يسد الثلمة نقبا وارتفاعا!. لم يكن هنالك طريقة أخرى لصدهم عن الإفساد إلّا بسدهم ردما، فهل يقتل او يعذب المفسدين ثم يتركهم؟ فمن ذا يضمن عدم عودة الباقين إلى افسادهم؟ وما ذا يضمن من لايسطع منهم الإفساد او هو تاركه الآن ألّا يفسد بعد الآن؟ او يبيدهم كلهم؟ فقصاصا قبل الجناية لبعضهم! وعلّ في أنسال مفسديهم صالحين او مصلحين: فلا طريقة إذا أمثل من صدهم بسدهم! «قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا» (٩٨).
آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ والزبرة واحدتها وهي القطعة العظيمة، فقد طلب إليهم ان يأتوه قطعا من الحديد دون تحديد «حَتّى إِذا ساوى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ» حيث ملأ بينهما من زبر الحديد لحد ساوى بين الصدفين:
الجانبين الصلبين من السدين، وهي ركامة حديدية بين الحاجزين فأصبحا كأنهما صدفتان تغلقان ذلك الكوم الممر حيث الركام سامت القمتين، ومن لطيف الصدف تساوي الصدفين كما تدل عليه «ساوى».
و كيف يلحم بين زبر الحديد حتى تصبح كأنها زبرة واحدة كجبل حديدي بين الجبلين؟ هنالك نفخ وقطر يلحّمان زبر الحديد كأقوى تلحيم! «قالَ انْفُخُوا» بمنافخ فنفخوا «حَتّى إِذا جَعَلَهُ» المنفوخ «نارا» فضمير المفرد رغم جمعية زبر الحديد يلمح الى حدة الالتحام بينهما لحد الوحدة أو كأنها زبرة واحدة، ومن ثم «نارا» لانيران، لمحة مليحة الى وحدة نارية بعد وحدة الالتحام وحدتّه، نار واحدة في شدة الحرارة والالتحام.
و هل يكتفي بذلك، وعلّ بين هذه الوحدة النارية فرجا؟ كلّا، إنه القطر: النحاس المذاب، يفرغ على هذه النار الزبرة الحديدية فيكتمل أمر السد الردم! قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً نحاسا مذابا يتخلل الحديد النار ويقويه أقوى من خالص الحديد، قطر على حديد ونار على نار.
و هذا الخلط كان من الأسباب القوية لتحكيم الردم، وقد استخدمت هذه الطريقة حديثا في تقوية كلّ من النحاس والحديد فكل بمفرده أضعف من هكذا خلط يجعلهما كالفولاذ! كما وان ذلك النفخ وزبر الحديد ومذاب النحاس بعيد عن قوم «لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» حيث البداءة والسذاجة في أبسط مراحلها جعلت منهم بلها لايعرفون شيئا، فكيف لهم بإتيان زبر الحديد، والنفخ فيه لحد جعله نارا والنحاس المذاب، فلم يكن لهم شغل في هذه الثلاث الّا إتيان زبر الحديد «آتوني ...» دون استخراجها من معدنها، او نفخ فيها دون المنفخ «قالَ انْفُخُوا» ثم إيتاء «آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً» حيث إفراغ القطر من فعله دونهم، وإنما هم عمّال في هذه الثلاث: إيتاء ونفخ وإيتاء، وأما تحصيل زبر الحديد والمنفخ والنحاس وإذابته فكل ذلك مما آتاه اللّه من كل شيء سببا! فهناك معدن للحديد

دلّهم ذو القرنين على استخراجه، ومنفخ دل على اصطناعه إمّا ذا، ومعدن للقطر ثم مذيب، كل ذلك بأسباب خارقة إلهية وهم عمّال يؤرون لامصطنعون ومخترعون! فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) فقد صدهم هذا السدّ، إذ حاولوا أن يظهروه فما اسطاعوا، وحاولوا له نقبا لينفذوه فما استطاعوا، فاستراح هؤاء المستضعفون عن إفسادهم وكأنهم سألوه من اين هذه الكرامات الخارقة ف :قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) لك الملك العدل الرؤ يحتاج الأرض مشارقها ومغاربها ممكنّا متمكّنا ميسرا له من كل الأسباب، ولا تأخذه العزة بالإثم والكبرياء بالخيلاء، ولا يطغى تبطرا، ولا يبغي من القدرة مغنما، ولا يستغل السلطة استعبادا، وإنما ينشر عدلا ورحمة، ويأتي بخارقة تلو الأخرى، وعند انتهاء هذه الحلقة «قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي» يسند كل ما أتى به الى رحمة ربه دون سناد إلى نفسه إلّا كواسطة في هذه وتلك الخارقة.

و لكيلا يخلد الى خلد خلود ردمه الفولاذي يدكّه بوعد ربه: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي»تدميرا بعد تعميره «جَعَلَهُ دَكّاءَ»: ليّنة سهلة، بعد ما كانت فولاذية مرتفعة صلبة «وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا» في دكّها.

ترى وما هو ذلك الوعد؟ هل هو الوعد العام بدكداك الأرض وما عليها وبضمنها ذلك الردم: «إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا، وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا»؟

وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً (٩٩) وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً (١٠٠) تدلنا على تماوج الأحياء بعد دكداك الردّم، ثم بعدهما نفخ الصور وجمع الجمع! ثم وآية الأنبياء قد تناصرها أن وعد الدكداك هذا قبل القيامة الكبرى: «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ، حَتّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنّا ظالِمِينَ» (٢١: ٩٧).

ففتح يأجوج ومأجوج بدكّ الردم، والدك الفتح هما في الآيتين قبل جمع الجمع، فهناك «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» وهنا أدل منها واقرب «وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» فجمع الجمع والوعد الحق هما بعد وعد الرب ودكّ الردم. وعد اوّل خاص يشمل دك الردم، ففتح يأجوج ومأجوج كشرط من أشراط الساعة الوعد العام.

ثم الوعد الحق في قيامتي التدمير والتعمير هو مقترب- لاواقع- عند وعد الرب بهدم الردم وفتحهم وتركهم يومئذ يموج بعضهم في بعض وهم من كل حدب ينسلون، ف «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» الرامي إلى نفخة الإحياء ليس إلّا بعد نفخة الإماتة، وهي بعد اقتراب الساعة بأشراطها التي منها: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ::»! وترى من «هم»في «وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ ..»؟ أهم يأجوج ومأجوج؟ و هم كان بعضهم مائجا في بعض قبل دكّاء الردم! ام هم المجموعة منهم والقوم الذين كانوا لايكادون يفقهون قولا، مستضعفين ومستكبرين، إذ انفتح الردم ففتحوا كما كانوا قبل سد الردم، فأصبحوا كأمواج البحر الملتطم يتلاطمون في تماوج عارم وتهارج صارم، وهو الصحيح! او هم مجموعة المكلفين من الجنة والناس أجمعين، يتركهم يومئذ يموج بعضهم في بعض، في هرج ومرج وفساد دائم وظلم عارم، وعلّه الأصح! ان يأجوج ومأجوج- أيا كانوا- إنهم بعد ذلك الفتح من كل حدب ينسلون، ولأن «حدب»هو المرتفع، فكلّ حدب يعم كلّ مرتفع يمكن أن يرتفع: من مرتفعات بحرية وبرية او

جوية، محلّقين على كل محلق، دون اختصاص بحدب الردم ولا حدب له بعد دكّه!.
و ان «ينسلون» هو: ينفصلون مسرعين، ويلدون، ف «هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»قد يعني الهرج والمرج العالمي من قبيل يأجوج ومأجوج، مسيطرين على كل مرتفع، مسرعين في الانفصال عنه الى الناس ٢٠ المستضعفين، ناسلين ولدا به يكثرون، وعند ذلك الطامة الوسطى: ان تملأ الأرض ظلما وجورا نظرة ان يملأها اللّه بعده قسطا وعدلا بالقائم المهدي عجل اللّه تعالى فرجه وسهل مخرجه.
و لان «الموجان» من صفات الماء الكثير، ف «يموج بعضهم في بعض»توحي بشدة اختلافهم، ودخول بعضهم في بعض لكثرة اضدادهم، تشبيها بموج البحر المتلاطم، والتفاف الدبا المتعاضل، تماوج مختلف المياه عذبا ومالحا ومرا أجاجا.
و هكذا تكون الفتنة العالمية حيث تملأ الأرض ظلما وجورا، فلا يبقى موضع قدم إلّا وفيه هرج ومرج! اين ردم ذي القرنين؟
لان ذلك الردم بدكه وفتح يأجوج ومأجوج هما شرط من أشراط الساعة: «اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ....» فلنحاول في الحصول على معرفة عنها قدر المستطاع على ضوء القرآن، وما يلائمه او يثبت من السنة والتأريخ الجغرافي وسواه.
فهل إن ذلك الردم هو جدار الصين؟ وليس سدّا ولا ردما! وليس حديديا وذلك الردم حديد بقطر! وليس بين جبلين، بل بين سهول وجبال عدة والردم بين جبلين! وقد بناه ذو القرنين وجدار الصين بناه «شين هوانك تي» في طول ألف كيلو مترا وعرض تسعة امتار وارتفاع خمسة عشر مترا بالأحجار، وهو قاطن الصين دون سفر إليه لبناء جداره وذلك بنى ردمه في سفرة بعيدة.
ثم وبناء سد في حجم ١٣٥٠٠٠٠٠٠ مترا بحاجة الى ملايين الأطنان من خليط القطر والحديد، فأين سد من جدار وبان من بان؟ فهل هو بعد سد باب الحديد في عمالة بلخ وراء جيحون بمقربة من مدينة ترمذ كما جاء في بعض المؤفات[1]؟ ولم يتضح لنا بعد وجود هجمات تصدّ بذلك السد وهو خلاف اسمه ليس فيه حديد وقد بناه كسرى نوشروان.
ام سد ثان في مضيق جبال قفقاز الممتدة من بحر الخزر الى البحر الأسود، المسمى بمضيق داريال[2] بين بلدة تفليس وولادي كيوكز.
و هذا السد المسمى باللغة المحلية «دمير قاثو» اي: باب الحديد: يقع في ذلك المضيق بين جبلين شاهقين يمتدان من جانبيه، وهو الفتحة الوحيدة الرابطة بين جانبي الجنوبي والشمالي مع ما ينضم

---

[1].في مجلة المقتطف المصري ١٨٨٨ كما نقله في الجواهر انه اتضح لنا من المصنفات العربية وجود سد وراء جيحون في عمالة بلخ واسمه سد باب الحديد بمقربة من مدينة ترمذ وقد اجتازه تيمور لنگ بجيشه ودعا مؤخه شرف الدين اسم المحل «خلوجة» ومر به ايضا شاه روح وكان في خدمته ومن بطانته الالماني: سيلد برجر- وذكر السدّ في كتابه وذلك في أوائل القرن الخامس عشر وذكره الاسباني: كلما فيجو في رحلته سنة ١٤٠٣ وكان رسولا من ملك كستيل قشتاله بالأندلس الى: تيمورلنك- قال: ان سد مدينة باب الحديد على الطريق الموصل بين سمرقند والهند.

[2].لعله من اصل داريول بمعنى المضيق بالتركية ويسمى باللغة المحلية «دمير قاپو» اي: باب الحديد.

إليها، من بحر الخزر والبحر الأسود، حاجز طبيعي بطول ألوف من الكيلومترات يحجز جنوب آسيا من شمالها.
و كان يهجم في تلك الأعصار أقوام شريرة من قاطني الشمال الشرقي من آسيا من مضيق جبال قفقاز الى ما يواليها من الجنوب، فيغيرون على ما دونها من أرمينستان ثم ايران حتى كلدة والآشور، كما هجموا حوالي المائة السابعة قبل الميلاد فعمموا البلاد قتلا وسبيا ونهبا حتى بلغوا نينوى عاصمة الآشور وذلك في عهد كورش.
و يذكر المؤخون في كهردوت اليوناني سير كورش الى شمالي ايران لإخماد نائرة الفتن المشتعلة هناك، وكأنه هو باني ذلك الردم في هذا المضيق، وهو الردم الوحيد الذي بني بالحديد بين جبلين، ويذكره يوسف اليهودي المؤخ عند ذكر رحلته الى شمالي قفقاز[1] وبينه وبين كسرى باني سد باب الحديد قرون! ثم هناك نهر بالقرب منه يسمى «سايروس»وهو اسم كورش عند الغربيين[2].
و لأنه الردم الوحيد الذي نعرفه حتى الآن فعلّه هو الذي بناه ذو القرنين، او سوف يكتشف ردمه، لانتأكد الآن شيئا، والظاهر لحد الآن أنه «باب الحديد»هذا، حيث يوافق الردم اسما ومسمى وموقعا جغرافيا، وهو الوحيد فيما نعرفه! ثم ولا غرض عقلائيا ولا قوة عاديا ولا موقع جغرافيا في بناء ردم فولاذي إلّا كما يقصه القرآن، وإذ لانجد غير «دمير قاثو» في نفس الموقع والهدف والقوة فليكن هو الردم المذكور في القرآن والله اعلم[3].
ومن هم يأجوج ومأجوج؟
لقد كثير القيل والقال حولهما، ما يحمل تناقضات من أسطورات تدهش العقول وتوحش الحقول، ولأن فتح يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة كما في الكتاب والسنة[4] فعلينا النقب والتنقير الكثير

---

[1].الدر المنثور ٤: ٢٥٠- اخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب عليه‌السلام انه سئل عن الترك فقال: هم سيارة ليس لهم اصل هم من يأجوج ومأجوج لكنهم خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الأرض.

[2].هذا التاريخ ننقله عن الميزان ج ١٦ ص ٣٩٤ والتحليل والمقايسة منا.

[3].الدر المنثور ٤: ٢٥٠- اخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبي بكرة النسفي ان رجلا قال: يا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم! قد رأيت سد يأجوج: قال:
(صلّى اللّه عليه وآله وسلم): انعته لي- قال: كالبرد المجر طريقة سوداء وطريقة حمراء- قال: (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قد رأيته.

[4].نور الثقلين ٣: ٣٠٩ ج ٢٣٩ في كتاب الخصال عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: كنا جلوسا في المدينة في ظل حائط قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غرفة فاطلع إلينا فقال: فيم أنتم؟ قلنا: نتحدث- قال: عماذا؟ قلنا عن الساعة- فقال: انكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وثلاثة خسوف يكون في الأرض: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ويكون في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض لا تدع خلفها أحدا الا تسوق الناس الى المحشر، كلما قاموا قامت ثم تسوقهم الى المحشر.
وفي ح ٢٤٠ حديث حذيفة قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: عشر آيات بين يدي الساعة: خمس بالمشرق

حول «من هما واين هما وهل فتحوا حتى الآن أماذا»؟ فلنجعل الكتاب الإمام أمامنا، فندرس آيتي يأجوج ومأجوج نبراسا ينير لنا الدرب الى معرفتهما، ومتراسا يبير كل يأجوج ومأجوج اختلقتها ايدي الدس والتجديف، وتقولتها ألسنة التحريف.

فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً (٩٧) قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً (٩٩) (وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ (٩٥) حَتّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنّا ظالِمِينَ»(٢١: ٩٧) قد تعني مقابلة «جَعَلَهُ دَكّاءَ» ل «فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْباً»إضافة الى دكداك الردم نفسه، أنهم سوف يسطعون ان يظهروه او يستطيعون له نقبا فينقبونه، ظهور الغلبة عليه هدما ام التحليق عليه دون هدم! لذلك ترى آية الأنبياء تنسب الفتح الى يأجوج ومأجوج، دون تصريحة او تلويحة لدكداك الردم هدما، بل «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» قد تلمح أنهم يظهرون على حدب الردم ضمن كل حدب دون دكّ لايّ حدب حتى الردم.

فان ثبت لدينا فتح لياجوج ومأجوج والردم باق، لم يثبت تهافت بين آيتي الكهف والأنبياء! كما ومقابلة «وَعْدُ رَبِّي» ب «رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي» تعني رجعة الإفساد من يأجوج ومأجوج كوعد للعذاب بعد الرحمة، سواء أبقى الردم ام دكّ بدكاء الوعد العذاب.

و ذلك الوعد هو قبل القيامة الكبرى وهو من أشراطها، حيث «نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» بعده، وفتح يأجوج ومأجوج عند اقتراب الوعد الحق! وترى إن «وَعْدُ رَبِّي» شرطا من أشراط الوعد

وخمس بالمغرب فذكر الدابة والدجال وطلوع الشمس من مغربها وعيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وانه يغلبهم ويغرقهم في البحر ولم يذكر تمام الآيات.

وفي الدر المنثور ٣: ٢٥٢- اخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انا اعلم بما مع الدجال معه نهران أحدهما نار تأجج في عين من رآه والآخر ماء ابيض فان أدركه احد منكم فليغمض ويشرب من الذي يراه نارا فانه ماء بارد وإياكم والاخر فانه الفتنة واعلموا انه مكتوب بين عينية كافر يقرءه من يكتب ومن لا يكتب وان احدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة انه يطلع من آخر امره على بطن الأردن على ثنية أفيق وكل احد يؤن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن وانه يقتل من المسلمين ثلثا ويهزم ثلثا ويبقى ثلث ويجن عليهم الليل فيقول بعض المؤنين لبعض ما تنتظرون ان تلحقوا إخوانكم في مرضات ربكم من كان عنده فضل طعام فليفد به على أخيه وصلوا حتى ينفجر الفجر وعجلوا الصلاة ثم اقبلوا على عدوكم فلما قاموا يصلون نزل عيسى بن مريم امامهم فصلى بهم فلما انصرف قال هكذا فرجوا بيني و بين عدو الله فيذوب وسلط الله عليهم من المسلمين فيقتلونهم حتى ان الشجر والحجر لينادي يا عبد الله يا عبد الرحمن يا مسلم هذا يهودي فاقتله فيقتلهم الله وينصر المسلمون فيكسرون الصليب ويقتلون الخنزير ويضعون الجزية فبينما هم كذلك اخرج الله يأجوج ومأجوج فتشرب أولهم البحيرة ويجيء آخرهم وقد انتشفوا ولا يدعوا فيه قطرة فيقولون ظهرنا على أعدا انا قد كان هاهنا اثر ماء فيجيء نبي الله وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة من مدائن فلسطين تقال لها: لد فيقولون ظهرنا على من في الأرض فتعالوا نقاتل من في السماء فيدعو الله نبيه عند ذلك فيبعث عليهم قرحة في حلوقهم فلا يبقى منهم بشر فيؤي ريحهم المسلمين فيدعو عيسى فيرسل الله عليهم ريحا فتقذفهم في البحر أجمعين.

وفيه اخرج نعيم بن حماد في الفتن وابن مردويه بسند رواه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعثني الله ليلة أسري بي الى يأجوج ومأجوج فدعوتهم الى دين الله وعبادته فأبوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد إبليس.

الحق، هل يختص بردح خاص من الزمن او قد يتكرر؟
آيات الإفساد العالمي الاسرائيلي مرتين كما شرحناها في «الأسرى»تدلنا على كرور الوعد، فعلّ العالمي منه اثنان ثم هناك وعد أم وعود جانبية ومنها الهجمة الجنكيزخانية التي سودت وجه التاريخ الانساني! ومهما كان يأجوج ومأجوج في البداية أمتين من بني الإنسان في سالف الزمن، فقد تعني، «حَتّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ»كل امة مفسدة وَج نيران الفساد في هذه المعمورة ومن أفسدها «إسرائيل»: لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ..»! مهما كان الاوّلون من المغول والتتار امّن ذا؟
آية الأنبياء الأولى: «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ»تحرم الرجعة الى الدنيا بعد الموتة فهي من آيات الرجعة[1] والثانية: «حَتّى إِذا فُتِحَتْ»تقرر أمد هذه الرجعة أنها بعد ما فتحت يأجوج ومأجوج، وعلّه الإفساد العالمي الثاني الإسرائيلي قبيل الرجعة، أو الأوّل قبلها، ام الهجمة الجنگيزية قبلهما، ام تعنى الثلاثة تعميما ليأجوج ومأجوج الى مؤجي نيران الفساد أيا كانوا وأهمه الإفسادان العالميان «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» او ان بني إسرائيل هم رؤس الفساد في هذين، ويأجوج ومأجوج يؤجانه إمّا ذا؟
يأجوج ومأجوج هما كلمتان أعجميتان معربتان حيث هما ممنوعا الصرف، ولا شك أنهما أمتان من امم البشرية هما أمثولة الإفساد طول التاريخ بمن يساندهما.
و قد يلمح «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» إلى انتشارهم في أرجاء المعمورة بعد ما صدهم ذو القرنين بسدّهم، وقد سئل الامام علي عليه‌السلام عن الترك فقال: هم سيارة ليس لهم أصل، هم من يأجوج ومأجوج ولكنهم خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الأرض»[2].
وكذلك نرى الامة الاسرائيلية كانوا طول قرونهم والى احتلال فلسطين، كانوا سيارة في الأرض مفسدين أيا كانوا.
لست أقول انهم من أصل الترك ويأجوج ومأجوج، فانما كونهم سيارة الأرض المفسدين يجعلهم مع يأجوج ومأجوج أمة الإفساد في التاريخ، بل هم لعلهم أشد منهم وأنكى او هم الأصل في الإفساد منذ كانوا وعلى هوامشهم سائر الأمم المفسدة.
و لان اللغات متطورة كما المجتمعات، فقد يقرب القول أنهما المغول والتتار وهما من الترك، والمغول في الصيني «منكوك» او «منجوك» وكأن الكلمتين نقل عبراني وهما في التراجم اليونانية وغيرها للعهد العتيق «كوك»و«ماكوك»والمشابهة الكاملة بين «ماكوك» و«منكوك» يقضي انها متطورة من «منكوك»كما

---

[1].تفصيل البحث حول آية الأنبياء تجده عند تفسيرها، ومن الوجوه الراجحة ان اهل قرية أهلكناها حرام عليهم الرجوع لتكملة الحياة حتى إذا فتحت .. فإذا فتحت يرحبون لا لتحصيل السعادة وانما لتكميل الشقاوة فإنهم ممن محض الكفر محضا، فالآية إذا من آيات الرجعة وتدل على ان فتح يأجوج ومأجوج قبيل الرجعة فيناسب قبلها القريب كالإفساد العالمي الثاني الإسرائيلي، والبعيد كفتنة المغول، او انهما معنيان.

[2].الدر المنثور ٤: ٢٥١- اخرج ابن المنذر عن علي بن أبي طالب ...

اشتق منه «منغول»و«مغول».
فلعل يأجوج هو «كوك» ومأجوج هو «ماكوك» فهذا المغول وذلك التتار، وقد ذكر بعض المدققين أن المغول والتتار من رجل واحد يقال له «ترك» وهو الذي سماه أبو الفداء باسم يأجوج، وقد كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا، تمتد بلادهم من «التبت والصين» إلى المحيط المنجمد الشمالي وتنتهي غربا بما يلي بلاد «تركستان»[1].
و يذكر المؤخون المسلمون والإفرنج أن هذه الامة النكدة كانت تغير قديما وفي مختلف الزمن على الأمم المجاورة لها، ومنهم المتوحشة كالسيول الجارفة التي انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى أوروبا قديما، فمنهم أمة السيت والسمرياق والمسجيت والهون، وكم أغاروا على بلاد الصين وعلى أمم آسيا الغربية التي كانت مقر الأنبياء، فكانوا يحذرون قومهم من هؤاء ..[2].
طلب من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين قاطني الشرق الأقصى سدّا فعمل ردما فظلوا محجوزين ردحا من الزمن «حَتّى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» في مثلث الإفساد العالمي، يتكفل أولاه في داهية دهياء وغارة عشواء «تموجين» الملقب نفسه «جنكيزخان» إنه- وكما في القرآن: «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» خرج بجيشه الجرار من الهضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التي في آسيا الوسطى في أوائل القرن السابع من الهجرة- جنكيزخان بعد ما يجمع أمة التتار تحت حكمه العارم يخضع الصين الشمالية ثم يذهب إلى البلاد الإسلامية ويخضع سلطان محمد السلجوقي ملك خوارزم، وكان يمتد ملكه على بلاد تركستان والفرس، فسقطت هذه الدولة بعد عشر سنين من الحرب المتواصلة- جنكيزخان المغول الفاتح بعد هذه المدة يرتكب من المنكرات هناك ما لم يسمع مثله في التأريخ، فقد قتّلوهم رجالا ونساءأطفالا، وارتكبوا من الفواحش ما سوّد وجه التأريخ- في مدينة خوارزم وحدها، يفتك بها هدما وإحراقا وإهراقا لدماء الأبرياء فأصبحت أنهارا من الدماء، كما فعلوا مثلها بسمرقند وبخارى وغيرهما، وفتكوا بأهالي نيسابور وأفنوهم عن آخرهم حتى الأطفال والحيوان وأحرقوا البلد، وأصبحت القتلى في واقعة مرو مليونا وثلاثمائة وثلاثين ألفا! وهذه نبذة يسيرة من بحر فظايحهم هناك[3] ومن ثم كافة البلاد إلّا شذرا: فقد أخضعوا بلاد الهند فمات «جنكيزخان» ولما ملك ابنة (اقطاى) أغار ابن أخيه (باتو) على الروس (٧٢٢) ودمروا (بولونيا) و(بلاد المجر) وأحرقوا وخرّبوا- وبعد موت (اقطاى) قام مقامه (جالوك) فحارب ملك الروم وألجأه إلى دفع الجزية.

---

[1] .كما في فاكهة الخلفاء وابن مسكوية في (تهذيب الأخلاق) وفي (رسائل اخوان الصفا) فقد ذكروا ان هؤاء هم يأجوج ومأجوج.

[2] .لقد فصل في رسائل قديمة ألفت في القرنين الثالث والرابع ان امة يأجوج ومأجوج هم سكان تلك الجبهة المتقدمة شمال الصين وحددت بلادهم بأنها من نحو سبع وعشرين درجة من العرض الشمالي الى نحو خمسين درجة منه وهذه البلاد الآن جزء عظيم من الصين وفيها بكين عاصمتها الآن ولقد كانوا أغاروا على الأمم جميعا وكانوا كفاتحين للعالم كله.

[3] .راجع دائرة المعارف وابن خلدون وفاكهة الخلفاء.

ثم مات (جالوك) وقام مقامه ابن أخيه (منجوا) فكلف أخويه (كيلاى وهولاكو) ان يستمر في طريق الفتح، فيتجه الأوّل الى بلاد الصين والثاني إلى الممالك الإسلامية. ففعلوا ما فعلوا من القتل والتدمير.
أسلمت بغداد سبعة ايام للقتل والسلب والنهب فسالت فيها أنهر الدماء وطرحوا الكتب العلمية في دجلة وجعلوها جسرا يمرون عليه بخيولهم وقتل الخليفة العباسي المستعصم باللّٰه وعلقت جثته في ذنب حصان وساروا بها بين أسوار بغداد .. وقد استمرت فتوحات المغول إلى سوريا ..
الفتنة المغولية تفتك بالبلاد كلها من مشارق الأرض ومغاربها إلّا مكة والمدينة وبيت المقدس، وعلّه إليها الاشارة في حديث يأجوج ومأجوج أن مقدمتهم في الشام وساقتهم بخراسان، وكما في تصريحة أخرى انهم لايدخلون المدن الثلاث.
و قد يعنيه الحديث «و يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير العصب»أصحابه محسورون محقرون مقصون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كأنهم فزع الطريق يورثهم اللّٰه مشارق الأرض ومغاربها.
و من «السبب الظاهر في هذه الفتنة أن سلطان خوارزم يقتل رسل «جنكيزخان»والتجار المرسلين من بلاده ويسلب أموالهم ويغير على أطراف بلاده فيغتاظ «جنكيزخان» ويكتب اليه كتابه يهدّده فيه بما فعل[1].
ذلك إفساد في الأرض مرة شاملة من «يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ» وقد تلمح «حَتّى إِذا فُتِحَتْ» أنها الأولى منهم والأخيرة كشرط من أشراط الساعة، ومن ثم إفسادان عالميان من بني إسرائيل كما في آية «الأسرى»، فانها تخص إفسادهم في مرتين لاكل إفساد من ايّ كان، كما وآية الفتح ليأجوج ومأجوج تخص فتحهم في افسادهم الظاهر في مرة.
أو أن فتحهم يعني جنسه الشامل للمرات الثلاث، مرة تخصهم كما مرت، ثم هم يشتركون في المرتين الإسرائيليتين العالميتين، طالما هم فيها أصلاء، ويأجوج ومأجوج هوامش عملاء، كسائر المفسدين الهوامش اللّعناء.
فكل من يشارك إسرائيل في مرتي الإفساد العالميين من عمال الفساد هو في سجيته وعلانيته وسريرته، إنه إسرائيلي مهما كان من يأجوج ومأجوج امّن ذا؟
كما الفتنة اليأجوجية تشمل كل عميل من غيرهما أيا كان وأيان! وطبيعة الحال قاضية أن الإفساد

---

[1] .نص الكتاب هكذا: «كيف تجرأتم على اصحابي ورجالي وأخذتم تجارتي ومالي؟ وهل ورد في دينكم او جاز في اعتقادكم ويقينكم ان يريقوا دم الابرياء او تستحلوا اموال الأتقياء او تعادوا من لم يعادكم وتكدروا صفو عيش من صافاكم، وتحركون الفتنة النائمة وتنبهون الشرور الكامنة او ما جاءكم عن نبيكم سريكم وعليكم ان تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن الظلم الضعيف قويكم او ما خبركم مخبروكم‌بلغكم عنه مرشدوكم ونبأ محدثوكم «اتركوا الترك ما تركوكم» وكيف تؤون الجار وتسيئون الجوار ونبيكم قد اوصى به مع انكم ما ذقتم طعم شهده او صابه ولا بلوتم شدائد أوصافه او صابه، ألا إن الفتنة نائمة فلا توقظوها وهذه وصايا إليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف قبل ان ينهض داعي الانتقام وتقوم سوق الفتن ويظهر من الشر ما بطن ويروج بحر البلاء ويموج وينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج‌سينصر اللّه المظلوم والانتقام من الظالم امر معلوم ولا بد ان الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهر سر ربوبيته وآثار عدله في بريته فان به الحول والقوة ومنه النصرة مرجوة فلترون من جزاء أفعالكم العجب و لينسلن عليكم يأجوج ومأجوج من كل حدب جنكيزخان (تفسير الجواهر ٩: ٢٠٤).

العالمي الإسرائيلي في مرّتيه، لايخص بني إسرائيل إلّا كأصول، فكل مفسد في الأرض يشاركهم أصيلا وبديلا وعميلا أمّن ذا؟:

نحن نعيش الآن الإفساد الاسرائيلي العالمي الاوّل، فالمفسدون الأصلاء هم إسرائيليون، والمفسدون العملاء او البدلاء من كفار الشرق والغرب، ومن يساندهم من زعماء المسلمين امّن ذا- هؤلاء كلهم إسرائيليون فروع! فالكفر ملة واحدة! او قد يعني «إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ» الإفساد العالمي الثاني بعلوّه الكبير من إسرائيل، ويأجوج ومأجوج وهما أمثولة الإفساد شرقا وغربا يعملون عمالاتهم الإسرائيلية في مشارق الأرض ومغاربها؟ كل محتمل! مع الحفاظ على ان هناك مراحل ثلاث من الإفساد العالمي طول التاريخ الرسالي يتكفل أولاها «يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ» كأصلين اصيلين في ذلك الإفساد، والأصلاء في الأخريين هم الاسرائيليون وغيرهم عملاء من يأجوج ومأجوج وسواهم! وأيا كان إفساد يأجوج ومأجوج فاللائح من آيتي الكهف والأنبياء وحدته فيما هم فيه أصلاء: «وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ»فهو يوم وزمن واحد «حَتّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»فهو فتح واحد بنسل واحد! مهما كانوا في المرتين الإسرائيليتين فروعا عملاء، كما قد يكون هؤاء عملاء في المرة التي يأجوج ومأجوج فيها أصلاء.

و قصارى الاقتصار على المرتين الإسرائيليتين أن يأجوج ومأجوج في الثانية أصلاء كما الاسرائيليون لاعملاء، ولكنهم الأصل الاول وهما الأصل الثاني.

و قصارى المستفاد من الآيتين في الزمن التقريبي لفتحهما أنه قبيل الرجعة وقيام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حيث عقّب قيام الساعة: «وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» ب «وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ» في آية واحدة، ولو لاآية الأنبياء «حَتّى إِذا فُتِحَتْ ..

وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ..» بعد «وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ ..» لاحتملنا قريبا او قلنا أن فتحهم بين الرجعة والقيامة! فهنالك قرب قريب إلى الوعد الحق هو الرجعة وقيام المهدي عليه‌السلام وقبلهما قرب ابعد منه هو فتح يأجوج ومأجوج، مما يقرّب احتمال أنه من الإفساد الاسرائيلي العالمي! ثم «وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ» يعني ترك المستضعفين والمستكبرين المفسدين يموج بعضهم في بعض، وبه تملأ الأرض ظلما وجورا ومن ثم ملأها قسطا وعدلا بالقائم المهدي من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله.

و مما يؤده او يؤده أن هناك وعدين لاثالث لهما، الوعد الاوّل يخص فتح يأجوج ومأجوج: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ ..» والوعد الثاني هو القيامة الكبرى «وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» إذا فقبل الوعد الحق كأنه وعد واحد، رغم ان الإفسادين العالميين الإسرائيليين هما وعدان قبل الوعد الحق «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما ... فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ..» فليكن الوعد اليأجوجي مع الوعد الثاني الإسرائيلي! اللّهم إلّا أن الوعدين هذين متجهان الى الاسرائيليين، وذلك الوعد اليأجوجي متجهة الى غيرهم حيث هم بفتحهم وعد العذاب على العالم أجمع؟ وقد يكون الإفساد الثاني الإسرائيلي محط الوعدين ضد إسرائيل وعملائه، وضد العالم اجمع! ومهما يكن من شيء فلا ريب أن الإفساد الثاني والأخير العالمي يشترك فيه كافة المفسدين، يفتح فيه كل يأجوج ومأجوج والإسرائيليون وكافة العملاء، وفيه العلو الكبير «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً».

و لأنه من أقرب أشراط الساعة لحد تلحقه القيامة «وَ تَرَكْنا.

وَ نُفِخَ ..» «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ ... وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً»! وأن الإفساد

العالمي يتطلب نسل المفسدين من كل حدب دون ايّ صدّ او سدّ «وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» وأن كلا من إسرائيل ويأجوج ومأجوج أصل في هذه الفتنة العالمية، فقد يقرب ما قربناه! ولكنما الفتنة المغولية التي هي من يأجوج ومأجوج قد تجعل نسلهم من كل حدب لمرات ثالثتها أقواها وهي في الإفساد الاسرائيلي الثاني.

و قد يظهر من حديث النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»[1] أن افسادهم يمنع الحج والعمرة ثم الله يفرج عن المستضعفين ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا، وليس هذا إلّا في الإفساد الاسرائيلي الثاني حيث تملأ الأرض ظلما وجورا ثم تملأ قسطا وعدلا.

و كما يظهر من حديثه الاخر «فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبرئيل فرفع من الأرض القرآن والعلم والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه ..[2] يظهر أن الأرض يومئذ تملأ ظلما حتى فيما بين المسلمين لحد كأن القرآن رفع عنهم والعلم، ولن يرفع عن كونه بينهم وإنما عن كيانه! وقد يعني حديث النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله عن فتح الردم أن لفتحه مراحل أخيرتها المرة الأخيرة من الإفساد الإسرائيلي اليأجوجي:

«لا إله إلّا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق- قلت يا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله! أ نهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث[3].

ف «يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ» مثال عن كل أمة شريرة، ولفتحهم مراحل عدة اخيرتها التي هي أوسعها تواطئ الإفساد العالمي الأخير الإسرائيلي، «إذا كثر الخبث» لحد ملئت الأرض ظلما وجورا! فلقد أخذ ذلك الفتح يتسع منذ الرسول كلما كثر الخبث حتى القرن السابع من الهجرة ففتح شبه العالمي بالمغول والتتار، ثم يتسع اكثر واكثر في هذين الإفسادين العالميين وأقواهما الأخير بعلو كبير، تتساعد فيه كافة السواعد الطاغية من مشارق الأرض ومغاربها مهما كان الإسرائيليون هناك أصلاء أم أقوى الأصلين أم ماذا؟

فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَ كانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَ تَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً (٩٩) وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً (١٠٠).

ان النفخ في الصور هو الناقور مرتان، أولاهما هي نفخة الإماتة وأخراهما نفخة الإحياء[4]: (وَ نُفِخَ فِي

---

[1].رواه البخاري في صحيحه.

[2].سفينة البحار للمحدث القمي ج ١ ص ١١ ويدلج، النبوي.

[3].الدر المنثور ٤: ٢٥١- اخرج البخاري عن زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ ...» واخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قال: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين.

[4].راجع ج ٣٠- الفرقان ص ٣٤ حول الآية «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»

الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلّا مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ»(۳۹: ۶۸) وعلّ هذه نفخة الإحياء «فَجَمَعْناهُمْ جَمْعاً» او ان «جمعا» يعني جمعي الإماتة والإحياء كما النفخ يجمع الجمعين، نفخة أولى يجمعهم الى الموت- ونفخة اخرى يجمعهم بعد جمع الموت إلى الحياة، فيوم القيامة ككل- قيامة الإماتة والإحياء- إنه يوم الجمع «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ» (۶۴: ۹) (وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ» (۴۲: ۷) جمعا الى موت ثم جمعا الى حياة ومن ثم جمع الحساب فالثواب والعقاب:

وَ عَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً (۱۰۰) في جمع الإحياء وبين جموع الأحياء تعرض جهنم للكافرين عرضا للعقاب بعد العرض على الرب للحساب: عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً»

(۱۸: ۴۸) (أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ» (۱۱: ۱۸) ثم لاعرض للمؤنين على الرب! ومن ثم الكافرون يعرضون على جهنم النار: «وَ تَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ» (۴۲: ۴۵) ثمة عرض الحساب وهنا عرض العقاب ولمّا.

فلما ذا العرض وليس الدخول؟ حيث الدخول الحسبان لزامه الحجة العيان، فليعرض الكافر على ربه ليرى هل تربى بما رباه؟ ثم عرضا على جهنم هل عمل لها وهو من أهلها؟ فلما رأى اللّاتربية هناك في نفسه، ورأى مجانسته مع النار هنا فليدخل- إذا- النار بحجة باهرة: «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ» (۴۶: ۳۴) (... أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها»(۴۶: ۳۰) فبعرضهم على الرب يعرف ويعرفون أنهم ما تربوا بتربيته، وبعرضهم على النار أنهم من أهل النار إذ لم تبق لهم طيبات في الحياة! «عَرَضْنا .. عَرْضاً»به يفضحون وينكبون، وبه يدخلون النار ويخلدون، إعراضا عن الرب هنا، فعرضا على الرب وعلى ناره هناك! الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (۱۰۱).

و ترى الأعين المغطية عن ذكر اللّه فلا يستطيع ذكرا، والسمع المغطية عن استماع كلام اللّه فلا يستطيعون سمعا كيف يعرض أصحابها على الجحيم، والاستطاعة شرط التكليف؟

انها الأعين المغطية بما غطّوها تعاميا عن ذكر اللّه، أعين الأبصار وأعين البصائر عشوا متعمدا متعاميا: «وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»(۴۳: ۳۶) ف «لم يعتبهم بما صنع هو بهم، ولكن عابهم بما صنعوا ولو لم يتكلفوا لم يكن عليهم شيء»[1] ثم و«غطاء العين لايمنع عن الذكر والذكر لايرى بالعين»[2] وانما الغطاء على تبصّر العين فهي مفتوحة حيوانيا ومغطية إنسانيا.

---

[1].نور الثقلين ۳: ۳۱۰ ح ۲۴۲ في تفسير العياشي عن محمد بن حكيم قال: كتبت رقعة الى أبي عبد اللّه عليه‌السلام فيها: أ تستطيع النفس المعرفة؟ قال فقال: لا- فقلت يقول اللّه: «الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً» قال: هو كقوله «ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ» قلت فعابهم؟ قال: ..

[2].المصدر ج ۲۴۳ عيون الاخبار باسناده الى أبي الصلت الهروي قال: سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه‌السلام عن قول اللّه تعالى «الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ ...» فقال: ان غطاء العين .. ولكن اللّه شبه الكافرين بولاية علي بن أبي طالب بالعميان لأنهم كانوا يستقلون قول النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم فيه «لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً» ..

فهي السمع المغطاة عن السمع بما غطّوها و: «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ»(۲۶: ۲۱۲) فلما عشوا عن ذكر الرحمن وصمّوا عن سمعه، أصبحوا صمّا عميا بما صموا وعموا ف «ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ» (۱۱: ۲۰) فقد كانوا ينظرون فلا يعتبرون، او تعرض لهم العبر فلا ينظرون.

ليس ذلك عشو البصر عمى وصمم الاذن، بل تعامي البصر- وعشو البصيرة وصمم القلب: «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»(۲۲: ۴۶) لذلك: «وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ» (۷: ۱۰) (وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ»(۷: ۱۷۹). فتلك هي أعين في غطاء الغفلة والتعامي «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»(۵۰: ۲۲) وهي آذان‌يسمعون بها، فلا يستطيعون بعد ذلك سمعا ولا إبصارا بما ختم اللّه على سمعهم وعلى أبصارهم كما ختموا «خَتَمَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ»(۲:۷).

ثم و«كانَتْ أَعْيُنُهُمْ .. وَ كانُوا» يضربان الى اعماق الماضي، أنهم كانت أعينهم في غطاء منذ كانت لهم أعين، وكانوا لايستطيعون سمعا منذ كانت لهم سمع، امتناعا بالاختيار، ثم «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ».

و من ثم «فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي» تجعل أعينهم غارقة في غطاء حيث غطتها من كل جانب، فلا منفذ إذا لمعاينة الحق وذكره وهذه أعمى العمى! «وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً»تجعل على آذانهم وقرا وصمما محيطا لحدّ لايستطيعون سمعا لو أرادوا سمعا وهذه أصم الصمم! حيث الأصم قد يسمع إذا صيح عليه وأصغى، وذلك لايستطيع سمعا! وكما لمعاينة الآيات وذكر اللّه وسمعها درجات، كذلك لغشاء الأعين وصمم السمع دركات وهذه أسفل الدركات.

و «عن ذكري» تلميحة كتصريحه أن غطاء الأعين لم تكن على الحقيقة في غطاء يسترها، وحجاز يحجزها، بل كانوا ينظرون فلا يعتبرون، أو تعرض لهم العبر فلا يعبرون، فقد كانت أعينهم تذهب سدى وصفحا عن مواقع العبر، فلا يفكرون فيها، ولا يعتبرون بها فيذكرون اللّه سبحانه وتعالى عند إجالة افكارهم، وتصريف خواطرهم.

جماعة من النبيين

وَ لَقَدْ مَنَنّا عَلى مُوسى وَ هارُونَ (۱۱۴) وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۱۱۵) وَ نَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۱۱۶) وَ آتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ (۱۱۷) وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۱۱۸)وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ (۱۱۹) سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۰) إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۲۱) إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۱۲۲) وَ إِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۱۲۳) إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۲۴) أَ تَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ (۱۲۵) اللّهَ رَبَّكُمْ وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (۱۲۶) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (۱۲۷) إِلاّ عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ (۱۲۸) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (۱۲۹) سَلامٌ عَلى

إِلْياسِينَ (١٣٠) إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢) وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلاّ عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٦) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (١٣٨) وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ(١٤٨)

هنا منن ربانية على موسى وهارون، ابتداء بسلب هو دوما يتقدم الإيجاب «وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» وهو فرعون وملأه إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وفي ذلك بلاء من ربهم عظيم! ثم إيجاب في مربع من المنة: «وَ نَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ» نصرة بالحجة منذ الدعوة، وأخرى في خوض اللجة حيث أغرق فيها فرعون وملأه- ثم.

وَ آتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ (١٧) نصرة بعد نصرة، والكتاب هو التوراة، أوتيته موسى أصلا، وهارون فرعا، وهو المستبين حيث يستبين في هذه الرسالة السامية ما تتطلبها دعوة للأمة إلى صراط مستقيم كما:

وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (١٨) صراط العصمة العبودية والرسالية وصراط الدعوة الصارخة الصارمة، لحد:

وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ (١١٩) وعلّه مخمّس المنة ولا سيما الضلع الأخير: الصراط المستقيم، ف :سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ (١٢٠) سلام معهم وسلام في الآخرين الذين هم استمرارية لسلامهم «إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» (١٢١) الذين يحسنون الدعوة إلى اللّه والدعاية للّه «إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» (١٢٢) وَ إِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) وقد تضاربت الأخبار والأقوال حول: من هو إلياس، والمتقن هو أن إلياس هو إلياس، فلا تهمنا أسماء تختلف عن النص أو تخالفه، ومحطة رسالته هي الإنذار: «إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ» (١٢٤) اللّه، وبأس اللّه، وأيام اللّه؟.

أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ (١٢٥) وبعل هي أحد الأوثان المعروفة، وكأنها كبير الآلهة عندهم، وكيف تذرون دعوة أحسن الخالقين وبعل من مخلوقيه دون الأحسن، وأنتم أحسن المخلوقين «فَتَبارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» وهو «اللّهَ رَبَّكُمْ»فضلا عن بعل «وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ»الذين كانوا يدعون بعلا، فالعبّاد والمعبودون دون اللّه والآباء القدامى كلهم من خلقه، ثم يعبد خلق من خلقه وهو في أحسن تقويم- يعبد بعلا وهو في أدون تقويم، لأنه جماد فهو أدنى من نبات هو أدنى من حيوان هو أدنى من جان هو أدنى من إنسان، فما هذه الدنائة في الدعوة «أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ»؟.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) هم كلهم، من المكذبين وسواهم، إحضارا للحساب، فإلى ثواب أو عقاب، «إِلّا عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ» (١٢٨) إذ لاسؤل عنهم يوم السؤل ف «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. إِلّا أَصْحابَ الْيَمِينِ».

وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) دعوته ورسالته، حيث المرسلون- تلو بعضهم لصق بعض- يتناصرون في الدعوة الرسالية دون خمول ولا فتور.

سَلامٌ عَلى إِلْياسِينَ (١٣٠) إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢).
ترى من هو «ال ياسين» دون مدّ كما في بعض القراآت وهي المثبتة في القرآن؟ ومن هو «آل ياسين» مدا كما في قراءة آخرين؟[١]
فهل هو «إلياس[٢]» السابق ذكره، وكما يقتضيه الترتيب في إبراهيم وموسى وهارون؟ فلما ذا- إذا- «إل ياسين» دون إلياس المذكور قبله وفي الأنعام: «وَ زَكَرِيّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ» (٨٥)! ولماذا بعد الفصل بين «إل وياسين»؟ أم هو المخفف عن «إلياسيين»فيعني به إلياس وآله وأتباعه من المؤنين؟ والصحيح- إذا- هو الشدّ دون تخفيف صونا عن أي التباس! وكيف يختص إلياس بهذه الكرامة الشاملة دون إبراهيم وموسى وهارون وهم أفضل منه وأنبل؟! ولماذا الفصل- إذا- بين «إل» و«ياسين»! وهكذا الأمر لو كان هو نبيا غير إلياس لا نعرفه في سائر القرآن! وإذ لامجال فيما نعرف ل «إل ياسين» فهو هو «آل ياسين»؟
ترى أنه بعد «إلياس» لأنه ابن ياسين؟ ولا نجد في سائر القرآن نبيا ينسب إلى أبيه أيا كان، فإن نسبة النبوة تغنيه عن أية نسبة! ثم وصحيح النسبة «ابن ياسين»أو «الياس بن ياسين»، وأن يذكر أولا بنسبته ثم تثنى.
أم إنه آل محمد، فإن ياسين من أسماءه في القرآن، عني به النداء في يس، والعلم تخليا عنها في الصافات، كما ارتآه بعض كبار الصحابة[٣] وكما اتفقت عليه رواية اهل البيت في حجاجات وإجابات عن السؤل حول «آل ياسين»[٤]؟.

---

[١].المد هو قراءة نافع وابن عامر ويعقوب وزيد بن علي وابن عباس وعمر بن الخطاب والكسر قراءة آخرين.

[٢].الدر المنثور ٥: ٢١٦- اخرج ابن المنذر عن مجاهد في الآية قال: هو الياس.

[٣].الدر المنثور ٥: ٢٨٦- اخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس في قوله «سلام على آل ياسين» قال: نحن آل محمد آل ياسين، وفي ملحقات احقاق الحق للمرجع الديني العظيم السيد شهاب الدين المرعشي النجفي ج ٣ ص ٤٤٩ رواه جمع من فطاحل القوم ونحن نكتفي بسرد من وقفنا عليه فنقول: منهم فخر الدين الرازي في تفسيره ٢٦: ١٦٢ والقرطبي في جامع احكام القرآن ١٥: ١١٩ وابو حيان الاندلسي في البحر المحيط ٧: ٣٧٣ وابن كثير في تفسيره ٤: ٢٠ والهيثمي في الصواعق المحرقة ١٤٦ والترمذي في مناقب مرتضوي ٥٤ والشوكاني في فتح الغدير ٤: ٤٠٠ والآلوسي في روح المعاني ٢٣: ١٢٩ والسيد ابو بكر الحضرمي في رشفة الصادي ٢٤ ونقله النقاش عن الكلبي، كلهم يروون قول ابن عباس انه آل محمد، وفي كفاية الخصام ٤٦٩ وابو نعيم الاصفهاني بسنده عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مثله وعن ابن بابويه بسنده عن ابن عباس في الآية قال «السلام من رب العالمين على محمد» وآله و عليهم‌السلام لمن تولاهم في القيمة وعنه عن أبي عبد الرحمن السلمي ان عمر بن خطاب كان يقرء هذه الآية فقال ابو عبد الرحمن آل يس هم آل محمد، وممن روى عن عمر بن الخطاب قرائة المد ابو عبد الرحمن الاسلمي أخرجه عنه بعدة طرق ابن بابويه القمي في الخصال.

[٤].اخرج في كفاية الخصام من طرق الشيعة ستة عشر حديثا ان آل ياسين في الآية هم آل محمد وفي نور الثقلين ٤: ٤٣٢ ح ١٠٣ في كتاب الاحتجاج عن امير المؤنين عليه‌السلام حديث طويل وفيه ولهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله «صَلُّوا عَلَيْهِ» والباطن قوله «وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً» اي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به اليه تسليما وهذا مما أخبرتك انه لا يعلم تأويله الا من لطف

و كيف يسلّم هنا على آل ياسين ولم يذكر يس بنفسه وهو الأصل! وليذكر خاتمة الذكرى من هؤلاء النبيين فإنه خاتمهم! ثم إفراد الضمير في «إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ»يناسب جمع الآل على أية حال! قد يعني «آل ياسين»- فيما يعنيه- كلا إلياس وآل محمد فان كلّا من آل ياسين، ولا يردف يس نفسه بهؤاء لأنه سيدهم وله صلوات فوق السلام في الأحزاب «إِنَّ اللّٰهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً» (٣٣: ٥۶) وقد يعني «إنه»إلياس فانه من آل ياسين، ويعني محمدا صلى‌الله‌عليه‌وآله على البدل، فالمرجع واحد على أية حال، فياسين- إذا- ياسينان والآل آلان وهذه الثانية تصبح وجها وجيها ل «آل ياسين» «إِنّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا» المؤنين! وإذا كانت «آل» مدا، والكتب المتواتر من القرآن دون مدّ، فهل ليس ذلك تحريفا في الذكر الحكيم؟ كلّا فان قراءة المدّ مروية عن الأربعة الكبار وعليها إجماع أئمة أهل البيت عليهم‌السلام.

فقد اختص آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله بالسلام عليهم ضمن السلام على هؤاء النبيين الكرام ولم يسلم على آلهم، وكما اختص الرسول وآله بالصلاة عليهم بين الأمة «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً»[1].

وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) وهو ابن اخي إبراهيم عليه‌السلام ومن دعاة رسالته، وقد نجاه اللّٰه في رسالته عما نزل بقومه «إِلّا عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ»هي امراته الغابرة في كفرها، الغائرة مع الغابرين «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ»ومنهم «عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ».

«وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ» على آثارهم الخاوية «مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ»١٣٨ وهم على طريق الحجاز إلى الشام.

و هذا مرور خاص بواقع آثارهم لخصوص المارّين عليهم القاطنين في أرض الحجاز، ثم مرور لكل ساكني المعمورة.

و من ثم مرور شامل على تاريخهم كما حصل حيث «تمرون عليهم في القرآن[2]»وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ

حسه وصفا ذهنه وصح تمييزه وكذلك قوله «سلام على آل ياسين» لان اللّه سمى النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم بهذا الاسم حيث قال «يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» ... وفي كفاية الخصام ٤٧١ محمد بن عباس بسنده عن الصادق عليه‌السلام عن أبيه عن ءابائه عن امير المؤنين عليه‌السلام في هذه الآية انه قال ان رسول اللّه اسمه يس ونحن الذين قال: سلام على آل ياسين ورواه مثله في معاني الاخبار باسناده الى كارح عن الصادق عليه‌السلام عن أبيه عن ءابائه عنه عليه‌السلام.

[1].وفي عيون الاخبار في باب مجلس الرضا عليه‌السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والامة حديث طويل وفي أثنائه قال المأمون فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن قال ابو الحسن عليه‌السلام نعم اخبروني عن قول اللّه تعالى «يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ...» فمن عنى بقوله «يس» قالت العلماء: محمد صلى اللّه عليه وآله وسلم لم يشك فيه احد قال ابو الحسن عليه‌السلام فان اللّه عز وجل اعطى محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لا يبلغ احد كنه وصفه إلا من عقله وذلك ان اللّه عز وجل لم يسلم على احد الا على الأنبياء صلوات اللّه عليهم فقال تبارك وتعالى «سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ» وقال «سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ» وقال «سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ» ولم يقل سلام على آل نوح ولم يقل سلام على آل ابراهيم ولم يقل سلام على آل موسى وهرون وقال «سلام على آل يس» يعني آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال المأمون قد علمت ان في معدن النبوة شرح هذا وبيانه.

[2].نور الثقلين عن الامام الصادق عليه‌السلام.

الْمُرْسَلِينَ (١٣٩)
لقد ذكر يونس هنا باسمه، وفي يونس: «فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلّا قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ»(٩٨).
و في «ن» هو «صاحب الحوت»: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نادى وَ هُوَ مَكْظُومٌ. لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ» (٥٠).
و في الأنبياء «ذا النون»: «وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِي الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» (٨٧-) ٨٨) فيونس ذا النون صاحب الحوت هنا في الصافات يذكر بتفصيل من قصته، والثلاثة الأخرى كملتقطات منها، وهوامش لها، ولكلّ تفسير في محله، وهنا «يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ»:
إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠)
و هل إنه إباق عن رسالته ولمّا تكمل؟ وهو خلاف العصمة والاصطفاء للرسالة! إم إباق المغاضبة على قومه؟ وهو ذهاب دون إباق «إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً»! ولماذا الإباق بمجرد المغاضبة وهي مستمرة في تاريخ الرسالات! أم إباقا خوف العذاب الموعود لهم وهو على الأشراف وهو «عَذابَ الْخِزْيِ»: «كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ ...»!
علّ الإباق يشمل الثلاثة كلها، وطبعا دون إباق عن الرسالة، بل قلة الصمود عليها وكما يروى عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله: «كان رجلا تعتريه الحدة وكان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم، عاجزا عما حمل من ثقل أوتار النبوة وأعلامها ...»[1]
«أبق» عن قومه، وعن العذاب المشرف عليهم، وعن التصبّر في تداوم الدعوة «أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» المملوء من مختلف الركاب، ظنا أن فيه نجاته ولكن:
فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١)
و الدحض هو إزالة ما لايعنى، فمن «ساهم» مساهمة الاقتراع «فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ» نعرف أن الفلك أصبح ثقيلا براكبيه، مشرفا على الغرق، فكان ولا بد من إنجاء الجميع دحض البعض، ولكيلا يتنازعوا اقترعوا «و القرعة لكل أمر مشكل»فحصل هنالك «مدحضون» قدر اللازم من تخفيف العبء، «فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ»في البحر ولكنه هو بين المدحضين:
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) نفسه، لماذا أبق عن قومه إلى الفلك فأصبح ما ظنه نجاتا سجنا أو هلاكا، كرا على أشرّ مما فرّ!. أصبح يليم نفسه من بادرته المسرعة «وَ هُوَ مَكْظُومٌ» قائلا: «سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ»المنتقصين كمال الدعوة، ظلما لاينافي العصمة، فالرسل درجات وليسوا على سواء.
فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤).

---

[1] .نور الثقلين ٥: ٣٩٧ في تفسير العياشي عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه‌السلام كتب امير المؤنين عليه‌السلام قال: حدثني رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ان جبرئيل حدثه ان يونس بن متى بعثه اللّه الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة وكان رجلا ... الحديث بطوله ذكرناه في ٢٩: ٧٨ من الفرقان.

و «كان» هنا تضرب إلى عمق الماضي وإلى حاضر بطن الحوت:
«فَنادى فِي الظُّلُماتِ» ظلمات الليل، والبحر، وبطن الحوت «أَنْ لا إِلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ» من أن تظلمني وتسجنّي دون تقصير «إني» أنا لاأنت «سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ»!.
و الظاهر من «لبث» هنا لبثه كما كان، فهما إذا حيّان «إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»وفي ذلك اللبث المقدر المعلق شاهد صدق على إمكانية زيادة الأعمار مئات الأضعاف والآلافات.
فلبقاء الإنسان حيا في بطن الحوت، دون جو صالح للتنفس، وهو في البحر، ليس له إلّا دقائق معدودة، فأين هي وإلى يوم القيامة.
فإذا قدّرنا مكوث الإنسان حيا في بطن الحوت لخمس دقائق أصبح مكوث السنة/ ٩٣٣٧٠ ضعفا فكيف بالآفات السنين إلى يوم الدين.
و هل إن ذلك المكوث- وليس إلا للنبهة عن خطأ- أهم، أم مكوث صاحب الأمر حجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، حيا يرزق، لإقامة دولة إسلامية عالمية سامية.
إنه عليه‌السلام- لحد الآن- ما مكث إلّا (١١٤٣) سنة وهي بمتوسط التقدير عشرة أضعاف العمر المتعوّد، وسنة واحدة من مكوث يونس في بطن الحوت هي/ ٩٣٣٧٠ ضعفا للمكوث العادي هناك، فإذا مكث الامام المنتظر لحد الآن- عشرة أضعاف العمر، لم يمكث إلا كخمسين دقيقة من مكوث يونس فتصبح سنة من مكوثه/ ٩٣٣٧٠٠٠/ سنة من مكوث صاحب الأمر، فضلا عن «يَوْمِ يُبْعَثُونَ»؟
و ترى «يَوْمِ يُبْعَثُونَ» هو يوم قيامة الإحياء، وهو الظاهر من البعث الجمعي؟ أم قيامة الإماتة؟ إذ لابد لكل نفس من موت فكيف يلبث يونس إلى يوم الإحياء! قد يعني «يَوْمِ يُبْعَثُونَ» مجمع اليومين فان موتهم الجمعي ليس إلا لبعثهم جميعا، أم إن ذلك فرض وتقدير، ولا ضير في عدم الموت لإنسان يقدر له هكذا تقدير، ولكن «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» وان البدن يوم الحساب خلاصة عن هذا البدن وليس كله، فلا بد إذا من موت حتى يبعثوا كما يناسب حياة الحساب فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ (١٤٥).
«العراء» هو المكان المكشوف الذي لاستر عليه ولا ظل فيه، والنبذ يرمز إلى رفض وترذيل كما في آياته كلها إلّا ما هي في مريم «فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكاناً قَصِيًّا» (١٩: ٢٢).
و لكن يونس نبذ وهو ممدوح «لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَباهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ»وهذه النعمة هي دوام التسبيح والاعتراف بالظلم.
ثم «وَ هُوَ سَقِيمٌ» قد يعني إلى سقم الجسم سقما في الروح، لماذا ذلك الإباق؟ ولكييتأذى بحرّ الشمس:
وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦). وليكن الإنبات فور نبذه، فإنه من إكرامه، وفي تأخيره دون ستر بالعراء ذمّه وهو غير مذموم.
وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (١٤٨).
لك إرسال له ثان «إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» بعد ما ذهب مغاضبا وأبق إلى الفلك المشحون، فسجن هو وزال العذاب عن قومه، معاكسة عجيبة بحساب، لأنه استعجل عن قومه وهم آمنوا في غيبته: «فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلّا قَوْمَ يُونُسَ لَمّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ»(١٠: ٩٨) ثم استكمل إيمانهم لمّا «أَرْسَلْناهُ ...» ثانية «فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى

حِينٍ».
و ترى ماذا تعني «أَوْ يَزِيدُونَ» ولا تردّد في علمه سبحانه؟ علّهم حين أرسله إليهم كانوا مائة ألف، ولو لم يزد «أَوْ يَزِيدُونَ»لاختصت رسالته بهم دون مواليدهم، ولكن «يزيدون» المستقبل تضيف إليهم الولائد الجدد ما دام يونس فيهم، و«أو»تقسّم مدى رسالته إلى «مِائَةِ أَلْفٍ» حاضرين «أَوْ يَزِيدُونَ»مستقبلين.

عزير الحافظ على التوراة

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنّى يُحْيِي هذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٥٩).
هناك في نمرود «الذي» وهنا «او كالذي» أ فليس هو المقصود بنفسه في هذا التوجيه فجاء مشبها به، ومن هو الذي أشبهه حتى يكون هو المقصود؟
و الذي مر على قرية هو أحرى ان يقصد لحاضر قصته!؟.
قد تعني «كالذي» هنا تعميما للممثل به الى أضرابه، كيلا يظن انه الفريد في نوعه، فيذهب السامع الى اي مذهب من هذا المثال البارع، وقد تذكر أمثاله في القرآن بصور أخرى في سور أخرى وهذه ك «الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ» (٣: ٢٤٣) (فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها كَذلِكَ يُحْيِ اللّهُ الْمَوْتى» (٢: ٧٣)
«فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»(٥٦).
فهنا حجج ثلاث تعرض كأمثال مترتبة، حجة عقلية وحسية هي في الحجاج الاوّل، وهي تعم كافة المكلفين، سواء الذين يؤنون او لايؤنون.
ثم حجة واقعية ملموسة هي أعلى من الأولى، كالذي مر على قرية، حيث لمس في نفسه وفي حماره إحياء الموتى، بعد علمه به كما يجب، وهي للمؤنين ومن أرسل إليهم. ثم حجة هي أوقع في القلب، اراءة لملكوت الاماتة والاحياء، دون ظاهر منهما، او حجة لهما، كما حصلت لخليل الرحمن «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ».
و لقد حلّقت حجج محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله- المخاطب بهذه الثلاث- هذه وزيادة، هي قضية إمامته على المرسلين ككلّ، و«ا لم تر»ترفع من حججه على هؤاء إذ أراه اللّه إياها بعد مضي زمنها وكأنها حاضرة لديه، بحق اليقين، والذي مر على قرية راها بعين اليقين، وابراهيم رآها بحقه عينا حاضرا، ولكن محمدا صلى‌الله‌عليه‌وآله أريها- تشريفا له- بحق اليقين كأعلى قممه دون ان يساوى أو يسامى.
و ترى الذي مر على قرية هو عزير؟ او ارمياه وهما نبيان؟ وهكذا تشكّك في البعث لا يناسب الإيمان فضلا عن النبوة «أَنّى يُحْيِي هذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها»! «فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ ...» تبينا بعد البعث واستعجابا قبله!.
و لكنه ليس تشككا، بل هو سؤل عن الزمن الذي يحييهم اللّه، استعظاما لذلك الإحياء ثم «اعلم» دون علمت دليل استمرارية علمه دون حدوثه بإحيائه، والتبين «فَلَمّا تَبَيَّنَ» هو حاضره المشهود، بعد حاضر

العلم المعهود.
ذلك، ثم اللّه ليس ليوحي الى غير نبي مهما كان من أخلص المؤنين وقد أوحى الى الذي مر على قرية: «قالَ كَمْ لَبِثْتَ ... قالَ بَلْ لَبِثْتَ ... فَانْظُرْ ...
وَ انْظُرْ ... وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً ... وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ ...» خطابات ست ضمن تشريفه بإحيائه بعد اماتته مائة عام ليريه بأم عينيه إحياءه بعد موته.
و قد تظافر الأثر انه عزيز النبي الذي قالوا عنه «عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ»لإخراجه التوراة بعد فقده أو حرقة، بعد ما أحياه اللّه بعد أن أماته مائة عام مهما ورد شاذا أنه ارمياء، ولا يهمنا هنا معرفة الاسم كما أجمل عنه القرآن، فانما القصد إلى اصل البعث بعد الموت أيا كان المبعوث وأيان.
و «قرية» تراها هي بيت القدس؟ ولم تأت منكرة في سائر القرآن فانها «الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ» (٥: ٢١) و«الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ» (١٧: ١) وما أشبه!.
أم هي القرية التي خرج إليها ألوف حذر الموت؟ وهم خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت؟ لانهم دخلوا قرية! «وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها»وليس لخارج الديار عروش! ثم اللّه أحيى الألوف، فلو كانت هي تلك القرية لم يمته ثم يحييه، إذ كان في إحياءهم كفاية عن سؤله بسؤله، إنها «قرية»دون زيادة او نقصان، حيث القصد هو البعث بعد الموت أيا كان الكائن والمكان.
و قد تعني «قرية» القدس، حيث كانت خربة بما هاجمها بخت النصر بما ظلم أهلوها، فهتكوا كما هتكت، هتكا للماكن والمكان اعتبارا بظلمهم دون المكان، فعبر عنه ب «قرية»وكما عبر عن مكة المكرمة ب «قرية» حيث أخرجت الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله: «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ»(٤٧: ١٣).
و جامع الأمر في تنكير «كَالَّذِي مَرَّ» و«عَلى قَرْيَةٍ» هو استصغار الأمر لكسر سورة الاستبعاد، ان ذلك وما فوقه على اللّه هين دون سغب ولا صعب، وكما نكر «الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ» توهينا له ولحجاجه، وذكر إبراهيم هناك وفي «رَبِّ أَرِنِي»تشريفا له وتكريما، وتبيينا انه في ذلك الموقف منقطع النظير، اللهم إلا ما كان من هذا البشير النذير.
«وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها»: محطمة على قواعدها وسقفها- شجرية ام حجرية اماهيه- عن بكرتها. وطبيعة الحال في المار فجأة على هكذا قرية ان تسبق بلسانه قولة العجاب، قضية مشهد البلى والخواء دون ايّ بواء، وقعا عنيفا في حسه وعقله لحد القول: «أَنّى يُحْيِي هذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِها».
ف «أَنّى يُحْيِي ...» سؤل عن زمن الإحياء دون أصله: هل يحيي، أم وصله: كيف يحي، وانما سؤلا عن فصله، أيان ذلك الإحياء.
ام انه تطلّب لذلك الإحياء كما قال إبراهيم: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتى»مهما اختلف كيف عن زمان. فقد التمس لزمن مّا- كما يراه اللّه- أن يحيي هذه اللّه بعد موتها، ليزداد عين اليقين إلى علم اليقين، كما تطلّب إبراهيم كيفية الإحياء مزيدا لحق اليقين إلى علمه وعينه.
و «هذه» هنا ليست هي نفس القرية الخاوية، فان صيغتها الصالحة:
أنى يعمر اللّه هذه القرية بعد خرابها! ثم وليس من المرجو عاديا ولا سواه تعمير القرى الخربة إلا ممن قد يعمرها من أهليها، ثم ولا صلة ل «فَأَماتَهُ اللّهُ ...»
بإظهاره القدرة لتعمير خراب القرية، فانه امر متعوّد لمعمري البلاد الخربة دون حاجة لتصديقه الى

خارقة الاماتة والاحياء بعدها!.
كما ليست هي الميتات المقبورة، إذ ليست هي مما تحير وتعجب المار بها، بل هي بالية الأجساد، ونخرة العظام المكشوفة على ارض القرية الخاوية على عروشها، وهنا ترتبط «فَأَماتَهُ اللّٰهُ ....» بعجاب القرية الخاوية، ولكي يرى الإحياء بعد الإماتة بأم عينيه.
و قد استجاب له ربه ومزيدا حيث أماته وحماره مثالا ذاتيا له يريه به عين ما سأل في ذاته ومتعلقاته:
ًفَأَماتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ».
و قيلة القائل أن الإماتة هنا هي الإسبات، أن ظلوا في سبات كأصحاب الكهف، إنه سبات من التفسير، حيث الصيغة الصالحة له هي صيغته، أم كما في اصحاب الكهف «فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً».
ثم إذا جاز السبات مائة سنة في قدرة اللّٰه- كخارقة- فلم لايجوز الموت، وهما من مصدر واحد، فلما ذا ذلك الاستيحاش من الموت المؤت في الحياة الدنيا، وهو واقع البرهان على الحياة بعد الموت المطلق؟!.
اجل «فَأَماتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عامٍ» ثم ماذا؟ «ثُمَّ بَعَثَهُ» دون أحياه، حيث البعث هو الإحياء كما كان دون أن يتسنّه بفترة الموت بمضي المائة، او تحسب من عمره، ففي إماتته اراءة فجأتها كما راه في القرية الخاوية، وفي مكوثه طيلة المائة إراءة ثانية هي أن طول أمد الموت ليس ليؤر بعدا أم صعوبة في الإحياء، وفي إنشاء العظام ثم كسوها لحما بمنظره ومرآه إراءة ثالثة لهوان أمره على اللّٰه كما أنشأها اوّل مرة «كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ».
«قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» وانه سؤل عضال، إذ ليس ليعرف الميت زمن لبثه، فقد يرى الزمن الطويل قصيرا لملابسة طارئة، كما يرى اللحظة القصيرة طويلة لملابسة أخرى، فانما سئل ليتبين عجزه عن العلم بزمن لبثه، وليعرف ان طائل اللبث في الموت لاطائل تحته كعرقلة للحياة بعده، إجابة ما عن «أنى» في احتمالتها الأولى، فليس قرب زمن الموت وبعده، وتمزّق الاجزاء وبقاءها وما أشبه، مما يقرب الإحياء أو يبعده، فإن اللّٰه هو العلي القدير.
و لماذا التردد بين «يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» علّه لأنه مات بداية النهار ثم فوجئ بالإحياء بعد الزوال فقال «يوما» تحسبا لأوله وغفلة عن آخره، فلما انتبه ببقاء النهار قال «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ». «قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ» ومما يدلك على ذلك الطائل وتلك القدرة الخارقة انك ترى بونا بعيدا بين حمارك البالي وشرابك وطعامك وفي كل دليل على كلّ:
«فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» لم تأخذهما سنون ولا سنة، بل ولا ساعة، حيث لم يتغير لاطعامك «التين» ولا شرابك «العصير»وهما يتغيران بقصير الزمن، وقد مضت مائة ولم يتسنه، وهذا إذا كانت «يتسنه» من السنة، ولكنها من «السنّ»: التغيير، والهاء- إذا- للسكت- كما في: ماليه- سلطانيه- اقتده- ماهية، أماهيه وهذا أصلح في أدب اللفظ حيث الهاء- ولا التاء- قد تشير إلى غير السنة، وفي شمول المعنى ومناسبة الحال، حيث التين والعصير ليسا مما تأخذهما السنة، بل ويوم بما دونه يغيرهما.
إذا فقد تعني عدم التغير بتا مهما كان قليلا، كأن لم يمض عليهما حتى يوم او بعض يوم فضلا عن

سنة او مائة!.
و لماذا «لَمْ يَتَسَنَّهْ» مفردة وهناك «شرابك وطعامك»؟ الوجه أدبيا أنه راجع الى المعطوف عليه، ثم المعطوف مشمول له بعطفه عليه، وعلّه معنويا، حيث كان تسارع الفساد الى شرابه أكثر من طعامه، فتسنّه طعامه أولى من شرابه، وقد تظافر الخبر على ان شرابه عصير او لبن، وان طعامه تين طازج، وما اسرع إليهما تسنها وتغيرا ولا سيما في فضاء فارغ مكشوف، ومهب الأرياح واشراقة الشمس والغبار!.
و لماذا النظر الأول الى شرابه وطعامه لم يتسنه، ولا يمت بصلة لتصديق انه لبث مائة عام؟ علّه لأنه قد يخيّل اليه- بطبيعة الحال- انه في نفسه لم يتسنه فكيف لبث مائة عام، فأمر بالنظر الأول.
ثم ليظهر له بعين اليقين ذلك اللبث أمر بالنظر الثاني: «وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ ...»وقد تسنّه، دليلا على لبثه بحماره ردحا بعيدا من الزمن.
و لقد أجمل عن إماتة حماره مع إماتته، تحاشيا عن ذلك القرن المزري، وأدبا بارعا لموقف ذلك النبي، وقد علم موته ثم إحياءه من مطاوي الآيات «وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ ... وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ ...»!
و إذا قدرنا تغير التين الطازج والعصير في فضاء فارغ لحد يوم، فقد تضاعف أمد التسنّه لهما إلى/ ٣٥٥٠٠ ضعفا.
و هنا الحجة البالغة لنا على ناكري طائل العمر لصاحب العصر والزمان إمام الانس والجان محمد بن الحسن المهدي القائم عجل اللّه تعالى فرجه الشريف، أن اقل المرجو من طائل عمره قياسا الى ذلك الطعام والشراب/ ٣٥٥٠٠٠٠ سنة إن كان العمر الممكن في العادة مائة سنة، واين هي من عمره الآن ١١٥١ سنة، وتلك المقدّرة له عليه‌السلام قرابة ثلاثة آلاف اضعاف هذه الواقعة له حتى الآن.
و من ثم إذا قايسنا لبث يونس في بطن الحوت: «فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» ولا يلبث الحي في بطن الحوت- وهو له خناق مضاعف- إلا قرابة خمس دقائق، وكل يوم/ ٢٨٨ ضعفا لها، فكل سنة تصبح/ ١٠٤٢٤٠ ضعفا، فهي حتى الآن- وقبل يوم يبعثون ببضعة الآفات من السنين- إذا قدرنا الفاصل بيننا وبين يونس ثلاثة آلاف- تصبح ٠٠٠، ٧٢٠، ٤١٢ ضعفا، فإذا قدرنا عمره المتعود مائة سنة أصبح المرجو تقديرا لعمره الممكن حسب القرآن ٠٠٠٠، ٠٠٠، ٢٧٢، ٤١، واين قرابة أربعين مليارديا بذلك التقدير و١١٥١ سنة تمضي حتى الآن من عمره الشريف.
ثم «وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ» وهو أقوى وأقوم من شرابك وطعامك بمئات الأضعاف وقد بليت عظامه ورمدت، فقد أصيب حماره بما أصيب، ولكن شرابه وطعامه لم يتسنه، تباينا ظاهرا في المصير، والجو نفس الجو والمسير نفس المسير، تعرضا لمؤرات جوية، هي على شرابه وطعامه اكثر من الحمار بمئات المضاعفات.
و لماذا عرض ذلك التغاير المغير المثير؟ لكي يرى مختلف التقدير من العزيز القدير والزمن واحد، والجو فارد، وباعث التسنة فيهما على حد سواء وارد.
ثم ولكي يتبين له عيانا بعد بيان انه كان ميتا مائة سنة، فانه لم يتبين له طول أمد اللبث بحياته بعد موته الا «يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» وقد بين له حماره، وأمامه شرابه وطعامه لم يتسنه.
ذلك! «وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ» رسولية ورسالية أماهيه؟ والواو هنا عطف على محذوف معروف بالسياق كالذي سبق، فهو آية لنفسه أولا وآية للناس ثانيا، ولكن الأصل هنا هو كونه آية للناس، لاآية لنفسه إذ كان على يقين بما أصبح له آية!.

و لقد كانت آية للناس قوية لدرجة اعتبروه ابن اللّه: «وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ»حيث أحياه اللّه بعد موته مائة عام، وأحيا التوراة المفتقدة بيده، فبهر اليهود لحد قالوا قولتهم الجاهلة القاحلة «عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ»! كما وردت في روايات عدة.

«وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ» عظام حمارك في القدر المتيقن لمكان «لِنَجْعَلَكَ آيَةً»دون «لنجعلكم» وقيلة القائل انها عظامه مردودة ب «ثُمَّ بَعَثَهُ» الدالة على كامل البعث، فكيف بقيت- إذا- عظامه غير منشرة ولا مكسوة لحما حتى ينظر إليها؟ وما هي الحاجة إلى ذلك وفي النظر الى حماره كفاية! ثم «يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» لاتساعد على ذلك النشز والكسو!. ذلك! رغم ما وردت به الرواية دون اية رعاية او دراية[1].

«كَيْفَ نُنْشِزُها» رفعا لها عن خفضها في رمادها البالية «ثم» بعد نشزها «نَكْسُوها لَحْماً» وكما نخلقكم في بطون أمهاتكم: «فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ...»فقد كان نشزا عن خفض الأرض، وخفض الرماد، إلى عالية العظام بعد ما كانت نخزه!.

فقد أري الذي مر على قرية كيفية نشز العظام وكسو اللحوم، كظاهرة مرئية ببصر العين، لتزيده عين اليقين إلى علم اليقين.

و في مثلث الأمر بالنظر هنا عبر: فبادىء النظر الى شرابه وطعامه يحيره كيف لبث مائة عام وكل منهما لم يتغير، وثاني النظر إلى حماره النخر يحيّره كيف هكذا تغير ان لم تمض مائة سنة، ثم وكيف لم يتغير شرابه وطعامه في ذلك الغير! وثالث النظر يوقفه على «كيف يحيي هذه الله بعد موتها» بعين البصر بعد ما كان واقفا عليه بالبصيرة النافذة.

نظرات ثلاث تحوي نظرات ثلاث من تلك الإماتة والإحياء «وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ»!.

«فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ» ما لم يكن يتبين لولا ما أراه اللّه، مهما كان يعلم تلك الحقيقة الكبرى، «قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

فهنا «اعلم» تأشيرا لاستمرارية علمه، مهما انتقل من علم اليقين.

حول داود(ع)

اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوّابٌ (١٧).

ذلك الأيدي الداودية هي أيدي السلطة الزمنية إضافة إلى الروحية، وثالثة يد التجاوب معه في تسبيحه من الجبال والطير، و من أهم أيديه يد العبادة «عبدنا»وعلى حد المروي عن الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم): «لا ينبغي لأحد أن يقول إني أعبد من داود» اللهم إلّا قائله لأنه- «أَوَّلُ الْعابِدِينَ»! ولماذا «ذا الأيد»ل «إِنَّهُ أَوّابٌ» يئوب إلى ربه ويثوب دائبة دون وقفة!«اصبر» على معاناة الدعوة الصعبةالمعارضة، و«عَلى ما يَقُولُونَ» على هذه الدعوة، فلتجعل الصبر زادك في هذه الطريق المليء

---

[1].نور الثقلين ١: ٢٦٩ في الاحتجاج عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام حديث طويل وفيه يقول: وأمات اللّه ارميا النبي الذي نظر الى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصر وقال: أنى يحيي ... ثم أحياه ونظر الى أعضائه كيف تلتئم وكيف تلبس اللحم والى مفاصله وعروقه كيف توصل فلما استوى قاعدا قال: «أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

بالدماء والأشلاء، مفعمة بكل ابتلاء.
إِنّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ (١٨) وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ(١٩).
و يا لها من يد في الغيب، ان الجبال الجامدة غير الشاعرة بظاهر الحال، هي تسبح معه بالعشي- والإشراق. لا- فقط- معية واقعية، فإنها مع كل الكائنات، ولا- فقط- معه! بل ومعية تسامع أصواتها في تسبيحها، كما «و الطير»مسخرة معه يسبحن، و«كل» من الجبال والطير «لَهُ أَوّابٌ».
و لماذا- فقط- العشي والإشراق؟ لعلهما تعنيان مساء صباح تعبيرا ثانيا عن الأوقات كلها، ولأنهما ركنا الأوقات، أم تعنيان وقتي الصلاة، أنها كانت مفروضة في شرعته في الوقتين.
ثم هي كلها أوابة للّه ولكن هنا «لَهُ أَوّابٌ» في معية التسبيح وتبعيته له، إضافة إلى تسامع أو سمعه فقط.
اجل «له» لالسواه، وكل أوبة إلى اللّه، ما يدهش العقول من ضخامة العظمة لهذا النبي الملك العظيم!
وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ (٢٠).
ملك مشدود بعناية اللّه، شديد على أعداء اللّه، مديد في أرض اللّه، إضافة إلى الحكمة وفصل الخطاب، فالملك دون حكمة ساقط، والحكمة دون ملك غير مشدودة بالواقع الملموس، وهما دون فصل الخطاب مفصولان عما يراد منهما! و«فَصْلَ الْخِطابِ»هو الخطاب الفصل، قاطعا دون تردد، مقنعا دون تبدّد، يفصل بين الحق والباطل، وبين المتخاصمين، وكذلك كل فصل حكيم، كمعرفة مختلف اللغات حيث تفصل بين مختلف المخاطبين في اللغات[1].
و مع كل ذلك تراه يبلى ببلاء، وأنت لم تبل بمثل بلائه العناء، فمهما لم يكن لك ملك، فهناك الحكمة الحكيمة القاصعة، وفصل خطاب قاطع دون ابتلاء في هذه السبيل مهما ابتليت بقوم لدّ ما أتاهم قبلك من نذير!.
وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ (٢٢).
الخصم هو الخصومة وكأنهما هما نفس الخصومة لعظمها وشدتها، ومن آيته تسوّر المحراب: ارتقاء بتكلف إلى سور المحراب، دون بابه المتعدّد، وهو بادرة غير متعددة تكشف عن بالغ الخصومة، لذلك «فَفَزِعَ مِنْهُمْ»- «قالُوا لا تَخَفْ»لسنا نحن من خصمائك، وإنما نحن «خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ ...».
الخصم هنا يطالبونه بالحكم بينهم بالحق «فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ» ثم تقريرا لشاكلة الحكم، وكأنهم هم الحاكمون عليه: «وَ لا تُشْطِطْ» إفراطا في البعد عن الحق «وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ» من الحق، وفيه فزع لداود على فزع، وهو النبي الملك فكيف يشطط؟.
و هنا في قصة «الخصمان» و«تسعة وتسعون نعجة وواحدة» شطط من المختلقات الزور أقحمت في

---

[1]. تفسير البرهان ٤: ٤٣- ابن بابويه بسنده عن أبي الصلت الهروي قال كان الرضا عليه‌السلام يكلم الناس بلغاتهم وكان اللّه افصح الناس وأعلمهم بكل لغة فقلت يوما يا ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله‌سلم اني لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها فقال: يا ابن الصلت انا حجه اللّه على خلقه وما كان اللّه ليتخذ حجة على قوم لا يعرف لغاتهم اما بلغك ما قال امير المؤنين عليه‌السلام: وأوتينا فصل الخطاب فهل فصل الخطاب الا معرفة اللغات.

رواياتنا، تضرب عرض الحائط، وعلى من نسب إليه الزنا بامرأة أورياه الحتيّ حدّ القذف، لاسيما وأن سليمان حسب الخرافة الإنجيلية ولد منها[1]!.

إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ (٢٣) قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤ'ٍ7cلِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ (٢٤).

كأن العصمة العلمية الإلهية هنا انقطعت عن داود عليه‌السلام لفترة الحكم فتنة له، ولكي لايزهو بشد الملك والحكمة، ويلمس تماما أن العصمة الإلهية هي- فقط- التي تعصمه عن الأخطاء.

و القضية- كما هي معروضة- تحمل في باديها ظلما صارخا مستثيرا، لحد يحمل داود النبي الأواب على الحكم العاجل، دونما نظرة دفاع للمحكوم عليه أو سؤل عنه.

«وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنّاهُ» لمحة من تسوّر المحراب، وأخرى من جرأة الخصم: «لا تشطط» وثالثة بعد حكمه وهدوء البال وسكون الحال انتبه خطأ في حكمه، أو علّ المحكوم عليه اعترض عليه، لماذا الحكم- فقط- بدعوى المدعي دون سماع إلى المدعى عليه؟.

هنا «ظن» أنه فتنة وبلية إلهية، وتجربة مرّة تلفت نظره إلى ضعفه على قوته وشدة وطأته في ملكه! «ظن» ما ظنّه «فخر راكعا» لربه «و أناب» إلى ربه مما أخطأ.

فالظن هنا بمعناه كما في سواه، دون العلم بتأويل، إذ لامدخل هنا للعلم أنه فتنة إلهية، وإنما ملامحها تدل دلالة راجحة غير قاطعة على أنها فتنة! فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مآبٍ (٢٥).

و لماذا «غفر لنا له ذلك» الحكم الشطط؟ لأنه كان ابتلاء إلهيا، وكان العجال في الحكم لظاهر الفخامة في الظلم، فلم يحكم عن شطط، ولا عن جهل، بل عن غفلة ابتلي بها كفتنة إلهية يتكامل بها عباده المخلصون! «و غفرنا» لذلك «وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مآبٍ» كأصل أصيل من حياته الإيمانية.

ذلك تراه يغفر له فور ظنه، ثم يمدحه بما يزيح عنه وصمة خلاف العصمة، ثم يجعله خليفة في الأرض:

يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ (٢٦).

أ ترى يوسم داود بوسام الشرف هذا، حاكما مطلقا بين الناس، لأنه ظلم في حكمه، أم لأنه غفر له عن شطط حكمه؟! وقد يلمح أو يصرح «إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» أن خلافته الرسالية كانت بعد فتنته «فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ» بحكم الشرعة العامة وحكم الأقضية الخاصة، وهنا تزول كل مشكلة تحيك حول

---

[1] .إنجيل متى ١: ٦ (ان داود الملك ولد سليمان من التي لاوريا»- راجع «عقائدنا» ص ٤١٩- ٤٢٦- تجد تفصيل الحوار بيننا وبين الجمعية الرسولية الأمريكة حول الفرية التوراتية على داود عليه‌السلام، وفي تفسير البرهان ٤:٤٥ ابن بابويه بسند عن صالح بن عقبة عن الصادق عليه‌السلام في حديث قال فيه يا علقمة إن رضى الناس لا تملك وألسنتهم لا تضبط وكيف تسلمون مما لم تسلم أنبياء اللّه ورسله وحججه عليه‌السلامألم ينسبوا يوسف إلى انه هم بالزنا؟ ألم ينسبوا أيوب إلى انه ابتلى بذنوبه؟ ألم ينسبوا داود إلى انه تبع الطير حتى نظر الى امرأة أوريا وانه قدم زوجها امام التابوت حتى قتل ثم زوج زوّجها؟

عصمة الرسالة، و«خليفة» هنا كما في غيره لاتعني خلافة عن اللّٰه، فإنه إشراك باللّٰه وأضل سبيلا، حيث الخلافة تقتضي مستخلفا عنه متجانسا، الميت أو الساقط عن كيانه، سبحان اللّٰه العظيم.
و إنما تعني خلافة الحكم الرسالي عن رسول أم رسل سابقين.
ثم «إِنّا جَعَلْناكَ» برهان لامرد له أن الحكم بين الناس بحاجة ماسة إلى جعل إلهي، فلا خلافة الرسول عن رسول، ولا خلافة خلفاء الرسول عن الرسول، ليس شيء منهما إلّا بجعل وانتصاب إلهي.
فخليفة الشورى! هو خليفة الناس دون الرسول، كما الخلافة الحاصلة بالسيف والنار، دون شورى ولا جعل إلهي، هو خلافة السيف والنار. فحق لثاني الخلفاء ألّا يدري أ خليفة هو أم ملك[1].
فلأنك خليفة من قبل اللّٰه «فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى»رغم ما حكمت بغير الحق قبل هذه الخلافة، وهو طبيعة الحال في غير المعصومين، ولا دليل على عصمة غير أولى العزم قبل رسالتهم.
يرى داود هذه التجربة المرة قبل خلافته، ولكي يذكر حاله قبل خلافته.
هنا مواصفات عشر لداود عليه‌السلام تحتفّ بخطإ واحد، فهلا تفسّر عشيرة العشرة عشيرتها الواحدة أنها خطيئة صغيرة، بل وأصغر بكثير من خطيئة آدم، وكلتاهما كانتا قبل الرسالة.
ثم وتبتدئ هذه العشر «عَبْدَنا داوُدَ» في أسوة التصبّر، ولولا أنه صبور على فعل الطاعات وترك الخطيئات ومصابرا في البليات، لما صح «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ...»وهذه العشرة الكاملة هي:
«عبدنا- ذا الأيد- إنه أواب- سخرنا ...- شددنا ملكه- آتيناه الحكمة- وفصل الخطاب- إن له عندنا لزلفى- وحسن مآب- يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض»! أ ترى بعد أن هذه العشرة الكاملة كلها لما تحتف به من خطيئة كبيرة هي الزنا بامرأة اورياه الحقّي وقتله لكي يخلص منه؟ الجياد كما في مختلقات الروايات، وحتى لو أنها أغفلته عن الصلاة فما ذنبها حتى تذبح، بل المذنب آنذاك هو نفسه فليذبح- إذا- نفسه! وحين يترك هو صلاته للجياد، ثم يذبحها، ظلما بعد ظلم! فكيف- إذا- يستحق كرامة رد الشمس؟ وأخيرا فما ذا يفيده رد الشمس؟ أ لكي يصلي صلاته قبل غروبها؟ وقد غربت! وحتى إذا رجعت فعليه صلاة قبل رجوعها: «صَلاةِ الْفَجْرِ»وقبل غروبها «صلاة العصر»وقد فاتت الفائتة على أية حال! وحتى لو طلعت ليوم واحد عدة مرات، فلكل طلعة وغربة صلوات فلا فرق- إذا- بين ردها في يومه وبين طلوعها على سنتها لغدها، وردّها ليومها يرهقه لأداء فرائضه مرة بعد أخرى، فليقض ما فاتته من فريضة ليومه أو غده! أم إذا كان «مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ» تحببا إلى الصافنات الجياد، فهو- إذا- أواب إلى التي أغفلته عن ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب! فلما ذا تستجاب دعوته لرد الشمس وقد زاد غفلة- على غفلته- معمّدة! كلّا يا مختلقي الأكاذيب المعارضة للذكر الحكيم، أنه تغافل عن الصلاة ثم ردت له الشمس، مهما كان رد الشمس علقة وذريعة لمن يعتقدونها في الإمام علي عليه‌السلام خرافة جازفة جارفة تمس من كرامة العدالة فضلا عن العصمة! لقد كرر سليمان «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي»شكرا لربه طيلة عرض الصافنات الجياد

---

[1].الدر المنثور ٥: ٣٠٦-. اخرج ابن سعد عن ابن أبي العرجاء قال قال عمر بن الخطاب: واللّه ما ادري الخليفة انا ام ملك قال قائل يا امير المؤنين ان بينهما فرقا قال ما هو؟ قال الخليفة لا يأخذ الا حقالا يضعه الا في حق وأنت الحمد للّه كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا!

«حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ»ثم قال «رُدُّوها عَلَيَّ» ليكرر مقالته الشاكرة ويتلطف بالخير الناشئ عن ذكر ربه «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ».! ولو كانت المتوارية بالحجاب الشمس المقحمة في هذا البين، لاستلزم ذلك أنه أخذ يكرر مقالته تلك ولم يصل حتى غابت الشمس، وهو تناقض بيّن حيث يجمع بين غفلته عن الصلاة طيلة المدة، وذكره أني غفلت عن ذكر ربي![1].

و بعد كل ذلك ففي رد الشمس من الناحية الكونية قفزة إلى الوراء، تخلفا عن سنتها في دائب سيرها، وفي ذلك كورها وتمام دورها وقيامتها قبل قيامتها! والقرآن يذكر لداود عليه‌السلام من غير هذه العشر- فضائل أخرى وفواضل:

فقد يهزم جالوت الجبار بضربته القاضية: «وَ لَمّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ. فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ ...» (٢: ٢٥١).

كما ويفضله على كافة المرسلين إلّا أولي العزم منهم، حيث يفرد بذكر كتابه بينهم: «وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً» (١٧: ٥٥).

ثم وهنا بعد آيات «وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ» (٣٠)، فهل إن المولود عن زنا وهبة إلهية ونعم العبد إنه أواب؟! ومما يحير العقول أنه خاض جماعة من المفسرين مع إسرائيليات مختلقات مقحمات في روايات إسلامية حول هذه الفتنة الداودية خوضا كبيرا، تتنزه عنه طبيعة الإنسان العادي غير المؤن فضلا عن ذلك الرسول العظيم!.

و حتى الروايات التي حاولت تخفيف الوطئة عن تكلم الأساطير سارت معها شوطا أو أشواطا، وسحبت معها أشراطا، وهي- أساسا- لاتصلح للنظر، فكل واحدة من أوصافه العشرة جند صامد يذود عنه هذه الوصمات! وليس هنا- أولا وأخيرا- إلّا حكمه بما حكم حسب الدعوى: «وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنّاهُ»وما تيقن الفتنة فما تأكد- إذا- من الخطيئة «فخر راكعا»لاحتمال أنه خطيئة «و أناب» لو أنها

---

[1].تفسير البرهان ٤: ٤٧ عن ابن بابويه في الفقيه باسناده قال زرارة والفضل قلنا لابي جعفر عليه‌السلام أ رأيت قول اللّه عز وجل: ان الصلاة كانت على المؤنين كتابا موقوتا؟ قال: يعني كتابا مفروضا وليس يعني وقت فوتها ان جاز ذلك الوقت ثم صلاها لم تكن صلاة ولو كان كذلك لهلك سليمان بن داود عليه‌السلام حين صلاها لغير وقتها ولكن متى ذكرها صلاها.

وفيه عن الطبرسي قال قال ابن عباس سألت عليا عليه‌السلام عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس! قلت بل سمعت كعبا يقول: اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فاتته الصلاة فقال ردوها علي يعني الأفراس وكانت أربعة عشر فرسا فضرب سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها فسلبه اللّه ملكه أربعة عشر يوما لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال علي عليه‌السلام: كذب كعب ولكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر اللّه للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردت فصلى العصر في وقتها وان أنبياء اللّه لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون.

وفي الدر المنثور ٥: ٣٠٩- اخرج الطبراني في الأوسط والاسماعيلي في معجمه وابن مردويه بسند حسن عن ابن أبي كعب عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في قوله: فطفق مسحا بالسوق والأعناق قال: قطع سوقها وأعناقها بالسيف! أقول: وهي وأمثالها من أحاديث مخالفة للكتاب فلا تصدّق على المعصومين (عليهم‌السلام.

ندبت بعلها. ولما مضت المناحة أرسل داود إليها وضمها الى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا.

أقول وفي إنجيل متى ١: ٦ (ان داود الملك ولد سليمان من التي لاوريا»!

بعّدته عن زلفاه «فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ» سترا لما ظنه، وعلّه ستر لأصل الظن دون المظنون إذ لم يكن خطيئة، وقد تلمح له تعقيبه «وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مآبٍ»فبمجرد ظن الفتنة يزدلف إلى ربه ويئوب!
... تنبيهات على ضوء هذه الآيات:
١- إن للملك والأيدي زهوة لاتبقي ولا تذر، فليتحذر عنها كل ذي بصر، وحتى داود النبي، فليستغفر ربه سترا عن الزهوات الهاجمة إليه:
«إِذا جاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْواجاً. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوّاباً» استغفارا يدفع عن النوازل، لأنه يرفع الكائن الحاصل! ٢- على الحاكم بين الناس أن يتخلى عن كافة الطوارئ، آفاقية وأنفسية، فلا يتأثر بأي مؤر، فلا يتبع الهوى فتضله عن سبيل اللّٰه، لا! وحتى هوى عقله المستثار بإثارة الهدى كما في داود، وليجعل الحق بين عينيه.
٣- إن حالة الاستغفار تتطلب كل خضوع وخنوع، وحتى للذي ظن فتنة دون علم «وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ».
و هل الركوع هو الركوع؟ والسجود أفضل منه في الخضوع! الركوع المقابل للسجود هو الركوع، ولكنما المطلق منه- كما السجود- يعني مطلق الخضوع، ثم القرائن هي التي تقرر موقفه، وهنا المناسب هو السجود وكما يروى عن الرسول (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم) انه سجد في «ص»وقال:
«سجدها داود ونسجدها شكرا».
وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ (٢٧).
لأن خلق الباطل هو خلق باطل وهو خلاف الحكمة، وأن فرض الأعمال يوم الدنيا دونما جزاء، ثم لاحساب بعد الموت، ذلك يشي إلى بطلان خلق الكون، لذلك ينفيه هنا، وأن «ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» باللّٰه واليوم الآخر، حيث الإيمان باللّٰه يقتضي الإيمان باليوم الآخر «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ».
هنا «باطلا» تضرب إلى ثالوث البطلان: «ما خَلَقْتَ» حالكوني باطلا- وخلقي باطلا- والسماوات والأرض باطلا، فبطلان الألوهية الحكيمة ينتج خلقا باطلا، وكونا باطلا، وفي ذلك إبطال الألوهية، فنكران يوم الحساب نكران للألوهية وحتى لو كان معه شريك أو شركاء.
بل هو الحق، وخلقه حق، والكون مخلوق بحق، مما يتطلب خليفة في الأرض يحكم بالحق «أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ».
ْ(ربكماعلم بكم ان يشا يرحكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا (٥۴) وربك اعلم بمن فى السماوات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود زبورا)(٥٥) «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ» منكم وممن سواكم، يعلم حاضركم ومستقبلكم وغابركم ف «إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ» إن أنتم من أهلها و«إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ»إن أنتم من اهله (و لاتظلمون نقيرا) «وَ ما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا» أن تجعلهم من أهل الرحمة أو ترحمهم، فما عليك إلّا البلاغ.
فلا توكل على من سوى اللّٰه إلّا على اللّٰه لاسواه، ولا وكيل على عباد اللّٰه إلّا اللّٰهسواه، فهو الذي يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم مصاير عباده وكل أمورهم بداية وحتى النهاية، لافحسب بل: «وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» وبعلمه يفضل بعضا على بعض «وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ» في درجاتهم وآياتهم المعجزات وفي كتاباتهم «وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً»فهو

أفضل الكتب السماوية بعد الخمسة لأولي العزم.
يأتي ذكر الزبور هنا وفي النساء (١٦٣) والأنبياء (١٠٥)[١] ولا يأتي ذكر من سائر الكتب الفروع للأنبياء، ولا من الأصول إلا الاربعة[٢] نصا وكتاب نوح تلويحا، وقد يذكر الزبور نصا مع التلويح الى سائر الوحي بما فيه الوحي الى نوح وابراهيم وعيسى عليهم‌السلام كما في النساء، ويبشرنا البشارة العظمى بوراثة الأرض نقلا عن الزبور بعد الذكر في الأنبياء، ومن ثم نرى هنا في مقام تفضيل بعض النبيين على بعض يأتي بنموذج من تلك النماذج السامية:
وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً! أ فلا يدل هذا المثلث البارع من ذكرى الزبور على أهمية كبرى له بين الزبر؟ ترى انه مفضّل على سائر الزبر الفروع، فلما ذا يفضّل أحيانا على بعض الأصول؟ أقول: علّه لأنه الحفيظ على ما حرّف من الكتب الأصول، ولحد الآن لانجد فيه تحريفا ولا تجديفا إلا القليل القليل، بين الكثير الكثير من التحريف والتجديف الذي حصل في سائر الكتب المقدسة من العهد العتيق والجديد، مع ما يحوي من المعارف الجمة الإلهية بألطف تعبير وأعطفه ما يأخذ بازمة القلوب.
فالزبور إذا مهيمن على ما حرّف من الكتب الأصول، وسياج صارم ضد كل تحريف وتجديف على الكتب الأصول، يشمل على جملة المعارف التي تشمله الكتب المقدسة، متحللا عن كل دسّ وتحريف او مسّ وتهريف.
لا نجد بين الكتب المقدسة ما يقل فيه التحريف ام ليس فيه كما نجد في الزبور من كتب العهد العتيق وفي إنجيل القديس برنابا الحوارى من كتب العهد الجديد، وهما يشهدان دون تكلف ببراعة الوحي القرآني وبراعته، وبرائته عن كل دسّ، وانه كتاب الوحي الأخير، مهما كانت سائر الكتب المقدسة على تحرفها تأتي شاهدة على ذلك بتكلّف أحيانا ودون تكلف أخرى.
داود الملك النبي لايذكر في مقام تفضيله إلا كتابه الذي يمثل رسالته الروحية، حيث السلطة الزمنية ليست فضيلة في ذاتها، وإنما هي فضيلة في معطياتها أن كانت ذريعة للدعوة الى الله وتطبيق شرعة الله وعلى حد تعبير الامام علي عليه‌السلام حين يتحدّث عن نعله المخصوف الذي كان رقعا كله:
«و الله لهي أحب إلي من إمرتكم هذه إلا أن أقيم به حقا أو أبطل باطلا»!.

---

[١] .(إِنّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً» (٤: ١٦٣) (وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ»(٢١: ١٠٥).

[٢] .نور الثقلين ٣: ١٧٥ في كتاب علل الشرائع باسناده الى عبد اللّه بن صالح عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه‌السلام قال قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: ما خلق اللّه خلقا أفضل مني ولا أكرم مني، قال علي عليه‌السلام: فقلت يا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله أ فأنت أفضل ام جبرائيل؟ فقال: ان اللّه تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من ولدك فإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا.
وفيه ٢٥٧ في الخرايج والجرايح باسناده الى أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: ان اللّه فضل اولي العزم من الرسل على الأنبياء بالعلم وفضلنا عليهم في فضلهم وعلم رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله ما لا يعلمون وعلمنا علم رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم وأينما نكون فشيعتنا معنا.

أولوا العزم من الرسل فضّلوا على من سواهم، كما فضل البعض من أولاء على بعض، والبعض من هؤاء على بعض، وقد فضل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله على كافة النبيين وعلى الخلق أجمعين.

حول داود وسليمان (عليهما السلام)

وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصّافِناتُ الْجِيادُ (٣١) فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ (٣٢) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ (٣٣) وَ لَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمانَ وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ (٣٤) قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ (٣٦) وَ الشَّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ وَ غَوّاصٍ (٣٧) وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ (٣٨) هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (٣٩) وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ (٤٠) وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ (٤٢) وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ (٤٣) وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ (٤٤) وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ ٣٠

سليمان النبي الملك هنا وهبة ربانية لداود: «نِعْمَ الْعَبْدُ»ولماذا؟«إِنَّهُ أَوّابٌ»كما داود أواب.

فهل تصدق- بعد- الفرية التوراتية والانجيلية على داود وسليمان، أنه وليد زنا وباني المعابد الوثنية على الأتلال لنساءه المشركات أمّا هي من هرطقات جارفة هراء![1].

ففي إنجيل متى: «إن داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا» (١: ٦) وفي صموئيل ١١: ٣- ٢٦، أنه زنى بامرأة أوريا فحبلت منه! وقد مضيا.

كلّا! يا مدنسي الكتاب المقدس، إنه وهبة إلهية لامن دعارة، وهو نعم العبد إنه أواب.

و إن «نِعْمَ الْعَبْدُ» من المعبود ... يجعل من العبد قمة مرموقة من العبادة كأنه هو العبادة نفسها رغم أنه ملك! «سليمان» وهو مذكور في (١٧) موضعا من القرآن بكل تبجيل وتجليل، هي لغة عبرانية تعني المليء من السلم، فهو- إذا- عبارة أخرى عن «نِعْمَ الْعَبْدُ»حيث العبودية هي السلم للمعبود، فإذا مليء منها العبد فهو «سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ»:

إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصّافِناتُ الْجِيادُ (٣١) فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ (٣٢) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ (٣٣).

«الصّافِناتُ الْجِيادُ» هي الخيل الصافنة التي تصفن وتصف قدميها عند السكون بكل استقامة ووقار، جياد شديدة الجري وسريعة إذا جرت وعدت، وهي خيل الجهاد.

---

[1].في الملوك ١١: ١- ٨ ونحميا ١٣: ٢٦ يقول: أخذ سليمان يعاشر ويعاشق النساء الغريبات اللاتي منع اللّه عن عشرتهن فنكح منهن سبعمائة بالعقد الدائم وثلاثمائة منقطعا فاجتذبن واملن قلبه عن ربه الى انفسهن وهو على كهولته وشيخوخته تنحى نحوهن لحد بني لكل واحدة منهن مذبحا للأوثان على الاتلال ... أقول وهذه خلاصة عن تفاصيل راجع عقائدنا ٤٢٧- ٤٤١ تجد فيه حوارا شاملا مقارنا بين القرآن و العهدين بشأنه.

ملك كسليمان النبي له سيطرته وسطوته، تعرض له صافناته الجياد ليركبها هو وجنوده في مقاتلة الأعداء، فيبتهج منها ابتهاجة دون زهوة ولا غفلة ولا رعونة، وليست مقالته حينذاك إلّا «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ» حب الصافنات الجياد- فقط- للجهاد، فما أحببتها عن شهوة مال أو جمال، ولا عن كبرياء ودلال، ولا عن شهرة ونوال، وانما «عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» حب ناشئ «عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتّى تَوارَتْ»«الصّافِناتُ الْجِيادُ» «بالحجاب».

فليس سليمان يحب شيئا من مال وجمال إلا عن ذكر ربه، لاعن دافع شهوته ونزوته، ولايختص ذكره لربه بصلاته وصيامه وقيامه في عبادة ربه، بل ويذكره فيما هو رمز للغفلة والزهوة، فلا يبطر في نعمته، ولا يعشو عن ذكر ربه «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ»يرجع إلى ربه فيما هو بطبيعته ينسى- ذكر ربه! وهذه السنة المجيدة في ذكر اللّه هي سنة الأوابين، الذين حياتهم أوبة إلى ربهم على أية حال وفي كل مجال، فليس «ذِكْرِ رَبِّي»هنا خصوص الصلاة ولا «عن»تجاوزا، حتى يحب الخير «الصّافِناتُ الْجِيادُ» تجاوزا عن الصلاة، فكيف- إذا- يستحق كرامة رد الشمس؟ ولا «تَوارَتْ بِالْحِجابِ» تعني الشمس، إذ لم يسبق لها ذكر أبدا، وإنما هي «الصّافِناتُ الْجِيادُ»المتوارية في سيرها بالحجاب.

و لا«رُدُّوها عَلَيَّ» رد للشمس، فمن هؤاء الذين يأمرهم بردها له حتى يقضي- فائتة الصلاة، أهم أرباب؟ أم عباد أمثاله وهم أقوى منه؟.

ثم وليس للشمس المردودة المختلقة سوق وأعناق حتى يمسحها «رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ» ولا أن المسح قطع وذبح للصافنات إن كل واحدة منها من «عبدنا» الى «خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» برهان قاطع لامرد له على براءة ساحته القدسية قبل رسالته مما افتري عليه، فضلا عما بعد «إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ...»!

و المفترون هنا يجعلون من النعاج والنعجة امرأة، ومن امرأة زوجة أورياه، إقحامات واتهامات رديئة دنيئة لاتنسب إلى الأوباش الأغباش، فضلا عن خليفة اللّه في الأرض! «عبدنا» في صيغة الجمع تصوغه كأفضل عبد يجمع في عبوديته بجامع العبادة. وعلى حد المروي عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله: «كان أعبد البشر»[1].

ف «نا» وهي ترمز لجمعية الصفات، تجعل داود عبدا للّه من كافة الجهات، دون من يعبد اللّه على حرف ...! ويا ترى كيف يليق ب «عبدنا» أن يرتكب جريمتي القتل والفحشاء، أم كيف يليق بربنا أن يجعله قدوة الصبر لمحمد وهو أوّل العابدين، أ قدوةيصبر على شهوة الجنس، فيقضي على روح مسلم ومنكوحه لقضاء السعار الحيواني من شهوة الجنس؟! ثم «ذَا الْأَيْدِ»هل تعني أيدي الجنس المتخلف لكي يرتكب تلك الجريمة النكراء؟ وهي أيدي الرحمة الفائضة الغزيرة التي جعلته حقا «عبدنا»! و«إِنَّهُ أَوّابٌ» كثير الرجوع إلى اللّه، كيف يناسب أوْبه هكذا إلى سعار الجنس، رغم توبته؟

و هل «إِنّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ ...» لتساعده على استلاب النواميس والأعراض؟

أو «شَدَدْنا مُلْكَهُ» لكي يملك قتل كبير من قواد جنده «أورياه» ليملك زوجته بكل حرية ودناءة؟! أم

---

[1] .الدر المنثور ٥: ٢٩٧- اخرج البخاري في تاريخه عن أبي الدرداء قال كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم): إذا ذكر داود عليه‌السلام وحدث عنه قال: كان.

«آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ»ليأتي بخلاف الحكمة وخلاف العدالة والخلق الإنسانية؟! أم «وَ فَصْلَ الْخِطابِ» ليخاطب جنده ان يجعلو أوريا في مقدمة المقاتلين لكي يقتل؟! أم «إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى»بهذه التأكيدات الأربعة، ليرتكب أنحس الكبائر بحق رجل مسلم مجاهد؟! أم «حُسْنَ مآبٍ» إذ آب إلى ما آب، وخاب ما خاب، بما افتري عليه من فتك وقتل وفاحشة؟![1]. ثم وفي هذه البادرة الهامة مطلع للعائشين نصف الكرة لردها، حيث يبصرونها راجعة بعد غروبها، ومطلع الآخرين، لمكان التأخر في أوقاتها، وفي ذلك إجماع قاصد ملموس لسكنة الأرض كلهم، فكيف يختص نقلة بأشخاص خصوص؟

و من الناحية الأدبية كيف يكون «نعم العبد إنه أواب. إذ عرض عليه ... فقال إني أحببت» فهل إن التغافل عن ذكر الرب في معرض الصافنات يجعله «نِعْمَ الْعَبْدُ»فحينيتغافل هو- إذا- بئس العبد؟! ولأنه «نِعْمَ الْعَبْدُ»في تأخير الصلاة فلترجع الشمس حتى يقضيها؟

و كيف يقدم عشيا عرض الصافنات وهو وقت الصلاة؟ غفلة عامدة ما لها من عاذرة؟

هراءات خارفة، ومختلقات جارفة أقحمت في أحاديث الإسلام، ونحن بعرضها على القرآن نضربها على الحائط! ثم «حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» قد تكون بيانا لمدى قوله «إِنِّي أَحْبَبْتُ» أنه كررها «حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ»لأن حب الخير محدد ب «تَوارَتْ بِالْحِجابِ» حيث التواري ليس ليواري عنه حب الخير عن ذكر ربه.

و علّ «رُدُّوها عَلَيَّ» قاصد إلى استمرارية ذكره، ولكي يتلطف بالصافنات الجياد بمعشر الجنود، وليعلموا أن سليمان يحب الجياد- فقط- للجهاد.

و قد يعني «حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» تواري الصافنات بحجاب الشمس مع حجاب البعد عن سليمان، فأزال أحد الحجابين ب «رُدُّوها عَلَيَّ» وأزال الآخر أدبيا ب «فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ»! ولو كان «رُدُّوها عَلَيَّ»طلبا لرد الشمس، فهي كلمة عارية عن كل أساليب الأدب عقيب ترك كل أدب للرب حيث ترك الصلاة، وكأنه متآمر على ربه، ويعتبره جماعة من جنوده، «ردوها»أم يأمر جنود ربه، واللائق بهذه الحالة الضراعة البالغة والبكاء، والمبالغة في إظهار التوبة، وأما أن يقول منهورا مستهترا متغاضيا عن عظمة الرب «رُدُّوها عَلَيَّ» فلا يقولها أدنى الناس! وَ لَقَدْ فَتَنّا سُلَيْمانَ وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ (٣۴).

«فَتَنّا سُلَيْمانَ» تأشيرة لامعة أن عرض الصافنات لم تكن فتنة له وابتلاء، وإلّا فلما ذا هنا «فتنا» وهناك «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ. إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ»؟

و ترى ما هو الجسد الملقى على كرسيه وممّ أناب؟

---

[1].في صموئيل ١١: ٢- ٢٦: (و كان وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فراى من على السطح امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جدا. فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أ ليست هذه بنت بشتبع اليعام امرأة أوريا الحثي؟. فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى.

فأرسل داود الى يوآب يقول: أرسل الي أوريا الحثي ... فأتى أوريا اليه ... فقال داود لاوريا أقم هنا اليوم، وغدا أطلقك ... ودعاه داود فأكل امامه وشرب واسكره وفي الصباح كتب داود الى يوآب: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ... فقتل أوريا كذلك ... فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات رجلها

هل هو جسد سليمان نفسه حين مرض لحد كأنه جسد لاروح له؟
و صحيح التعبير عن المرض هو المرض، دون الجسد الصريح في ميت! ثم «و ألقينا»دون ضمير يرجع إليه، و«جسدا»منكرا دون جسده، ثلاثة دالة على أنه غير سليمان نفسه! أم إنه الشيطان الملقى على كرسيه يحكم بديله أياما[1]؟ فكذلك الأمر، ولأنه حيّ غير مريض، وإلقاء الشيطان على كرسي الحكم الرسالي إلغاء للحكم الرسالي! أو أنه جسد صبي له كان «استرضعه المزن خوفا من بأس الشياطين، فألقاه الله على كرسيه جسدا تنبيها على أن الحذر لاينفع من القدر»[2]؟
و لو أن للشياطين مقدرة على قتله لقتلوا مسترضع المزن والسحاب! وكيف يخافهم ولا مميت- كما لامحيي- إلا الله! أو أنه ولد له من واحدة من السبعين امرأة جاءت بشق ولد، رغم ما هواه أن يؤى بسبعين ولد يضربون بالسيف في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله[3]؟ وقد يجوز ولكي لايقول لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله! ومهما يكن من شيء فليس الجسد الملقى على كرسيه من شأنه حتى يكون شائنا فيه فيستغفر وينيب، فإنما له صلة بشأن منه، فتنة له في غير محظور ولا مشكور.
فالابتلاءات مختلفة حسب مختلف المبتلين، فكما أن منها جزاء بما عمل من سوء تنبيها وتخفيفا عن جزاء، كذلك منه ما يبتلى بها عباد اللّه الصالحون ولكي يزدادوا من ربهم زلفى، فان أفضل الأعمال أحمزها، «وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً ...» (٢:) ١٢۴) كذلك يبتلي سليمان بفتنة، فيسأله تعالى بعد نجاحه «هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ...» فيؤاه سؤه «فسخرنا ...».
أ تراه لأنه عصى ربه يطلب منه ذلك الملك القمة، بديل التوبة؟ وكما قالوه في عرض الصافنات الجياد؟! «فَتَنّا سُلَيْمانَ»حين ترك إن شاء اللّه، وحين «أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً» فما فزع من ذلك الجسد الذي عكس هواه في سبيل اللّه، فلما نجح «فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ» من ترك المشكور هنا: إن شاء اللّه، ومن أن يعترضه أي محظور، «ثُمَّ أَنابَ» إلى ربه في استيهاب الملك القمة.
و لماذا الاستغفار من ترك المشكور- إن صح الحديث أن ترك إنشاء اللّه-؟ لأن حسنات الأبرار سيئات

---

[1].الدر النثور ٥: ٣١٣- اخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية قال: الجسد الشيطان الذي كان دفع سليمان اليه خاتمه فقذفه في البحر وكان ملك سليمان في خاتمه وكان اسم الجني صخرا، واخرج ابن جرير عن السدي ان الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما ... أقول وانها خرافة نكراء هراء!

[2].الطبرسي روى ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء فاشفق عليه‌السلام منهم فاسترضعه المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على ان الحذر لا ينفع من القدر وانما عوقب على خوفه من الشياطين وهو المروي عن أبي عبد الله عليه‌السلام.

[3].تفسير الفخر الرازي ٢٦: ٢٠٨- روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فو الذي نفسي بيده لو قال: ان شاء الله لجاهد كلهم في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله: ولقد فتنا ...أخرجه البخاري في صحيحه مرفوعا عنه (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

المقربين!.
و قد يلمح استيهابه ربه ملكا لاينبغي لأحد من بعده أن الجسد الملقى على كرسيه كان من يرجو سليمان أن يرثه ملكه، فلما ابتلي بموته استبدل به ما هو خير:
قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّابُ (٣٥).
أ تراه يبخل في ذلك الاستيهاب الإستيعاب، فيتطلب ملكا لاينبغي حتى لخاتم الأنبياء روحيا، ومن ثم لخاتم الأوصياء زمنيا وروحيا وهو يصفهما على البدل كأفضل محبوب كما في النص العبراني التالي:
كو ممتقيم وكولو محمديم زه دودي وزه رعي بنت يرشالام (نشيد الإنشاد: ٥: ١٦).
«فمه حلو وكله محمد هذا محبوبي وهذا ناصري يا بنات أروشليم»وذلك بعد ما يصف محبوبه بأوصاف فائقة في آيات سابقة، فكيف له أن يفضّل ملكه على محبوبه الوحيد؟ كما وأن أباه داود يصف القائم المهدي عليه‌السلام بعدة مواصفات في تصريحات تحيد عمن سواه![1].
قد لايعني أثره له على من ياتي بعده طول الزمن وحتى في آخر الزمن، بل «من بعدي» لصقا أم طوال الرسالة الإسرائيلية وقد حصل، فان «من بعدي»يعم البعد القريب والبعد الغريب، ونحن نبعّد البعيد ذودا للبخل عن ساحة سليمان، وتأشيرا منه وأبيه في الملك العالمي الأخير للقائم المهدي عليه‌السلام.
أم يعني ملكا لاينبغي لأحد من الملوك بعدي «مأخوذا بالغلبة والجور واختيار الناس»[2] وقد حصل فعلا على ذلك الملك، فما ملك أحد بعده ولن يملك زمنيا كما ملك، وأما روحيا فالمسيح ومحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله أفضل منه، وأما زمنيا وروحيا معا؟ فالقائم من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله أكمل منه.
أم يعني «ملكا» في طول مكوثه[3] بين صالحي الملوك وكما هو واقع، فلم يأت حتى الآن ملك يملك طول

---

[1].راجع «رسول الإسلام في الكتب السماوية».

[2].تفسير البرهان ٤: ٤٨- ابن بابويه بسند عن علي بن يقطين قال قلت لابي الحسن موسى بن جعفر عليه‌السلام أ يجوز ان يكون نبي اللّه عز وجل بخيلا؟ فقال: لا فقلت له: قول سليمان عليه‌السلام «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» ما وجهه ومعناه؟ فقال: الملك ملكان، ملك مأخوذ بالغلبة والجور واختيار الناس وملك مأخوذ من قبل اللّه تبارك وتعالى كملك ابراهيم وملك جالوت وذي القرنين فقال سليمان: هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ان يقول انه مأخوذ بالغلبة والجور واختيار الناس فسخر اللّه له ... فعلم الناس في وقته وبعده ان مالله لا يشبه ملك الملوك المختارين من قبل الناس والمالكين بالغلبة والجور قال فقلت له قول رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم رحم اللّه اخي سليمان ما كان أبخله، فقال عليه‌السلام: لقوله وجهان: أحدهما ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه، والوجه الآخر يقول: ما كان أبخله ان أراد ما يذهب اليه الجهال ثم قال: قد واللّه أوتينا ما اوتي سليمان ولما لم يؤ سليمان وما لم يؤ احد من العالمين قال اللّه في قصة سليمان: هذا عطاءنا فامنن او امسك بغير حساب وقال عز وجل في قصة محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم): ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.

[3].الدر المنثور ٥: ٣١٣- اخرج الحاكم في المستدرك عن عمر بن علي بن حسين قال مشيت مع عمي واخي جعفر فقلت زعموا ان سليمان عليه‌السلام سأل ربه ان يهبه ملكا قال حدثني أبي عن أبيه عن علي عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: لن يعمر ملك في امة نبي مضى قبله ما بلغ بذلك النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) من العمر في أمته، أقول قد يعني قبله قبل محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

ملكه.
و علّ مثلث المعنى هو المعني إذ يصلح كل معنى صالحا لذلك الاستيهاب القمة، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه، والجمع بين الوجوه الحسنة هو أحسن الوجوه! وقد يخرج المسيح ومحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله والمهدي من آل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله عن «لأحد» حيث يعني- فقط- الملوك بعده، وهؤلاء لم يكونوا ملوكا مهما يكون لثالثهم سلطة فوق كافة السلطات الروحية والزمنية.
فالقائم المهدي عليه‌السلام يعيش عيشة الفقراء فلا يقال عنه: أحد من الملوك، وسليمان النبي عاش كأفضل عيشة الملوك مهما لم تملكه زهوة الملوك! ف «مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ» يعم الملوك من غير النبيين حيث لاينبغي لهم ملك النبوة مهما كانوا عدولا، والنبيين غير الملوك إذ لم يعطوا ملكا إلى نبوة، والإمام المهدي الذي أوتي أقوى قوة روحية وزمنية ليس في عداد الملوك ولا النبيين، فلا ينبغي أن يقال له: ملك، لأنه فوق الملوك، وأن عيشته عيشة أفقر الفقراء.
فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ (٣۶).
طرف من ملكه الذي لاينبغي لأحد أن سخّرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، فهو إذا راكب الريح يسوقها كما يسوق ركاب الطائرات[1].
إنها ريح «عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها» (٢١: ٨١) وهي «غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ» (٣۴: ١٣).
أ ترى لاتنافي «رخاء» هنا «عاصفة» هناك؟ كلّا! فإن رخاء حال جريانها بأمره ألّا تستصعب مطاوعة أمره، ثم وقد يتجمع العصف والرخاء، أنها تجري سريعة تعصف، ولكنها عصفة الرخاء كأن لاحراك لها، رغم أن الاضطراب وشديد الحراك من خلفيات السرعة.
فالريح العاصفة الرخاء كانت له مركبة فضائية لاتشعره بحراك رغم سرعتها الهائلة! «تَجْرِي بِأَمْرِهِ» كما سخر اللّه «حَيْثُ أَصابَ».

حول داود وسليمان

وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَ كُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنّا فاعِلِينَ ٧٩.
الحكم هنا هو القضاء فصلا لخصومة في قضية واقعة، لاالحكم الشرعي العام من الشرعة الإلهية، فان تفهمه من لزامات الرسالة، وذلك الحكم المختلف فيه بين داود وسليمان كان مسرحا للامتحان دون امتهان لداود، واحترام لسليمان «وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً» على سواء، بل «وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ ..».
إنّما ذلك لكي يثبت داود ويعلم معه العالمون انه خاطئ في حكم خاص لولا تفهيم من اللّه، فضلا عن حكم الإمامة الرسالية وهو عامة الشرعة الإلهية.
و يبدو ان داود عليه‌السلام- لأنه كان الملك النبي والحاكم المطلق في بني إسرائيل، وقد جعله اللّه خليفة

[1] .راجع سورة سبأ من الفرقان تجد تفسيرا مفصلا لآية الريح.

في الأرض: «يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ» (٣٨: ٢٦)- يبدو أنه لذلك كان هو المسؤل في تلك المنازعة. «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» فأبدى ما فهّمه ربه وطبعا بإذن من داود، إظهارا للقصور الذاتي للمرسلين لولا الوحي، ولأهلية سليمان للخلافة بعده[١]. «وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً»! وهل ان داود حكم قبل ان يفهّمه اللّه؟ وذلك خلاف حكم اللّه والحكمة الرسالية ولا سيما عند الاختلاف بين حاكمين رساليين!.

كلّا! ولا اشارة هنا انه حكم، بل «إذ يحكمان» دون «إذ حكما» دليل انهما كانا يتشاوران ويتناظران[٢] في حكم القضية، ثم الحاكمان المتفقان فضلا عن المختلفين ليسا ليحكما في قضية واحدة، ولا سيما إذا كان أحدهما الحاكم الأصل والثاني هو الفرع، اللهم إلّا تشاورا في «كيف الحكم»؟ فكل يرتإي رأيا في نقاش بينهما، حتى تنتج الشورى حكما واحدا.

ثم «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» دليل انه كأبيه داود كان محتارا في الحكم خاطئا لولا تفهيمه.

ثم «وَ كُنّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ» قد تعني احكام المرسلين ككلّ، ولذلك «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» وإلّا فحق الصيغة «كنا لحكمهما شاهدين»[٣] ام- وباحرى- لحكمه، والشهادة هي الحضور علميا وتعليميا

---

[١] .البحار ١٤: ١٣٢ عن الكافي بسند عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: ان الامامة عهد من اللّه عز وجل معهود لرجال مسمين ليس للإمام ان يزويها عن الذي يكون من بعده، ان اللّه تبارك وتعالى اوحى الى داود عليه‌السلام ان اتخذ وصيا من أهلك، فانه قد سبق في علمي ان لا ابعث نبيا إلا وله وصيّ من اهله وكان لداود عليه‌السلام أولاد عدة وفيهم غلام كانت امه عند داود عليه‌السلام وكان لها محبا فدخل داود عليها حين أتاه الوحي فقال لها: ان اللّه عز وجل اوحى الي يأمرني ان اتخذ وصيا من اهلي فقالت له امرأته: فلتكن ابني، قال: ذاك أريد، وكان السابق في علم اللّه المحتوم عنده انه سليمان، فأوحى اللّه تبارك وتعالى الى داود ان اجمع ولدك فمن قضى بهذه القضية فأصاب فهو وصيك من بعدك فجمع داود ولده فلما ان اقتصى الخصمان قال سليمان: يا صاحب الكرم متى دخلت غنم هذا الرجل كرمك؟ قال: دخلته ليلا، قال: قد قضيت عليك يا صاحب الغنم بأولاد غنمك وأصوافها في عامك هذا ثم قال له داود فكيف لم تقض برقاب الغنم وقد قوم ذلك علماء بني إسرائيل فكان ثمن الكرم قيمة الغنم؟ فقال سليمان: ان الكرم لم يجتث من أصله وانما أكل حمله وهو عائد في قابل فأوحى اللّه عز وجل الى داود ان القضاء في هذه القضية ما قضى سليمان به، يا داود أردت امرا وأردنا امرا غيره فدخل داود على امرأته قال: أردنا امرا وأراد اللّه غيره ولم يكن الا ما أراد اللّه عز وجل فقد رضينا بأمر اللّه عز وجل وسلمنا، وكذلك الأوصياء ليس لهم ان يتعدوا بهذا الأمر فيجاوزون صاحبه الى غيره.

[٢] .المصدر عن أبي جعفر عليه‌السلام في الآية قال: لم يحكما، انما كانا يتناظران «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ»، وفي الفقيه بسنده الصحيح عن جميل عن زرارة مثله.

[٣] .البحار ١٤: ١٤١- عن تفسير القمي في الآية حدثني أبي عن عبد اللّه بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: كان في بني إسرائيل رجل كان له كرم ونفشت فيه غنم لرجل آخر بالليل وقضمته وأفسدته فجاء صاحب الكرم الى داود عليه‌السلام فاستعدى على صاحب الغنم فقال داود عليه‌السلام اذهبا الى سليمان ليحكم بينكما فذهبا اليه فقال سليمان: ان كانت الغنم أكلت الأصل والفرع فعلى صاحب الغنم ان يدفع الى صاحب الكرم الغنم وما في بطنها، وان كانت ذهبت بالفرع ولم تذهب بالأصل فانه يدفع ولدها الى صاحب الكرم وكان هذا حكم داود وانما أراد ان يعرف بني إسرائيل ان سليمان عليه‌السلام وصيه بعده ولم يختلفا في الحكم ولو اختلف حكمهما لقال: وكنا لحكمهما شاهدين.

«فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ»قبل ان يحكم أحدهما.
ام و«لحكمهم» الواحد، حاكمين ومحكوم عليهم، ولكنه- أن عني وحده كان خلاف الفصيح والصحيح، والجمع اجمع وأجمل.
فلم يحكم داود- إذا- بغير الحق خلافا لأمر اللّه «فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ» إذ لم يكن الحكم بالحق في السنة الداودية إلا بالواقع المطلق، وليس- إذا- إلّا بتفهيم اللّه وقد فهمه سليمان دونه للمصلحة.
و الروايات الواردة ان داود حكم بخلاف الحق الذي فهمّه سليمان، هي مأوّلة ام خلاف الحق[1] ولا يصدّق من سواها إلّا ما يصدقه القرآن انهما كانا يحكمان تشاورا غير بات «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» فرضيا به حكما، دون ان يكون هناك نسخ فانه خلاف النص، وان النسخ ليس إلّا في شرعة لولي عزم ولم يكن سليمان صاحب شرعة مستقلة[2].
و على الجملة فالقصد من ذلك التفهيم في ذلك التحكيم للرسول الفرع أمام الرسول الإمام الأصل ليس تحطيم ساحته والمس من كرامته تقديما للمفضول على الفاضل، وانما هو لبيان القصور الذاتي حتى للمرسلين حتى لايزعم زاعم انهم على شيء من عند أنفسهم، او انهم مخوّلون فيما يحكمون، بل هو فيض قدسي إلهي مستمر مع الرسالات، وليست هذه الفلتات- ان صح التعبير- قاصدة مع المعصومين، إلّا بيانا عن ذاتياتهم «لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ».
وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنّا فاعِلِينَ.
اجل وان داود هو النبي المفضل في بني إسرائيل بعد موسى والمسيح فان لهما شأنهما: «وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً»(١٧: ٥٥) (وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنّا فَضْلًا يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ»(٣٤: ١٠) فليس- إذا- «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ» اختراما لداود واحتراما لسليمان، بل هي حكمة بالغة إلهية ولطف خفي بأمر جلي مهما كان ظاهره إمرا.
و من تسخير الجبال معه «يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ» أوبة منها تتبع أوبته كما يسمعها وكذلك الطير، وليس ذلك بدعا منا لخصوص داود، بل «وَ كُنّا فاعِلِينَ»في سلسلة الرسالات بمختلف الجلوات.
و قد عرف داود بمزاميره الرنانة الحنانة، تسابيح للّه يرتلها بصوته الحنين الحزين، فتتجاوب معه

---

[1].المصدر عن الفقيه بسنده الصحيح عن الوشاء عن احمد بن عمر الحلبي قال سألت أبا الحسن عليه‌السلام عن هذه الآية قال: كان حكم داود عليه‌السلام رقاب الغنم والذي فهم اللّه عز وجل سليمان ان يحكم لصاحب الحرث باللبن والصوف ذلك العام كله.
أقول: عل «كان حكم داود» غير حكمه البات، وانما كان يرتإي مشورة ولكن حكم سليمان بالصوف واللبن خلاف حكمه إذ حكم بولدها كما في أحاديث اخرى.

[2].نور الثقلين ٣: ٤٤١ عن الكافي بسند عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال قلت له: قول اللّه عز وجل «وَ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ إِذْ يَحْكُمانِ فِي الْحَرْثِ ...» قلت حين حكما في الحرث كان قضية واحدة؟ فقال عليه‌السلام: انه كان اوحى اللّه عز وجل الى النبيين قبل داود الى ان بعث اللّه داود: اي غنم نفشت في الحرث فلصاحب الحرث رقاب الغنم ولا يكون النفش الا بالليل فان على صاحب الزرع ان يحفظ بالنهار وعلى صاحب الغنم حفظ الغنم بالليل فحكم داود بما حكمت به الأنبياء عليهم‌السلام من قبله واوحى اللّه عز وجل الى سليمان عليه‌السلام واي غنم نفشت في زرع فليس لصاحب الزرع الا ما خرج من بطونها وكذلك جرت السنة بعد سليمان عليه‌السلام وهو قول اللّه عز وجل «وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً»فحكم كل واحد منهما بحكم اللّه عز وجل.

الجبال والطير، وكأنما الكون كله فرقة مرتلة عازفة مسبحة معه بجلال اللّه وحمده.
صحيح انه «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»(١٧: ۴۴) إلا أن داود فقّه تسبيحهم بل وكان يسمعهم كيف يسبحون ربهم، فالجبال هنا مثل الجوامد، والطير مثل الحيوان وبينهما النباتات، فعلّه فقّه منطق كل شيء، ام ما حوله من الجبال والطير دمجا للجماد في الحيوان الى تسبيحه!.
وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ (٨٠). «و علّمناه»تلمح بأنّ ذلك العلم المعلّم بادئ من داود، فلم يكن يصنع قبله لبوس، وهذا يلمح انه الدرع والمغفر ام وسائر ما يلبس لخصوص البأس إحصانا منه، و«لبوس»مبالغة «لباس» ما يبالغ في لبس الإنسان حالة البأس، وهو الحرب، ومما عبّد له علمها وصنعه بسهولة «وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ» إلانة دون اسباب معوّدة «... وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ.
ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير»(٣۴: ١١) والسابغة هي الدرع التام، وتقدير السرد هو نضج الحديد فنسج الدرع «لتحصنكم»اللبوس المقدّر المسرود، ام والمغفر وعلّه أحرى «من بأسكم» حربا «فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ» ذلك الإحصان الإحسان إليكم منذ داود عليه‌السلام بما في هذه الصفة من تطوّرات حيث الحضارة البشرية سائرة في طريقها الى التقدم خطوة خطوة وراء الكشوف المتجددة يوما فيوما دون قفزة ولا طفرة، ولكن صنعة لبوس لكم بإلانة الحديد وعمل السابغات كانت قفزة وطفرة تخترق العادة المألوفة.
وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ كُنّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ ٨١.
«وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ ..» (٣۴: ١٢)
«تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ» (٣٨: ٣۶)، والريح منصوب حيث هو معطوف على مفعول التسخير «و سخرنا لسليمان الريح ...».
ريح عاصفة غدوها شهر ورواحها شهر، تجري بامره رخاء حيث أصاب، الى الأرض التي باركنا فيها وسواها حيث أصاب[١] (و كنا» من قبل ومن بعد وفي ذلك الذي علمناه وسخرناه «بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ».
وليس فقط تسخيرا لمن لايعقل وليس له اختيار، بل وسخرنا له «مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ ...»:
وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ وَ كُنّا لَهُمْ حافِظِينَ ٨٢.
«وَ مِنَ الشَّياطِينِ» وهم بعضهم الذين استخدمهم لشاقة الأعمال «مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ»في البحر لاستخراج متاع منه «وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ»حيث «يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ ..»(٣۴:١٣) ام ودون ذلك ممانعلمه والله يعلمه «وَ كُنّا لَهُمْ»الشياطين العاملين له «حافظين» عن شيطناتهم وتخلفاتهم في اعمالهم لسليمان، حفظا عن الهرب وأي إفساد وجرب، لصالح الخدمة السليمانية.
و علّ الشياطين هنا تعم شياطين الجن والانس، وقد لاينافيه «... وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ ...»(٣۴:١٣) فالشياطين

[١] .راجع تفسير الآيتين في سبأ وص تجد فيهما تفصيل جريان الريح حيث أصاب.

نص في الكفار ظاهر في شياطين الجن والانس، والجن نص في الجن ظاهر في كفارهم وسواهم، والنصان متوافقان في شياطين الجن، فهم القدر المعلوم من عماله، ثم يخرج مؤنوا الجن والانس، ويبقى شياطين الانس في الظاهر الاول، ولا ينافيه نص الجن لعدم الحصر.

«و لو ان أحدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا لكان ذلك سليمان بن داود الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت وأصبحت الديار منه خالية والمساكن معطلة، ورثها آخرون»[1].

وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (١٣) فَلَمّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ (١٤)

مسرح من مسارح النبيين الملكين داود وسليمان عليهماالسلام بما آتاهما من فضل يخرق العادة الجارية في الكون هنا لداود «مِنّا فَضْلًا» تخصه بفضل له خاص، فالفضل كله منه ويكفيه: «آتَيْنا داوُدَ مِنّا فَضْلًا» ولكن «منا»تصطفي له خاص الفضل، وعلّه هنا النبوة والملك وتأويب الجبال والطير معه وتليين الحديد، ويا له من فضل جامع عقيم النظير اللهم الا للأخصين من السابقين وهم اهل بيت الرسالة المحمدية، ثم الاربعة الآخرون من اولى العزم الذين دارت عليهم الرحى، وقد تشهد لمثلث الفضل هذا: وَ كُلًّا آتَيْنا حُكْماً وَ عِلْماً وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ ..

وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ... (٢١: ٨٠).

فقد بلغ فضل اللّه لداود مبلغا من التجرد والشفافية في تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه وبين الجبال والطير وحدة الحديد، فداود الأواب تجاوبه في أوبته الجبال والطير، ويلان له الحديد، وهكذا اللّه يعبّد الطريق للأوابين! هنا «معه»في «أَوِّبِي مَعَهُ»لمحة لامعة انها تؤب في عالمها ولا تسمع أحدا من العالمين، ثم «معه»تجعله يسمع أوبة الجبال والطير.

و الاوبة ضرب من الرجوع. وهنا المقصود صوت الأوبة وصيغتها، إضافة الى حقيقتها، فواقع الأوبة لامحالة حاصل للكائنات كلها: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» (١٧: ٤٤) ولكن داود المفضّل على من سواه فقّه تسبيحهم مع تسبيحه وعلى ضوئه كما تشير «معه» وكما في آخر له «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوّابٌ .. وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ»(٣٨: ١٩) فهما هي معية المصاحبة المتابعة، وقد تعم علمه بتسبيحهم واصالته فيه حيث كان يؤٌ في محراب الأوبة ومصرحها جماعة الطيور والجبال في ترنيمة المرجّع الرائع كما يؤ سائر المؤنين في زمنه! الآئب هو الراجع وقد ينكث، ولكنما الأوّاب من التأويب الترجيع كثرة في عدّة الرجوع وعدّته، حيث يعيش

[1]. نهج البلاغة ١: ٣٤١- ٣٤٢.

الاوبة الرجعة الى الله دون نكثة ولا نكسة.
و من التأويب الترجيع ترجيع الصوت في التأويب وفيه تليين القلب وترجيعه، فان للصوت الرائع الجميل موقعا فائقا في القارئ والمستمع، وكما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): تغنوا بالقرآن فانه من لم يتغن بالقرآن فليس منا»!
فلان كلام الله جميل فليكن بصوت جميل كما صيته جميل ولفظه جميل ومعناه جميل، والله تعالى جميل يحب الجمال! تذكر الروايات ان داود عليه‌السلام أوتي صوتا جميلا خارقة العادة في الجمال، كان يرتل به مزاميره وهي تسابيح دينية رائعة من زبوره في العهد العتيق»- فحينما كان ينطلق صوته في ترتيل المزامير تمجيدا لربه، كانت ترجّع معه الجبال والطير، مردّدة تلك الترانيم السارية السارّة[1] لحظات فائقة التصور لا يتذوقها إلا كل أواب حفيظ: وَ سَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنّا فاعِلِينَ (٢١: ٧٩) إِنّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ- وَ الْإِشْراقِ. وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّابٌ (٣٨: ١٩) ثم و«يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ» خطاب تكوين وتسخير يضرب الى عمق الكائن دون مكنة التخلف كما في اصل التسبيح، وكما في: يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ (٢١: ٦٩) واضرابها من خطاب التسخير التكوين.
أ ترى ذلك الجبال «يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ» فما بال الطير وموقعه في تعريفها ونصبها، فعطفها الى «جبال» يقتضي «و طير»كما «جبال» قضية ضرورة الوفاق في العطف بين الرفاق أدبيا كما هو معنويا؟ قد تكون «و الطير»عطفا بحساب المعنىّ من محل المعطوف عليه، ف- «اوبي» تعني «و سخرناها»كما في آيتي التسخير، ف- «و الطير» تعني ذلك التسخير، فقد يفسر نصب الطير امر الجبال انه تسخير وليس امر التشريع! كما و«يسجن» هناك تفسر هنا «أوبي»أنه التسبيح الترجيع! هذا مسرح من مسارح تليين الجبال والطير في مصارح التسبيح، ثم الى تليين الحديد:
«وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ»؟ أ تراه- فقط- تليينا لحده وصلابته بعد الحصول عليه من معدنه؟ وهذا أصعب منه واحدّ! ام وتليين معدنه ومصدره، والمقام مقام الفضل الرباني لعبد رباني وأفضله ذلك الجمع الرائع المكين من التليين! ولأن إلانة الحديد لاتحملها في القرآن كله إلا هذه اليتيمة المنقطعة النظير فلننظر فيها نظرة الناقد البصير.
يروى عن امير المؤنين علي عليه‌السلام انه قال: اوحى الله الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك قال:
فبكى داود عليه‌السلام أربعين صباحا فأوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود عليه‌السلام..»[2].

---

[1].في كمال الدين باسناده الى هشام بن سالم عن الصادق عليه‌السلام في حديث يذكر فيه قصة داود عليه‌السلام قال: إنه خرج يقرأ الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلّا أجابه.

[2].تفسير البرهان ٣: ٣٤٤ عن الكافي باسناده عن احمد بن أبي عبد اللّه عن شريف ابن سابق عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام‌ان امير المؤنين صلوات اللّه عليه قال: ... فألن اللّه عز وجل له الحديد فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين ألفا واستغنى عن بيت المال.

«ألنا له» كما «يسجن معه- اوبي معه» تختص إلانة الحديد بداود! أ لقوة خارقة أوتيها من فضل اللّه؟ وتعبيره الصحيح الفصيح «قومناه»! ام إلانة لما يحتاجه من حديد لصنعة لبوس؟ وهذا هو ظاهر الإلانة، وقد تضمن إلانة العلم كما تعني إلانة الحدة: وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ (٢١: ٨٠) فلو لاذلك التعليم لم تكن كثير فائدة في هذا التليين، فانما هو كذريعة لصنعة لبوس، لا- فقط- نفس التليين.

و هنا أيضا «أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ» تفسير لمدى ذلك التليين، فلا تعني إلانة الحديد- فقط- عمل السابغات، إلّا أن تعني إلانة ذلك العمل بعد إلانة الحديد! إذا فهنالك مثلث من تليين الحديد، صدورا من معدنه، وتليينه عمليا ومن ثم تليينه لصنعة لبوس عليما! فلم يكن التليين- إذا- بالتسخين، فانه لكل من يسخنه وهو هنا «له» باختصاص، بل هو خارقة للعادة تليينا بلا تسخين ولا أية وسيلة مألوفة اخرى، فجو السياق وظلاله بكل تلميح وتصريح يعني هنا خارقة للعادة! من:

«وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ» ولا كمجرد آية خارقة تدل على وحى الرسالة، بل و:

أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١).

السابغات هي الدروع الواسعات، والسرد هو نسجها، وتقديره لها هو ان يعمل كلا على قدره السائغ للسابغ وقد يروى انها كانت تعمل قبل داود صفائح الدرع صفيحة واحدة فكانت تصلب الجسم وتثقله فالهم اللّه داود ان يصنعها رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها بحركة الجسم وامر بتضييق تداخل هذه الرقائق لتكون محكمة لاتنفذ منها الرماح، وهو التقدير في السرد! هذا ولتكون السابغات سائغات ثقات، ومن ثم «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» في عمل الدروع واستعمالها في سبيل اللّه واي عمل من اي عامل في فسيح الكون، ك- «إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ» من صنع ومن استعمال لمصنوع «خبير»! وعلّ في «اعمل» بديل «اصنع» تلميح لما تلمحناه انه ثالث ثلاثة من أضلاع «وَ أَلَنّا لَهُ الْحَدِيدَ» وكما في أخرى: «وَ عَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ»(٢١: ٨٠) إذا ف- «وَ اعْمَلُوا صالِحاً»شكرا لما أنعمت «إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»!.

فاللبوس مبالغة من اللباس، حيث السابغة الدرع تبالغ في الإحصان عن بأس الحرب، فقد كان ذلك خارقة إلهية تتخطى عائدة اثبات الرسالة وتحصيل المال للرسول، الى «صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ» عائدة ثالثة لصالحكم، حيث الحروب آنذاك كانت تتطلب صنعة سريعة للبوس السابغة.

وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (١٢).

«و» فضلا «لسليمان» كما فضلا لداود، كلّا حسبه وبحسابه، وفقا في سيرة الخارقة مهما اختلفت الصورة، فقد آتينا «لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ» كما «آتَيْنا داوُدَ مِنّا فَضْلًا ...» فضلا كفضل!.

«وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ» لاكما هي لسواه كعادة جارية المفعول في فاعلياتها، وانما تسخيرا له يتخطى العادة: فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ (٣٨: ٣٦)! فلقد كانت له الريح- بما سخرها اللّه- مركبة فضائية «غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ»- «تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً» كل يوم مسيرة شهرين «حَيْثُ أَصابَ» من هذه المعمورة ام سواها بأجواءها!.

و ترى انها ريح كسائر الرياح، ام هي سائر الرياح دون اختصاص، كلّا! فالنص «الريح» دون «الرياح» فلتكن خاصة معروفة لديه، مجهولة لدى غيره، ام وإذا كانت معلومة لغيره فغير مسخرة إلّا له، وانها

كانت ريحا عاصفة وكما في آية ثالثة: وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ كُنّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمِينَ (٢١: ٨١).

ثم «غدوها» هو الغداة لحد الزوال ام هو ادنى، والرواح هو الوقت الذي يراح فيه الإنسان من نصف النهار الى الغروب او هو ادنى، فلم يك سليمان يغدو ويروح في يوم واحد دون مكثة في «الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها»فليكن الغدو ردحا مما بين طلوع الشمس وزوالها، وكذلك الرواح ردحا بين زوالها وغروبها، مهما كانت السفرة في يوم واحد، ام بمكثه يوم أو أيام[1].

مركبة فضائية ما اغداها واروحها، واريحها في غدوها ورواحها، حيث «تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ» الى «الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ» ام سواها، مهما كانت هي الأصل في سفراته، ولذلك خصت بالذكر في آية الأنبياء.

و قد تكاثرت الروايات حول تسخير الريح لسليمان، تبدو ظلال الاسرائيليات المختلفات والمختلفات فيها واضحة، فالتغاضي عنها الى بينات الآيات أحرى، وترك الخوض فيها احجى! فانما هي ريح عاصفة مسخرة لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر ...!. «... وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ»لانجد القطر إلّا هنا عينا سائلة وفي الكهف مفرغا بحامية النار على زبر الحديد بين الصدفين (١٨: ٩٦) وهو الرصاص، و«عَيْنَ الْقِطْرِ» في أصلها غير سائلة ولا تسمى عينا إلّا معدنا، فبإسالتها بخارقة إلهية خرجت عن أصالتها الجامدة الى عين سائلة يستثمرها سليمان كما يشاء في محاويجه ومحاويج شعبه دون سغب ولا تعب، وكما ألان اللّه الحديد لأبيه داود عليه‌السلام! «... وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ»أهم- فقط- شياطين الجن:

وَ مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذلِكَ وَ كُنّا لَهُمْ حافِظِينَ (٢١: ٨٢)؟ (وَ مِنَ الْجِنِّ» «دون» الشياطين، تعميم دون اختصاص! ثم وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (٢٧: ١٨) قد تحيل الإختصاص، حيث الجن المؤنون أحرى ان يكونوا من جنوده، وتجنيده الشياطين ليس الا تذليلا لهم وقضاء على شيطناتهم لردح الخدمة، وقالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ (٢٧: ٣٩) هي كالنص انه كان من مؤني الجن واتقاهم فأقواهم على هذه الخارقة الإلهية!.

إذا ف- «من الجن» يعم قبيلي المؤنين منهم والشياطين، وكما جنوده الإنس دون اختصاص.

و «يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ» تعني في سلطته وعلى رعايته، لافي حضرته فحسب، إذ كان شياطين الجن يغوصون له وهو بعيد عن حضرته مهما كان في سلطته.

«... يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» تسخيرا لهم لأمره، حيث الجن لايسخرون دون ذلك، إلا سخرية لمن يسخرهم دون ذلك! ومن خلفيات «بِإِذْنِ رَبِّهِ»:

فَلَمّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ (١۴).

و تلك من هيبة سليمان وهيمنته ان لم يجرأ أحد من جنوده من الجن والإنس ان يدنوه فيسألوه ما

---

[1].في تفسير القمي في آية الريح قال: كانت الريح تحمل كرسي سليمان فتسير به في الغداة سيره شهر وبالعشي مسيرة شهر.

ذلك المكث الطائل، الذي تمضي فيه أوقات صلوات «فَلَمّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ» فوقع الموت «ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ» سئوال خاطر ام اي خاطر سائل «إِلّا دَابَّةُ الْأَرْضِ» تلك الصغيرة الهزيلة التي تأكل الأخشاب «تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ» التي كان متّكئا عليها وترى كيف المنسأة- فقط- تجعله واقعا قائما كما هو، وليست مسكتها إلّا جانبية وعلى شرط المسكة من صاحبها، حيث يمسكها سنادا فتمسكه عمادا؟.

علّه لأنه كان جالسا على عرشه، متكئا على منسأته، محفوفا بما يسنده من جوانبه، فلما أكلت منسأته وارتخت- بطبيعة الحال- خر أمامه، إذ فقد سناده أمامه! داية الأرض- هنا- هي الأرضة التي تتغذى بالأخشاب، وهي تلتهم سقوف المنازل الخشبية وأبوابها وقوائمها بشراهة وشراسة خطيفة، فلا تبقي عليها قائمة ولا تذر.

.. فَلَمّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ إذا فالجن لا هم أبناء الله حتى يعبدوا حيث سخروا لسليمان، ولا هم يعلمون الغيب حتى يستعملوه، قصة تقص عنهم ما خيّل الى أوليائهم.

و ترى ذلك العمل بين يدي سليمان كان عذابا مهينا وهو خدمة تقدم للنبي الملك؟ اجل كان عذابا مهينا لشياطين الجن جزاء بما كانوا يشيطنون، ذوقا قليلا من عذاب السعير، واما مؤنوا الجن والانس المستخدمين فلم يكونوا ليكلفوا لديه تلك الأعمال الشاقة المبرهة، إلا قدر المستطاع، فلم يكن العذاب المهين الا لشياطينهم.

ثم «ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ» تلمح بطول مكوث سليمان ميتا متكئا على منسأته، فليست قضية سويعات، لاسيما وان ارضة الأرض لاتسطع ان تأكل المنسأة ليوم واحد، إلّا أياما طائلة، ام سنة كما يروى وان كانت بعيدة[1].

ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان

وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ

[1].الدر المنثور ٥: ٢٣٠- اخرج جماعة عن ابن عباس عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم قال: كان سليمان عليه‌السلام إذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول: كذا وكذا، فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء نبتت فصلى ذات يوم فإذا شجرة ثابته بين يديه فقال لها ما اسمك قالت: الخرنوب، قال: لاي شيء أنت قال لخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الإنس ان الجن لا يعلمون الغيب فأخذ عصا فتوكأ عليها وقبضه اللّه وهو متكئ فمكث حينا ميتا والجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقطت فعلموا عند ذلك بموته فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين أقول تبين الانس انما حصل بما رأوا الجن طول هذه المدة في العذاب المهين فلم يكونوا ليعلموا الغيب.

وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ١٠٢

إنها من أطول الآيات البينات بعد آية التداين، يتيمة في مضمونها ككلّ، لانظيرة لها في القرآن كله، حاملة حملة عنيفة على إتّباعهم ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من الكفر وتعليم السحر وما انزل على الملكين، فما هي مادة هذه التلاوة الكافرة الساحرة؟ وكيف أنزل السحر على الملكين؟ وكيف يفرّق به بين المرء وزوجه بإذن اللّه؟! وهل السحر هو فسق عملي، وانه كفر باللّه؟ فالساحر- أيّا كان- كافر؟!.

هؤاء الحماقى الأنكاد، النابذون كتاب اللّه وراء ظهورهم وهم يعلمون، هم أولاء اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وقد تلت على ملكه كفرا وسحرا، فما هي هنا «تتلوا على»؟ أ هي القراءة؟ وصيغتها الصريحة «تقرء»! ام هي الإتّباع؟ وصيغتها الصالحة: «تتلوا ملك سليمان»كما «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها. وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها»! ام هي الكذب على؟ ولفظها الصحيح:

«تكذيب على»! قد تعني «تتلوا على» مثلث التلاوة، قراءة على ملكه من شيطنات، تجعل ملكه أمام السامعين ملك الشياطين، واتباعا على «مُلْكِ سُلَيْمانَ»بعضهم البعض ضد ملكه، وكذبا على ملك سليمان[1].

و قد تلوا على ملك سليمان ذلك الثالوث المنحوس، نسبة له الى الكفر السلطوي الشركي كما نجده حرفا بحرف في العهد العتيق، كما تلوا على ملكه السحر لعله ينقضه، وكأن ملكه كان بسحر، وكذبوا على ملكه أكاذيب يتبرأ عنها شلائطة الناس فضلا عن نبي كسليمان عليه‌السلام.

و إليكم طرفا مما تلوه على ملكه ودسّ في كتابات منسوبة الى أنبياء بني إسرائيل، فشيطنة الوحي هذه خليطة بربانية الوحي التوراتية: نموذج عارم عن الدس والتجديف في التوراة ضد سليمان:

«... أصبح سليمان في سلطانه مثريا للغاية فأخذ في السرف والترف والتعيش الممنوع أكيدا في (تث ١٧: ١٦- ١٧) ولقد هدده الله ووبخه في رؤاه الثانية، فرغم أن يتعظ استكبر وتساهل في أمر ربه ونسي ربه» (١ ملوك ١- ٩ و٢- أيام ٧: ١١- ٢٢) (أخذ يعاشر ويعاشق النساء الغريبات اللاتي منع الله من عشرتهن فنكح منهن سبعمائة بالعقد الدائم وثلاثمائة منقطعا، فاجتذبن وأملن قلبه عن ربه إلى أنفسهم وهو على كهولته وشيخوخته نحى نحوهن وحذى حذوهن لحد بنى لكل واحدة منهن مذبحا للأوثان على الأتلال» (١ ملوك ١١: ٨ وسخميا: ١٣: ٢٦) (و لذلك غضب الله عليه وفرق ملكه من بعد جزاء كفره وفسوقه!.»

و «كثرة النساء محرمة على الملوك كما في التوراة (تث ١٧: ١٧) وكذلك نكاح الوثنيات (خروج ٣٤: ١٦ وتث ٧: ٣ و٤) فضلا عن الانحراف في ميولهن الشركية أن يبني على الأتلال معابد الأوثان!.»

«و هكذا انحرف في سلطانه وقدرته عن العدل وبالنسبة لرعيته حيث أجبرهم على خدمته وظلمهم في الخراجات الثقيلة المحرجة، لحد اضطر المظلمون المحطمون أن يتظلموا إليه جهارا في جلوس

---

[1]. فان «تلى على» تعني قرء، ام كذب اعتبارا ان «على» للضرر، وكذلك اتبع على، حين تعني «على» الضرر لا التعدية حتى تختص بالقراءة.

يربعام» (١ ملوك ١٢: ٣- ٢٠) مقابل مع (اصموئيل ٨: ١٠- ١٨) هذه ولها نظائر يستحي القلم عن سطرها ك «إن داود الملك ولد سليمان من التي لأوريا» (متى ١: ٦) وهي امرأة ذات بعل، فقد جمع سليمان العهدين بين كل كفر عقائدي وعملي، وهو معذلك نبي ملك! و«هو الذي بنى البيت المقدس فاتخذه الله ابنا له» (ايام ٢٨: ٦- ٧) وأمر ناتان النبي أن يدعوه: يديديا- اي: محبوب الرب (صموئيل ١٢: ٢٥) وانتصبه اللّه خليفة أبيه داود قبل ولادته (١- أيام ٢٢: ٩- ١٠) فأصبح ملكا نبيا في العشرين من عمره (١ ملوك ٢: ١٢ و٣: ٧ و٢- أيام: ١)- وتجلى له ربّه في رؤاه قائلا: سل ما شئت فسأله الحكمة فوهبها وزيادة هي الملك والسلطان (١ ملوك ٣: ٤- ٥ و٢- أيام ١: ١٣- مقابل مع: أمثال.: ١١- ١٦ ومتى ٦: ٣٣)!! ...

هذه الشطحات الزور والشيطنات الغرور هي مما «تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا ....».

ثم القرآن يصفه بأجمل الأوصاف في سلطته الزمنية، والروحية الرسالية كما في الأنعام والأنبياء والنمل وص وسواها، مما يقل مثيله في المرسلين الملوك والملوك من المرسلين![1].

و هنا «يُعَلِّمُونَ النّاسَ السِّحْرَ» حالا من الشياطين، تعني أنهم حال كفرهم- بما تلوا على ملك سليمان- يعلمون الناس السحر، فهو من قضايا الكفر، ولقد كان مما تلوه على ملكه أنه إنما ملك ما ملك بالسحر، فلنملك نحن او نملّك بالسحر، نكرانا لاصطفاء اللّه له في هذه السلطة الزمنية الى الروحية الرسالية! إذا فتعليم السحر وتعلمه كفر او على هامشه، وأما «ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ....»؟.

لا شك أنه أنزل على هذين الملكين السحر، ولكنه أنزل عليهما ما أنزل إبطالا لسحر الشياطين وليس تعليما للإفساد، فكما أن تعليم الآية المعجزة لموسى إبطالا لسحر السحرة واجب رسالي، فلتكن معرفة المعجزة واستعمالها إبطالا للسحر واجبا أم راجحا ايمانيا، وكما القرآن- بأحرى- يبطل اي سحر! ف «ما» في «ما أنزل» و«ما يُعَلِّمانِ» قد تكون نافية تعني: ما انزل سحر الشياطين على الملكين وانما انزل عليهما مبطل السحر مهما كان سحرا ولكنه من نوع آخر يبطل الأوّل، فهو- إذا- أقوى من الأوّل، ثم و«وَ ما يُعَلِّمانِ» إبطاله «مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ» امتحانا لكم وابتلاء «فَلا تَكْفُرْ» باستعماله في الباطل، وانما في حق الإبطال لباطل سحر الشياطين «فَيَتَعَلَّمُونَ ....».

و كون «ما» الأولى موصولة لايرجع إلى معنى صالح، اللّهم إلّا بحذف الواو عن «وَ ما يُعَلِّمانِ» فالمعنى: والسحر الذي أنزل على الملكين ما يعلمان به من أحد ... فإنه ليس إلّا إبطالا للسحر.

ذلك، وأبعد منه عن المسرح كون «ما» فيها موصولة، أو الاولى نافية والثانية موصولة، مهما دخلت هذه الثلاث في حساب المليون ومأتين وستين ألف احتمالا بضرب كل المحتملات في كلّ من مقاطع الآية بعضها في البعض، حيث الاكثرية الساحقة لاتناسب أدب اللفظ أم المعنى أم كليهما.

ثم هاروت وماروت وهما ملكان، كانا يظهران- بأمر اللّه- بهيئة الإنسان ببابل فيعلّمون الناس المبتلين بسحر الشياطين سحرا أقوى منه يبطله «وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ» سحرهما النازل عليهما إلا بحجة رادعة قارعة: «إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ» ولكنهم كانوا يبدّلون الحسن سوء والخير شرا ككل من يستعملون

---

[1]. راجع كتابنا «عقائدنا» في مقارنة سليمان القرآن والعهدين ٤٢٧- ٤٤١.

نعمة اللّه في نقمة حيث يبدلونها نعمة «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ» ف «يفرقون به- دون- يفرق به»تلمح أن ذلك السحر كان لإبطال التفرق، وكما يأتي منه التفريق ايضا حسب مختلف استعمالاته، كما اللسان القادر على الإفصاح قد يوفق بين المتخاصمين وأخرى يفرق بين المتحابين.[1]

هؤاء الأنكاد كانوا يستعملون آلة الخير في الضر بالناس، ويخيّل إليهم أنهم هم الضارون به بعيدا عن إذن اللّه، حال أنهم- كضابطة عامة في كل ضر وشر أم خير- «وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ».

أ ترى اللّه يأذن بتأثير الضر تكوينا ما لم يسمح به تشريعا وهو تناقض؟ هنا الضر- بإذن اللّه ليس إلا بعد تكملة الإختيار من اصحاب الضر والشر، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين، وكما لاجبر في فعل الخير او تركه، كذلك لاجبر في فعل الشر او تركه، وهكذا التفويض، فأمر بين أمرين في هذين الأمرين، أن المقدمات لكل فعل اختياريّ، منها اختيارية يختارها الفاعل، ثم الإذن التكويني الخاص باللّه- قضية توحيد الأفعال- هو الذي يبرز عملية الإختيار إلى الوجود، فقد يأذن اللّه تحقق محاولات الشر، إذ لولاه لكان الشرير مسيّرا في ترك الشر، كما في كل شرير واصل إلى شره، وهذه ضابطة عامة تحلّق على الخيرات والشرور.

و قد لايأذن- لأمور طارئة، حكمة من اللّه، أم لصالح فيمن يؤن عن الشر، أم هما كما لم يأذن اللّه للنار أن تحرق ابراهيم، وهو يأذن لها ان تحرق كضابطة عامة سارية المفعول عند الشرائط الخلقية.

إذا ف «لا مؤر في الوجود إلا الله» ولكن دون جبر أو تفويض في الأمور الاختيارية، فانما الفعل يصبح اختياريا للفاعل، او الترك للتارك، إذا كانت بعض مقدماته اختيارية، مهما كان الإختيار درجات او دركات في الخيرات والشرور، حسب عديد المقدمات كثرة وقلة، «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى».

«وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ» من الشياطين، فإنهم يعلّمون الناس السحر ضرّا، أم من الملكين، مهما علّموهم ما ينفعهم إبطالا لضر السحر وشره، ولكنهم بسوء اختيارهم يستعملونه في الشر بدلا عن إبطاله.

و السحر هو كسائر العوامل الخفية- الطبيعية- عن جلّ الناس، يؤر أثره حين يأذن به اللّه، والعلوم الباحثة عن خفيات التأثيرات الغريبة متشجرة- وهي في نفس الوقت متشاجرة- واعرف ما تداول منها: السيمياء- الليمياء- الهيمياء- الريمياء- والكيمياء[2]، وهي مشتركة في كونها من السحر، مختلفة

---

[1].نور الثقلين ١: ١١٤ في الاحتجاج للطبرسي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام حديث طويل وفيه قال السائل له: فمن أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطباء الطب، بعضه تجربة وبعضه علاج، قال: فما تقول في الملكين هاروت وماروت، وما يقول الناس بأنهما يعلمان السحر؟ قال: انهما موضع ابتلاء وموقف فتنة بتشبيحهما اليوم لو كان فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولو يعالج بكذا وكذا لصار كذا اصناف السحر، فيعلمون منهما ما يخرج عنهما فيقولان لهم: انما نحن فتنة فلا تأخذوا عنا ما يضركم ولا ينفعكم، قال: أ فيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب او الحمار او غير ذلك؟ قال: هو أعجز من ذلك وأضعف من ان يغير خلق اللّه، ان من أبطل ما ركبه اللّه وصوره فهو شريك اللّه في خلقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

[2].فالسيمياء هو العلم الباحث عن تمزيج القوى الارادية بقوى مادية خاصة للحصول على غرائب التصرفات في الأمور الطبيعية، كالتصرف في الخيال المسمى بسحر العيون وهو من ابرز مصاديق السحر، والليمياء هو الباحث عن كيفية التأثيرات الإرادية باتصالها

في أسبابها وتأثيراتها وأبعادها في النفوس وواقع الحياة.
«وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ» السحر من الشياطين الضارّين به، أو الناس المشترين إياه منهم، أم هما معا «ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ» ونصيب «وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» إذ شروها بيعا بثمن السحر الضار، فأبقوا نفوسهم بتعلم السحر والإضرار به، واستحقوا العقاب، ويكأنهم رضوا بالسحر ثمنا لنفوسهم، إذ عرّضوها بعمله للهلاك، وأبقوها لدائم العقاب، وكانت كالأعلاق الخارجة عن أبدانهم بأنقص الأثمان وأدون الأعواض.
أولئك الذين بدلوا نعمة اللّه كفروا وأحلوا قومهم دار البوار. جهنم يصلوها وبئس القرار! هذا ما يتسابق الى الفهم من مغزى الآية بصورة تجريدية صالحة لفظية ومعنوية، والقرآن حمال ذو وجوه فاحملوه إلى أحسن الوجوه.
ف «الشيطان» هنا تعم شياطين الجن والإنس، ومن الآخرين هؤاء العلماء السوء الذين دسّوا في كتابات الوحي ما يمس من كرامة الساحة الرسالية لسليمان وأضرابه من المرسلين.
فقد كفر شياطين الجن إذ ألقوا إليهم ما ألقوا، وكفر هؤاء التلاميذ إذ دسوا في كتب الوحي ما دسوا.
وما قصة نازل السحر على الملكين إلّا بلية صالحة لغربلة الناس، ليظهر ناسهم عن نسناسهم، فيعرفون أنفسهم ويعرفهم الناس، كيف هم يبدلون نعمة اللّه كفرا، ويستغلونها في الضر والشر؟. كما و«إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ...» (٢: ٢٤٩) وإلى سائر الابتلاءات والفتن الربانية.
و لقد كثرت رواة هذه القصة وقلت رعاتها، اهتماما بأيّة رواية، وتغافلا عن أيّة رعاية، ولايصدّق منها إلّا ما صدقه كتاب اللّه، ام- ولأقل تقدير- لم يكذبه ولم يأت برهان لتكذيبه، فقد يحتمل إذا صدقه.

بالأرواح القوية العالية كالارواح الموكلة بالكواكب والحوادث وغيرها بتسخيرها او باتصالها واستمدادها من الجن بتسخيرهم ويسمى بفن التسخيرات.

و الهيمياء هو الباحث عن تركيب قوى العالم العلوي مع العناصر السفلية للحصول على عجائب التأثير وهو الطلسمات، فان للكواكب العلوية والأوضاع السماوية ارتباطات مع الحوادث المادية كما ان العناصرالمركبات وكيفياتها الطبيعية كذلك، فلو ركبت الأشكال السماوية المناسبة لحادثة من الحوادث كموت فلان وحياة فلان وبقاء فلان مثلا مع الصور المادية المناسبة انتج ذلك الحصول على المراد وهذا معنى الطلسم.

و الريمياء هو الباحث عن استخدام القوى المادية للحصول على آثارها بحيث يظهر للحس أنها آثار خارقة بنحو من الأنحاء وهو الشعبذة، وهذه الاربعة مع الكيمياء- الباحث عن كيفية تبديل صور العناصر بعضها الى بعض كانت تسمّى عندهم بالعلوم الخمسة الخفية ...

تفسير الميزان نقلا عن الشيخ بهاء الدين العاملي ثم يستمر قائلا: ومن العلوم الملحقة بما مر علم الاعداد والأوفاق وهو الباحث عن ارتباطات الأعداد والحروف للمطالب ووضع العدد او الحروف المناسبة للمطلوب في جداول مثلثة او مربعة او غير ذلك على ترتيب مخصوص، ومنها الخافية وهو تكسير حروف المطلوب او ما يناسب المطلوب من الأسماء واستخراج أسماء الملائكة او الشياطين الموكلة بالمطلوب و الدعوة بالعزائم المؤفة منها للنيل على المطلوب، ومنها التنويم المغناطيسي وإحضار الأرواح وهما كما مر من تأثير الارادة والتعرف في الخيال واشتهار أمرها يغني عن الإشارة إليها هاهنا والغرض مما ذكرنا على طوله إيضاح انطباق ما ينطبق منها على السحر او الكهانة.

هذه القصة وأضرابها مما تمتّ بصلة إلى إسرائيل هي مسرح الأكاذيب والمختلقات الزور الغرور، التي يدسها بين أحاديثنا الغرور، ولا أصل لنا أصيلا نصدر منه ونرجع إليه إلّا القرآن العظيم.

و كثير من هذه الأحاديث- كغيرها- الواردة في مطاعن الأنبياء وعثراتهم، هي مما دسته اليهود في أحاديثنا، كما وأعانهم عليها قوم آخرون من المسيحيين ومنافقي المسلمين، وجهالهم البسطاء!.

و القرآن يفصح عما دسوا وأخفوا، ويفضح ما صفوا فيه ودفوا، فانه مهيمن على ما بين يديه.

إنهم كفروا بذريعة الايمان والأمان، وطغوا فيها بديلا عن التقى:

وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ١٠٣.

«لو» الأولى تحيل إيمانهم وتقواهم، كما الثانية تحيل علمهم بمثوبة اللّٰه، وهما استحالتان بالاختيار: «فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ».

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لاالْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّٰهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاّ مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١١١) بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللّٰهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعى فِي خَرابِها أُولئِكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلاّ خائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ واسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا وَ قُولُوا انْظُرْنا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ ١٠٤.

«مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَ راعِنا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْناً فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اسْمَعْ وَ انْظُرْنا لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلّا قَلِيلًا» (۴: ۴۶).

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» صيغة سائفة في القرآن لقبيل الايمان، يختص بها المؤنون بهذه الرسالة الأخيرة، وهذه هي المرة الاولى في القرآن حسب التأليف- دون التنزيل- ونجدها في القرآن زهاء خمسة وثمانين مرة.

ثم الأمم الأخرى حسب التعبير القرآني هم بين: قوم- اصحاب- بني ... ناس- وأضرابها، مما يبرز شرف هذه الأمة الاخيرة على ما قبلها، ولأن ايمانها أشرف ايمان بين مؤني الأمم بأسرها.

«راعنا» في لغة المسلمين لاتعني إلّا: أنظرنا رعاية لحالنا، وهي- ليّا باللسان- في لغة إسرائيل: سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع أمّا شابه نقيضا لإسلاميتها، واليهود المتعودون على تحريف الكلم من بعد مواضعه كانوا يستعملون هذه الصيغة السائغة لقبيل الايمان، كصيغة لقبيل الكفر، متظاهرين أنها كالأول، مستهزئين بالرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله والمؤنين، فنهى اللّه المسلمين أن يقولوها ابتعادا عن ذريعة إسرائيلية الى بغية لئيمة، وكذلك عما تعطيه «راعنا» من هيّن المعنى وهو إدارته الحفظ مع تولي الأمر، وليس هي على الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله وإنما عليه البلاغ ثم النظر الى المبلّغ إليهم كيف يعلمون؟.

إذا ففي «راعنا» ذريعة إسرائيلية لعينة، ومزرءة اسلامية مهينة، ولكن «أنظرنا» نظرا رساليا كشهيد على المرسل إليهم، ذلك تعبير نظيف حفيف.

«قُولُوا انْظُرْنا وَ اسْمَعُوا» سمعا لمقالات الرسالة، وتطلّبا من الرسول أن ينظر إليهم نظر الرقابة هل عملوا بما سمعوا، ام هل وعوا ما سمعوا، ليطابق الوعي البلاغ، ويوافق العمل ما بلّغ، تكميلا لنقص الوعي، وتقويما في التطبيق.

فهذا هو المطلوب من الرسول بعد البلاغ، دون الرعاية لأحوالهم وكأنه هو الشارع، فليخفف عنهم في شرعته، ففي تركهم قول «راعنا» سدّ على ثغرة إسرائيلية، وآخر على مجهلة إسلامية.

ثم «راعنا» عربيا مفاعلة من الرعاية، طلبا لها، فقد يعني ليّها بألسنتهم ليّ التعبير ك «راعنا» يعنون بها أن الرسول ما هو إلّا راعي الإبل فينا دون رسالة او ميّزة أخرى؟.

ام «راعنا» من الرعونة بحذف أداة النداء «يا راعنا» مدللا فيما تدعيه من الرسالة؟.

ام ليّ المعنى إيهاما بها للمساوات ك: ارعنا سمعك لنرعيك أسماعنا؟.

أم ليّا فيهما، ففي التعبير ليّ يحرّف «راعنا» عن عربيته مثل «رعنا»: حمقا، ثم المعنى كخليفة له: «سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ» كما في آيتها الأخرى تفسيرا لها؟ ولا نجده في ليّ عربي إذ لم يكن يعني إلّا الرعونة وراعي الإبل واين هما من مثلث المعني هنا؟.

و علّهم كانوا يجمعون بين اللّيين، جمعا للمعنيين اللئيمين، والقرآن يكتفي في آيته الثانية بالثاني.

و قد بدل اللّه هنا «عصينا» ب «أطعنا»- ثم «وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ» ب «اسمع» و«راعنا» ب «انظرنا» إصلاحا شاملا كاملا يسد الى ثغرة إسرائيلية: «طَعْناً فِي الدِّينِ» ثغرة إسلامية: جهلا في الدين، وقد يناسب «طَعْناً فِي الدِّينِ» تفسيرا ل «راعنا» في ليّها، بأنها من الرّعن، وهي في العبرانية: الحمق، أن كانوا يقولون «رعنا» اي: حمقا، وحمق الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله- وعوذا باللّه- طعن في الدين عن بكرته، فان الشرط الأوّل للرسالة هي العقلية البارعة للرسول، وقد يروى عن الامام الباقر عليه‌السلام «هذه الكلمة سبّ بالعبرانية إليه كانوا يذهبون»[1] «يقولون راعنا»[2] يريدون شتمه».

---

[1] .نور الثقلين ١: ١١٥ عن المجمع.

[2] .تفسير البرهان عن الامام العسكري عليه‌السلام قال موسى بن جعفر عليه‌السلام وكانت هذه اللفظة «راعنا» من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم يقولون «راعنا» اي: ارع أحوالنا واسمع منا كما نسمع منك، وكان في لغة اليهود معناه: اسمع لا سمعت- فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها قالوا: كنا نشتم محمدا إلى الآن سرا فتعالوا الآن نشتمه جهرا فكانوا يخاطبون رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ويقولون راعنا يريدون شتمه ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا اعداء اللّه

و الحق ان «رعنا» هو الأنسب ليا خفيا فيه لفظيا، ثم طعنا في الدين معنويا، مهما ليّوا إلى جانبه سائر اللي.

ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۱۰۵. التسوية بين قبيلي الكفر في «ما يودّ» تنديدة شديدة بكفار أهل الكتاب الذين لم يؤنوا بهذه الرسالة السامية، ف «ما يودّ» فيهم، لها صبغة عنصرية إسرائيلية و«ما يود» في المشركين، لها صبغة الجهالة القاحلة، المستبعدة في الأصل أن ينزل الوحي على بشر، «وَ اللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ» دون حبس لها وقصر على أهواء أولاء وهؤاء، «وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» دون ما يزعمونه من فضل محدّد محدود، أم فضل عميم لايختص بأحد، وجوابا عن نسخ آية رسالية أو إنساءها:

ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۱۰۶.

و هذه- في وجه- نظرية آية النحل «وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ»(۱۰۱).

و قد تعني آية البقرة من «آية» ما هي أعم من آية النحل، من آية تحمل حكما أو أحكاما، إلى آية الرسالة في أصلها، وآية: الرسول، فهي- إذا- مثلث الآية دون اختصاص ببعضها، والأنسب للمقام هما الأخيران، إلّا أن يعنى من آية الحكم كل كتاب الوحي: القرآن، الناسخ لما بين يديه في أحكام.

و على أية حال فلا تعني «أَوْ نُنْسِها»- فيما تعني- إنساء آية عن خاطر الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله مهما كانت منسوخة الحكم[1]، إذ سبقتها مكية كافلة لعدم نسيانه أيّة آية: «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى» إقراء رباني يضمن ألّا ينسى ما اقرء، و«إِلّا ما شاءَ اللّٰهُ»راجع إلى «سنقرئك»دون «تنسى»، كما فصلناه في محله.

هنا يخرّ سقف المختلقات الزور من آيات يدعى أنها كانت من القرآن ثم نسخت أو أنسيت عنه وعن خاطر الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله- يخر سقفهم من فوقهم وينهد صرحهم[2].

عليكم لعنه اللّه أراكم تريدون سب رسول اللّه توهمون انكم تجرون في مخاطبته مجرانا واللّه لا أسمعها من أحد منكم إلا ضربت عنقه، ولولا اني اكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستئذان له ... لضربت عنق من قد سمعته منكم ... فأنزل اللّه يا محمد مِنَ الَّذِينَ هادُوا ... وانزل لا تَقُولُوا راعِنا ... فانها لفظة يتوصل بها أعداؤم من اليهود الى سب رسول اللّه وشتمكم وَ قُولُوا انْظُرْنا اي: قولوا بهذه اللفظة لا بلفظة «راعنا».

[1]. ومن الاسرائيليات المختلقة الزور هنا ما في الدر المنثور ۱: ۱۰۴- اخرج جماعة عن ابن عباس قال: كان مما ينزل على النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم الوحي بالليل وينساه بالنهار فانزل اللّه: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها وفيه عن قتادة قال: كانت الآية تنسخ الآية وكان نبي اللّه يقرأ الآية والسورة وما شاء اللّه من السورة ثم ترفع فينسها اللّه نبيه فقال اللّه يقص على نبيه: ما ننسخ ...

[2].كما في الدر المنثور ۱: ۱۰۵- اخرج جماعة عن أبي موسى الاشعري قال: كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا و لا يملأ جوفه الا التراب، وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات أولها: سبح للّه ما في السماوات، فأنسيناها غير اني حفظت منها: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة وفي نقل آخر عن أبي موسى نفسه: قال: نزلت سورة شديدة نحو براءة في الشدة ثم رفعت وحفظت منها: ان اللّه سيؤد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، وفيه عن أبي واقد الليثي قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله

«آية» هنا هي آية الرسالة والآية الرسول، ام وآية تحمل حكما، ونسخ الآية الأولى وإنساءها هو نسخ الآيات المعجزات البصرية، حيث نسخت بآية القرآن بصيرة خالدة تمشي مع الزمن، والقرآن الآية خير من كلّ آيات الرسالات صورة ومادة ومدة، نسخت تلكم الآيات وأنستها، وكما نجد القرآن في عشرات من آياته يتحدى الناكرين بنفسه، ويجعله كافية عن سائر الآيات الرسالية: «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ ...»! كما وأن الآية الرسولية محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله نسخت الرسل السابقين أو أنستهم، لأنه جمع كلّ فضائل الرسل والرسالات وزيادات، لحدّ هم يعتبرون تقدمات لمجيء هذا الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله، كما يعتبر وحيهم الرسالي بجنب وحيه وصية.

ثم الآيات الأحكامية الناسخة في القرآن- وهي قلة قليلة- قد أتى اللّه بها خيرا من المنسوخة او مثلها في الأثر الصالح للامة الأخيرة، وقد يجري ذلك في آيات الإمامة إلّا في الإنساء فإنهم معروفون على مدار الزمن، وقد يصدق «بِخَيْرٍ مِنْها» في صاحب الأمر، ك «مثلها» في سائر الائمة خلفا لسلف[1].

ثم الآيات الرسالية قبل القرآن، هي كذلك، لاتأتي آية لاحقة منها إلّا ناسخة للسابقة او منسية، وهي خير منها او مثلها، والقصد من الآية الرسالية تثبيت الرسالة، كلّ حسب المقتضيات والمصالح التي قد لايعلمها إلّا اللّه، فليست الآية الرسالية- وكما الرسولية- لتحصر في واحدة، وتحسر عن سواها، بل هي محلّقة على كل ما هو الأصلح للرسل والمرسل إليهم، دلالة قاطعة على رسالاتهم.

و هنا مقابلة «ننسخ» ب «ننسها» تجعل النسخ إزالة الحكم مهما بقي في العلم، وتجعل الإنساء إزالة عن العلم كما أزيل حكمه، ومهما عمت «من آية»مثلث الآيات، فلا تعمها «أَوْ نُنْسِها» فقد تنسى- آية رسالية أم رسولية بين أمة لاحقة، ولكن لاتنسى آية حكمية عن خاطر رسول، حكما له او لمن قبله، ولا سيما محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى».

إن مشكلة النسخ كانت مشكلة كتابية إسرائيلية، إحالة له أحيانا، ونكرانا له أخرى، سواء أ كان نسخا لآية رسالية «وَ إِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ ...»(۶: ۱۲۴).

ام آية رسولية كالرسالة الإسماعيلية الناسخة للرسالات الإسرائيلية، فرغم البشارات المحمدية في كتبهم أنكروه لمّا جاءهم لأنه ليس إسرائيليا.

وسلم إذا اوحي اليه أتيناه فعلمنا ما اوحي اليه، قال: فجئته ذات يوم فقال: ان اللّه يقول: انا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا لأحب أن يكون له الثاني ولو كان له الثاني لأحب ان يكون إليهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب اللّه على من تاب.

و لقد نسب اليه فيما يروى عن بريدة انه قرء هذه الجملات في صلاته كأنها آيات؟! أقول: وحتى الطفولة في معرفة القرآن تضحك على هذه العبارات، فأين هي في ألفاظها ومعانيها من القرآن. ان هي الا إسرائيليات تعني للقرآن ما عني لكتاباتهم المحرفة!

[1]. نور الثقلين ۱: ۱۱۵ عن اصول الكافي علي بن محمد عن اسحق بن محمد عن شاهديه بن عبد اللّه الجلاب قال: كتب إلى ابو الحسن عليه‌السلام في كتاب: أردت ان تسأل عن خلف بعد أبي جعفرقلقت لذلك فلا تغتم فان اللّه عز وجل لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم، ما يتقون، وصاحبكم بعدي ابو محمد ابني وعنده ما تحتاجون اليه يقدم ما يشاء اللّه ويؤر ما يشاء ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها. قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان.

ام آية او آيات أحكامية، كما القرآن بالنسبة لما بين يديه، والإنجيل بالنسبة للتوراة في أحكام، ولا يعني النسخ الأحكامى- وكما النسخ الرسالي والرسولي- تجهيلا لساحة الرب أنه علم بعد جهل، إنما الناسخ بيان لأمد المنسوخ، كما الآيات المنسوخة القرآنية تلمح بنفسها أنها لأمد سوف يبيّن[1] فالحكم المنسوخ ان كان محددا بحد معلوم أم غير معلوم، كان الناسخ بيانا للمجهول في غير المعلوم حدّه، وتوضيحا للمعلوم والحكم الآتي بعده.

و إن لم يكن محدّدا بحدّ فهو مطلق فيه، كان الناسخ كتقييد لإطلاقه وقتيا، إذا فلا نسخ في الشرعة- في نفسها او لشرعة اخرى- بمعنى التعارض، بل هو- ككلّ- بيان لانتهاء حكم سابق وابتداء حكم لاحق.

و في «نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها» برهان قاطع لامرد له أن الآية الثانية- أيا كانت- لاتقل عن الأولى، بل وقد تزيد، آية رسولية ام رسالية أم أحكامية، فلا يصح القول بتقديم الأقدم من أولى العزم وتفضيله على لاحقة، فإمّا هما على سواء، ام اللاحق خير من سابقه كما يصدق تماما في خاتم النبيين صلى‌الله‌عليه‌وآله.

و «اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ» تعم مثلث الرسالة وحيثها وحيثيتها مادة ومدة، عدّة وعدّة.

«أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ومنه مثلث الآيات رسالية ورسولية وأحكامية:

أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ ١٠٧.

«أَ لَمْ تَعْلَمْ» فيهما لاتخص بخطاب الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله اللهم إلا من باب إياك أعنى واسمعي يا جاره، بل هو كلّ من يأهل لذلك الخطاب العتاب، المعترض على نسخ آية أو إنساءها، او المتلبّك فيه.

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ ١٠٨.

هذه تؤد أن «من آية» في آية النسخ تعني- كأصل- آيتي الرسالية والرسولية، إذ كانوا يستبعدون نسخها إلى شاكلة أخرى غير السابقة المتعوّد عليها في الرسالات، كما و«أم» اضراب عما سبق من تساءل جوابه آية النسخ، إذ تعنتوا متثاقلين متسائلين في هذه الآية الرسالية والرسولية.

و «كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ» هو مثل سؤل الرؤة: «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً ...»(۴: ۱۵۳): (و قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللّهَ جَهْرَةً ....» وكما برزت هذه الإرادة السيئة في أسوّة جاهلة قاحلة من المشركين: «وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً ... أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبِيلًا»(۱۷: ۹۲)[2].

و لان «أَمْ تُرِيدُونَ» تشمل أهل الكتاب والمشركين، فالسؤل- إذا- يعمهما كما الأول للأولين والآخر

---

[1] .فمثل قوله تعالى: وَ اللّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ ... فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا والسبيل هنا هي التي تحملها آية النور: الزّانِيَةُ وَ الزّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ.

[2] .الدر المنثور ١: ١٠٧ عن ابن عباس قال قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤ او فجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل اللّه في ذلك أَمْ تُرِيدُونَ ....

لآلخرين[1].
و لقد آل أمر التسائل التجاهل لحد سألوا الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله ان يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط، وهي شجرة كان المشركون يعبدونها ويعلقون عليها التمر، وكما سأل بنو إسرائيل موسى: «اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ»كما وتطلّبوا منه صلى‌الله‌عليه‌وآله ألّا يكسر اللّات- مهما كسر سائر الأصنام- حتى يؤنوا!.
و ترى الخطاب في «أَمْ تُرِيدُونَ» تشمل- فيما شملت- المسلمين؟ اللهم نعم، قضية الإطلاق، ولكنه- فقط- لحد إرادة السؤل دون واقعة، ثم اللّهم لا، في واقع السؤل، حيث الايمان لايلائم هكذا سؤل، اللهم إلّا من المنافقين، وكما في أضرابهم من الكتابيين.
«وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ» يقبل الكفر بدلا «بالايمان» في مسرح التبادل بين الكفر والايمان «فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ» تجارة خاسرة، حاسرة عن أية عائدة. هؤاء يتبدلون الكفر بالايمان لأنفسهم ويودون آملين نفس القصة للمؤنين:
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩.
«وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً» «أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ».
إعلان صارخ عن كيد لئيم يكيده كثير من اهل الكتاب جموع المؤنين «لَوْ يَرُدُّونَكُمْ» تمنيا باطلا قاحلا في ودّهم المضلّل «يردونكم كفارا»ولماذا؟
«حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» لاجهلا بحقكم، فإنما مجال الحسد منقبة لاينالها الحاسد ام لا يريد نيلها ولكنه يراها منقبة، وذلك «مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ»و«هم»يعمهم وأهل الحق، ويا للعجب أن هؤاء الحماقى في الطغاة يودون لو يردونهم كفارا، والحق مبين لهم وللمؤنين، فقد «جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ»ويودون أن يتحول المؤنون أمثالهم، شيطنة مدروسة مدسوسة بين قبيل المؤنين من هؤاء الشياطين، فما دائهم- إذا- وما دوائهم؟ فهل يحاربهم قبيل الايمان، ذودا عن أنفس مؤنة بسيطة سريعة التأثر بالدعايات المضادة؟ ام عفوا وصفحا في العجالة حتى يأتي اللّه بأمره-؟!-:
«فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»وكيف يعفى عن تلكم الدعاية المضللة الخطرة، أم كيف يصفح عن الساعين في الأرض فسادا؟ ونفس العفو والصفح دليل حاضر القوة الدافعة والمحاربة!.
إنه ليس العفو عنهم والصفح إلّا مصلحة وقتية «حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ»فهو طلق العفو المحدّد بإتيان أمره وليس العفو المطلق مهما بلغ أمر الكيد والإفساد منهم.
و لقد دافع اللّه عنهم سوء هذه الدعاية اللئيمة والشكيمة- فيما دافع[1]- بما أخبر رسوله والمؤنين

[1].تفسير البرهان ١: ١٤١ قال الامام العسكري عليه‌السلام قال علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليه‌السلام «أَمْ تُرِيدُونَ» بل تريدون يا كفار قريش واليهود «ان تسألوا رسولكم» ما تقترحونه من الآيات التي لا تعلمون فيه صلاحكم او فسادكم «كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ»واقترح عليه لما قيل له «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّى نَرَى اللّهَ جَهْرَةً ...».

بكيدهم هذا، فلا تجب قتالهم كدفاع عن إفساد العقيدة، فانما أمر بالعفو والصفح لمصلحة ربانية، علّ منها أن يعلم اهل الكتاب بفضحهم في كيدهم، والمسلمون على قوتهم وعلمهم بذلك الكيد اللعين أمروا بالعفو والصفح، علّهم يحيدون عما يكيدون آئبين الى ربهم، ثم بعد ردح يومر بقتالهم حيث الإياس عن نبهتهم: و«حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ» منه امر السياسة الصالحة وجاههم حين لم يرتدعوا ولم يرعووا، ومن أمره الآتي:

«قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ»(٩: ٢٩).

و هنا الأمر بعد حدّه الزمني محدّد بسلوب أربعة، انتهاء إلى استسلامهم «حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ» دفعا للجزية بعد انتهاء شرهم.

كما ومن أمره أمر هدايته لمن اهتدى بعد ضلال، وارتدع بعد دلال، ف «أمره»يعم التكوين والتشريع، اللذين لم يكونا حاضرين حالا فيحضران استقبالا.

و يا لمقابلة أسوء السوء بالحسن لعلّهم يرتدعون ام يهتدون، وليعلموا ان اللّه يردع المؤنين عن قتالهم وهم أقوياء أمام هؤاء الضعفاء الأغوياء، الذين جمعوا كل شر وضرّ في ذوات أنفسهم:

«وَدَّ ... لَوْ يَرُدُّونَكُمْ ... حَسَداً ... مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ...»!

و الحسد هو ذلك الانفعال الأسوء الأسود الرديء الذي فاضت به نفوس اليهود تجاه الأمة المسلمة وما زالت تفيض، منبعثة منه كل دسائسهم وتدابيرهم اللئيمة في كل دوائر السوء ضد الأمة المرحومة، وقد كشف القرآن لنا منها لنعرفه فنحذرهم، و

قد يروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله قوله: «إن لنعم اللّه أعداء، قيل وما أولئك؟ قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم اللّه من فضله».[٢]

و هنا- في الوقت الذي تتجلى للمؤنين هذه الشكيمة اليهودية- يدعو القرآن أتباعه إلى الارتفاع عن المقابلة بالمثل، توجها الى الصفح والعفو «حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ» آمرا لهم بالمضي في طريقتهم المختارة:

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠.

فلا يزعزعهم ذلك الخطر الحادق عن ركني الايمان عمليا: إقام الصلاة وإيتاء الزكوة، وبصورة عامة تقديم كل خير عقائدي وعملي لهذه الأنفس الطيبة المطمئنة باللّه، الناظرة لأمر اللّه: «وَ ما تُقَدِّمُوا

---

[١] .التفسير الكبير للفخر الرازي ٣: ٢٣٦ روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا الحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تروا ما أصابكم، ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا، فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال: فإني عاهدت أني لا اكفر بمحمد ما عشت، فقالت اليهود: أما هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: و اما انا فقد رضيت باللّه ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤنين إخوانا، ثم أتيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم وأخبراه فقال أصبحتما خيرا وأفلحتما، فنزلت هذه الآية.

[٢] .تفسير الفخر الرازي ٣: ٢٣٧.

لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ» إذ يبقى ولا يفنى، لاأصوات الأقوال ولا صور الأعمال ولا سير النيات والأحوال «إِنَّ اللّٰهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» لايخفى عليه خافية.

فلا تعني «تجدوه»- فقط- وجدان الثواب، بل وحضور نفس الأعمال الخيرة «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ...».

ثم إن في إقام الصلاة بشروطها صلة وثيقة بينهم وبين ربهم، كما في إيتاء الزكوة ماديا وروحيا وثيق الصلة بينهم أنفسهم، فلا يبقى فيهم منفذ من تشكيكات العدو وعرقلاته كما ان «من خير» تحلّق على الصلتين في كافة الخيرات المأمور بها في شرعة الحق، وفي تطبيقها ضمان اللّانفوذية من الكتلة المضللة.

و من قيلات اهل الكتابين، الغيلات الويلات، التي طمأنتهم كما يزعمون فلا يحيدون عن أية خاطئة: وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ١١١.

و إذا انحصرت الجنة فيهما- كما يدعيها كل لنفسه- فانحسرت عمن سواهم طول تأريخ الرسالات، فأين- إذا- مؤنوا الشرائع السابقة على شرعة التوراة والإنجيل؟ أفهم في النار على إيمانهم! أم لافي جنة ولا نار!.

فيا للحقد من طيش قاحل وحكم جاهل أن «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ كانَ هُوداً» كما يدعيه اليهود و«لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى» كما تدعيه النصارى، فلكي يطردوا المسلمين- ككل- عن الجنة لأنهم على شرعة جديدة يطردون معهم كافة المؤنين في كل أدوار الرسالات قبل موسى والمسيح عليهاالسلام. «تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ» كلّ أمانيهم، على ما هم عليه من تخلفات عقائدية وعملية، فمجرد الجنسية اليهودية او النصرانية تكفي لدخول الجنة فوضى جزاف! ولكن الإيمان والعمل الصالح في غيرهمايكفيان لدخولها! «قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ» فطريا ام عقليا ام كتابيا، ام في ايّ من الأعراف البشرية السلمية «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» في أمانيكم.

و ترى كيف تكون «تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ» جمعا فضلا عن كل أمانيهم؟ ولم تأت هنا إلّا واحدة «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ»! لقد ذكرت هنا أماني عدة هذه أخيرتها، ثم وهي تجمع كل أمانيهم الساقطة فانها كخلفيّة شاملة لها كلها.

أ ترى القرآن هنا يعارض دعواهم بالمثل، معاكسا تلك القولة الخاوية أن «لن يدخل الجنة إلا من كان مسلما» كجنسية اسلامية تكفيها النسبة كيفما كانت؟ كلّا! وإنما:

بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢.

«بلى» هنا تزييف ل «لَنْ يَدْخُلَ»- «بلى» يدخلها غير الهود والنصارى، وكضابطة عامة رافضة لحواجز الجنسيات والطائفيات «بَلى مَنْ أَسْلَمَ ...».

فانما هو إسلام الوجه للّٰه بكل الوجوه ظاهرة وباطنة، عقائدية وعملية، فردية وجماعية، «أسلم ... وهو محسن» إسلام الإحسان وإحسان الإسلام وهما الإسلام عقائديا وعمليا، «فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» على قدر إسلام وجهه وإحسانه ما هو مسلم محسن «وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ».

فقد يسلم مسلم وجهه للّٰه في وجهيه وهو غير محسن، كالعقيدة غير الصالحة والعمل غير الصالح، ام يحسن في وجه واحد، عقيدة او عملا ولا يحسن في الآخر، فهو ايضا غير محسن، إذا «وَ هُوَ مُحْسِنٌ»

يعم احسان وجهي الباطن والظاهر للّه دون اختصاص بوجه، ام ترك الإحسان في إسلام الوجه.
فلا بد- إذا- من إحسان وجه العلم والعقيدة والنية وسائر الطوية، إلى احسان وجه الأعمال، المنبثقة من الوجه الأول.
«بلى» هذا هو كفيل الجنة، دون أية جنسية او طائفية او عنصرية أو إقليمية في ذلك الإسلام، فانما الإسلام المحسن لاسواه، سواء أ كان إسلاما في شرعة نوح وإبراهيم، أم موسى وعيسى، ام محمد صلوات اللّه عليهم أجمعين، بل وإسلام التوحيد المزيج، أم وغير الكتابي ما دام صاحبه مسلما وكما يقول اللّه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ النَّصارى وَ الصّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» (٢: ٦٢) وهم كلهم موحدون، بين مسلم وهود ونصارى- وهم كتابيون- أم عوان وهم الصابئون، ام وموحد غير كتابي كالمجوس: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصّابِئِينَ وَ النَّصارى وَ الْ‍َمجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ ...»(٢٢: ١٧) فما لم يدخل فيهم «الَّذِينَ أَشْرَكُوا»كان «لهم أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ»ثم إذ دخلوا فيهم «إِنَّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ»!. اجل «لَيْسُوا سَواءً مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتْلُونَ آياتِ اللّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ أُولئِكَ مِنَ الصّالِحِينَ. وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ»(٣: ١١٥) (بلى» انما هي حكمة واحدة ثم «لا وكلا»! «بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ»لاللأمنيات والهوسات الجهنمية، إنما «للّه»ثم «وَ هُوَ مُحْسِنٌ» في إسلام وجهه، يسلمه للّه كما أمر اللّه، مهما كان قاصرا دون تعمد ولا بطّال أو متبتل في شرعة اللّه «فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» حيث إن إسلام الوجه للّه محسنا هو العروة الوثقى، مصدرا لكل خيرات الإيمان مهما اختلفت مراتبها بمراتبه حسب مختلف الحالات والاستعدادات: «وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً...»(٤: ١٢٥).
فالمسلم الذي يسلم وجهه للّه محسنا، له اجره عند ربه، والكتابي الذي يسلم وجهه للّه محسنا له أجره عند ربه، ف «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَ لا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً» (٤: ١٢٣).
اجل وانها ضابطة ضابطة كلّ التخلفات والطاعات دونما فوضى جزاف، ضابطة في طرفي السلب والإيجاب: «بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ».
هذا الحبيس بخطيئته المحيطة به، فهو أعزل عن كل وجهة وواجهة ربانية، إلّا وجهات الهوى الهاوية، ثم «بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ» فأخلص ذاته وكل تعلقاته في وجهاته وواجهاته للّه «وَ هُوَ مُحْسِنٌ» في إسلامه «فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»ثم بينهما عوان متوسطات ولا يظلمون نقيرا.
هذا- ثم نرى بين اليهود والنصارى أنفسهم تناحرا في الكيان وتهافتا في سند الأمان:
وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١١٣. تلك هي قالة كلّ من أهل الكتابين مناحرا لواقع الحق في البين «لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ» من

الحق ولا حق من الجنة، كما «لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ» من الحق ولا حق من الجنة[1] (وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ»توراة وانجيلا، القائلان قول الحق، وأنه الايمان والعمل الصالح، دون طائفية قاحلة وعنصرية جاهلة «كذلك»البعيد عن ميزان الحق «قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» وهم الأميون الذين لايعلمون الكتاب إلّا أماني وإن هم إلّا يظنون، والمشركون الناكرون لكتاب الوحي قالوا «مِثْلَ قَوْلِهِمْ» رغم الفرق الفارق بين حكم الكتاب واللّاكتاب، فهم نزّلوا أنفسهم منزلة الذين لايعلمون، تجاهلا بحق الكتاب لأهل الكتاب، أن ليسوا سواء مع من لايدين بكتاب «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»أيا كان مما حكم به الكتاب وحيا أم حرفوه عن جهات أشراعه.

فحين يتقاذف اهل الكتاب فيما بينهم- وهم يتلون الكتاب- كيف يرجى من الذينيعلمون ألّا يقذفوهم أنهم- ككل- ليسوا على شيء؟ وقد قذفوا كل أهل الكتاب- بمن فيهم المسلمون- انهم ليسوا على شيء!.

فليوحد اهل الكتاب كلمتهم على حق لهم أم حقايق، كيلا يرفضهم المشركون بما يتقاذفون فهم سواء: «قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ» (٣: ۶۴)- (يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هادُوا وَ الصّابِئُونَ وَ النَّصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»(۵: ۶۹).

و لندرس هنا نحن المسلمين- وبأحرى من غيرنا- ألّا ننجرف في منجرفات الخلافات العارمة بين الفرق الإسلامية، فكلّ يرمي أصحابه في الشرعة الواحدة أنهم ليسوا على شيء، ولقد سمعت مغفلا من إخواننا في المدينة المنورة، يسمى عميد الجامعة الإسلامية فيها يقول: ان الشيعة الرفضة شر من اليهود، كما سمعت مغفلا آخر منّا في مكان آخر يقول: إن الفلسطينيين شر من اليهود! «وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ أَ فَلا يَعْقِلُونَ»؟!

وَ لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصارى حَتّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ ۱۲۰.

قد تلمح «لَنْ تَرْضى» أن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله كان يدأب محاولا ترضية اليهود والنصارى حتى يؤنوا، فآيسه الله أولا بإحالة رضاهم إلّا أن يتحول إلى ملتهم، وثانيا «لَئِنِ اتَّبَعْتَ ...» بتهديد شديد، فليس الحق ليقبل أنصاف حلول ولا جعل البلد بلدين، او الشطر شطرين، ف «قل» لهؤاء الحماقى الأنكاد، المحاولين لتحويلك إلى ملتهم «إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى» وليست هي الهوى، فامض في صراط الحق، وامش في دعوتك صارحة ناصحة ناصعة، ولا تتحول عن هدى الله قيد شعرة، وان وعدوك- إذا-

---

[1].تفسير الفخر الرازي ٤: ٧ روي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين‌كفروا بعيسى عليه‌السلام والإنجيل، وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة.

اتباعك في ملة الحق، فليس الباطل- أيّا كان- ليتذرّع به إلى الحق، فإما حقا وإما باطلا ولا عوان في ملة الحق!.

و كيف تتبع أهواءهم ليتبعوك وهم عارفوك بما عرّفهم إياك في كتب السماء:

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ ١٢١.

هناك باطل تلاوة الكتاب، كالتي للأميين الذين لايعلمون الكتاب إلّا أماني وإن هم إلّا يظنون، والتي للمحرفين الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم، فهم لايؤنون بالقرآن ونبيه وهم يعلمون.

ثم الذين «يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ» كما أنزله اللّه وقصده، ايمانا به خالصا دونما شائبة «أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» لاسواهم منهم «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ»شركية وكتابية فإن تلاوة كتاب الوحي تحمل على الإيمان بالقرآن من زاويتين اثنتين، زاوية الأنس بالوحي فوحي القرآن آنس، وأخرى هي البشارات القرآنية المحمدية في كتابات الوحي، وفي كلّ منهما كفاية للإيمان بهذه الرسالة السامية.

و لأن التلاوة- لاسيما المجردة عن حروف جارّة كما هنا- هي المتابعة، فهي هنا «يتبعونه حق اتباعه»[1] وما حقّ اتباعه إلّا بعد حق معرفته وتدبره إيمانا به ف «إنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه»[2] والقصر هنا في «أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ»نسبي في الحقل الكتابي، إذ يؤن به من غير اهل الكتاب من يتحرون عن الحق.

ثم «آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» كما تعني أهل الكتابين حيث يؤنون بالقرآن على ضوء تلاوة كتبهم حق التلاوة، كذلك تعني أهل القرآن حيث يزيدهم حقّ تلاوته إيمانا به.

كما «وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ» تعم كفار اهل الكتاب والمشركين، وكذلك كفار المسلمين وهم الذين لايتلونه حق تلاوته «فأولئك» ككل «هُمُ الْخاسِرُونَ»إذ خسروا الحق وهم على نبعته.

يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ ١٢٢ وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ ١٢٣.

ذلك هو الهتاف الأخير ببني إسرائيل بعد طويل المجابهة في الحجاج على طول اللجاج، وهم على أبواب الإهمال والإغفال والتدجيل والإدغال، متورطين في التجرد النهائي عن شرف الأمانة العظمى بالنسبة للرسالة الأخيرة الكبرى.

يذكّرهم هنا مرة أخرى ب «نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ»بشرف الرسالات

---

[1] .الدر المنثور ١: ١١١- اخرج الخطيب في كتاب الرواة عن مالك عن ابن عمر عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في الآية قال: يتبعونه حق اتباعه.

[2] .تفسير بيان السعادة ١: ١٤١ نسب الى الباقر عليه‌السلام انه قال: يتلون آياته ويتفقهون فيه ويعملون بأحكامه ويرجون وعده ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه ويأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه، ما هو واللّه حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره، ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده، انما هو ... قال اللّه تعالى: كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته، فالذين آتاهم الكتاب وشرفهم بذلك يحزنهم ترك الرعاية، والقصور والتقصير في مراعاته، والذين آتاهم الشيطان الكتاب أو أخذوه من الآباء بحسب ما اعتادوه او تلفقوه من الرجال بحسب ما تدارسوه فإنهم يعجبهم حفظ الرواية ولا يبالون بترك الرعاية.

و في ارشاد الديلمي عن الصادق عليه‌السلام مثله باختلاف يسير ، مثل «يرتلون» بدلا عن «يتلون»وليس فيه ذيله من قال اللّه.

والكتابات الإسرائيلية.
ثم ويحذّرهم «يَوْماً لا تَجْزِي» وتكفي «نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً» على الإطلاق في نفس او شيء سواها.
«وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ» بديل «وَ لا شَفاعَةٌ» ككفيل «وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ»بعد هذا المثلث السليب بايّ من الأساليب، فلا كافي ولا عدل ولا شفاعة ولا نصرة، إلا كفاية الإيمان، وعدل عمل الإيمان، وشفاعة الصالحات إيمانا وعملا، ونصرة اللّه- إذا- فيما يتبقّى من لمم وعصيانات.

حول قارون

إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدّارَ الْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقّاها إِلاَّ الصّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلاّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٨٥) وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ (٨٦) وَ لا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

الآيات السبع الأولى عرض عريض عن سيرة أثرى الأثرياء في تاريخ الإنسان ومسيرته ومصيرته، وهي تصوّر الدركات السبع الجهنمية له ولأضرابه من الطغاة البغات.
و لاتهمنا في ذلك العرض معرفة من هو قارون؟ إلّا أنه «كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى»ولا يستفاد منه إلّا أنه كان من بني إسرائيل دون القبط الفرعونيين، تأشيرا عشيرا إلى أن القومية لاتفيد الإنسان ما لم يتخلق بأخلاق القائد الروحي للقوم، فقد يتخلف عنها- على ايمانه المدعى- لحد يصبح انحس واتعس من قوم فرعون، وقد كان قارون هكذا، إذ جاء ذكره الفصل كأصل بين الطغاة بعد فرعون وقومه والألدّاء الأشداء من المشركين على مدار الزمن حتى مشركي قريش، وقد نصحه قومه بإيحاء من الشريعة التوراتية بخمس هي سلبيات ثلاث وايجابيتان:
إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ٧٦.

إن قلة الايمان وضآلته، بكثرة الكنوز وقد فرح بها ومرح، هي السبب لبغيه ما بغى، في حين أن فرعون وقومه يبغون عليهم، وما أنحسه بغيا عليهم وهو من قوم موسى؟

و قد ودعت «فَبَغى عَلَيْهِمْ» كمجهل يعلم أنه يحلّق على كل دركات البغي، عرضا ونفسا ومالا وعقلا وعقيدة الايمان، وهي النواميس الخمسة التي يجب الحفاظ عليها، ولكنه بغى عليهم ككل وفي كل هذه، ولو كان بغيا دون الجميع لأتى بما يدل عليه، فالإطلاق يلمح إلى طليق البغي، وهكذا يصنع المال بوفره في قلب مقلوب عن الهدى، مليء من الردى، فيبغي صاحبه بماله وماله على كل المستضعفين كما يهواه ويستطيع، و«إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى» (٩٦: ٧).

و الكنوز هي الجواهر الثمينة ذهبا وفضة أماهيه، المخبوءة تحت الأرض، الفاضية عن الاستعمال وتداول الأيدى، «و آتيناه» دليل انه ظفر بها بإشارة إلهية دون علم من عنده، ويكفي بيانا لعظم هذه الكنوز وكثرتها «ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة»وهنا بطبيعة الحال تحل المروي عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله محلها من الواقع أن «كانت أرض دار قارون من فضة وأساسها من ذهب»[1].

و ما هي «مفاتحه»؟ أ هي «مفاتيحه» جمع مفتاح: ما يفتح به القفل؟ ولا مفاتيح للكنوز ككنور إلّا إذا استخرجت الى غير مخابئها الكانزة، وإذا لاتسمى كنوزا! وحتى إذا سميت بها، ام بقيت في مخابئها وأقفلت، فلا تصل مفاتيحها لحدّ «لتنوء بالعصبة أولى القوى»! وأقل العصبة- علّها- عشرة ام تزيد كما في اخوة يوسف «وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ» وإذا كانت العصبة اولي قوة، فكل واحد منها يحمل لاقل تقدير مائة كيلو غراما، فحمل الكلّ لأقل تقدير الف كيلو غرام! وذلك- علّه- أثقل من كل مفاتيح الكنوز في الأرض كلها! فيا ويلاه إن كانت العصبة أو ألو القوة عشرة آلاف كما في رواية[2].

ثم التبعثر في الكنوز خلاف الحيطة للحفاظ عليها فلتجمع في مكانات عدة شاسعة واسعة، تكفيها لأكثر تقدير كيلو غرام من المفاتيح! ثم «مفاتح»هي جمع مفتح دون المفتاح! أم إنها الكنوز نفسها؟ وليست هي مفاتح، ولا أنها مفاتيح لنفسها! ولا أن حمل العصبة العشرة أولي القوة، ثروة منقطعة النظير!.

إنها «مفاتحه» جمع مفتح، وهو مكان فتح الكنز وهو بابه، والضمير المفرد الغائب راجع إلى «ما» فقد كانت أبوابها كبيرة وثقيلة لحد «لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ» والنوء هو النهوض بالحمل على ثقل للحامل، والعصبة من يتعصّب بعضهم لبعض متضامنين في قواتهم كرجل واحد، ولو كانت هي المفاتيح لكانت المفاتيح دون المفاتح، ولكانت تناء بالعصبة لا«تنوء»فهي- إذا- أبوابها العريضة الثقيلة التي تنهض بالعصبة أولي القوة، كما وأن باب خيبر كانت لتنوء بالعصبة ونهض الإمام علي عليه‌السلام بفتحها شخصيا دون حاجة إلى سواه! ... ولقد كان مرحا فرحا بما أوتي من الكنوز جامحا شرها في بغيته بما أوتيه، فوجد من قومه من يحاول رده من بغيه باستئصال سببه وهو فرحه بكنوزه: «إِذْ

---

[1] .الدر المنثور ٥: ١٣٦- اخرج ابن مردويه عن سلمان رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: ...

[2] .نور الثقلين ٤: ١٣٨ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام حديث طويل يقول فيه عليه‌السلام: وما يكون أولوا قوة إلا عشرة آلاف.

قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ» بما لك فيلهيك عما يعينك «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» بأموالهم وعلى أية حال، إلا فرحا بالفوز عند اللّه، ولحدّ يشجع صاحبه إلى ما يرضاه اللّه، «وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ ..» (٣٠: ۴) ومن سواهم يفرحون بالحياة الدنيا بغير الحق: «وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتاعٌ» (١٣: ۴۶)- (ذلِكُمْ بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» (۴٠: ٧۵)- (حَتّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً»(۶: ۴۴).

ف «لا يحب» يختص بهؤاء الفرحين دون أولئك المؤنين، ولأن اللّه يحب فريقا ويبغض آخرين، ف «لا يحب» عبارة اخرى عن «يبغض»، وكما «لا يبغض»هي الأخرى عن «يحب»، وذلك لأن اللّه عالم الغيب والشهادة وبيده ناصية كل شيء، لاانعزالية له عن أيّ من المخلوقين، فلا ثالث عنده ألّا يحب ولا يبغض، فإنه إما لجهل بمادة الحب والبغض، أم جهل بمن حملهما! ففرح الزّهو الذي هو من مخلّفات الاعتزار بالمال، والاحتفال بالثراء وحسن الحال، إنه بطر يلهي عما يعنى، وينسي النعمة والمنعم وما يتوجب على المنعم.

كما أن فرح الشكر بما أنعم اللّه، مستخدما في سبيل مرضات اللّه، تفريحا للمؤنين باللّه وتفريجا عن عباد اللّه، إن ذلك فرح الإيمان كما نراه من أهل اللّه، هنا وفي يوم لقاء اللّه: «فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» (٣: ١٧٠) ف «لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كل حال فان كثرة المال تنسي الذنوب وترك ذكري ينسي القلوب»[1]، وذلك نهي صارم عن فرح عارم، ومن ثم أمر ثم نهي ثم أمر ثم نهي، فإنهما القائمان بالإصلاح في المفسدين.

وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدّارَ الْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَ أَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ٧٧.

الابتغاء هو التطلّب، فهم يأمرونه أن يتطلب فيما آتاه اللّه من الكنوز وسواها من النعم آفاقية وانفسية «الدّارَ الْآخِرَةَ»لافحسب هذه الأدنى، إخلادا إليها، ومشية المكبّ عليها، «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ» الحياة «الدنيا»فلا نصيب لك أخيرا فيها إلا الكفن، إذ لاتسحب معك غيره فتصحبه في الأخرى، ولا في الأخرى إلّا متاعها أن تشري ذلك الأركس الأدنى بالحياة العليا، ولا لك قبلهما إلا قدر الحل من الحاجة المعيشية والزائد عليها وبال هنا وفي الأخرى، فلتغتنم الفرصة السليمة لك فيها قبل فوات الأوان، فما لك نصيب من الدنيا فيها وفي الأخرى إلّا هذه الأربع، من ينساها أخلد إلى الأرض واتبع هواه وكان امره فرطا، و«نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا»لا«فيها» مما يدل على ان النصيب منها يعني صالح الدارين، فالحياة الدنيا لكلّ على قصرها هي بكل جنباتها نصيب المتاع للأخرى، فليتزوّد منها لها، من نسي النصيب

---

[1]. نور الثقلين ٤: ١٣٨ في كتاب الخصال عن أبي عبد اللّه عن أبيه عليهماالسلام قال: أوحى اللّه تبارك وتعالى إلى موسى عليه‌السلام: لا تفرح .. وفيه عن امير المؤنين عليه‌السلام حديث طويل وفيه: والفرح مكروه عند اللّه عز وجل، وفيه عن كتاب التوحيد باسناده إلى أبان الأحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهماالسلام انه جاء اليه رجل فقال له: بأبي. وامي عظني موعظة فقال عليه‌السلام: إن كانت العقوبة من اللّه عز وجل حقا فالفرح لماذا؟

وفي الدر المنثور ٥: ١٣٧ عن أبي الدرداء قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فانه معالج جسد خاو وموعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل اللّه يوم القيامة.

المتاع أقبل إليها مبصرا إليها فيعمى، ومن تمتع بها للأخرى مبصرا بها أبصرته.
فالذاكر نصيب الحاجة من الدنيا يوسع على خلق اللّه فيما زاد عنها[1] والذاكر نصيب رأس المال فيها مالا وحالا يتجر بها للأخرى[2] والذاكر نصيب الكفن منهايطمئن ويركن إليها، «و أحسن» إلى عباد اللّه «كَما أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ» «و أحسن» في نفسك أعمالك للّه «كَما أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ» إحسانا بإحسان وابن احسان من إحسان.
ف «أحسن» حالا ومالا واعمالا، كما وكل ذلك مما «أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ»وذلك تمثيل المجاراة، وإلّا فما احسان العبد بجنب إحسان اللّه بشيء يذكر! «وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ»[3] بما أحسن اللّه إليك، جزاء الإحسان بالإساءة، ولا تبدل نعمة اللّه كفرا تحلّ بها نفسك وذويك دار البوار. جهنم يصلونها وبئس القرار «إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»وهو يبغضهم، فالمال والثراء ذريعة ضارعة هارعة إلى كل إفساد في الأرض عرضا وعقلا وعقيدة ونفسا ومالا، لاسيما إذا كان بأيدي مردة الشياطين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.
و لأن هذه النصائح كانت مستأصلة لزهوة الثراء، والالتهاء بالنعماء، فهو بزعمه يستأصل ان تكون كنوزه مما آتاه اللّه، قائلا في جوابهم قولته النكدة الجاهلة:
قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ٧٨.
ذلك الجواب- في زعمه- يستأصل كل تأنيب في هذه التساؤات المتبنّية «آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ» ب «إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ»فلم يؤه اللّه اياي- لو آتاه- دون علم وجدارة، وقد تلمح «أوتيته» دون «آتاهُ اللّٰهُ ..» أنه أوتي إياه على علم منه دون مشية من اللّه، فالأوّل إشراك باللّه في ذلك الإيتاء، والثاني إلحاد فيه بتوحيد العلم في ذلك الإيتاء! أن ليس للّه أي مدخل فيه حتى إذا لم يكن على علم عندي، صدفة فيه ام تقصدا ممن سوى اللّه.
و هذان مزعمتان للأكثرية الساحقة ممن أوتوا مالا أو منالا، موحدين أو مشركين أو ملحدين، مهما

---

[1].نور الثقلين ٤: ١٣٩ في الكافي عن أبي جعفر عليه‌السلام قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يؤى يوم القيامة برجل فيقال: احتج، فيقول: يا رب خلقتني وهديتني وأوسعت عليّ فلم أزل أوسع على خلقك وأيسّر عليهم لكي تنشر عليّ هذا اليوم رحمتك وتيسره فيقول الرب جل ثناءه وتعالى: صدق عبدي أدخلوه الجنة.

[2].المصدر عن معاني الأخبار باسناده الى موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر قال حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عليه‌السلام في الآية قال: لا تنس صحتك وقوتك وفراغكشبابك ونشاطك ان تطلب بها الآخرة.

[3].المصدر في مصباح الشريعة قال الصادق عليه‌السلام فساد الظاهر من فساد الباطن ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية، وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفلة عن الله تعالى وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكبر كما اخبر الله تعالى في قصة قارون: ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده،أصلها من حب الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وهواها وإقامة شهواتها وحب المحمدة وموافقة الشيطان واتباع خطواته وكل ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منه.

استثني الأوّلون عن الإلحاد في الإيتاء: «فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ. قَدْ قالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ. فَأَصابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَ ما هُمْ بِمُعْجِزِينَ. أَ وَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (٣٩: ٥٢).

و تلك القولة الفاتكة من قارون هي قولة المغرور المطموس الناسي مصدر النعمة وصادرها حيث تعميه الثراء، قالة خاوية مكرورة على مرّ الزمن للأكثرية المطلقة ممن أوتيها مهما اختلفت دركاتها فيما تعنيه.

و تراه ماذا عني بقالته القالة: «إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي» مع العلم انه يحصر إيتاءه به مهما كان الإيتاء من اللّه أم سواه؟

أهو علم التوراة؟ وقد أوتي موسى وسائر المرسلين اكثر منه يوحي صارم لادخيل فيه، ولم يؤوا كنوزا كما أوتي! وكان ذلك يكفيه نقضا لما ادعاه، دون النقض بإهلاك قرون قبله!.

أم علم جمع المال؟ ولا يختص به علمه! فكثير هؤاء الذين يعلمون ا يعلمه واكثر ولا يؤون معشار ما أوتي! ثم وما هو- إذا- دور «عندي»وكان يكفيه «بعلمي»! إم إنه علم محال الكنوز؟ وقد تؤده «عندي»اللامحة إلى اختصاصه به، كما وأن «على»الإحاطية هنا، تجعله يحيط علما بمحالّ الكنوز! والكنوز مع العلم بمحالها هما من اللّه!.

أم إن «عندي» تعني رأيه الخاص، ف «عندي انما أوتيته على علم» مني يحيط بموارد الكنوز أما ذا من علم مدعىّ؟ وإيتاء الكنوز على أية حال ليس إلّا من اللّه امتحانا أم امتهانا! وعلى أية حال يدعي أن «عَلى عِلْمٍ عِنْدِي» هو فقط السبب لذلك الإيتاء، فقد أوتيته بجدارة واستحقاق، سواء أ كان المؤي هو اللّه ام سواه فلي التصرف فيه كما أريد، فلا حق للّه ولا لمن سواه فيما يختص بي.

و هنا الجواب كلمة واحدة مشيرة إلى سواها «أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ» معطوفا على محذوف معروف ك:

الم يعلم ان كثيرا ممن كان على علمه وأعلى لم يؤ ما أوتي ولا معاشره، فليس إذا «عَلى عِلْمٍ عِنْدِي» وان لم يعلم ذلك لحمقه في عمقه «أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ» الماضية «مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً»كفرعون ونمرود وشداد بإرمه ذات العماد، فإن كانت هذه الكنوز أوتيت على علم، فلما ذا الإفساد بها في الأرض وذلك جهل، وليس لمن يحصل على نعمة بسعي وعلم ان يبد لها نعمة ويفسد بها، وإذا أوتيه على علم، فيعلم هو طرق الحصول على كنوز، فكيف لم يعلم ان ليس كل ذي علم يؤى ما أوتيه، «أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ ..»وعلم تحصيل المال أجهل من كل جهل إذا لم يعلم كيف يتصرف فيه، ولم يعلم ما هو مصير المفسدين بأموالهم في الأرض! وذلك هو العلم النافع البارع أن يحجز صاحبه عن وبال المال على أية حال، لا- فقط- ما يجمع به المال، إن صح أن العلم هو الذي يجلب الأموال!.

فالشرعة الإلهية تحدد الملكية الفردية تحصيلا بكيفيتة، وتجميدا وتصريفا، فلها في كل هذه الثلاث حدود مقررة في كتابات الوحي ولا سيما القرآن والسنة المحمدية صلى‌الله‌عليه‌وآله.

فليكن تحصيل المال بوجه مشروع، وإبقاؤ وصرفه بوجه مشروع، والتخلف عن شرعة الإقتصاد قد يكون ثالوثا محرما في زواياه الثلاث، أم حلا في اقتناءه محرما في الآخرين، ام وحلا في مصارفه محرما

في إبقاءه، أو معاكسا له، فلا حرية- إذا- في التصرفات الاقتصادية مصرفيا بحجة الحل في اقتناء المال.
فكما أن الحصول على المال بغير الحلال إفساد في الأرض، كذلك إبقاءه تكنيزا، أم صرفه بغير وجهه، هما ايضا إفساد في الأرض.
فهب إن قارون أوتي كنوزه بحلّ كما تلمح له «و آتيناه»- «عَلى عِلْمٍ عِنْدِي»أم على جهل، ولكنها على أية حال مال اللّه يؤاه هو وأحزابه فتنة وابتلاء، وأصحاب الأموال الطائلة إنما هم مستخلفون فيها إنفاقا صالحا دون إسراف ولا تبذير: «وَ أَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ» (٥٧: ٧) فالمتخلف عن الإنفاقات الصالحة، تكنيزا أم تصريفا غير صالح، هو من المفسدين في الأرض، المهددين بالدماء والبوار «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ»:
«وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ»- «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ ..»إذ «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ الْأَقْدامِ» (٥٥: ٤١).
و هذا السؤال المنفي هو الاستعلام، حيث الملك العلام يعلم كل إجرام فلما ذا- إذا- سئوال الاستعلام، لاهنا عند ما يهلكون، حيث يباغتهم عذاب الاستئصال، ولا هناك مهما سئلوا سئوال التنديد والإفحام دونما استفهام: «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ»(٣٧: ٢٤)، وعذاب المجرمين مباغتة دون تساؤ الاستعلام، فهو عذاب فوق العذاب، وهذا هو مصير الأثرياء المفسدين في الأرض بثرواتهم الهائلة، ولا سيما هؤاء الذين يحصلون عليها ببغي، بسعي أم دون سعي.
تلك النصيحة الفسيحة الفصيحة لم تزدد صاحب الكنوز إلّا عتوا ونشوزا، وإفسادا في الأرض اكثر مما كان:
فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩.
«على» هنا تلمح لخروج عال غير متعوّد إظهارا لقوته الزاهية وشوكته العالية «في زينته» كأكثر ما يمكن، فقد خرج بمسرح هذه المسيرة الغالية في كل زينة له ممكنة، ليقطع ألسنة الناصحين، ويقمع الحاسدين عليه الناقمين، فقد تصدق ما
يروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله انه «قال في اربعة آلاف بغل يعنى عليه البزيون»[1].
في ذلك الخروج ينقسم قومه قسمين: «الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا»و«الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» والأولون وهم الأكثرية الساحقة في كل زمان ومكان، هم الذين تستهوي زينة الحياة قلوبهم وتبهرهم دونما تطلّع إلى الحياة العليا، فتتهافت نفوسهم كما الذباب على الحلويات، وتتهاوى في هوات، سائلة لعابهم على ما في أيدي الأثرياء، ذوي الزينة والكبرياء، يتمنون لو أن لهم مثل ما لهم، إذ هم- فقط- يريدون الحياة الدنيا، ويرونها الحظ العظيم، وذلك هو الجهل القاحل: «يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ» (٣٠: ٧)- (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» (٥٣: ٣٠).

---

[1] .الدر المنثور ٥: ١٣٨، اخرج ابن مردوية عن أوس بن أوس الثقفي عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم «فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ»قال: ...

و «يا ليت» التحسر لهؤاء المجاهيل يحلّق على حياتهم غصة على غصة العدم، متجاهلين عـن أسـباب الثراء ومسئولياتها وخلفياتها، فأما الآخرون:

وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقّاها إِلَّا الصّابِرُونَ ٨٠.

«العلم» هنا هو الناصح صاحبه وذويه، فهو علـم الإيمـان والمعرفـة الربانيـة، إيمانـا صـالحا بالتوحيـد والوحي واليوم الآخر، دون مجرد الصلاحات الجامدة التي تحجب عن ذلك العلم بدل ان تكون نورا، فهو- إذا- العلم الذي يخشع صاحبه أمام ربه دون إلهاء، ف «إِنَّما يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَـماءُ» (٣٥: ٢٨).

و قضية ذلك العلم النور أن ينير الدرب على المظلمين، دون كتمان عنهم ولا ضنّة، وهنا «الَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ» أدوا واجب النصيحة البالغة لهؤاء المجاهيل «ويلكم»وهي إما تركيبة عن «وي- لكم» أم مخففة عن «ويل- لكم» وهما متقابلتا المعنى، هتافا عليهم بتأويه من قولتهم الجاهلة «ثَـوابُ اللّٰهِ خَـيْرٌ» ومـا أوتي قارون شر، فلا تعني «خير» هنا المعدّاة ب «من»تفضيلا، إذ لافضـل فـيما أوتى حتـى يفضّـل عليـه ثواب اللّٰه.

و من ذا الذي يناله ذلك الثواب؟ «لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً» والثواب الناتج عنهما يعم النشأتين، فإن منه النصرة الربانية: «إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ» (٤٠: ٥١) كما منه اللذات الروحية من عبادة اللّٰه وزلفاه، ولقد كان رسـول اللّٰه صلى‌الله‌عليه‌وآله إذا همـه أمـر اسـتراح إلى الصلاة فانها كانت قرة عينة في الحياة.

«وَ لا يُلَقّاها إِلَّا الصّابِرُونَ» وترى ماذا تعني «ها» والسابق عليها «ثَوابُ اللّٰهِ»مذكرايتحمل ضمير التأنيث؟ التلقية هي التفهيم كما التلقي هو التفهّم، ولكنه تفهّم يلقى شغاف القلب، فهو أخص مـن الـتلقّن، ولقد عدّ الصبر هنا ظرفا لذلك التلقي، وليس هكذا صبر إلا من حصائل الايمان والعمل الصالح، فقد تعني «ها» تلك العظمة- سواء أ كان استثناء «الصابرون»من الذين أوتوا العلم، أم تلحيقة معترضة من اللّٰه، فلا تصل هذه العظة إلّا إلى «الصابرون» عـلى فتنـة الحيـاة وزينتهـا وإغرائهـا، و«الصـابرون» عـلى حرمانها، فهم أعم ممن اوتي متع الحياة ومن حرمها، بل والصبر على وجدانها أحجى وأقوى.

هؤاء الصابرون، وهم المؤنون العاملون الصالحات، هم يلقّـون هـذه العظـة مـن قبـل اللّٰه وأهـل اللّٰه فيتلقونها.

و أما رجوعها إلى هذه الثلاث «ثواب الله- آمن- عمل صالحا» فغير صواب، حيث الصبر هكذا هو مـن مخلفات الايمان والعمل الصالح، فكيف يلقيّان مع الثواب للصـابرين، اللهـم إلّا ايمانـا أءمـن، وعمـلا صالحا أصلح، هما من خلفيات ذلك الصبر، وهذا من بـاب الاسـتخدام، أن لايلقّـى ثـواب اللّٰه ومزيـد الايمـان والعمـل الصـالح إلّا الصـابرون، إلّا أن ثـواب اللّٰه هنـا يتبنّـى أصـل الإيمـان والعمـل الصـالح لامزيدهما، والتلقية التفهيم لاتناسب واقع هذه الثلاث أم سواها، فهي إذا تلقية العظة، فلكل عظة ظرف له صالح، ولهذه العظة ظرف الصبر على زخارف الحياة الدنيا لمن أويتها أو حرم عنها.

هنا- وقد بلغت فتنة الزينة ذروتها- حيث تتهافت أمامها بعض النفوس المؤنـة وتتهـاوى فضـلا عـن سواها- هنا من الرحمة الربانية ان تتدخل يد القدرة، تحطيما للغرور الجاهل القاحل، وحفاظا على ضعاف الايمان: فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِـنْ دُونِ اللّٰهِ وَ مـا كـانَ مِـنَ الْمُنْتَصِرِينَ ٨١.

و مهما كان مع قارون- في خروجه بزينته- أهله وهوامشه أم لم يكونوا، فالخسف حسب هذا النص خصّه دونهم «فَخَسَفْنا بِهِ» قارون «و بداره» التي كان فيها- بطبيعة الحال- قسم عظيم من ثروته، فقد ابتلعته الأرض بداره، هاويا فيها بلا فئة ينصرونه من دون اللّه، حيث تركته وشأنه الشائن، كما هو دأب الهوامش المتملقين دائما أنهم شركاء في رغد العيش فإذا جاء البلاء فحيدي حياد! ولا فحسب ان لم تنصره فئته، بل «وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ»يائسا عنهم، بائسا في انخسافه!.

وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ ٨٢.

«الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ» وهم «الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا» وما كانوا من الصابرين على زهرتها وزهوتها، ولم يلقّوا العظة من الذين أوتوا العلم، هم الآن- وقد رأوا كيف خسف اللّه به وبداره الأرض- ينتبهون قليلا «وَيْكَأَنَّ اللّٰهَ ..» دون «إِنَّ اللّٰهَ»إذ لم يبلغوا بعد إلى اليقين بان الله يبسط ويقدر، ولا أنه لايفلح الكافرون، وإنما«ويكأنه» في النفي والإثبات فهم بعد في سبات، وعلى أية حال وقفوا يحمدون اللّه أن لم يستجب لهم ما تمنوه بالأمس وهم يرون مصير قارون وهو رأس الزاوية! فانما الثراء هي ابتلاء قد تعقبها البلاء، فقليل هؤلاء الأثرياء الذين لايبدلون نعمة اللّه كفرا ونعمة، وكثيرهم الكافرون.

و هنا يسدل الستار على الفريقين، نقلة إلى ضابطة صارمة للناجحين في هذا الميدان:

تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣.

إن الدار الآخرة بالزلفى والمكانة العليا، «تلك» البعيدة المدى، العالية الصدى، الغالية الهدى «الدّارُ الْآخِرَةُ» الحسنى، حصيلة لحسنى الأولى «نجعلها» تكوينا وتشريعا «لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ» أيا كان، وحتي في منصب العدل والحكم الحق، إذيريدون في ذلك الحقل إلّا تحقيق الحق وإبطال الباطل، وما العلوّ الحكم عندهم إلّا ذريعة لذلك، وكما أشار إمامهم أمير المؤنين عليه‌السلام إلى نعله المخصوف قائلا:

«و الله لهي أحب إلي من إمرتكم هذه إلا أن أقيم به حقا أو أبطل باطلا».

فالعلو في الأرض لهم غير مراد، ثم «وَ لا فَساداً» بعلو وغير علو، والعلو أيا كان يستتبع فسادا مهما كان لأهل العدل إلّا من عصم اللّه وهداه.

فارادة العلو هي بطبيعة الحال من أقوى مصاديق الفساد في الأرض ف «مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ يُشْهِدُ اللّٰهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ. وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّٰهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ. وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ»(٢: ٢٠٦» ... وليس ان إرادة العلو في الأرض ممنوعة- فقط- لألد الخصام، بل وعدول المؤنين، لأن كراسيّ الحكم مآزق بطبيعة الحال، وقل من ينجو منها، وقد يروى عن رسول الهدي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌قوله في الآية: «التجبر في الأرض والأخذ بغير الحق»[1]

---

[1] .الدر المنثور ٥: ١٣٩- اخرج المحاملي والديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في قوله «تِلْكَ الدّارُ ..» قال: ...

حول لقمان(ع) بحكمته نبوئة وهو من قوم موسى(ع)

وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢) وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (١٨) وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

آيات ثمان تختص بحكمة لقمان التي تلقاها من ربه ثم ألقاها الى ابنه، تجمع من عظات الحكم جوامعها ولوامعها، فيها الحكمة الحكيمة للعبد وجاه اللّه، ووجاه خلق اللّه أمرا لهم بالمعروف عند اللّه، ونهيا عن المنكر لدى اللّه، وصبرا على ما أصاب في مسرح العبودية والدعوة إلى اللّه، وقصدا في المشي بين خلق اللّه.

وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ .١٢

«لقد» تأكيدان و«نا» الدالة على جمعية الصفات ثالثهما، تؤد هذه الثلاث الحكمة المؤاة للقمان، المختصرة في «أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ» بيانا لهذه الحكمة الجامعة العالية، وقد تكون هي حكمة الشكر وشكر الحكمة، حيث الشكر هو وضع النعم مواضعها التي يرضاها المنعم.

و الشكر مقابل الكفر يعم الإيمان بكل قضاياه، كما الكفر يعمه والكفران بكل رزاياه، فهي- إذا- حكمة فطرية وعقلية ونفسية في كل حقولها، إضافة إلى حكمة عملية، هما يقضيان على كافة التفسخات العارمة الذاهبة بالإنسان مذاهب الكفر والكفران.

و اصل الحكمة هو «الفهم والعقل»[1] ولقد «كان رجلا قويا في امر الله، متورعا في الله، ساكتا مستكينا، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر ... ويعتبر ويتعلم ما يغلب به على نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان، وكان يداوي قلبه بالفكر، ويداوي نفسه بالعبر، وكان لايظعن إلا فيما يعنيه، فبذلك أوتي الحكمة، ومنح العصمة..»[2] «كان عبدا كثير التفكر، حسن الظن،

---

[1] .نور الثقلين ٤: ١٩٥ في أصول الكافي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهماالسلام يا هشام ان الله قال: ولقد آتينا لقمان لحكمة- قال: الفهم والعقل.

[2] .المصدر تفسير القمي حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حماد قال سألت أبا عبد اللّه عليه‌السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها اللّه عز وجل فقال: اما واللّه ما اوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلا قويا .. لم ينم نهارا قط ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال لشدة تستره وعموق نظره وتحفظه في

كثير الصمت، أحب الله فأحبه الله تعالى فمن عليه بالحكمة ... فنام نومة فغط بالحكمة غطا فانتبه فتكلم بها ....»[1]

ولقد أتت «الحكمة» في الذكر الحكيم عشرين مرة، هي في هذه المرة اليتيمة عطية ربانية للقمان ولم يكن من النبيين، فقد أوتي الحكمة البالغة دون رسالة، مما يدل على عظم موقفه تجاه اللّه، ولم يكن إلّا عبدا حبشيا فأصبح من سادات السودان[2].

و الشكر درجات ارفعها ان يعرف الشاكر النعمة ويعترف بعجزه عن أداء شكرها، ف

«من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد ادى شكورها» وقد «اوحى الله عز وجل الى موسى عليه‌السلام يا موسى اشكرني حق شكري، فقال: يا رب وكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي؟ قال: يا موسى! الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني»[3].

و كما الحكمة هي بين معرفية وعملية، كذلك الشكر المفسر لها معرفي وعملي، أن يحلّق الشكر على الشاكر ككلّ، فلا تبقى من قالاته وحالاته وفعالاته إلا ترسيمات لمرضاة اللّه. وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣.

امره ولم يضحك من شيء قط مخافة الإثم ولم يغضب قط ولم يمازح إنسانا قط ولم يفرح بشيء أتاه من امر الدنيا ولا حزن منها على شيء قط ...

[1].الدر المنثور ٥: ١٦١- اخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي مسلم الخولاني قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ان لقمان كان عبدا .. نودي بالخلافة قبل داود عليه‌السلام فقيل له يا لقمان هل لك ان يجعلك اللّه خليفة تحكم بين الناس بالحق؟ قال لقمان: ان اجبرني ربي عز وجل قبلت فاني اعلم ان فعل ذلك اعانني وعلمني وعصمني وان خيّرت قبلت العافية ولم اسأل البلاء، فقالت الملائكة يا لقمان لم؟ قال: لأن الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل او يعان فان أصاب فبالحرى ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكون في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ضائعا، ومن يختار الدنيا على الآخرة فاتته الدنيا ولا يصير إلى ملك الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام ... ثم نودي داود عليه‌السلام بعده بالخلافة فقبلها لوم يشترط شرط لقمان فأهوى في الخطيئة فصفح اللّه عنه وتجاوز وكان لقمان يوازره بعلمه وحكمته فقال داود عليه‌السلام طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية وأوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة».

أقول: لا بأس بهذا الحديث إلا في نسبة الذنب والخطيئة وعدم الحكمة إلى داود فانها من المختلقات الاسرائيلية. فان داود عليه‌السلام اوتي الحكمة كما أوتيها لقمان:

«وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمّا يَشاءُ» (٢: ٢٥١) (وَ شَدَدْنا مُلْكَه وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ»٣٨: ٢٠ كما وان الحكمة هي من العطيات الربانية لكافة النبيين: «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ...» (٣: ٨١) و ان قول لقمان للملائكة: فإني اعلم ان فعل ذلك اعانني وعلمني وعصمني» دليل العصمة لمن اوتي الحكمة من النبيين.

[2].المصدر اخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: سادات السودان اربعة لقمان الحبشي والنجاشي وبلال ومهجع وفيه قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم سادات اهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤن.

[3].نور الثقلين ٤: ٢٠١- ح ١ و٢ عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام.

عظة لابقة لائقة من والد حكيم لولده، بادئة بالسلب: «لا تُشْرِكْ بِاللّهِ»وخلفيّته الإيجاب وهو توحيد اللّه، فهي عبارة اخرى عن «لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ»تحقيقا لها حقيقا بولد الحكيم وهو يعظه بحكمة اللّه التي آتاه.

و ليست مجرد عظة، بل هي معلّلة بأقوى البراهين البيّنة «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»ظلم يبتدء من الإنسان المشرك نفسه أن يعبد أكرم خلق اللّه خلقا خسيسا كوثن أو صنم أو حيوان، ام خلقا مثله في الحاجة المحلّقة على الخلق كله، كملك او نبي او ولي وهم أنفسهم يوحدون اللّه وينهون عن أن يشرك باللّه.

ثم ظلم للحق أن يسوّى بين الخالق والمخلوق، ثم يفضّل المخلوق على الخالق، بأن يختص عبوديته للخلق ويترك الخالق، وظلم في كافة الموازين والمقاييس ان يشرك باللّه العظيم، إذا فهو ظلم عظيم لايساوى باي ظلم، ولبعده في عظمه «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ».

و لأن عظة الوالد ولده غير متهمة إذ لاارأف منه به، تعرض في هذه الإذاعة القرآنية استئصالا لكل ريبة تعتري ألدّاء المشركين زمن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله أن ليس وراءها انتزاع سلطان منهم وتفضل عليهم.

لذلك نرى الآيتين التاليتين تأتيان كجملة معترضة بين عظات لقمان لابنه، عرضا لمدى حق الوالدين على الأولاد وفرضا لطاعتهما وشكرهما بعد شكر اللّه إلّا في الإشراك باللّه، فان هذا الظلم العظيم لايقبل حلولا حتى بين أقرب الأقارب الوالدين والأولاد.

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١۴.

لقد فصلنا القول حول هذه الوصية بطيات آيات لها لاسيما آية الأسرى، وهذه الآية هي اليتيمة في خصوص الأم حيث اختصت بذكرى اتعاب لها وأشغاب ليست للوالد مثلها ولها نظيرة في «وَ إِنْ جاهَداكَ ...»(٢٩: ٨).

«حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ» وهو الضعف الحمل لذلك الحمل، وعلّ الأوّل هو منذ الحمل حتى الوضع، فانه كله ضعف مهما اختلفت مراحله، والثاني هو منذ الوضع حتى قيامه على ساقه، والحد المتوسط هو العامان للرضاعة.

«و فصاله» عن الرضاعة، وعن ثاني الوهنين «في عامين» وهما أكثر زمن للرضاعة، وبما أن «حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً» نتعرف إلى أقل الحمل وهو ستة أشهر، و«في» هنا ظرفا ل «فصاله» تقرر أن انفصال الرضاعة هو ضمن عامين، لا- فقط- في منتهاهما، بل خلالهما، البادئ من بداية العام الثاني، والحدّ المعتدل منه الشهر التاسع قضية الجمع بين «في عامين»و«ثَلاثُونَ شَهْراً» لمن يكون حمله تسعة أشهر، فلا فصال- إذا- قبلها إلّا عند العسر أو الحرج، فحقّ للولد أن يرتضع عامين إلّا ثلاثة أشهر.

«وَ وَصَّيْنَا ... أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ» اشكر لي أن خلقتك وجعلت حبك في قلوبهما لحدّ التضحية في صالحك صغيرا أو كبيرا، واشكر «لوالديك» ان تحمّلا كلّ عبء في سبيل تحويل هذه الأمانة الربانية «وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ»فأسألك عن واجب الشكر لي ولهما

«فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله تعالى»[1] فإنهما منعمان عليك بعد اللّه «و من لم يشكر المنعم من

[1].نور الثقلين عن العيون باسناده إلى الرضا عليه‌السلام حديث طويل وفيه يقول: وامر بالشكر له وللوالدين فمن ..

المخلوقين لم يشكر الله عز وجل»[1] والأم بطبيعة الحال لها الحق الأوفر للعبء الأكثر.
الشكر للوالدين هنا هو الحسن والإحسان المأمور به في آيات اخرى بحقهما، ولا سيما الأم المتحملة في حمله أكثر من الوالد فلها حق أكثر منه:
«و اما حق أمك فأن تعلم أنها حملتك حيث لايحتمل احد أحدا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لايعطي أحد أحدا، ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع وتطعمك وتعطش وتسقيك وتعرى وتكسوك وتضحى وتظلك وتهجر النوم لأحلك ووقتك الحر والبرد فانك لاتطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه، واما حق أبيك فان تعلم أنه أصلك فانك لولاه لم تكن فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله»[2].
و قد «جاء رجل الى النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله فقال يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟
قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك»[3].
و علّ الأم تزيد عن الأب مرتين لوهنيها في حمل الولد. وللوالدين تأويل انهما الرسول وعلي صلى اللّه عليهما وآلهما فإنهما أبوا هذه الأمة، وكذلك كل العلماء الربانيين، فان حق الوالدية الروحية التربوية فوق الجسمية الولادية[4].
ذلك، وكما اللّه لايشكر حقه مهما بلغ الشكر مبلغه القمة، كذلك الوالدان، إلّا ان يعترف بالعجز عن أداء شكره وشكرهما، وهو الحق الحقيق بالأجر.
وقد يروى «ان رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هل أديت حقها؟ قال: لاولا بزفرة واحدة»[5].

---

[1] .المصدر بإسناده الى محمود بن أبي البلاد قال سمعت الرضا عليه‌السلام يقول: ..

[2] .المصدر في الفقيه في الحقوق المروية عن زين العابدين عليه‌السلام ...

[3] .المصدر عن تفسير القمي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال جاء رجل .. وفيه عنه قال جاء رجل وسأل النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم عن بر الوالدين فقال: ابرر أمك ابرر أمك ابرر أمك، ابرر أباك ابرر أباك وبدء بالأم قبل الأب.

[4] .المصدر عن الكافي بسند متصل عن الأصبغ بن نباتة انه سأل امير المؤنين عليه‌السلام عن قوله تعالى: ان اشكر لي ولوالديك اليّ المصير؟ فقال: الوالدان اللذان أوجب اللّه لهما الشكر هما اللذان ولدا العلم وورثا الحكم وامر الناس بطاعتهما ثم قال اللّه: «إلى المصير»فمصير العبّاد الى اللّه والدليل على ذلك الولدان ثم عطف القول على ابن حنتمة وصاحبه فقال في الخاص والعام «وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي» تقول في الوصية وتعدل عمن أمرت بطاعته «فلا تطعهما» ولا تسمع قولهما ثم عطف القول على الوالدين فقال: «وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً» يقول: عرف الناس فضلهما وادع الى سبيلهماذلك قوله «وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» فقال: الى الله ثم إلينا فاتقوا الله ولا تعصوا الوالدين فان رضاهما رضا الله وسخطهما سخط الله».

[5] .رواه الحافظ ابو بكر البزاز في مسنده باسناده عن بريد عن أبيه ان رجلا ..

ذلك، ولأن الأصل في حقوقهما هو اللّه الخالق لهما وإياكم منهما، الجاعل حبكم في قلوبهما، الآمر بشكرهما، فلا تناحر- إذا- بين حق اللّه وحقوقهما، ولا حق لهما إلّا في طول الخط من حق اللّه دون مشاقة، ف: وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥.

«وَ إِنْ جاهَداكَ» جهدهما في جحدهما توحيد اللّه، وقدر ما كل جهودهما «عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»وبطبيعة الحال ليس لأي إنسان علم بشريك للّه «فلا تطعهما»- فقط- في حقل الضلال، واما العشرة الحيوية الدنيوية، غير المناحرة لتوحيد اللّه ف «صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً»كما كنت، ف «بر الوالدين واجب وإن كانا مشركين ولا طاعة لهما في معصية اللّه ولا لغيرهما فانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1] وليس يختص «فلا تطعهما» في الإشراك باللّه كعبادة وثن، بل في معصية اللّه ككل، بل وكل معصية للّه اشراك باللّه، فانه واحد في ان يطاع كما هو واحد بسائر شئون الألوهية والربوبية، لاشريك له على أية حال وفي كافة حقول المعرفة والعبودية والطاعة، مهما اختلفت دركات الإشراك به كما تختلف درجات توحيده[2].

اجل وان «بر الوالدين من حسن معرفة العبد باللّه، إذ لاعبادة اسرع بلوغا بصاحبها الى رضا اللّه تعالى من حرمة الوالدين المسلمين لوجه اللّه، لأن حق الوالدين مشتق من حق اللّه تعالى إذا كانا على منهاج الدين والسنة، ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة اللّه تعالى الى معصيته، ومن اليقين الى الشك، ومن الزهد الى الدنيا، ولا يدعو انه الى خلاف ذلك، فإذا كانا كذلك فمعصيتهما طاعة وطاعتهما معصية قال اللّه «وَ إِنْ جاهَداكَ ..»واما في باب العشرة فدارهما واحتمل أذاهما نحو ما احتملا عليك في حال صغرك ولا تضيّق عليهما مما قد وسع اللّه عليك من الحال والجلوس ولا تحوّل بوجهك عنهما ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما فان تعظيمهما من اللّه تعالى وقل لهما بأحسن القول وألطفه إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»[3].

فعلى أية حال «صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ»والدين وغيرهما، ولا تتبع سبيل

---

[1].نور الثقلين ٤: ٢٠٣ عن العيون في باب ما كتبه الرضا عليه‌السلام للمأمون من محض الإسلام وشرايع الدين: .. وفيه ٢٠٤ محاسن البرقي باسناده عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) حديث طويل وفيه يقول: أطيعوا آباءكم فيما امروكم ولا تطيعوهم في معاصي اللّه.

[2].وفي المناقب مرّ الحسين بن علي عليهماالسلام على عبد الرحمن بن عمرو بن العاص فقال عبد اللّه: من أحب ان ينظر إلى أحب اهل الأرض الى السماء فلينظر الى هذا المجتاز وما كلمته منذ ليالي صفين، فأتى به ابو سعيد الخدري الى الحسين عليه‌السلام فقال له الحسين عليه‌السلام أ تعلم اني أحب اهل الأرض الى اهل السماء وتقاتلني وأبي يوم صفين؟ واللّه ان أبي لخير مني، فاستعذر وقال: ان النبي صلّى اللّه عليه وآله‌سلّم قال لي: أطع أباك فقال له الحسين عليه‌السلام اما سمعت قول اللّه عز وجل: وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما» وقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): انما الطاعة بالمعروف، وقوله: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

[3].نور الثقلين ٤: ٢٠٢ عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه‌السلام:

من صدّ عني والدين وغيرهما فان «إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» لاإلى سواي «فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» وجاه الله وخلقه.

يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦.

«إنها» تعني أن الطاعة في الإشراك بالله وان كانت للوالدين، مما تلمح ان الوصية بالوالدين كما هنا هي من نصائح لقمان، مهما كانت هنا كجملة معترضة بين وصاياه، وما أجمله ترتيبا رتيبا في أسلوب البيان! وهذه الآية إنذار صارم عن الطاعة في الإشراك بالله، فضلا عنها مستقلة لغير الله، فالإشراك على اية حال مسئول عنه، قصورا أو تقصيرا، تقليدا وسواه.

ثم «مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» تصوير عن أدنى الشرك و«فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ»عن أخفاه ثم «أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ»عن أبعده، وذلك مثلث من صغار الشرك في أبعاده، فضلا عن كباره في كل أبعاده ف «اتقوا المحقرات من الذنوب فان لها طالبا، لايقولن أحدكم أذنب وأستغفر الله إن الله يقول «إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ...»[1].

و «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» تصريحة بين نظائرها أن الإشراك بالله سرا وإعلانا مما يؤى به بنفسه يوم القيامة: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً» (٣: ٣٠) حيث تعم عمل القلب والقالب والسر والعلن: «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ»(٣٤: ٣).

و ما أتمها أداء وأجملها إيقاعا تصويرا عن الطاعة صالحة وطالحة ب «حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ»صغيرة كأصغر ما كان يعرفه الإنسان «فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ» صلبة لاسبيل إليها كالعادة «أَوْ فِي السَّماواتِ» في خضمّ الأجواء الشاسعة التي يبدو فيها النجم الكبير نقطة سابحة امتبدو ولو بالعيون المسلحة «أَوْ فِي الْأَرْضِ»ضائعة في أعماقها، ومع كل ذلك الخفاء «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» دونما انفلات عن علم الله وقدرته. يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٧.

أوامر أربعة تتبنّى شخصية المؤن كشخص أولا وكداعية ثانيا، وصمودا في كلا البعدين، ف «أقم الصلاة» هي في الحق إقامة لكافة الصلات المعرفية الايمانية والعملية بالله، ثم «وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ» تشمل الدعوة إلى كافة الخيرات الفردية والجماعية، كما «وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ» تعم كافة المنكرات.

و لأن إقام الصلاة بحقها، ثم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحول دونها عراقيل وصدمات، لذلك «وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ» في صالح الإيمان وعمله، دون تزعزع عن قواعده، ولا تلكع وانكسار في سواعده «إن ذلك»التكليف الصارم والصبر على تحقيقه «مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

و إذا كان الصبر على المصاب في فرائض الايمان من عزم الأمور، فليس الأمن عن الضرر من شروطات الجواز أو الوجوب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلّا إذا كان الضرر فيه أهم من الضرر في تركه فمرفوض، أم يتكافئان فغير مفروض.

---

[1] .المصدر روى العياشي بالإسناد عن ابن مسكان عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: اتقوا ...» أقول: يأت بها اللّه قطعي بالنسبة لمن مات مشركا، ثم من مات مذنبا دون توبة ولا شفاعة، فالمعاصي المكفرة لا يأتي بها اللّه فان التائب عن الذنب كمن لا ذنب له.

فالضابطة العامة في هذين الفرضين فرض الصبر على ما أصابك إلّا فيما يستثنى بأهمية ام مكافئة، وكما الدفاع والقتال في سبيل اللّه لايشترط في وجوبهما الأمن عن الضرر كضابطة، كذلك وبأحرى، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما اقل تعرضا للضرر[1]. وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنّاسِ وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ١٨.

من مظاهر الاختيال والفخر تصعير الخد للناس، والمشي في الأرض مرحا، وتصعير الخد للناس هو إمالة العنق عن النظر إليهم استكبارا، كأنهم لاشيء وهو فقط كل شيء، فإن الصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها، والمرح هو كثرة الفرح بمال او منال: «وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا»(١٧: ٣٧)[2] وهذا المشي الرديء هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالات بالناس، وقد يعني تصعير الخد للناس ليّ العنق لهم تذللا واستكانة، ام هما معنيّان حيث يحملهما تصعير الخد، فان ليّ العنق وإمالته قد يعني الاختيال، واخرى الإذلال وكلاهما منهيان.

و «لا يحب» من اللّه يعني البغض، إذ لاتخفى عليه خافية حبيبة أو بغيضة، فإذايحب فهو- إذا- يبغض، وقد يروى عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله قوله: من مشى على الأرض اختيالا لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها[3]. وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩.

القصد في المشي هو الاعتدال في المشي والمشية الحيوية وتمشية الأمور، مجانبا حد الإفراط والتفريط فان خير الأمور أوسطها، فالمشية القاصدة الى الأهداف الصالحة بكل بساطة وانطلاق هي التي توصل إليها دون تلكّا وانحياق، ف «سرعة المشي يذهب ببهاء المؤن»[4] ومن القصد في المشي- ككل- هو المشي القاصد الحق على أية حال، وهو الاعتدال العدل في مشي الإنسان كإنسان[5].

---

[1].نور الثقلين ٤: ٢٠٥ عن الخصال فيما علم امير المؤنين عليه‌السلام أصحابه من الأربعمأة باب ائمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واصبروا على ما أصابكم، وفيه عن اصول الكافي عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن اعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار» وفيه عن المجمع عن علي عليه‌السلام «و اصبر على ما أصابك من المشقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

[2].المصدر في المجمع عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام في الآية لا تمل وجهك من الناس بكل ولا تعرض عمن يكلمك استخفافا به.

[3].المصدر في كتاب ثواب الأعمال باسناده الى ابن فضال عمن حدثه عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: وفيه عنه قال ابو جعفر عليه‌السلام قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله وسلّم) ويل لمن يختال في الأرض معارض جبار السماوات والأرض.

[4].نور الثقلين ٤: ٢٠٨ في كتاب الخصال عن أبي الحسن عليه‌السلام قال: ...

[5].عن الكافي ابو عمر والزبيري عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام في حديث: ان اللّه تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها وفرض على الرجلين ان لا يمشي بهما الى شيء من معاصي اللّه وفرض عليهما المشي الى ما يرضى اللّه عز وجل فقال: ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا- وقال: واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير.

و من القصد في المشي في انطلاقته الغض من الصوت دون رفع صارخ ولا خفض هامس، والمنكر بينهما هو الصارخ فوق الحاجة إلّا إذ اقتضت الضرورة، أم فيه رجاحة كأن يكون داعيا أو يقرأ القرآن[1] فليس القصد من الصوت في كلام وسواه إلا تفهيم المخاطب، فليكم قدر الحاجة من سماعه لازائدا ولا ناقصا، فالناقص حماقة والزائد حماقة اخرى بل هي أحمق ف «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ». فالغض من الصوت أدب صارح، ورفعه سوء أدب قارح، إساءة إلى صاحبه كأن لايحسب صوته صوتا، وإلى مخاطبه كان يحسبه أصم أو لايفهم، فلذلك يشبه بصوت الحمير في كونه أنكر الأصوات، ولكن اين حمير من حمير، الحيوان تعلي صوتها قصورا بلا نية سوء، وحمير الإنسان تعلي تقصيرا وبنية سوء، ام قصورا عن تقصير مهما لم ينو سوء.

و من الغض من الصوت- بل هو أهمه- غضه عما لايحل، أن يربط الإنسان لسانه عما لا يعنيه، فيجعل لسانه وراء قلبه، دون ان يجعل قلبه وراء لسانه.

هذه عظات غرة، سلبية وايجابية، فردية وجماعية، تأتي في القرآن من لقمان عليه‌السلام كأصول عظاته لابنه وسواه، وقد يروى عنه عظات أخرى نذكر قسما منها هنا كما يناسب الفرقان:

«قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ان لقمان قال لابنه يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر»[2].

وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله عنه عليه‌السلام كان يقول: إن الله إذا استودع شيئا حفظه»[3].

وقال عليه‌السلام لابنه يا بني لاتكونن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك»[4]. وقيل للقمان: ما الذي أجمعت عليه من حكمتك؟ قال: «لا أتكلف ما قد كفيته ولا أضيع ماوليته»[5].

«فوعظ لقمان ابنه بآثار حتى تفطّره وانشق وكان فيما وعظه به أن قال: يا بني إنك منذ سقطت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب إليك من دار أنت عنها متباعد، يا بني

---

[1].المصدر عن المجمع وروي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام في الآية قال: هي العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع صوته بالحديث رفعا قبيحا إلا ان يكون داعيا أو يقرأ القرآن.

[2].الدر المنثور ٥: ١٦٢- اخرج الطبراني والرامهرمزي في الأمثال عن أبي امامة قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم:

[3].المصدر اخرج احمد والحكيم الترمذي والحاكم في الكنى والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عمر عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ..

[4].المصدر اخرج البيهقي عن الحسن ان لقمان عليه‌السلام قال لابنه ...

[5]. قرب الاسناد هارون بن صدقة عن جعفر عن أبيه عليهماالسلام قيل للقمان: ...

جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، ولا تجادلهم فيمنعوك، وخذ من الدنيا بلاغا ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس، ولا تدخل فيها دخولا يضر بآخرتك، وصم صوما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك من الصلاة فان الصلاة أحب الى اللّه من الصيام، يا بني ان الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير، فاجعل سفينتك فيها الايمان، واجعل شراعها التوكل، واجعل زادك فيها تقوى اللّه، فان نجوت فبرحمة اللّه وإن هلكت فبذنوبك، يا بني إن تأدبت صغيرا انتفعت به كثيرا، ومن عنى بالأدب اهتم به ومن اهتم به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتد له طلبه، ومن اشتد طلبه أدرك منفعته، فاتخذه عادة فانك تخلف في سلفك، وينتفع به من خلفك، ويرتجيك فيه راغب، ويخشى صولتك راهب، وإياك والكسل عنه بالطلب لغيره، فان غلبت على الدنيا فلا تغلبن على الآخرة، وإذا فاتك طلب العلم في مظانه فقد غلبت على الآخرة، واجعل في أيامك ولياليك وساعاتك نصيبا في العلم فانك لن تجد له تضييعا أشد من تركه، ولا تمارين فيه لجوجا، ولا تجادلن فقيها، ولا تعادين سلطانا، ولا تماشين ظلوما ولا تصادقنه، ولا تصاحبن فاسقا ناطقا، ولا تصاحبن متهما، واخزن علمك كما تخزن ورقك. يا بني خف اللّه عز وجل خوفا لو أتيت القيامة ببر الثقلين خفت أن يعذبك، وارج اللّه رجاء لو وافيت القيامة بإثم الثقلين رجوت أن يغفر اللّه لك، فقال له ابنه: يا أبت كيف أطيق هذا وانما لي قلب واحد؟ فقال له لقمان: يا بني لو استخرج قلب المؤن يوجد فيه نوران نور للخوف ونور للرجاء لو وزنا لما رجح أحدهما على الآخر بمثقال ذرة، فمن يؤن باللّه يصدق ما قال اللّه عز وجل، ومن يصدق ما قال اللّه يفعل ما أمر اللّه، ومن لم يفعل ما أمر اللّه لم يصدق ما قال اللّه فان هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض، فمن يؤن باللّه ايمانا صادقا يعمل للّه خالصا ناصحا فقد آمن باللّه صادقا، ومن أطاع اللّه خافه، ومن خافه فقد أحبه، ومن أحبه فقد اتبع أمره، ومن اتبع امره استوجب جنته ومرضاته، ومن لم يتبع رضوان اللّه فقد هان عليه سخطه، نعوذ باللّه من سخطه، يا بني لاتركن إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فما خلق اللّه خلقا هو أهون عليه منها، ألا ترى انه لم يجعل نعيمها ثواب المطيعين، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين»[1].

و قال يا بني: إن تك في شك من الموت فارفع عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شك من البعث فارفع عن نفسك الانتباه ولن تستطيع ذلك فانك إذا فكرت في هذا علمت أن نفسك بيد غيرك، وإنما النوم بمنزلة الموت وإنما اليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت. وقال: يا بني لاتقترب فيكون ابعد لك ولا تبعد فتهان، كل دابة تحب مثلها وابن آدم لايحب مثله، لاتنشر بزك إلّا عند باغيه وكما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة، من يقترب من الزفت تعلق به بعضه كذلك من يشارك الفاجر يتعلم من طرقه، من يحب المراء يشتم، من يدخل مدخل السوء يتهم، ومن يقارن قرين السوء لايسلم، ومن لايملك لسانه يندم.

و قال يا بني صاحب مأة ولا تعاد واحدا، يا بني إنما هو خلاقك وخلقك، فخلاقك دينك وخلقك بينك

---

[1]. نور الثقلين ٤: ١٩٨ عن تفسير القمي حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حماد قال سألت أبا عبد اللّه عليه‌السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها اللّه عز وجل؟ فقال:- ذكرنا الشطر الأول من كلامه بداية البحث عن عظات لقمان- ثم قال ابو عبد اللّه عليه‌السلام في قول اللّه عز وجل «وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ ...» قال: فوعظ ...

وبين الناس فلا تبغضن إليهم وتعلّم محاسن الأخالق.
يا بني كن عبدا للأخيار ولا تكن ولدا للأشرار، يا بني أد الأمانة تسلم دنياك وآخرتك وكن أمينا فان الله لايحب الخائنين، يا بني لاتر الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر»[1].
و قال: «يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له وإنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل ووعدت عليه أجرا فأوف عملك واستوف أجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها فتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخربها ولا تعمرها فانك لم تؤر بعمارتها، واعلم انك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع: شبابك فيما أبليته، وعمرك فيما أفنيته، وما لك مما اكتسبته وفيما أنفقته، فتأهب لذلك وأعد له جوابا ولا تأس على ما فاتك من الدنيا فإن قليل الدنيا لايدوم بقاءه، وكثيرها لايؤن بلاءه، فخذ حذرك وجد في أمرك، واكشف الغطاء عن وجهك، وتعرض لمعروف ربك، وجدد التوبة في قلبك، واكمش في فراقك قبل أن يقصد قصدك، ويقضي قضاءك، ويحال بينك وبين ما تريد».

قيام المهدى(عج) و افسادان عالميان اسرائيليان

وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً* فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا *.
قضاء صارم بفساد عارم الى بني إسرائيل طول التاريخ الاسرائيلي منذ البداية في الأرض مرتين تصحب أخراهما «عُلُوًّا كَبِيراً» ١- فما هي القضاء؟ ٢- وما هو الكتاب؟ ٣- واين هي أرض الإفساد؟ ۴- وما هما المرتان؟ والعلو الكبير؟ ۵- ومن هم «عِباداً لَنا» حيث يجوسون في الأولى خلال الديار، ويسوءون وجوههم في الثانية؟.
إن القضاء ككل- هي فصل الأمر، وقد يختلف الأمر بفصله حسب اختلاف التعلقات: قضاه- فيه- عليه- له- به- إليه- منه- بين.
و هي بين فصل الأمر تكوينا او تشريعا او فعلا او تحويلا لنباء:
«فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ» (۴١: ١٢) تكوينا- «وَ قَضى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِيّاهُ» (١٧: ٢٣) تشريعا- و«أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَيَّ»(٢٨: ٢٨) فعلا- و«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ» (٣٣: ٢٣) أجلا للموت وهو من فعل الله، ثم القضاء فيه: في القضية التي تقتضيها- وعليه: على المحكوم فيها، وله: المحكوم له- وبه: بالحكم المقضي، ومنه- من القاضي، وبين: بين المتقاضيين- سواء في التكوين او التشريع او فعل وأجل.
و اما القضاء اليه: رابع الأضلاع لمربع القضاء- فقد ينحصر في تحويل أمر تكوينا كالأجل: «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» (١٠: ١١) أو تحويل لنباء فصل محتوم ايحاء، من مخلفات لسيئات: «وَ قَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ» (١۵: ۶۶) وقطع

[1] .البحار عن قصص الأنبياء باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليهماالسلام قال: وكان فيما وعظ به لقمان ابنه ان قال: ...

الدابر هذا من مخلفات اعمال قوم لوط المفسدين، حيث جزاهم اللّه بما أفسدوا، أو هو تحويل نباء فيه تهويل كما هنا: وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ ....»الحكم الفصل الإنباء إليهم في الكتاب:

التورات فلا هو تشريعي ولا تكويني، وانما قضاء علمي من أهم الملاحم التاريخية المنقطعة النظير يوحى إلى البشير النذير! وهل الكتاب هنا- فقط- التوراة حيث سبق ذكرها في «وَ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ»؟ ام كل كتابات الوحي الإسرائيلي؟ او كل ما كتبه اللّه من كتاب قبل القرآن؟ نجد نبأ القضاء على مطلق الإفساد بالمهدي عليه‌السلام وأصحابه في عديد من كتابات الوحي: في العهد العتيق والجديد وسواهما وقد يأتي نبأه في ختام البحث.

و أرض الإفساد هي الأرض كلها، دون اختصاص بالقدس او فلسطين، حيث الصيغة الخاصة به هي «الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ»: «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ»(٥: ٢١) ام ولا اقل «أرضا» حتى تخص جانبا من الأرض: «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً» (١٢:) ٩) (وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها»(٣٣: ٢٧) ام «أرضكم» او «أرضنا» او «أرضهم» حتى تدل على اختصاص، دون «الأرض»والقائل هو اللّه خالق السماوات والأرض، لانسان الأرض الذي يسكن جانبا منها فيعني من «الأرض» سكناه او ما يملكه منها ام ماذا؟

فصيغة الأرض من صائغها اللّه ليست لتعني إلا الأرض كلها، أم والأرضين السبع: «وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» (٦٥: ١٢) اللهم إلا بقرينة حاضرة تخصها، وليست هنا فلا اختصاص، فهما إذا إفساد ان في المعمورة كلها.

و هل المرتان هما- بعد- قتل زكريا ويحيى عليهما‌السلام[1]؟ وقتل كل نبي إفساد! وفي أنبياء إسرائيل من هم أهم وأعظم منهما! فاذيعني الإفساد قتل نبي فلما ذا «مرتين»دون «الاف المرات»؟ وقد كانوا يقتلون في يوم سبعين نبيا ام ما زاد او نقص!.

فليكن الإفساد ان في الأرض شاملين كل المعمورة: إفسادا في الأنفس قتلا وإضلالا، وفي الحرث والنسل: اقتصاديا، ثقافيا- أخلاقيا- سياسيا وحربيا ام ماذا، حيث يجعل المعمورة خربة بائرة لاتليق جوّا للحياة الإنسانية السليمة.

ان التاريخ الاسرائيلي على طوله هو تاريخ الفساد والإفساد، كما في تلمودهم[2] الا بعض ما كان زمن

---

[1].و لم يرد فيه رواية في التفاسير الاثرية للفريقين إلّا روايات عن بعض الاصحاب او التابعين او المفسرين دون اي دليل اللهم الا مارووه عن علي عليه‌السلام كما في الدر المنثور ٤: ١٦٣- اخرج ابن عساكر في تاريخه عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه في قوله: لتفسدن في الأرض مرتين، قال: الاولى قتل زكريا عليه‌السلام والاخرى قتل يحيى» وهي على كونها رواية يتيمة لا توجد في كتب أحاديثنا مردودة بما ذكرناه في المتن.

[2].و اليهود اليوم هم الذين يديرون العالم كما يشاءون، يقوم الفيلسوف منهم فيحرك العالم بما يختلقه، جاء في التلمود وهو ملخص دين اليهود تفسيرا للتورات «ان الله فرقنا في الأمم لأنه يعلم اننا شعبه وأبناءه وان العالم، الانساني كله خدم لنا، والإنسان كله برزخ بيننا وبين البهائم نستعملهم للتفاهم بيننا وبين الحيوانات، فعلينا ان نجعلهم متشاكسين متقاتلين متعادين ونتدخل في سياساتهم ونجعلهم في حرب‌خلاف دائمين لنربحهم في ضعفهم، ونزوج بناتنا لعظمائهم ونتدخل وندخل في كل دين لنفسده على اهله وتكون لنا السيادة على هذا الإنسان الذي سخره الله لنا».

و لقد عملوا ما أملوا وبلغوا ما أملوا حيث أسسوا البلشفية في روسيا ومنهم لينين، وماركس الالماني الذي هو اصل البلشفية يهودي.

سلطات الرسالات الاسرائيلية السامية كموسى ويوسف وداود وسليمان واضرابهم، ففي الأكثرية الساحقة زمانا ومكانا وإنسانا كانوا مفسدين ليل نهار، لا مرتين ولا آلاف فلا يحصيها الا الله! ولكن الإفساد- كما الإصلاح- العالميين يتيسران إلا في منظمة وسلطة وقيادة قوية، ولكي تعلو كافة النشاطات المضادة من حكومات وشعوب. والصهاينة المجرمون كانوا- وقبل سنين- شذاذ الآفاق متفرقين في البلاد، ليست لهم دولة او دويلة، فما كانوا يستطيعون الإفساد في الأرض، حيث كانوا تحت مختلف السلطات.

و لأول مرة في تاريخهم شكلت دويلة في فلسطين بما تآزرت الطاقات من شراذمة الآفاق والاستعمار الشرقي والغربي، وبما تساهلت او ساعدت دويلات عربية حتى احتلت فلسطين لحد غربي نهر الأردن وكما يروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله«يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقي النهر وهم غربيه»[1].

فلقد اختلقت دويلة العصابات الصهيونية منذ زهاء أربعين سنة، ثم احتلت بلادا اخرى ضمتها إليها بعد سنين بما فيها القدس، ثم أخيرا أعلنت ان القدس عاصمة إسرائيل، ثالوث منحوس من إفسادهم العالمي الأول، انطلاقا من فلسطين، وإطلاقا الى المعمورة كلها وحتى متى؟ لاندري.

هذه هي المرة الأولى من إفسادهم مرتين، وطبعا بلا علو كبير- على علوه- فان كبيره للثانية، وفي الأولى يساعدها او ينضم إليها او يستجيبها ويحرضها سائر سواعد الكفر والفساد في المعمورة، لاسائر اليهود والنصارى وسواهم من الكفار والملاحدة والمشركين فحسب، بل، وممن يتسمون المسلمين وايضا: من دويلات خليجية أماهيه التي هي ويلات على الإسلام والمسلمين العائشين تحت نيرهم، وكما نراهم يساعدون البعث الكافر ضد ايران المسلمة التي رفعت ولأول مرة في تاريخ الإسلام- راية الجمهورية المجيدة الإسلامية، فجند الكفر جنوده من مشارق الأرض ومغاربها على الحدود العراقية الايرانية ولكي يربح صدام صدام على هذه الجمهورية المباركة وتتخلص من حكم الإسلام الصارم[2].

فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا

ورؤاء جماهير امريكا كلهم من اليهود او عملائهم، وكذلك كفار الغرب‌الشرق الطواغيت وزعماء مستسلمين من المسلمين هم من عملائهم كما نراهم اليوم يعملون لصالح الصهيونية العالمية.

[1].الطبقات ٧: ٤٢٢ عن السكوني قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أقول: الدجال هنا هو إسرائيل شر دجال طول التاريخ، ونهر الأردن بين فلسطين والأردن، ونرى الآن ان غربي النهر محتل إسرائيلي والمسلمون في شرقيه، ولم يسبق لحد الآن في التاريخ الاسلامي احتلال الاراضي الغربية لنهر الأردن من قبل غير المسلمين الا قبل سنين من قبل الدجال الاسرائيلي ومن الطريف جدا صدق الصفة الخاصة للدجال المعروف في قائد الحرب الاسرائيلي ب (موشي دايان) فانه ممسوحة العين.

[2].لقد جاءتنا انباء موثقة من جيشنا الباسل الاسلامي في المحمرة: خونين‌شهر شهر، وسواها من الحدود الايرانية العراقية ان المساعدات في شتى الحاجيات الحربية تأتي للعراق من ١٠٦ دولة، وان المحاربين في خطوط النار ضد الجمهورية الاسلامية الان من (٢٥) دولة شرقية وغربية، نقل لي جماعة من هؤاء اننا أسرنا في المحمرة (٣٥) منهم وكانوا من (١٧) دولة كمصر والأردن والسعودية والمغرب‌امريكا و انكلترا وروسيا وفرنسا وإسرائيل ...، وان المحاربين الاردنيين في الجبهات بلغوا زهاء ٤٠٠٠/ نفرا، وهكذا يجند الكفر جنوده ضد جمهوريتنا، اللهم انصرنا عليهم بالمهدي وآبائه الطاهرين عليهم‌السلام.

.*

وعد الأولى هو موعد الانتقام منهم في المرة الأولى من إفسادهم العالمي، حيث تشمل زبانيته مشارق الأرض ومغاربها، وعلنا نعيش الآن في وعد الأولى، في بداية قضينا فيها على المكيـة الجبـارة في ايـران، وأخذنا في محاربة المستعمرين شرقيين وغربيين فأرسلوا علينا ذنبا من أذنابهم أحمق واشرس عملائهم «صدام».

يا ترى من هم «عِباداً لَنا» غيرنا ومن يلحق بنا ويستجيبنا من المسلمين الغيارى الأحرار؟ هل هم بعد بخت النصر الوثني مع جنوده الوثنيين ام هم من خيرة عباد اللّه الصالحين؟.

إن هذه الصيغة سائغة لعباد اللّه الخصوص، مصوغة لمـن يختصـون عبـوديتهم وعبـادتهم بـاللّه دون سواه، ففي العباد المعصومين نجـد هكـذا فـرادى ك «عَبْـدَهُ زَكَرِيّـا»(١٩: ٢) و«عَبْـدَنا داوُدَ» (٣٨: ١٧) و«عَبْـدَنا أَيُّـوبَ» (٣٨: ٤١) و«نـوح»(٥٤: ٩) وك «عبـده»الرسـول الأعظـم محمـد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌كـما هنـا، وجماعات: «وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ. إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ. وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ» (٣٨: ٤٧).

ثم ونجد «عبادا لنا» فيمن دون المعصومين صيغة مختصرة منقطعة النظير تخص هؤاء المبعوثين مرتين لدحر السلطات الصهيونية، طالما «عبادي»يعمهم وسواهم من المكرمين: «يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ»(٤٣: ٦٨) (فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» (٣٩: ١٧).

و كما في مثلث العباد «عبادنا» هم المصطفون: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِـنْ عِبادِنـا فَمِـنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِـالْخَيْراتِ بِـإِذْنِ اللّهِ. ذلِـكَ هُـوَ الْفَضْـلُ الْكَبِـيرُ» (٣٥: ٣٢) حيث السابق بالخيرات من العباد هم «عبادنا»والظالم لنفسه «عباد الشيطان»والمقتصد بين ذلك عوان.

ونحن لانجد في الطول التاريخي والعرض الجغـرافي الإسـلامي «عبـادا لنـا» خـيرا مـن المسـلمين الثـوار الايرانيين بمن يلحق بهم ويستجيبهم من سائر المسلمين في هذه المعركة المصيرية بين مطلـق الإسـلام ومطلق الكفر، اللهم إلا بعضا ممن كانوا مـع الرسـول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وعـلي والحسـين عليهم‌السلام‌ام مـن ذا؟ ولكنهم عاشوا قبل المرتين من الإفسادين العالميين، ونحن نعيش المرة الأولى منهما، فلنكن نحن «عبادا لنا»وقد يعبّر عنهم الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسـلّم) باخوانـه فـوق أصـحابه! في قولـه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌: «اللهم لقني إخواني»[1] «و يا ليتني قد لقيت إخو[1]اني» وهـم رفقـاءه صلى‌الله‌عليه‌وآله[2] «الواحـد مـنهم لـه اجـر

---

[1] .البحار ٥٢: ١٢٣- ٨ ير باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه‌السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: «اللهم لقني إخواني» مرتين- فقال من حوله من أصحابه: اما نحن إخوانك يا رسول اللّه؟ فقال: لا- إنكم اصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني لقد عرفنيهم اللّه بأسمائهم واسماء آبائهم من قبل ان يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم بأشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، او كالقابض على جمر الغضاء أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم اللّه من كل فتنة غبراء مظلمة».

وفيه (١٢٢) ٤- ج عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه‌السلام قال: تمتد الغيبة بولي اللّه الثاني عشر من أوصياء رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) والأئمة بعده. يا أبا خالد! ان اهل زمان غيبته القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره أفضل اهل كل زمان، لأن اللّه تعالى ذكره أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بالسيف، أولئك هم المخلصون حقا وشيعتنا صدقا والدعاة الى دين اللّه سرا وجهرا، وقال: انتظار الفرج من أعظم الفرج».

خمسين منكم»[3].
ولئن قلت إن هؤاء حسب النص يبعثون «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما» وأني لكم انكم في زمن وعد الأولي وعقابها وإفساد هذه المرة بعد لم يشمل المعمورة كلها حتى يحين حين وعدها.
علة لأن المرة الأولى بادئة منذ زمن، ولان في وعدها يبعث «عبادا لنا»وتصدق هذه الصيغة لأول مرة علينا، فلنكن نحن هم، وإلا فليقل «عبادا لنا»كذا وكذا حتى لايشملنا، ثم البعث آخذ فينا موقعه لما قطعنا ذنبا طويلا من أذناب إسرائيل «الشاه»ونعيش الآن قطع أذناب اخرى حتى نصل الى صاحب الأذناب «إسرائيل».
فكما أن إسرائيل تفسد في الأرض بأذنابه، بخيله ورجله، برجاله ورجّاله من مشارق الأرض ومغاربها، فليكن الانبعاث في «عِباداً لَنا» نابعا منا نابغا كأصل، ومستأصلا كل الفساد بمن يستجيبنا من مسلمي المعمورة الأحرار.
لهؤاء الثوار الأماجد حسب النص مثلث من الميزات: ١- (بعثنا ...»٢- (عبادا لنا»٣- (أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» والنتيجة:
«فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ» حيث يحققون الوعد: «وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا»!.
البعث الرباني ولا سيما في جمعية الصفات «نا» يعني بعثا ربانيا ايمانيا صامدا صارما كالبعثات الرسالية. فالبعث الصهيوني في الإفساد العالمي يتطلب بعثا ربانيا يكافئه في الإصلاح العالمي: بعث عتيد فيه باس شديد!، ومن قبل تأذن اللّه نوعية هذا البعث: «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ»(٧: ١٦٧): سلسلة من عباد اللّه الصالحين في حلقات متواصلة متفاضلة طول التاريخ الإسرائيلي لمن يسومهم سوء العذاب، ثم ويختص «عبادا لنا»بأخلصهم في هذا البين وأشدهم بأسا حيث يقضى بهم على الإفسادين العالميين.
فمن هؤاء الخصوص؟ هم

وفيه (١٢٥) ١٢- ك: عن الصادق عليه‌السلام عن آبائه قال قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) لعلي عليه‌السلام: يا علي! واعلم ان أعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد في بياض».

[1].١٣٢ ٣٦- جاء، باسناده عن عوف بن مالك قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ذات يوم: يا ليتني قد لقيت إخواني ...».

[2].المصدر ١٢٩ ٢٥ غط باسناده عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): طوبى لمن أدرك قائم اهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه يتولّى وليّه ويتبرّأ من عدوه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذووا ودّي ومودتي وأكرم امتي علي (و أكرم خلق اللّه عليّ).

[3].الغيبة للطوسي ٢٩٠ عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له اجر خمسين منكم قالوا يا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله‌سلّم) نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن؟ فقال: انكم لو تحملتم لما حمّلوا لم تصبروا صبرهم.

«قوم يبعثهم اللّه قبل خروج القائم فلا يدعون وترا لآل محمد إلا أخذوه[1] قتلوه[2] وتفجرة هذه البعثة المظفرة علّها من قم ف «هم والله اهل قم»[3] بمن يقودهم من رجله القائد الأعظم الخميني نصره اللّه وكما يروي عن الإمام الرضا عليه‌السلام: «رجل من اهل قم...»[4].

هؤاء هم الأولون في وعد الأولى، ثم الآخرون في وعد الثانية «هم القائم عليه‌السلام وأصحابه»[5].

ف «عبادا لنا» يقتسمون الى من «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا» ومن ثم من «لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» وكما الإفساد الثاني أقوى وعلوه أعلى من الأول واشجى، كذلك «عِباداً لَنا» فيه هم أحق وأحرى، كما أن قائدهم المهدي عليه‌السلام إمام لقائد المرة الأولى ولكافة المكلفين- اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه.

ثم لانجد البعث في آياته إلا بعث الرسل او بعث الأموات فالثاني تكويني والأول تشريعي يعم المرسلين دون سواهم، اللهم إلا من ينحو منحاهم كطالوت: «إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً» (٢: ٢٤٧) ثم اللهم إلا من يسومهم سوء العذاب دوما وأخيرا الا «عِباداً لَنا» أخصاء ثم لابعث إلا رساليا إلا في الغراب: «فَبَعَثَ اللّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ» (٥: ٣١) خارجا عن الشريعة التشريعية.

و ذلك البعث أيا كان، رسوليا او رساليا في غير الرسل يتضمن حركة قوية صارمة تقضي على الحياة العارمة، فكما بعث الأموات يحييهم، كذلك ذلك البعث يحيى ميت البلاد، ويحرر مستضعفي العباد عن سلطان الطواغيت بصورته العامة المستمرة ب «من يسومهم» والخاصة بالمرتين ب «عبادا لنا».

ثم «عبادا لنا» هي ك «بعثنا» تخصهم دون سواهم! وكذلك «بَأْسٍ شَدِيدٍ» إذ لانجدها إلا في الحديد: «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» (٥٧: ٢٥) ام في بأس اللّه: «وَ اللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا» (٤: ٨٤) اللهم إلا فيما يدعيه من لايصدّقون: «قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ» (٢٧: ٣٣) وقد تبين أن بأسهم بائس أمام بأس سليمان عليه‌السلام وأخيرا من يحذّر المخلفون من الاعراب عنهم: «قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ...»

(٤٨: ١٦) وهذا هو البأس الشديد لأعداء الإسلام منقطع النظير في التاريخ وعله بأس اليهود في

---

[1]. تفسير البرهان عن العياشي عن الامام الصادق عليه‌السلام والوتر بفتح الواو وكسره: الفرد او ما لم يتشفع والذحل او الظلم فيه هو المقصود هنا.

[2]. تفسير نور الثقلين ٣: ١٨ عن روضة الكافي عن الامام الصادق عليه‌السلام في تفسير قوله تعالى: بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا ...».

[3]. تاريخ قم تأليف حسن بن محمد القمي نقلا عن جماعة من اصحاب الامام الصادق عليه‌السلام قالوا: كنا حضورا عنده عليه‌السلام فتلا: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا ...» قلنا: جعلنا فداك من هؤاء؟ قال: هم واللّه اهل قم.

[4]. ياتي تفصيل هذا الحديث.

[5]. نور الثقلين عن تفسير العياشي عن حمران عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام

المرتين[1]، يقابله بأس شديد من «عِباداً لَنا»بأس شديد ببأس شديد، واين شديد من شديد، ثم لانجد شديدا للمصلحين في تاريخ الرسالات ام للمفسدين إلا هذا وذاك.
فهذا المثلث المجيد، المنقطع النظير بزواياه، يقضي على الصهاينة المجرمين، حيث يجوسون خلال الديار.
... فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا.
فالجوس هو الطلب باستقصاء في تردد حتى يتوسط المطلوب، وهؤاء المؤنون الأشداء يطلبون أولئك المفسدين في المرة الأولى باستقصاء وتردد خلال ديارهم وسائر الديار، دارا بعد دار ليجازوهم ما أفسدوا ويستأصلوهم ما وجدوهم، ونحن هم إنشاء الله! حيث لاندع وترا لآل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله إلّا أخذناه او قتلناه، والصهيونية العالمية بمن معها من كفرة البلاد او مسلميهم المستسلمين، هم كلهم وتر لآل محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله ونحن- بإذن الله- سوف نطأ ما فيها ومن فيها بلا تهيب! وإننا في هذه المرة ندخل المسجد الأقصى منتصرين وكما في آية الانتصار الثاني «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (٧).
...»!
ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (٧).
هذه الآيات من الملاحم الغيبية الثانية إبناء هاما عن آخر الزمن، حيث الظلم والفساد يعم المعمورة كلها على سلطة عالية صهيونية عالمية وعملائها وأذنابها في مشارق الأرض ومغاربها، ومن ثم يقضى على هذه السلطة بفرقة ثانية هي أسنى وأسمى من الأولى من «عبادا لنا» وهم القائم عليه‌السلام وأصحابه وتتحقق الدولة الأخيرة الإسلامية العالمية والى يوم القيامة.
إن لقيام صاحب الأمر شرطين اساسيين سلبا وإيجابا كما هما لهذه الدولة الإسلامية ب «عبادا لنا» قبلها، فالسلبي هو سلب الحق والعدل عن المعمورة بمن يعيثون في الأرض فسادا، والايجابي هو تحصّل «عبادا لنا»تبلورا من مسلمي المعمورة المجاهدين المناضلين، ولكي يحصل جند المهدي الأصلاء العشرة آلاف، وأصحاب ألويته الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا حيث يقودون الوية الدولة المهدوية وهم من اقسام مملكته في كل المعمورة.
عمال الناحية السلبية لتأسيس هذه الدولة هي الصهيونية العالمية واضرابها وكما في المرة الأولى، وعمال الناحية الايجابية لها هم خيرة من «عبادا لنا»كما في الأولى، أشداء خيرين وجاه أشداء شر يرين.
و كما ان الصهيونية العالمية تعمل وتتعامل في عيث الإفساد العالمي في لمرتين هاتين- وعلى طول الزمن- فضرورة المكافحة الإسلامية تقتضي النضال المكافح المتغلب من مسلمي المعمورة تبلورا في «عبادا لنا» في المرتين هاتين- وعلى طول الزمن- لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى: «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ» (٢: ٢٥١)
وإذا الأرض فسدت حيث «عبادا لنا»يستضعفون ولا يناصرهم أمثالهم من مسلمي البلاد، فعليهم ان

[1] .راجع سورة الفتح الجزء ٢٦ من الفرقان ص ١٨٢ على ضوء آية البأس الشديد.

يثوروا ويفوروا جميعا ولكي يجوسوا خلال الديار ويسوءوا وجوههم، «وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا».
فهناك على طول الخط «مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ» بعثا إلهيا الى يوم القيامة، ثم «عبادا لنا» في مرتي الإفساد العالمي، كما- علّنا- نعيش الآن أولاهما وتتلوها الثانية بقيام صاحب الأمر صلوات اللّه عليه.
و أنباء وملاحم السلطة الصهيونية في غلبهم وأنهم سيغلبون وفيرة عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌واهل بيته الكرام، نستعرض هنا منها نماذج:
قال صلى‌الله‌عليه‌وآله: «لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي فتعال فاقتله»[1]
وهذا يشمل مرتي الوعد في إفساديهم العالميين.
وقال صلى‌الله‌عليه‌وآله: «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا اليهودي من ورائي فاقتله»[2].
وقال علي عليه‌السلام: «ثم ليستعملن عليكم اليهود والنصارى حتى تنفوا- يعني الى أطراف الأرض- ثم لايرغم الله إلا بآنافكم ثم والله ليبعثن الله رجلا منا اهل البيت يملأها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا»[3].
و لاواقع لهذه الملحمة طول التاريخ الإسلامي لمثناه الاستثمار والاستعمار اليهودي النصراني إلا عند احتلال فلسطين بما تناصرا وتعاضدا- وتخاذل المسلمون- حيث نفي الفلسطينيون الى أطراف الأرض، ومن ثم سائر المسلمين بين منفيين عن أراضيهم او عن سلطاتهم الإسلامية، عائشين تحت السلطة الصهيونية الصليبية، ثم السلطة الإسلامية عليهما مرتان أخراهما هي العالمية الكبرى الدائبة، كما الإفساد الثاني عالمي، وهذه الخطبة تبشر بالثانية، وسائر ما ننقله من الملاحم شاملة لهما[4]. او تخص الثانية[5].
و كما الآيات الأولى أنذرت بالمرة الأولى في الإفساد العالمي ثم بشرت ان «عبادا لنا» يجوسون خلال

---

[1].صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨٨ والبخاري ٢: ١٧١.

[2].سنن الترمذي ص ٥٢٣

[3].الكني للدولابي ج ٢ ص ١٥٧ عن شيخ من النخع سمعت عليا عليه‌السلام يقول وهو على المنبر: ...

[4].و منها اضافة الى ما مضى في الرقم ١ و٢ ما رواه احمد في مسنده (٢:٤١٧) عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر او الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ...».

[5].في الفائق ٢: ٢١٩- غر خطب الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فذكر الدجال وقتل المسيح له قال: فلا يبقى شيء مما خلقه اللّه تعالى يتوارى به يهودي الا انطق اللّه ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا دابة فيقول يا عبد اللّه المسلّم هذا يهودي فاقتله الا الغرقدة فانها من شجرهم فلا تنطق، وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليدة في فم الحنش فلا يضره».

الديار كذلك هذه الثانية تنذر أشد من الأولى وتبشر ببشارة فوقها. إنذارات وتبشيرات جزاء وفاقا والعاقبة للتقوى:

فمربع الإنذار: ١- لتفسدن، ٢- ثم رددنا ... ٣- وأمددناكم ...

٤- وجعلناكم ...

و مربع: ١- فجاسوا، ٢- ليسوؤ وجوهكم، ٣- وليدخلوا المسجد- ٤- وليتبروا ...

هذا مربع التبشير بفضل اللّه ورحمته، فترى كيف يضيف اللّه الى نفسه ثالولا من الإنذار؟

عله حتى لايقال أنهم غالبون على أمر اللّه حيث يكرون على «عبادا لنا»المبعوثون من اللّه، ذلك بان اللّه لايحول دون ثالوثهم جبرا عليهم في حولهم وحيلهم حيث الدار دار الاختيار وليس الإجبار، ومجرد أنه لايحول بينهم وبين كرتهم هذه يسمح بهذه الإضافة «رددنا ..» وكما في اضرابها:

«أَنّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» (١٩: ٨٣) (وَ كَذلِكَ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها» (٦: ١٢٣) (وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» (٦: ١١٢) إرسال وجعل تكويني في اختيار دون إجبار[١] لاتشريعي حيث الأمور كلها راجعة الى اللّه وصادرة عنه، وكما يليق بساحة قدسه دون تغلب لأحد على اللّه لافي خير ولا في شر.

إن الإمهال الإلهي لعمال الإفساد امتهان واستدراج للمفسدين وامتحان للمؤنين: «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» (٢١: ٣٥).

و تلكم الكرة الأخيرة على «عبادا لنا» علها ليست لأنهم يتساهلون في نضالهم. وإنما لتقللهم في عدتهم وعدتهم، وتعلل من تتوجب عليهم نصرتهم من مسلمي البلاد من ناحية، ثم من أخرى الانتفاضة العامة من الصهيونية المتبقية خلال الديار، بمن يستجيب لهم من سائر الكفار، حيث يجند الشيطان جنده ويحزب حزبه للمرة الثانية والاخيرة ويضاف الى الإفساد العالمي من الصهيونية العالمية علو كبير، حيث الإفساد في الأرض مرتان والعلو مرة واحدة وهي في الثانية: «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ لَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً» لا علوين، وهو في الإفساد الثاني، إذ هم فيه «أَكْثَرَ نَفِيراً»!.

و ترى كيف بإمكان اليهود هذان الإفساد ان العالميان والعلو العالمي في الأخير، وهم مضروب عليهم بالذلة والمسكنة؟ وهل الدولة القوية والسيطرة العالمية بعد ذلة ومسكنة، وهم ممدود لهم بأموال وبنين وهم بعد اكثر نفيرا؟! واللّه تعالى يعد المسلمين في تصريحة قاطعة: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذىً وَ إِنْ

---

[١] .فإذ لا مؤر في الوجود إلا اللّه فكل اثر و تأثير فيه اذن من اللّه، فان كان خيرا فالأذن في مثلث: التشريعي- التكويني توفيقا و التكويني في الجزء الأخير من العلة التامة، و ان كان شرا فإلا خير فقط، بعد ما قدم المكلف كل حوله و قوته و لم يبق من مقدمات فعله الا اذنه تعالى تكوينا، فان لم يأذن إذا أصبح المكلف مسيرا مجبورا في ترك الشر، و ان اذن حيث يجعل المكلف مجبورا في فعل الشر كان ظلما، و العدل العوان بين ذلك هو أن يكون اذنه تعالى بعد تكملة مشيئة المختار بما قدم من مقدمات اختيارية، فهو تعالى يأذن هنا كجزء من اجزاء العلة التامة، و ما دام الفعل مسنودا الى اختيار من الفاعل و ان كان واحدا بالمائة من مقدماته يعتبر ذلك الفعل اختياريا، و ان كان العقاب و الثواب حسب درجات الاختيار فان أفضل الأعمال أحمزها.

فإذ ينسب اللّه شرا الى نفسه لا يعني إلا سلبا و إيجابا: انه لم يحل بين العبد و شره «وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» و إنه اذن له أخيرا في فعله تكوينا لا ينافي الاختيار، فليس اللّه فاعلا لشره و لا معاونا له شريكا في شره. و انما لم يمنع اجبارا و اذن له اختيارا: اذن في اختياره السوء ان يتحقق ما يريده باختياره السوء، «وَ مَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ».

يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ» (٣: ١٠٨)؟. بلى! إنهم مضروب عليهم بالذلة حيث ما ثقفوا إلّا بحبل من اللّه وحبل من الناس، و«لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذىً»ولكن شريطة تحقيق شروط من اللّه وكما قال اللّه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ (٩٦) .. وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٩٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٩٨) وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا .. (٩٩) وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠١) وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ .. (١٠٣) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ .. (١٠٧) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلّا أَذىً وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (١٠٨) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلّا بِحَبْلٍ مِنَ اللّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النّاسِ وَ باؤ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ» (٣: ١٠٩).

فهناك ذلة بترك الحبلين ومسكنة على اية حال لكفرهم بآيات اللّه وقتلهم الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، فلو أنهم تمسكوا بالحبلين لزالت عنهم الذلة والمسكنة تماما، أو انهم تمسكوا بحبل واحد وكما هم متمسكون الآن بحبل من الناس[1] لزالت عنهم الذلة على حدّ تمسكهم وتماسكهم مع بعض، ثم المسكنة هي حالة الاحتياج وان كانوا في غنى ظاهرية اقتصاديا وكما هم لزامهم هذه الحالة وان ملكوا ثروات العالم.

ثم المسلمون المخاطبون «لن يضروكم» انما هم المخاطبون بسابقة الآيات الصابغة لهم بصبغة: ١- الا يطيعوا الكفار ٢- ويعتصموا بحبل اللّه جميعا وهو الاعتصام بالحبلين جميعا ٣- ويتقوا اللّه حق تقاته ٤- ويعتصموا باللّه ٥- وتكن فيهم أمة داعية آمرة ناهية ٦- ولا يتفرقوا!.

و اما المسلمون المستسلمون أمام الاستعمار الكافر، التاركون للحبلين، ام ماذا؟ مما خوطبوا به في هذه الآيات فلا يصدق لهم «لن يضروكم»فالمتمسك بحبل واحد وان كانوا هودا يتغلب على تارك الحبلين وان كانوا مسلمين، وكما انتصرت إسرائيل على المسلمين العرب المستسلمين حيث انتكس هؤاء عن حقيقة إسلامهم وتمسك اليهود بحبل من الناس فيما بينهم أنفسهم بتدعيم الوحدة بينهم وسائر المستعمرين شرقا وغربا، فلم يكن ذلك الانتصار وتأسيس دويلة العصابات، وتلكم الانتكاسة من المسلمين العرب الا جزاء وفاقا لأولاء وهؤاء واللّه من وراء القصد ف «لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ..»(۴: ١٢٣).

«ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» كرة للصهيونية العالمية على «عبادا لنا»: رجوعا عليهم بتغلب أشد من الأولى وأنكى، حيث العدة والعدة لهم في هذه المرة أقوى: «وَ أَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً»: منهم، ومنكم في المرة الأولى وليس إمدادهم بأموال وبنين وجعلهم اكثر نفيرا حيث تسببا رد الكرة عليهم، إلا مسارعة لهم في إساءة وجوههم: «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ

---

[1] .و ان كان حق التمسك بحبل من الناس ان يتبنى حبلا من اللّه، ولكن لحبل من الناس متحللا عن حبل اللّه اثره وجاه تارك الحبلين تماما.

لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ» (٢٣: ٥٦) وإلا إملاء لهم ليزدادوا إثما: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ»(٣: ١٧٨). كما وان جعلهم اكثر نفيرا في حربهم «عبادا لنا» ليس إلا إملاء لهم واملالا، وكل ذلك امتهانا لهم، وامتحانا ل «عبادا لنا» ولأنهم قلّوا وأولئك كثروا، وأنهم تخلى عن مناصرتهم مسلموا البلاد، وأولئك تماسكوا أكثر من المرة الأولى و«لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ. مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ» (٣: ١٩٧). ثم ورد الكرة عليهم لايعني القضاء الحاسم على «عبادا لنا» وانما قضاء مالردح قليل من الزمن، حيث العلو الكبير يختصهم فلا يبقي لهؤاء الأكارم إلا علوا دون الكبير، حفاظا على كيانهم، وتحلّلا عن السيطرة الإسلامية على المعمورة كلها، عكس ما مضى في المرة الأولى، حيث الجوس في البلاد ما عنى القضاء الحاسم على الصهيونية، فلذلك تراها تنبو بعد ذلك وتنموا حتى ترد الكرة عليهم.

ثم «لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ» في وعد المرة الآخرة، راجع الى «عبادا لنا»مهما قضى نحبه البعض منهم وخلفه آخرون من أجناسهم دون أشخاصهم، فهذه الدولة الحقة التي يؤسها «عبادا لنا» في المرة الأولى سوف تبقى ومن ثم تضعف برد الكرة ردحا من الزمن، وتتصل بالدولة الأخيرة المهدوية وكما يشير الى ذلك باقر العلوم عليه‌السلام: «كأنى بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا الى صاحبكم قتلاهم شهداء أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»[1].

وقد ينطبق تماما على ثورتنا الإسلامية المجيدة المظفرة في ايران حيث قمنا ثلاث قومات[2] وفي الثالثة أقمنا الجمهورية المباركة الإسلامية بقيادة القائد الأعظم نائب الامام السيد روح اللّه الخميني أطال

---

[1].غيبته النعماني ص ١٤٥- ابو خالد الكابلي عن الامام محمد بن علي الباقر عليه‌السلام.

و في ج ١٣ ص ٢٢١ ملحقات احقاق الحق شرح لآية اللّه العظمى المرعشي باب يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وأله وسلّم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه أقول: وعلّهم هؤاء الثوار المخلصون الذين يعبّدون الطريق للمهدي عليه‌السلام ويناسب الثورة المباركة الاسلامية في ايران.

رواه جماعة من الاعلام منهم الحافظ وابن ماجة القزويني في سنن المصطفى ج ٩ ص ٥١٩ والعلامة الحمويني في فرائد السمطين مخطوط والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٨ مكتبة القدسي بالقاهرة والعلامة السيوطي في الحاوي للفتاوى ص ٦٠ ط القاهرة والعلامة ابو عبد اللّه محمد بن عثمان البغدادي في المنتخب من صحيحى البخاري ومسلّم ص ١٨٣ مخطوط والعلامة النابلسي في ذخائر المواريث ج ١ ص ٢٩٢ مكتبة القدسي بمصر والعلامة النبهاني في الفتح الكبير ج ٣ ص ٤٢٠ ط مصر والعلامة القرطبي في التذكرة ط مصر والحافظ الكنجي الشافعي في البيان في اخبار آخر الزمان ص ٣١٤ ط النجف والعلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص ٩٨ ط عبد اللطيف بمصر والعلامة المولى على المتقي الهندي في منتخب كنزل العمال المطبوع بهامش المسند ج ٦ ص ٢٩ الميمنية بمصر و العلامة الشيخ عبد النبي بن احمد القدوسي الحنفي في سنن المهدي ص ٥٧٢ مخطوط.

[2].القيام الاول- في هذا الوجه- كان في الثاني عشر محرم الحرام- ١٥ خرداد ١٣٤١ حيث سقط من جرائه عشرات الآلاف من القتلى، والثاني في عام ١٣٥٦ حين استشهد نجل نائب الامام السيد مصطفى الخميني واستشهد الآلف، والثالث حين انتقل نائب الامام من النجف الى باريس واضطر محمد رضا بهلوي الى تسليم الأمر اليه ثم يبقى هو على عرشه دون اية مسئولية، ولكن الامام لم يقبل منه حتى ثار الثورة الثالثة حيث فر الشاه ومن ورائه رئيس وزرائه وأسست الجمهورية الاسلامية بقيادة نائب الإمام روح اللّه الخميني.

الله بقاه، وسوف لاندفع هذه الراية المظفرة إلا الى صاحبنا صاحب الأمر الحجة بـن الحسـن المهـدي صلوات الله وسلامه عليه وستأتيكم روايات كهذه وأوضح في انباء وملاحم غيبته ان شاء الله تعالى.
و قد يناسبها ما يروى عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله حيث يفسر آية الكرة بقيام القائم عليه‌السلام، ويفسر «عبـادا لنا» بسلمان الفارسي ومن كان مثله ممن يوالي القائم بحقيقة المعرفة[1] وعل دمج المـرتين بـبعض هنـا وهناك يشير الى قلة الفصل بينهما، وان الأولى:
إفسادا او إصلاحا، لتعبيد الطريق إلى الثانية، اللهم عجل لنا الثانية بما تعبّده في الأولى.
.. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها .. (٧).
في هذه الفترة من الكرة. إِنْ أَحْسَنْتُمْ «دون إفساد وعلو» أَحْسَـنْتُمْ لِأَنْفُسِـكُمْ»حيـث‌يقفـى علـيكم إن أحسنتم فأصبحتم عدولا مسلمين، ام بقيتم هودا مستسلمين، «وَ إِنْ أَسَأْتُمْ» وأفسدتم في الأرض بعلو كبير «فلها» حيث «عبادا لنا» لكم بمرصاد صارم ف «لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ».
إنه ليست الحسنى بالتي تحسن حالـة طائفـة فحسـب دون أخـرى، او السـيئة تسيء جماعـة دون آخرين، فالضابطة العامة التي لاتتغير في الدنيا والآخرة، والتي تجعل عمل الإنسان كله له دون سواه، بكل ثماره ومخلفاته، وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، انهـا «إِنْ أَحْسَـنْتُمْ أَحْسَـنْتُمْ لِأَنْفُسِـكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها» دونما استثناء.
.. فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا مـا عَلَـوْا تَتْبِيراً (٧).
وعد الآخرة، وما يدريك ما وعد الآخرة؟ إنهـا ليسـت الآخـرة في الاخـرى. بـل هـي الآخـرة مـن مـرتي الإفساد في الدنيا: الأرض كلها، حيث تجمع الصـهيونية العالميـة بـين الإفسـاد والعلـو الكبـير العـالمي بأذنابها الكفار امّن ذا؟؟ من بني الإنسان المتخلفين عن شرعة الله، إذ تتـذرع بثالوثهـا لتجعـل الأرض فاسدة كاسدة لاتصلح فيها حياة انسانية إلا على تخوف وحذر. ثم لايطول فسادهم العالمي الا ردحا من الزمن حيث تتفجر الجماعات البشرية ب «عبادا لنا» في وجه الظلم والطغيان، وليحققوا مثلثا من النكال والإصلاح: ليسوؤ وليدخلوا- وليتبروا!.
و هذه هي المرة الثانية والأخيرة من دولة الباطل حيث يقضى عليها بالمهدي عليه‌السلام‌وأصـحابه- وعـلى طول الخط- كما قضي عليها بأضرابهم ردحا من الزمن، وعلّ الدولتين متصـلتان عـلى فـترة في ضـعف بينهما للأولى وهنا أوامر ثلاث يحققها زعيم الدولة الإسلامية الأخيرة بأصـحابه الأكـارم «فبـه يمـلأ الله الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا».

---

[1] .كمافي تفسير البرهان ٢: ٤٠٦- ابو جعفر محمد بن جرير في مسند فاطمة باسناده الى محمد بن خلف الطاهري عن زادان عن سلمان- في تعريفه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بالأئمة الاثني عشر، ثم محمد بن الحسن الهادي المهدي الناطق القائم بحق اللّه ثم قال يا سلمان انك مدركه ومن كان مثلك ومن توالاه بحقيقة المعرفة قال سلمان فشكرت اللّه كثيرا ثم قلت يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم! و اني مؤل الى عهده ثم قال يا سلمان اقرء «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما .. ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ .. قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي ثم قلت يا رسول اللّه بعهد منك فقال: اي واللّه الذي أرسل محمدا بالحق مني و من علي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة وكل من هو مني ومعنا وفينا اي واللّه يا سلمان وليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الايمان محضا ومحض الكفر محضا حتى يؤذ بالقصاص والأوتار والاثوار ولا يظلم ربك أحدا وتحقق تأويل هذه الآية: «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ...

«لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ»: كما اسأتم وجوه الإنسانية وأفسدتم وجه الحياة، ف «عبادا لنا»من تبقّى من المرة الأولى ومن يستحصل حتى المرة الثانية من أضرابهم وهم أقوى واهدى سبيلا، هؤاء الأكارم مبعوثون مرة انية بأمر اللّه أن يواجهوهم في وجوههم كل الوجوه وبكل الوجوه، استئصالا لنائرتهم، واسودادا لوجوههم وسيادة لوجوه المؤنين واشراقة دائبة لاتنقضي.

«لِيَسُوؤا وُجُوهَكُمْ» قتلا وتشريدا وتنكيلا وتذليلا، وليس قتل الإبادة فقط- إذ يتبقى منهم جماعة لاحيلة لهم ولا حول ولا قوة، عائشين حياة الذل والعداء فيما بينهم: «وَ أَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»(۵: ۶۴) وهذه لليهود، ولا يعني سعي الفساد منهم إلا لحد المرة الثانية من إفسادهم العالميين، وسائر إفسادهم لهذا الحد، حيث هم كإخوانهم النصارى لاقوة لهم في هذه الدولة: «وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَ سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ» (۵: ۱۴) فالطائفتان باقيتان على قلة من عدة وعدة الى يوم القيامة، عائشتان العداوة والبغضاء فيما بينهم، ولكنهم تساء وجوههم في افسادهم الثاني، فلا تضر عداءهم بينهم الدولة الإسلامية العالمية.

و بعد ما ساءت وجوههم وشاهت وانهارت شوكتهم وعلوهم الكبير:

۲ (وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ»: يدخل «عبادا لنا» المسجد الأقصى- دخولا لاخروج عنه، حيث يصبح مقرا لزعيم الدولة الإسلامية القائم المهدي عليه‌السلام«كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ» حيث «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ»، واين مرة من مرة؟! فأول مرة من مرتي الإفساد التي- علّنا- نعيشها الآن سوف ندخل المسجد الأقصى ونبقى فيه مسيطرين ردحا من الزمن، ثم نخرج فنرجع اليه زمن المهدي عليه‌السلام مرة ثانية وعلى طول الخط اللهم عجل فرج صاحب الأمر. ۳- (وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً» والتبر هو الإهلاك الكبير حيث لايبقي ولا يذر وترا من المفسدين وليس هو هلاك عمال الفساد فحسب، فانه هلاك فسادهم أيضا: تبارهم بفسادهم ومن تبار العمال: «وَ كُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الْأَمْثالَ وَ كُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً»(۱۷: ۷) ومن الأعمال: «إِنَّ هؤلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» (۷: ۱۳۹) وهؤاء هم العاكفون على أصنام لهم.

و تبار الصهيونية في هذه المرة بالمهدي عليه‌السلام وأصحابه هو تبار استئصال لهم بفسادهم وعلوهم الكبير، هلاك كبير لعالين وعلوّ كبير، ف «ما علوا» كما يعني علوهم[1] كذلك يعني أشخاصهم في علوهم استئصالا للشرور والشريرين.

فقد يستأصل الشر بآثاره والشرير باق بجدده، وقد يستأصل الشرير والشر باق بمخلفاته، «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا» ليس تتبيرا لأحدهما والآخر باق وإنما «تتبيرا»مستأصلا للشر- والشرير معا بحيث لايجدد ابد

---

[1]. و «ما» هنا مصدرية تؤل مدخولها الى المصدر «علوّهم» والنتيجة ليتبروا علوهم- وكذلك هي موصولة: ليتبروا الذين علوا في الدرجة التي علوا- تتبيرا وهما معا هنا معنيان: تتبيرا لهم على علوهم ولفسادهم.

و انما «ما» دون «من» وذووا العقول يتطلبون «من»؟ لامرين: ان المصدرية هنا معنية كما الموصولة فلتكن «ما» وانهم اراذل لحد البهائم بل هم اصل فلا يستحقون «من» الخاص بذوي العقول.

الآبدين ودهر الداهرين، وكذلك تكون ثورة المهدي عليه‌السلام ودولته.
ثم هؤاء الصهاينة المجرمون بمن معهم من أوتارهم واذنابهم وأحزابهم، انهم يقتسمون في تبارهم أقساما، فمنهم من يقتل ومنهم من يتوب، ومنهم عوان بين ذلك:يقتل ولا يتوب، وانما يستأصل شره وإفساده، فلا تبقى عدائهم إلا فيما بينهم كما مضت آية إلقاء العداوة بين اليهود وإغرائها بين النصارى الى يوم القيامة، ثم لايعودون ولن الى إفساد عالمي:
عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (٨).
فالرحمة المرجوة لهم تشمل رحمة الغفران بالايمان، ثم رحمة الإبقاء لهم بلا ايمان ولا إفساد، فان عادوا في الإفساد عاد لهم التبار الهلاك هنا ثم في الآخرة «وَ جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً»: سجنا يحصرهم.
الفصل بين الافسادين : وترى هل الفصل بين الافسادين بالدولة الإسلامية طائل ام ماذا؟
عله طائل لمكان «ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ..» حيث توحي بالتراخي ثم لاتراخي للإفساد الثاني لمكان «ف»: «فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ ..» فبين الوعدين بون متراخ للدولة الإسلامية الاولى التي نعيشها، والدولتان متصلتان على فترة قصيرة حيث الإفساد الثاني، فيها فتور للدولة الأولى، وقوة للإفساد الثاني أقوى من الأول، وكما يستفاد من أحاديثنا حول الافسادين والدولتين.
و ترى كيف تجتمع الدولة الإسلامية الأولى مع الإفساد العالمي الثاني في فترته القصيرة؟
انها تبقى لحد الحفاظ على اصل كيانها، ولكي تستحصل البقية الباقية من جنود المهدي عليه‌السلام وأصحاب الألوية.
و كما أن دولة المهدي عليه‌السلام أقوى وأسمى وأشمل دولة الهية طول تاريخ الرسالات كذلك أصحاب ألويته هم سلالات وحصالات لرسالات، من أنبياء وأولياء وأصحاب الرسل وأفضل من تربى في حجور الرسالات.
فمن الرسل داود وسليمان ودانيال ام من ذا؟
و من اصحاب الرسل يوشع وصي موسى وشمعون وصي عيسى- عليه‌السلام-ومن أصحاب محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله سلمان الفارسي ومالك الأشتر النخعي وابو دجانة الانصاري ام من ذا؟
«وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ» وهم خمسة وعشرون رجلا.
و من هم وكم هم من قوم عيسى؟ لاندري ...
ثم ومن هم وكم هم من امة محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله علهم أو انهم اكثر الأمم، ويستحصلون طول الرسالة الإسلامية حتى قيام القائم عليه‌السلام.
و قد يكون قائد ثورتنا الإسلامية السامية في ايران منهم ومن أفاضلهم بعد أنبياءهم وأئمتهم.
و حيث اللواء لغويا هو قائد الجيش ومتصرف اللواء، فهؤاء الثلاثمائة والثلاثة عشرا هم قواد الجيش ومتصرفوا ألوية الدولة الإسلامية، «فإذا اجتمعت له هذه العدة من اهل الإخلاص اظهر امره»[1]. واصول

[1] .بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٣ ج ١٠- ك: السناني عن الاسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني قال قلت لمحمد بن علي بن موسى ... وفي سفينة البحار ٢: ٧٠٣ عن عبد العظيم الحسني قال قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه‌السلام اني لأرجو ان تكون القائم من اهل بيت محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا فقال: يا أبا القاسم ما منا إلّا

الجيش بداية هذه الدولة هم عشرة آلاف، قلوبهم كزبر الحديد يعطى لكل واحد منهم قوة أربعين رجلا، ثم اللاحق الملتصق بهم لاندري عدتهم وعدتهم، ولكنهم كمجموع- هم دون ريب- أقوى جيش في تاريخ الرسالات والإنسان عدة وعدة ايمانية وحربية عادلة، اللهم اجعلنا منهم.

انباء الدولة الإلهية وابنائها في الكتاب.

عل الكتاب في «وَ قَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ» يعني عامة التوراتخاصتها، فهي كعامة تشمل العهد العتيق كله، بما فيه كتابات الوحي التوراتي بتوراتها كأصل وبسائر أسفارها كفروع لها، ام وكتابات الوحي الانجيلي ايضا أصولا وفروعا، حيث الشرعة التوراتية والإنجيلية شرعة واحدة اللهم إلا شذرا مما في الإنجيل من تحليل للبعض مما حرم على إسرائيل من محرمات ابتلائية مؤتة، او يعني الكتاب مطلق كتابات الوحي قبل القرآن.

و مما تبقّى من هذه الأنباء هي التي تؤد قيام صاحب الأمر استئصالا لجذور الظلم والطغيان «وَ لِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً»[1] ما جاء في زبور داود مرارا وتكرارا كما في تصريحة قرآنية: «وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ. إِنَّ فِي هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ»(٢١: ١٠٦).

و «عِبادِيَ الصّالِحُونَ» هنا، هم من «عبادا لنا» ها هنا حيث يرثون الأرض بعد إفسادها الثاني، والزبور هو زبور داود عليه‌السلام فانه بعد الذكر: «التوراة» حيث تذكر نفس البشارة بشتى العبارات، ولقد كتب اللّه تعالى هذه البشارة الاسرائيلية من عتيقها وجديدها.

ففي الزبور ٣٧: ١- ٣٤- تتكرر هذه البشارة كالتالي:

فان الأشرار يستأصلون وأما الذين يرجون الرب فإنهم يرثون الأرض (١٠) ... أما الآثمة فيعاقبون وذرية المنافقين تستأصل (٢٩). والصديقون يرثون الأرض ويسكنونها الى الأبد (٤٣) انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض عند استئصال المنافقين تنظر (٣٤).

و الآية الاخيرة بشارة لداود أنه من ورثة الأرض في الدولة الحقة الأخيرة وقد يكون من الثلاثمائة والثلاثة عشر أصحاب الأولوية ويحق له!.

القائم في اشعياء تصطلح في ملكه السباع:

كما في (اشعياء ١١: ١- ١٠): ويخرج قضيب من جذريسي وينمي فرع من أصوله[2] ويستقر عليه روح

قائم بأمر اللّه عز وجل‌هاد الى دينه ولكن القائم الذي يطهر اللّه به الأرض من اهل الكفر والجحود ويملأها عدلا وقسطا هو الذي يخفي على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته وهو سمي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه‌آله و سلّم) وكنيه وهو الذي تطوى له الأرض ويذل له كل صعب يجتمع اليه أصحابه عدة اهل بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من اقاصي الأرض وذلك قول اللّه عز وجل: «أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فإذا اجتمعت له هذه العدة من اهل الإخلاص اظهر امره فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن اللّه عز وجل فلا يزال يقتل اعداء اللّه حتى يرضى اللّه عز وجل ...».

[1] .راجع الى كتابنا (رسول الإسلام في الكتب السماوية) من ٢٥- ٢٧٠- تجد فيه تفاصيل ما جاءت في كتابات الوحي منذ خمسين قرنا.

[2] .في أحاديثنا: ينزل المهدي الى بيت المقدس- تخرج له الأرض أفاليذ- أفلاذ كبدها- تصطلح في مكة السباع- اقل الاعمار مائة سنة حتى ان الرجل ليرى مائة نسمة من نسله- يستأصل الفساد عن الأرض.

الرب روح الحكمة والفهم وروح المشورة والقوة وروح العلم وتقوى الرب[1] ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضي بحسب رؤة عينيه ولا يحكم بحسب سماع أذنيه[2] بل يقضي للمساكين بعدل ويحكم لبائسي الأرض بإنصاف ويضرب الأرض بقضيب فيه ويهلك المنافق بنفس شفتيه[3] ويكون العدل منطقة حقويه والحق حزام كشحيه[4] فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويكون العجل والشبل والمعلوف معا والأسد يأكل التبن كالثور (۶) ويلعب المرضع على حجر الأفعى ويضع الفطيم يده في نفق الأرقم (۸) لايسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر (۹) وفي ذلك اليوم اصل يسيء القائم راية للشعوب إياه تترجى الأمم ويكون مثواه جيدا(۱۰).

هذه الآيات تفسرها التي سلفت من الزبور، دالة على أن القضيب من جذريسي أبي داود ليس هو داود، فان داود من أصحاب ألويته في دولته، ثم ولم يعهد اصطلاح البهائم وامتلاء الأرض من معرفة الرب واستئصال الشر في اي زمن رسالي على طول الخط ولا اي ملك الهي، اللهم إلا ما وعدناه ونرجوه زمن «القائم» من جذريسي حيث ينتسب من ناحية الأم الى يسي أبي داود عليه‌السلام ويضرب الأرض بقضيب فيه حيث يقوم بالسيف في آخر الزمن!.

و في اشعياء ۶۵: ۱۱- ۲۵- تنديد شديد ببني إسرائيل لإفسادهم ويهددهم بالتبار وانتقال دولتهم الى «عبيدي» وهم «عبادا لنا» في الاسراء:

و أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسي الذين يهيئون المائدة لجد ويعدون المزوج لمناه (۱۱) فأعينكم للسيف وتجثون جميعكم للذبح. لأني دعوت ولم تجيبوا. تكلمت ولم تسمعوا وصنعتم الشر في عيني وما لم أشأ إياه آثرتم (۱۲) لذلك هكذا قال السيد الرب: ها إن عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون. عبيدي يشربون وأنتم تعطشون (۱۳) عبيدي يفرحون وأنتم تحزنون. عبيدي يرنمون من طيب القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب وتولون من انكسار الروح (۱۴) وتخلفون اسمي

و هناك انتقالان من بني إسرائيل الى بني إسماعيل- انتقال الشريعة بمحمد صلّى اللّه عليه وأله وسلّم وانتقال الملك بالمهدي من آل محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) «راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية).

[1].عنه عليه‌السلام يرجع من الأموات من محض الايمان محض من محض الكفر محضا.

[2].الخطبة ۱۰۱ من نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي له عن علي (عليه‌السلام (۲، ۳) ج ۲ ص ٥٦٧ سفينة البحار للمحدث القمي نقلا عن بحار الأنوار للمجلسي.
له والزوراء هي بغداد.

[3].من الخطبة ۱۰۰ نهج البلاغة للسيد الرضي عن علي عليه‌السلام

[4].تفسير نور الثقلين ۳: ۱۳۹ في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال امير المؤنين عليه‌السلام في خطبته: ...

لمختاري ويقتلك السيد الرب ويدعو عبيده باسم آخر (١٥) فالذي يتبارك بهذا الاسم على الأرض يتبارك بآله الحق والذي يقسم به على الأرض يقسم بآله الحق لان المضايق الاولى قد نسيت وسترت عن عيني (١٦) لأني ها أنا ذا أخلق سماوات جديدة وأرضا جديدا فلا تذكر السالفة ولا تخطر على البال (١٧) بل تهللوا وابتهجوا الى الأبد بما أخلق فإني ها أنا ذا أخلق أورشليم ابتهاجا وشعبها سرورا (١٨) وابتهج باورشليم وابشر بشعبي ولا يسمع فيها من بعد صوت بكاء ولا صوت صراخ (١٩) لايكون هناك طفل أيام ولا شيخ لم يستكمل أيامه لأن الصبي يموت وهو ابن مائة سنة والخاطئ يلعن وهو ابن مائة سنة ويبنون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون ثمرها (٢١) لايبنون ويسكن آخر ولا يغرسون ويأكل آخر لأن ايام شعبي كأيام الشجر ومختاري يتمتعون بأعمال أيديهم لايتبعون باطلا ولا يلدون للرعب لأنهم ذرية مباركي الرب وأعقابهم معهم قبل أن يدعوا أجيب وفيما يكلمون أستجيب (٢٤) الذئب والحمل يرعيان معا والأسد كبقر يأكل التبن. أما الحية فالتراب يكون طعامها، لايضرون ولا يفسدون في جبل قدسي (٢٥).

هذه الانباءات هي آتية في أنباء الإسلام للدولة المهدوية حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة *، وكما أجمل عن نبأها في آيات الإسراء- تأمل.

و في (دانيال ١٢: ١- ٣): وفي ذلك الزمان يقوم ميكائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الزمان. وفي ذلك الزمان ينجو شعبك كل من يوجد مكتوبا في الكتاب * وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي * ويضيء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا كثرين أبرارا كالكواكب الى الدهر والأبد * ..

و فيها تصريحة الرجعة العامة وكما في الصادقي عليه‌السلام * ثم في الآية (١٣) (و أنت اذهب الى الانقضاء وستستريح وتقوم في قرعتك الى انقضاء الأيام»وعلّها اشارة الى كونه كداود من أصحاب ألوية الإمام المهدي عليه‌السلام الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلا.

أنباء وملاحم غيبته في الروايات الإسلامية:

من خطبة قصيرة لعلي امير المؤنين عليه‌السلام حول مستقبل الفتن: «فتن كقطع الليل المظلم، لاتقوم لها قائمة، ولا ترد لها راية، تأتيكم مزمومة مرحولة، ويحفزها قائدها، ويجهدها راكبها، أهلها قوم شديد كلبهم، قليل سلبهم، يجاهدهم في الله قوم أذلة عند المتكبرين، في الأرض مجهولون، وفي السماء معروفون، فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لارهج له ولا حس، وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر والجوع الأغبر»*.

ويروى عن جعفر بن محمد عليه‌السلام «... وأهل مدينة تسمى الزوراء. تبنى في آخر الزمان يستشفون بدمائنا ويتقربون ببغضنا يوالون في عداوتنا ويرون حربنا فرضا وقتالنا حتما»*.

و«لما رجع امير المؤنين عليه‌السلام من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال: إنها الزوراء فسيروا وجنبوا عنها فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة» *.

ومن خطبة له عليه‌السلام «... لكأني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان، فإذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته، عضت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيام كلوحها، ومن الليالي كدوحها، فإذا أينع زرعه وقام على ينعه،

وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم، هذا- وكم يخرق الكوفة من قاصف، ويمر عليها من عاصف، وعن قليل تلتف القرون ويحصد القائم ويحطم المحصود» *.

و عل القرون الثانية هي القرون الإسلامية في دولة المهدي عليه‌السلام وقبيلها ب «عبادا لنا»التي نعيشها، فالقائم عليه‌السلام يحصد ما زرعته الصهيونية العالمية من إفساد المعمورة، ويحطم ما حصدته- اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه.

و قد تروى عنه عليه‌السلام غرة قد تنطبق على ثورتنا الإسلامية المجيدة ضد فورة العمالة الصدامية الصهيونية.

في حديث سلسلة الذهب * انه قال عليه‌السلام: «ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني، فإن بين جوانحي علما جما، فسلوني قبل ان تشغر برجلها[1] فتنة شرقية تطأ في خطامها[2]، ملعون ناعقها ومورديها وقائدها وسائقها والمتحرز فيها، فكم عندها من رافعة ذيلها يدعو بويلها دجلة أو حولها، لامأوى يكنها ولا أحد يرحمها، فإذا استدار الفلك قلتم مات أو هلك، وبأي واد سلك[3] فعندها توقعوا الفرج وهو تأويل هذه الآية: «ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ...»والذي فلق الحبة وبرىء النسمة ليعيش إذ ذاك ملوك ناعمين، ولا يخرج الرجل منهم في الدنيا حتى يولد لصلبه الف ذكر، آمنين من كل بدعة وآفة والتنزيل، عاملين بكتاب الله وسنة رسوله، وقد اضمحلت عليهم الآفات والشبهات».

الفتنة الشرقية: علها او انها الفتنة الصهيونية الشرق أوسطية البادئة من إسرائيل في احتلال فلسطين

---

[1] .شغر الكلب برجلها ليبول بال ام لم يبل، وشغر الرجل رجله للنكاح- شغرت الأرض لم يبق بها احد يحميها ويضبطها فهي شاغرة، والشغر الإخراج والبعد، وشغر البلد بعد من الناصر، وارض شاغرة، لا تمنع من غارة أحد لخلوها والتفرقة فيها، وشغرت الناس برجلي علوت الناس.

[2] .الخطام كخطاب موضع الزمام من أنف البعير ام ما ذا.

[3] .سفينة البحار ٢: ٧٠٢ عن عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عن امير المؤنين (عليه السلام) قال: للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولات النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه الا فمن ثبت منهم على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة امامه فهو معي في درجتي يوم القيامة ...».

وفيه عن أبي خالد الكابلي قال قال لي علي بن الحسين (عليه السلام) يا أبا خالد! ليأتين فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو الا من أخذ اللّه ميثاقه أولئك مصابيح الهدى و ينابيع العلم ينجيهم اللّه من كل فتنة مظلمة كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان في ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله و إسرافيل امامه معه راية رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قد نشرها لا يهوي بها الى قوم الا اهلكهم اللّه عز و جل».

وفي نفس المصدر عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) عن آبائه قال قال النبي (صلّى اللّه عليه و آله و سلّم): و الذي بعثني بالحق بشيرا ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود اليه مني حتى يقول اكثر الناس: ما للّه في آل محمد من حاجة و يشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه و لا يجعل للشيطان عليه سبيلا بشكه فيزيله عن ملتي و يخرجه من ديني فقد اخرج أبويكم من الجنة من قبل و ان اللّه عز و جل جعل الشياطين اولياء للذين لا يؤنون».

والقدس، المتعلقة بحبل من الناس النسناس شرقيا وغربيا.
و من أذنابها العملاء الفتنة الصدامية العفلقية من بغداد وما حولها، كما نعيشها الآن.
تشغر برجلها- تطأ في خطامها. فتنة شاغرة بأرض شاغرة من مفتتنين شاغرين، وكأن أصلها إنسانة مجنونة تتخبط في مشيتها، حيث تمشي مكبة على وجهها، إذ ترفع هذه الإنسانة الحيوانة برجلها، وبدل أن تطأ في أرضها تطأ في عرضها- في خطامها: أنفها الذي هو موضع زمامها، فلا تتمنع من غارة أحد لأرضها لخلوها ممن يحميها والتفرقة فيها.
ترفع برجلها لتحتل أرضا او أراض أخرى، فإذا هي بوطئها خطامها تثبت في موضعها وتحتل أرضها ويهتك عرضها، ولأنها رفعت رجلها الى غير حقها، متخبطة في وطئتها، ماشية مكبة على وجهها، فلا تطأ وتذل إلا أنفها، فتبتلى بخماسية لعنتها:
ملعون ناعقها ومورديها وقائدها وسائقها والمتحرز فيها.
كأن «ناعقها» الذي ينعق ويعربد لهذه الفتنة هو صدامها الصهيوني البعثي حيث أخذ يعربد لحرب وحشية شعواء عشواء على الجمهورية الإسلامية لصالح الصهيونية العالمية، كأنحس ذنب عميل من أذنابها، يرعد ويبرق ولا يحرق إلا نفسه، و«مورديها»الذي يورديها ويتولاها كأصل لها هي نفس الصهيونية في إسرائيل ثم سواها، حيث تتولى هذه الحرب بأرذل وأطول أذنابها في البداية، ثم إلى أذنابها الشرقية والغربية الأخرى.
و عل «قائدها» هو الامبريالية الأمريكية حيث تقود هذه الفتنة لصالح الصهيونية، وهي هي من عمالها الأقوياء، ومن ثم الإمبريالية السوكيتية ام ماذا؟.
و «سائقها» الذي يسوقها هو العمالة البعثية العفلقية بناعقها «صدام»حيث تسوق هذه الفتنة الشاغرة العارمة في جنّة وتخبط ثم «المتحرز فيها»تحرز الحفاظ على كيانه من بأس الثورة الإسلامية وتحرز الفرار عن بأس البعث الصدامي، علّها عديد من دويلات الخليج وأضرابها التي هي ويلات على الإسلام، والمتحرزين فيها من شيوخ الخليج وملوكها إلا شذرا حيث يقدمون بالعدّة والعدّة، تقوية لمطلق الكفر أمام مطلق الإسلام.
«فكم عندها من رافعة ذيلها» فتن جزئية هامشية عند الفتنة الأم، ترفع ذيلها فرارا دون قرار لتنجوا من بأسها وبؤها ولات حين فرار إذ:
«يدعو بويلها»: الفتنة الأم وذرياتها «دجلة أو حولها» فدجلة «بغداد»عاصمة الفتنة الزوراء «أو حولها» من بلاد عراقية ثم دويلات من الخليج «يدعو بويلها» إذ ينادي بكافة وسائل النداء الإعلام مستصرخة مستغيثة قوات الكفر اجمع ف «لا مأوى يكنها ولا أحد يرحمها» حتى لايبقى كن ولا راحم من جنود الشيطان لهذه الفتنة الا مخذولة مرذولة، حيث «عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا» فلا تبقى لهم باقية، فهنا لك تتم الدولة الإسلامية مسيطرة على دويلات الكفر في ويلات لها وويلات.
ثم يستدير الفلك برد الكرة عليهم فاستضعاف هذه الدولة الكريمة ردحا من الزمن، فيجيء وعد الآخرة ليسوءوا وجوههم:
«فإذا استدار الفلك» وأصبح الياس بالشدة جارفا لحد: «قلتم مات»صاحب الأمر «أو هلك باي واد سلك» وإذا هو موجود هنا وقريب منا فكيف لاينصرنا «فعند ذلك توقعوا الفرج»: النهائي الدائب، بعد الفرج

البدائي الذاهب ...[1].

ويروى عن الإمام الرضا عليه‌السلام ما- عله- يشير الى هذه الفتنة «و لابد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل وليجة وبطانة وذلك بعد فقدان الشيعة الثالث من ولدي»[2] والفتنة الصدامية- كذنب للفتنة الصهيونية- هي أصم فتنة طول تاريخ الفتن حيث‌اذن لها يسمع الحق او يستمع اليه، صماء عن كل قائل إلا قولة الصهيونية عمالة مجنونة لصالحها، والصيلم: المستأصل الشديد، هي الفتنة التي تنحو منحى استئصال الحق عن بكرته. ورغم انها «صماء صيلم»يسقط فيها كلّ من لها من «وليجة»هو «المتحرز فيها»و«بطانة» هو «ناعقها ومواليها وقائدها وسائقها» ثم لاتبقى الا «عبادا لنا»في دولتهم الإسلامية المباركة!.

ويروى عنه عليه‌السلام ايضا في قائد الدولة المظفرة الإسلامية قبل المهدوية العالمية- نائب الإمام الخميني نصره الله: «رجل من اهل قم يدعو الناس الى الحق، تجتمع معه قوم كزبر الحديد، لاتزلهم الرياح العواصف ولا يملون من الحرب، ولا يجبنون وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين»[3].

«رجل» تتبناه كافة البطولات والرجولات الإسلامية «من أهل قم»تبنته هذه الحوزة المباركة حيث الأهلية هنا هي اهلية تلكم الرجولة لاالولادة «يدعو الناس الى الحق» إذ خذله مخالفوه وحملته- لافحسب لفظا باللسان، وانما بالأنفس والنفائس وبسيول الدماء «تجتمع معه قوم كزبر الحديد» وهم علّهم «عبادا لنا»المبعوثون لاستئصال الفساد العالمي الصهيوني الأول: «لهم مربع الطاقات الجبارة: ١- (لا تزلهم الرياح العواصف» التي تعصف شرقا وغربا حيث هم مؤنون حقا والمؤن كالجبل الراسخ

---

[1].أقول: قد رويت هذه الخطبة بصورة اخرى كما في البحار ٥٢: ٢٧٢ ج ١٦٧- وباسناده عن إسحاق يرفعه الى الأصبغ بن نباتة قال سمعت امير المؤنين عليه‌السلام يقول للناس: سلوني قبل ان تفقدوني لأني بطرق السماء اعلم من العلماء وبطرق الأرض اعلم من العالم، انا يعسوب الدين، أنا يعسوب المؤنين وامام المتقين، وديان الناس يوم الدين- الى قوله- الا ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فان بين جوانحي علما جما فسلوني قبل ان تشغر برجلها فتنة شرقية وتطأ في خطامها بعد موتها وحياتها وتشب نار بالحطب الجزل من غربي الأرض. رافعة ذيلها تدعو يا ويلها لرحله ومثلها فإذا استدار الفلك قتلتم مات او هلك باي واد سلك فيومئذ تاويل هذه الآية «ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ ...» هنا تضاف شب نار بالحطب الجزل من غربي الأرض، مساعدات حربية غربية تؤج نيران الحرب في هذه الفتنة الشرقية تجنيدا لمطلق الكفر من شرق الأرض وغربها ضد مطلق الإسلام. والحطب الجزل هو اليابس الغليظ العظيم منه والكثير وكأنه الاسلحة الفتاكة التي يؤى من الغرب تقوية لهذه الفتنة الشرقية.

و «رافعة ذيلها» علها الطائرات الحربية، وهي تدعو يا ويلها من مدفعيات جبارة من الجمهورية الاسلامية الايرانية. وفي سير الاعلام ٢: ٢٩٧ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: اما أول الشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب ورواه مثله عنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في مختصر التذكرة ١٣٢ ومستدرك الحاكم ٤: ٤٥٨ وفي الأخير: تبعث نار تسوق الناس من مشارق الأرض الى مغاربها» أقول: ونرى صدق هذه الإنباتات حيث ظهرت نار وفتنة شرقية صهيونية صدامية.

[2].سفينة البحار ج ٢ ص ٧٠٣ باب ما جاء عن الرضا عليه‌السلام في ذلك يج- يج ٣٨ ك عن احمد بن زكريا قال قال لي الرضا عليه‌السلام اين منزلك ببغداد قلت: الكرخ- قال اما انه اسلّم موضع ولا بد من فتنة ...

[3].سفينة البحار ج ٢ ص ٤٤٦

لاتحركه العواصف ولا تزيله القواصف ٢- (و لايملون من الحرب» حيثما بلغت بهم نائرتها ٣- (و لايجبنون» من استشهاد ام ماذا؟ ۴- (وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» دون سواعد شرقية او غربية او مساعدات من هنا وهناك:

«وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»: الدولة العاقبة لدولتهم- الاخيرة في دول التاريخ - للمتقين[1] وهم أولاء بتاسيسهم دولة الحق بزعامة نائب المهدي عليه‌السلام الخميني يعبّدون الطريق لدولته المباركة العالمية التي تبقى مع الزمن حتى القيامة الكبرى.

و قد تعنى معناه خطبة لأمير المؤنين عليه‌السلام حيث يقول فيها:

«لا بد من رحى تطحن فإذا قامت على قطبها، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبدا عسفا: (عنيفا) خاملا أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم، واصحاب السبال، سود ثيابهم، اصحاب رايات سود، ويل لمن ناواهم يقتلونهم هرجا، والله لكأني انظر إليهم والى أفعالهم، وما يلقى من الفجار منهم والاعراب الجفاة، يسلطهم الله عليهم بلا رحمة، فيقتلونهم هر جا على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا وما ربك بظلام للعبيد»[2].

و العبد العسف: العنيف ضد الظلم الخامل أصله علّه هو نائب الإمام الخميني حيث كان خاملا طول عمره، وبدا اشتهاره وبدء منذ قيامه، وأصحابه الطويلة شعورهم اصحاب السبال كما نرى الكثير من الانقلابيين معه كذلك ... ولعل الرايات السود هي التي ترتفع عند موته او استشهاده حيث يرفعها أصحابه وينتصرون في حربهم ضد الكفر حتى يحققوا امر اللّٰه «فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَ كانَ وَعْداً مَفْعُولًا»! وقد يعنيه ما يروى عن رسول اللّٰه صلى‌الله‌عليه‌وآله ... انا اهل بيت اختار اللّٰه لنا الآخرة على الدنيا وان أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتي فيملؤا قسطا كما ملؤها جورا فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج»[3].

قيام البهلوي من قزوين من علائم ظهور المهدي عليه‌السلام:

---

[1].العاقبة في هذه الآية صفة لمحذوف هي الحياة او الدولة، تعني الحياة او الدولة الاخيرة في عالم التكليف للمتقين، وليست الحياة الآخرة فحسب وان كانت منها:

[2].البحار ٥٢: ٢٣٢.

[3].سنن المصطفى ص ٥١٧ حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا معاوية بن هشام ثنا علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن ابراهيم عن علقمة عبد اللّه قال: بينما نحن عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله‌سلّم إذا اقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) اغرورقت عيناه وتغير لونه قال: ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال ... أقول: وهذا الحديث يواطي ما مر عن الامام الباقر عليه‌السلام في نقل غيبة النعماني ص ١٤٠ مع بعض الزوائد هناك، ولعل الرايات السود هي رايات عزاء الحسين عليه‌السلام في ١٢ محرم ١٥ خرداد ٤١ حيث قاموا لاخذ حق الإسلام من الشاه المعدوم واسترجاع المرجع الديني الأعلى من السجن فلم يكن الا قتلا ذريعا فيهم.

من الملاحم المروية عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في تفصيل علامات ظهور المهدي عليه‌السلام«... فعندها يتكلم الرويبضة- فقال سلمان: وما الرويبضة يا رسول اللّٰه صلى‌الله‌عليه‌وآله، فداك أبي وامي؟ قال: صلى‌الله‌عليه‌وآله يتكلم في امر العامة من لم يكن يتكلم فلم يلبثوا الا قليلا حتى تخور الأرض خورة فلا يظن كل قوم الا انها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء اللّٰه ثم ينكتون في مكثهم فتلقى لهم الأرض أفلاذ كبدها ... فهذا معنى قوله: «فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها»[1]. والرويبضة علها لامعنى لها في لغة ولذلك لم يفسرها الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله هنا الا بعنوان مشير: «يتكلم ....» وهي هي «رضا بهلوي» باختلاف ترتيب حروفها، ولا ينافيه ما فسره هو صلى‌الله‌عليه‌وآلهفي رواية اخرى ب «الرجل التافه»[2] فانه حقا تافه.

وعن محمد بن الحنفية قال قلت له:- الإمام علي عليه‌السلام- قد طال هذا الأمر حتى متى- الى ان قال-: انى يكون ذلك ولم يقم الزنديق من قزوين فيهتك ستورها، ويكفر صدورها، ويغير سورها، ويذهب ببهجتها من فر منه أدركه ومن حاربه قتله، ومن اعتزله افتقر، ومن تابعه كفر حتى يقوم باكيان: باك يبكي على دينه وباك يبكي على دنياه»[3] والزنديق هو البهلوي[4] وقد كان قيامه من قزوين وصدقت عليه الافتعالات. وعن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: يخرج بقزوين رجل اسمه اسم بنيّ يسرع الناس الى طاعته المشرك والمؤن يملأ الجبال خوفا»[5] و«بني» تصغير «ابن» هو «رضا»بنيّ الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآلهالامام الرضا عليه‌السلام.

وعن أبي عبد اللّٰه عليه‌السلام في استعراض علائم الظهور «و شمول اهل العراق خوف لايكون معه قرار»[6].

---

[1].تفسير القمي باسناده عن عبد اللّه بن عباس، قال حججنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم حجة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم اقبل إلينا بوجهه فقال: الا أخبرك بأشراط الساعة وكان ادنى الناس منه يومئذ سلمان فقال: بلى يا رسول اللّه فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم). من أشراط الساعة ... الى ن قال ...».

[2].كما في البحار ٥٢: ٢٤٥ ح ١٢٤ في باسناده عن ابن نباته قال سمعت عليا عليه‌السلام يقول: ان بين يدي القائم سنين خدّاعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويقرب فيها الماحل و في حديثينطق فيها الرويبضة» قال الجزري في حدث أشراط الساعة «و ان ينطق الرويبضة في امر العامة- قيل وما الرويبضة ما رسول اللّه؟ فقال: الرجل التافة ينطق في امر العامة.
أقول: فالرويبضة إذا تصغير الرابضة العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن لبها وزيادة التاء للمبالغة.
ثم أقول: ما أجمل الجمع بين المعنى من الرويبضة: التافة- ورضا بهلوى حسب تأليف حروفها!.

[3].بحار الأنوار الطبعة الجديدة ج ٥٢ ص ٣١٢ ح ٦١ غط الفضل عن ابن أبي نجران عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية.

[4].في مجمع البحرين: الزنديق هو البهلوي:

[5].بحار الأنوار ... ص ٢١٣ غط ردي عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلّم انه قال ...

[6].البحار ٥٢: ٢٢١ ج ٨٥ شا. الحسين بن زيد عن منذر الجوزي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال سمعته يقول. يزجر الناس قبل قيام القائم ...

و في كلام لعلي امير المؤنين يتحمل الإيحاء الى الحالة الموجودة بيننا بين البعثية الصدامية الكافرة.
قال عليه‌السلام: «لا يقوم القائم حتى تفقأ عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء وتلك دموع حملة العرش على اهل الأرض، وحتى يظهر فيهم قوم لاخلاق لهم يدعون لولدي وهم براء من ولدي، تلك عصابة رديئة لاخلاق لهم، على الأشرار مسلطة وللجبابرة مفتنة، وللملوك مبيرة، يظهر في سواد الكوفة، يقدمهم رجل اسود اللون والقلب، رث الدين، لاخلاق له، مهجن زنيم عتل، تداولته ايدي العواهر من الأمهات من شر نسل لاسقاها الله المطر في سنة اظهار المتغيب من ولدي صاحب الراية الحمراء والعلم الأخضر، اي يوم للمخيبين بين الأنبار وهيت.
ذلك يوم صيلم الأكراد والشراة، وخراب دار الفراعنة، ومسكن الجبابرة، ومأوى الولاة الظلمة، وام البلاء واخت العار، تلك ورب علي يا عمر بن سعد بغداد، الا لعنة الله على العصاة من بني امية وبني فلان الخونة الذين يقتلون الطيبين من ولدي ولا يراقبون فيهم ذمتي، ولا يخافون الله فيما يفعلونه بحرمتي ...».

سفاهة اسرائيلية حول تحويل القبلة في شطر مدني

سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النّاسِ ما وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها قُلْ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۴۲).
جزء ثان من القرآن يبدأ فيه بهامة تحويل القبلة، مما أحدث عراكا حادا بين أهل القبلة وناس سفهاء من اليهود والمشركين ومنافقين من المسلمين، فريصة كفريسة حريصة عليها هؤاء السفهاء من الناس بملابسات أحاطت به، سفسطة عارمة تواجهها حجة صارمة من رب العالمين:
«سيقول» المستقبل تستقبل تحويل قبلة الى أخرى وقوله سفيهة بعد التحويل، و«ما ولاهم» تساءل استنكار على ذلك التحويل بصورة التهويل والتسويل و«هم»يحتمل أنفسهم الى جانب سفهاء غيرهم ف «هم»تعم سفهاء من المشركين وأهل الكتابين وجهالا من المسلمين، ولكنما الخطر الحادق الذي سفّه جهالا من المسلمين هو سفاهة أهل الكتاب ولا سيما اليهود الذين كانت قبلتهم قبلة الإسلام لردح ابتلائي من الزمن.
لو كانت القبلة المتولى عنها في «ما وَلّاهُمْ» هي القدس الى الكعبة، زعم ان القدس هي القبلة المكية، لكان صحيح التعبير هو «و قال السفهاء» فان سفاسف القول وسفاهته من المشركين وضعفاء المسلمين كانت أشد خطرا على الدعوة الجديدة الإسلامية في مكة.
فلتكن الآية نازلة قبل أي تحول عن القبلة المرضية- وهي الكعبة المباركة- و«سيقول ...» توطئة لتحولها الى القدس حيث يتبع قالة سفيهة من مشركين ويهود وضعفاء من المسلمين، ثم تحول القدس الى الكعبة المباركة حيث يتبع قالة الآخرين وتقطع ألسنة المشركين.

فالتحويل الأول هو المحور لهذه السفاهة الثالوثية، وعلى ضوءه الثاني قضاء على سفاهة وبقاء الأخرى.

ثم «وَ ما جَعَلْنَا ...» نازلة بعد التحويل الثاني فان «الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها»التي يعتذر منها هي القدس، إذ لم يكن اتباع الرسول- كابتلاء للمسلمين- إلا في التحول عن الكعبة الى القدس، فان التحول عن القدس الى الكعبة كان مرجوا لهم ينتظرونه ليل نهار كما والرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله كان يقلب وجهه الى السماء.

و لم تكن الكبيرة الثقيلة عليهم إلا قبلة القدس المتحوّل إليها من الكعبة المباركة، ثم «وَ ما كانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ» طمانة لهم بالنسبة لفترة القبلة الثانية، زعما من بعضهم أن صلاتهم إليها كانت ضائعة.

ف «ما وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ» من المسلمين، تعني- بطبيعة الحال- القبلة المكية، وكذلك من غيرهم حيث القبلة المتولى عنها هي قبلة المسلمين، فهي- على أي الحالين- ليست القدس، بل الكعبة المباركة، مهما شملت «ما ولاهم»التحويل الثاني ضمنيا، وهو من القدس الى الكعبة. ثم «قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ» اجابة صارمة عن كافة المشاكل المزعومة حول النسخ والتحويل، سواء من أهل الكتاب أم سفهاء المسلمين ... أ ترى بعد «قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها» هي القدس؟ وصيغتها الصحيحة- ولا سيما من اليهود المتبجحين بقبلتهم وبكلّ ما لديهم-: «قبلتنا»توهينا للمسلمين أنهم ما كانت لهم قبلة في بزوغ إسلامهم إلا قبلتنا، و«قبلتهم»هي الكعبة المباركة التي كانت قبلة لهم في العهد المكي، ثم حولت عنها بعد الهجرة لمصلحة وقتية مذكورة في آيات تالية، ثم رجعت الى ما كانت للمصلحة الدائبة الخالدة في استقبال البيت العتيق، وقد دلت على ذلك أحاديث[1].

أم إنها القدس إذ كانت قبلتهم منذ بزوغ الإسلام وحتى أشهر بعد الهجرة ثم حولت إلى شطر المسجد الحرام كما تدل عليه طائفة أخرى من أحاديث[2]، وعلّ التعبير عن القدس هنا ب «قبلتهم» يعني

---

[1].كما في الدر المنثور ١: ١٤٢ عن ابن عباس قال: اوّل ما نسخ في القرآن القبلة وذلك ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم لما هاجر الى المدينة وكان اكثر أهلها اليهود امره اللّه ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) بضعة عشر شهرا وكان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يحب قبلة إبراهيم ...

وفيه عن البراء بن عازب كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قد صلى نحو بيت المقدس سنة عشر او سبعة عشر شهرا ... وعن ابن عباس ان محمدا كان يستقبل صخرة بيت المقدس وهي قبلة اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا ليؤنوا به وليتبعوه وليدعوا بذلك الأميين من العرب فقال اللّه: وللّه المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه اللّه وقال: قد نرى تقلب وجهك في السماء ، وعن سعيد بن عبد العزيز ان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) صلى نحو بيت المقدس من شهر ربيع الاول الى جمادي الآخرة، وفيه عن انس ان القبلة قد حولت الى الكعبة مرتين. فمالوا كما هم ركوع الى الكعبة.

[2].كمافي الدر المنثور ١: ١٤٣- أخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب ان الأنصار صلت للقبلة الأولى قبل قدوم النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم المدينة بثلاث حجج وان النبي (صلى اللّه عليه وآله‌سلم) صلى للقبلة الاولى بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا وفي تفسير البرهان ١: ١٥٨- ابو علي الطبرسي عن علي بن إبراهيم باسناده عن الصادق عليه‌السلام قال: تحولت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم بمكة ثلث عشرة سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجرته الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة أشهر، قال: ثم وجهه اللّه الى الكعبة ...

تعميق الشبهة في ذلك التحويل، أنها كانت قبلتهم منذ البداية، فهي- إذا- قبلتهم، مهما كانت كذلك قبلتنا، فهم لايعارضوننا- فقط- في شرعتنا، بل وفي شرعتهم، معارضة ذات بعدين بعيدين عن شرعة الحق التي لاتتحول- في قياسهم- نكرانا للنسخ- أيّا كان- وهم في الوقت نفسه معترفون بالشرعة الإبراهيمية المنسوخة في البعض من أحكامها بالشرعة التوراتية، وعارفون التناسخ في التوراة نفسها، وهم الآن ينددون بكل نسخ وناسخ بعد التوراة! وعلّ «قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها» تشمل القبلتين، حيث كانت هي الكعبة ثم تحولت الى القدس، ثم من القدس الى الكعبة، وكلاهما «قبلتهم» إذ كانتا أمرا من شرعتهم، ولا صراحة في الآيات لإحداهما بل «سيقول»تعممهما مهما اختلفت قولة عن قولة كما اختلفت قبلة عن قبلة، ثم الأحاديث القائلة أنه صلى‌الله‌عليه‌وآله أمر في العهد المكي أن يستقبل القدس من واجهة الكعبة[1] قد تجمع بين القبلتين في العهد المكي، ولكلّ من القبلتين ملامح في ذلك العهد من الآيات التالية، لا سيما بالنسبة للكعبة المباركة.

ف «سيقول» كقولة معترضة آتية من السفهاء، هي أحرى ان تكون «قال»لو أن القدس هي القبلة المكية، فإنها هي الأصيلة عند الموحدين والمشركين، فكون القدس- إذا- هي القبلة المكية هو مثار لسفاهة وسفاسفة القول أكثر من تحويل القبلة عن القدس إليها، ومن ثم فكل من إلّا لنعلم ...

قد نرى تقلب وجهك ... لئلا يكون للناس عليكم حجة ... كل ذلك إضافة إلى أن مكية القدس في القبلة هي من الموانع العظيمة لقبول الإسلام لذلك القول اللدّ- لدّا إلى لدّهم!- هذه الخمس هي من عساكر البراهين لكون القبلة المكية هي الكعبة المباركة، مهما اتجه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله الى القدس من قبلها ضمنها أم لم يتجه، وتفصيل الأربعة الأخيرة تجده عند آياتها.

و على أية حال فلقد جاء قوم من اليهود الى رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله فقالوا: يا محمد! هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها ثم تركتها الآن، أ فحقا كان ما كنت عليه؟ فقد تركته الى باطل! فإن ما يخالف الحق فهو باطل، أو باطلا؟ فقد كنت عليه طول هذه المدة! فما يؤننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: بل ذلك كان حقا وهذا حق يقول اللّه تعالى: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ

---

[1] .المصدر عن ابن عباس ان النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعد ما تحول الى المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه اللّه الى الكعبة. وفي تفسير البرهان ١: ١٥٨- الامام ابو محمد العسكري عليه‌السلام قال: ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) إذ كان بمكة أمره ان يتوجه نحو بيت المقدس في صلواتهم ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن لم وإذا لم يمكن استقبل بيت المقدس فكان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يفعل ذلك طول مقامه بها ثلث عشر سنة فلما كان بالمدينة وكان متعبدا باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهرا او ستة عشر شهرا ...

وفي الدر المنثور ١: ١٧٥- أخرج احمد وابو داود وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال: أحيلت الصلاة ثلاثة احوال واحيل الصيام ثلاثة احوال فامّا احوال الصلاة فان النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم قدم المدينة فصلى سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم ان اللّه أنزل عليه: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها الآية فوجهه اللّه الى مكة هذا حول ... وصححه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال: أحيلت الصلاة ثلاثة احوال واحيل الصيام ثلاثة احوال فامّا احوال الصلاة فان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قدم المدينة فصلى سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم ان اللّه أنزل عليه: قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها الآية فوجهه اللّه الى مكة هذا حول ...

الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرها أمركم به، فلا تنكروا تدبير اللّه في عباده وقصده الى مصالحكم ...[1]

و المشرق والمغرب هنا هما تعبيران عن كافة الجهات الأرضية، لأنهما النقطتان الأصيلتان، فليس المشرق: القدس- فقط- للّه، أو المغرب: قبلة النصارى- فقط- للّه، بل والجنوب الكعبة فله الجهات كلها، يحوّل عباده في صلاتهم وكل صلاتهم أينما يريد لمصالح وابتلاءات، كما وأن أصل تحول شرعة الى شرعة ابتلاء: «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (۵: ۴۸). فكما أن قبلة القدس- في وقتها- صراط مستقيم لاتجاه الصلاة، كذلك الكعبة المباركة صراط مستقيم، بل هي الأصل المقصود على مدار الزمن الرسالي، ولا سيما الإسلامي، وقبلة القدس ابتلاء وقتي لمصلحة وقتية وقد مضت.

و قد اختلفت الروايات في عديد الأشهر المدنية لقبلة القدس من خمسة الى سبعة الى سبعة عشر ولأن عديد الأشهر ليس من صميم قصته التحويل، لم تشر إليها الآيات وكما لم تصرح للقبلة المكية، فإنما الأصل في مسرح البحث هو تحويل القبلة، وأن أصلها هو الكعبة المباركة.

و لقد انطلقت أبواق اليهود السفهاء- ومعهم سائر السفهاء من الناس مشركين ومنافقين ومسيحيين- تصرخ على المسامع «ما وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها» مرة أولى حين تحولت عن الكعبة الى القدس، ومرة أخرى إذ تحولت عن القدس الى الكعبة، انطلقت تلقي في صفوف المسلمين وفي قلوب السذج منهم بذور الريبة والقلقة، حيث النسخ- في زعمهم- دليل الجهل وهو لايصدر عن مصدر الربوبية، دليلا على أن محمدا لا يصدر عن ربه!.

ذلك! رغم ما سبق في «ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها ...» إذ بيّنت أن النسخ- على أية حال- تحمل مصلحة مماثلة أو خيرا مما نسخ، وقبلة الكعبة خير من قبلة القدس كأصل على مدار الزمن، كما وأن قبلة القدس كانت خيرا منها- مصلحيا وقتيا كاختبار- أو مثلها في أصل الاتجاه.

وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ... ۱۴۳.

آية وحيدة تحمل صيغة الأمة الوسط، لاتشبهها إلّا آية الحج إلّا في لفظ الوسط: «وَ جاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ ...» (۷۸).

فهذه وإن لم تحمل صيغة الوسط، ولكنها تواصفه تفسيرا له أنهم هم الوسط بين الرسول والناس، «و كذلك» التحويل للقبلة الأصيلة الى قبلة يهودية، خروجا عن العنصرية والطائفية فيها، كذلك العبدى المدى، الوسيع الصدى، البليغ الهدى من صبغة الإسلام وإسلام الصبغة «جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ...» فما هو الوسط لهذه الأمة، ومن هم المعنيون ب «كم أمة؟» أهم الوسط بين إفراط الحياة الجسدانية

---

[1]. هذا من تتمة الحديث السابق عن الامام العسكري، ومكان النقط ... اربع عشرة سنة، فهو من القسم الثاني الدال على ان القبلة في مكة كانت هي القدس، ولكن باتجاه الكعبة.

وتفريط الحياة الروحية، حيث الوسط بينهما جامع لهما مهما كانت الحياة الروحية هي الأصيلة بينهما؟.

و هذا مهما كان صحيحا في نفسه، ولكنه لايناسب خلفيته الصريحة هنا:

«لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ» فإن هذه الوسطية تتطلب مرجعية الأمة الوسط لطرفي الإفراط والتفريط، لأن تكون شهيدة عليهم، إلّا بمعني الرقابة على أعمالهم كشهادة خاصة! أم شاهدة عليهم في حقل الاعتدال، نبراسا لهم في ترك الانانية والإنية الطائفية، وتحلّلا في شرعة اللّه عن الانحيازات غير الشرعية، اتباعا لأمر اللّه كيفما كان وإن في ترك المجد القبلي والقبلي، كما وأن الوسط اليهودي والنصراني لايمت بصلة لهذه الوسطية الإسلامية لأنهما من أهل الكتب السماوية وهي كلها تحمل الشرعة المعتدلة الوسط، اللّهم إلّا بالنسبة لإفراط اليهود في الاتجاهات المادية، وتفريط النصارى فيها مبدئيا كنسيّا- مهما تورطوا في الماديات وأكثر من اليهود، ولكن «جعلناكم»يختص الوسط بجعل رباني وليس الإفراط والتفريط يهوديا ونصرانيا من جعل اللّه! ... أم هم الوسط بين الرسول والناس، كما ينادي به الانقسامات الثلاث: شهداء على الناس- الرسول الشهيد على الشهداء، وناس، فطبيعة الحال قاضية هنا باختصاص للشهداء على الناس بهذا الرسول الشهيد عليهم.

فهل هم- بعد- كل الأمة الإسلامية؟ وفيهم بغاة وفساق طغاة! أم وعدول لايصلحون للشهادة على الناس![1] اللّهم إلّا شهادة على حق الوسط الاعتدال. إن نفس الشهادة على الناس كوسط بين الرسول والناس، يحد موقف الأمة الوسط، فهنالك شهادة متعدية بنفسها: شهده، وهنا «شهد على»ام شهادة له لصالحه كدعاية ذاتية، أم تمثيلا للكيان الرسولي؟ وهنا «شهد على».

ف «شهده» تتطلب حضورا عند العمل أيا كان، حضورا ذاتيا أم علميا، ولا يتيسّر- إلّا للرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله والمعصومين من عترته! عليهم‌السلام.

و «شهد له» محصورة في بعديها بالعدول الصالحين من الأمة المسلمة.

ثم و«شهد عليه» هنا في الدعاوي، تتطلب العدالة، وليست الأمة- ككل- عادلة، ولا أن الآية تختص الشهادة بالدعاوي.

و «شهد عليه» هنا في الأعمال، تختص بالصالحين الداعين إلى الخير الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، دون كل الأمة ولا كل العدول، وتلك الدعوة- على شروطها- لاتختص بالأمة الإسلامية. و«شهد عليه»- إلقاء للشهادة على الأعمال يوم يقوم الأشهاد- يتطلب تلقيا لها هنا حضورا ذاتيا أو علميا بما يعلّمهم اللّه، وذلك مخصوص بالمعصومين! ثم ولا تختص تلك الشهادة بخصوص المعصومين من هذه

---

[1]. نور الثقلين ١: ١٣٥ عن تفسير العياشي عن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: قال اللّه: وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ... فان ظننت ان اللّه عنى بهذه الآية جميع اهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب اللّه شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلّا! لم يعن اللّه مثل هذا من خلقه، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة ابراهيم «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ» وهم الأمة الوسطى وهم خير امة أخرجت للناس.

أقول: فكما الرسول شهيد على الامة الوسط كذلك الامة الوسط شهيدة على الناس، وقد تعني الشهادة هنا كل مراحلها ولكنها محصورة في الشهادة على، من شهادة على الأعمال لكي تكون وسطا، وشهادة عليها إلقاء لها يوم يقوم الاشهاد فلا بد أولا من تلقّيها.

الأمة!.

و على كلّ فلا تعني الآية كلّ الأمة الإسلامية دون ريب، فقد تعني عدول الأمة حيث يمثّلون الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله على قدر عدلهم بين الناس: مسلمين وسواهم، ثم وبأحرى العدول الدعاة من الأمة، الآمرة الناهية: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» (٥٧: ١٩)[١]، فهي مهما عمت كل المؤنين، إلّا أن مؤني هذه الأمة أعلى محتدا ممن سواهم. ثم في القمة، الائمة الاثنى عشر- المعصومون عليهم‌السلام، فإنهم القمة العليا بعد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله من الشهداء بكل معاني الشهادة ومغازيها ومراميها ولا سيما الشهادة على الأعمال والأحوال، فالوسط في الأمة هي العدل على مراتبه ومراتبهم[٢] فلأن العدل في هذه الأمة أعدل منه في غيرها وأفضل، فكأن العدول منهم هم الشهداء- فحسب- على الناس، سواء ناس المسلمين او الكتابيين او المشركين والملحدين، إلّا أن لكل شهادة أهلها الخصوص دونما فوضى جزاف.

فمؤنو هذه الأمة شهداء على الناس شهادة ذاتية بأعمالهم وأحوالهم، وشهادة على كيان هذه الرسالة السامية، شهودا منه صلى‌الله‌عليه‌وآله على محتده الرسالي.

و الدعاة الى اللّٰه منهم شهداء على الناس رقابة على أعمالهم وأحوالهم، ودعوة لترقيتهم عن نقائصهم ممثلين للرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في كل دعواتهم الصالحة.

و الائمة المعصومون منهم- إضافة الى هذه وتلك- هم شهداء على أعمالهم وأحوالهم، بل وعلى كافة المكلفين على مدار الزمن الرسالي دون إبقاء[٣].

---

[١].نور الثقلين ١: ١٣٣ عن الكافي باسناده الى أبي جعفر الباقر عليهماالسلام حديث طويل وفيه يقول: ولقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤنين اختلاف ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم علينا ولنشهد على شيعتنا وليشهد شيعتنا على الناس.

[٢].الدر المنثور ١: ١٤٤- اخرج جماعات عدة عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عباس وجماعة آخرين عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم ان «وسطا» في الآية تعني «عدلا»والعدل درجات كما بيناه في درجات الشهادات.

وفي نور الثقلين ١: ١٣٥ عن كتاب المناقب وفي رواية حمران بن أعين عنه عليه‌السلام انما انزل اللّه وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً يعني: عدولا- لتكونوا ... ولا يكون شهداء على الناس إلّا الأئمة والرسل عليهم‌السلام، فاما الأمة فانه غير جائز ان يستشهدها اللّه وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل.

نور الثقلين ١: ١٣٤ في تفسير العياشي عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول: نحن نمط الحجاز، فقلت: وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط الأنماط، ان اللّه يقول:

وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً وثم قال: إلينا

[٣].نور الثقلين ١: ١٣٤ عن اصول الكافي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام في الآية قال: نحن الامة الوسطى ونحن شهداء اللّه على خلقه وحججه في ارضه، ورواه مثله بريد العجلي عن الباقر عليه‌السلام.

وفيه عن المجمع روى الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي عليه‌السلام: ان اللّه تعالى إيّانا فأعنى بقوله: لتكونوا شهداء على الناس فرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم شاهد علينا ونحن شهداء اللّه على خلقه وحججه في أرضه ونحن الذين قال اللّه تعالى: وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً.

فأعلى الوسط بين الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله وبين الناس هم هؤاء الأكارم، تمثيلا للرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله، كما هو، وتبيينا لشريعة الحق كما هي «إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر»[1].

كما وأن الشرعة الإسلامية هي الوسط المعتدل بين كل إفراط وتفريط مختلقين في كتابات السماء، فنفس تحوّل القبلة الى القدس ردحا من الزمن وسطية واعتدال حيث تزال به العصبية القومية في القبلة، رغم ان القبلة الإسلامية هي الكعبة المباركة، بل هي القبلة في كل الشرائع الإلهية، فرغم كل ذلك يومر المسلمون قضاء على الانحيازية القِبلية والقَبلية ان يتجهوا الى القدس شطرا من العهد المدني، حال ان أهل الكتابين ليسوا تابعين قبلة بعضهم البعض رغم وحدة الشرعة التوراتية بينهم، فقد تعني «وسطا» كلّ هذه الأوساط، متمحورة الوسط المعصوم الرسالي المتمثل في الائمة الاثنى عشر- عليهم‌السلام‌أجمعين. ثم ذلك الجعل يعم حقلي التكوين والتشريع، فكينونة هذه الأمة الأئمة ومن دونهم من العدول، هي مجعولة بجعل رباني بما سعوا، كما وشرعتهم بما طبقوها فيما سعوا: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعى» تمثلا بالحقلين، جمعا بين الجعلين، فكما «جَعَلَ اللّٰهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ»بكلا الجعلين ثم جعل القدس قبلة مؤتة ابتلاء للمسلمين وإزالة للفوارق الطائفية «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ ...» أهل القبلة الواجبة لهم دعوة إبراهيم عليه‌السلام.

و وسط الرأي في الأمة الوسط، بعيدا عن كلّ الانحيازات إلّا في حوزة الوسط وحيازتها، إنها هي الوسط بكل معاني الوسط مهما اختلفت درجاتها وصلاتها:

«أُمَّةً وَسَطاً» كمجعولة إلهية- في التصور والعقيدة، بعيدا عن غلو التجرد الروحي، وحمأة الركسة المادية، معطية لكلّ من الروح والجسد حقه دون أي إفراط أو تفريط.

و وسطا في المشاعر والإدراكات، دون تجمّد على حاضرها لتغلق عليها كل منافذ المعرفة تجريبيا أماهيه، ولا اتّباع أعمى لكل ناعق، بل هي منطلقة على ضوء الهدي القرآني والسنة المحمدية، قابلة كل ما يوافق هديها المعصوم وعقلها المقسوم وصراطها المرسوم.

«أُمَّةً وَسَطاً» في تنسيق الحياة، فلا تطلقها- فقط- للضمائر والمشاعر، ولا تدعمها- فقط- للتشريع والتأديب، وإنما ترفع ضمائرها بالتوجيه والتهذيب، فلا تكل الناس الى سوط السلطان ولا- فقط- الى وحي الوجدان.

«أُمَّةً وَسَطاً» في العلاقات الحيوية، لاتوِّل الفرد فالمجتمع كهامش له خادم، ولا تلغي شخصية الفرد تأصيلا للمجتمع، بل هما عندها أصلان، كلّ يخدم الآخر، ترجيحا لكفة ميزان المجتمع لأنه مجموعة أفراد.

«أُمَّةً وَسَطاً» في كل وسط وفي جميع الأوساط، خارجة عن حدي الإفراط والتفريط، فوسطا في النهاية تتمحورها كل الأمم حيث تسدد البشرية بسلطتها المهدوية في آخر الزمن.

فلا تعني وسطا وسطا بين الأمم في الواقع الزمني للأمم، حتى يتعلق به متعلق ممن ينكر خاتمية

---

[1]. في آيات عشر او تزيد نجد هذه الصيغة مصوغة من العلم لا العلم، وفي الكل نجد مفعولا واحد لا يناسب العلم المتطلبة مفعولين، فلا حاجة الى تعليلات عليلة لها.

الأمة الإسلامية، انها الوسط بين الأمم، فقد تأتي أمم رسالية بعدها.
فان «كذلك» وكذلك «لِتَكُونُوا شُهَداءَ ...» تنفيان ذلك، حيث الوسطية بين الرسول والناس هي غير الوسطية بين الأمم، فتلك الوسطية تقتضي الخاتمية لهذه الأمة، حيث الوسطية الزمنية ليست فخرا ولا مستلزمة لكونهم وسطا بين الرسول والناس، فإنما يعني من «وسطا» هنا ما يناسب تحويل القبلة كشرعة معتدلة، أو يناسب الشهادة على الناس وسطا بين الرسول وبين الناس.
فما من شرعة حولت فيها القبلة كما حولت في شرعة الإسلام، ولا أمة وسط بين الرسول والناس، هم شهداء على الناس كما الرسول شهيد عليهم، اللهم إلّا شرعة الإسلام بأمتها.
فتلك الشرعة البعيدة عن كافة الانحيازات والامتيازات القبلية والعنصرية، هي الوحيدة بين كل شرائع الدين.
كما أن تلك الأمة الشهيدة على الناس هي الوحيدة بين كل الأمم الرسالية على مدار الزمن الرسالي، والنظر إلى الآيات السابقة يوسع تلك الوسطية، فإنها تلتزم بصبغة اللّه دون الصبغة اليهودية او النصرانية، وتلتزم يهدى اللّه تصديقا بكل رسالات اللّه وكل ما أنزل اللّه دون التجمد على طائفية كتابية: «وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(١٣٥).
و كما هو وسط في القبلة، لاخصوص الكعبة ولا خصوص القدس، بل هما معا مهما كانت الكعبة هي الأصيلة الدائبة، وكما كانت قبلة لكافة الموحدين أحياء وأمواتا طول الزمن الرسالي.
وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ ... ١۴٣
«وَ ما جَعَلْنَا ...» فيها بيان الحكمة الحكيمة لجعل القبلة الابتلائية السابقة، بلمحة أنها كانت مؤتة لمصلحة وقتية، وكأن اللّه يعتذر فيها الى الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله من جعل تلك القبلة، وعلّه لم يسمّها تخفيضا لشأنها أمام الكعبة المباركة، ولمحة في لمحات أن لم يبتدء الإسلام بها عند بزوغه، وإلّا كان الحق الصحيح والفصيح ان يعبر عن القدس كقبلة وإن في مرة يتيمة، ولا نجد في القرآن كله بيت عبادة ومتجه للصلوة إلّا الكعبة المشرفة، تارة ك «أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ»- وطبعا ليس للسكن، فإنما للطواف حوله والصلاة تجاهه- وأخرى «مَثابَةً لِلنّاسِ وَ أَمْناً» ومن مثابته: المقبل، إقبالا إليه حجا له، واستقبالا للصلاة إليه، وثالثة يؤر الخليل بتطهيره «لِلطّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» وهذه الثالثة المعبرة عن الصلاة تعم الصلاة فيه أم في المسجد الحرام، ثم في المعمورة كلها، ومن ثم الكون كله، أن يستقبلوا البيت الطاهر عن قذارات خبيثة، وعن الرجس من الأوثان.
و لاموقع ل «لنعلم» إلا في ظرف التحول عن الكعبة الى القدس دون لعكس فإنّه مرغوب لكل من أسلم، والكبيرة إلّا على الذين هدى اللّه ليست إلا القدس المتحول إليها من الكعبة، فهذه من اللمحات اللمعات كصراحة أن القدس هي ثاني القبلتين.
و «نعلم» هنا هي من العلم العلامة، كما تشهد له وحدة المفعول وللعلم مفعولان اثنان ف «الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها» وهي القدس، جعلناها قبلة بديلة عن القبلة الأصيلة، ردحا مؤتا في بداية العهد المدني «ما جَعَلْنَا ... إِلّا لِنَعْلَمَ ...»علامة واقعية ظاهرة باهرة ل «مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ» () لى اللّه عليه وآله وسلم) حقا «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ»جاهليا.
فلقد كانت العرب تعظّم البيت الحرام عربيا جاهليا، ولمّا آمن منهم من آمن وكانت قبلتهم إسلاميا هي قبلة مجدهم القومي، ولمّا يخلصوا ويتخلصوا عن آصرة القومية، أراد اللّه منهم أن يتجردوا في

قبلتهم- كما في كل شيء- إسلاميا، تخليصا حثيثا من كل تعلقة بغير المنهج الإسلامي، فابتلاهم في الفترة الأولى المدنية- وهم بين اليهود- أن يتحولوا إلى القدس «لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ» كرسول لاكعربي، اتباعا مجردا من كل إيحاء غير إسلامي «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ» صراحا أم نفاقا عارما من هؤاء الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم، أو لمّا، فإن فيها رواسب من الجاهلية الجهلاء، ليسوا ليستقبلوا قبلة اليهود، تاركين بيت مجدهم القومي القديم! فإنه الآن على أشراف تأسيس دولة إسلامية، لا تصلح لها إلا أعواد وأعضاد وأعماد صالحة، خالصة عن كل نزعة غير إسلامية، فليبتلوا بذلك البلاء العظيم، ليعرف الغثّ من السمين والخائن من الأمين «وَ إِنْ كانَتْ»«الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها»«لكبيرة» ثقيلة «إِلّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ» بما اهتدوا بهدى اللّه، بعيدين عن كل هوى إلّا هوى اللّه وهدى اللّه، و«إن ناسا ممن أسلم رجعوا فقالوا مرة هاهنا ومرة هاهنا»[1].

و هكذا تتجرد القلوب متخلصة من كل رواسب الجاهلية ووشائجها، ومن كل سماتها القديمة ووصماتها، ومن كل رغائبها الدفينة، متعرية من كل رداء لبست في الجاهلية ولمّا تخلعها مهما ادعت خلعها، فتنفرد هذه القلوب لشعار الإسلام وشعوره تاركة كلّ شعور وشعار لغير الإسلام.

إن العرب كانت تعتبر- ولا تزال- أن الكعبة المباركة هي بيت العرب المقدس، واللّه يريد لها منهم ان تكون بيت اللّه المقدس «مثابة للناس وقياما للناس- سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ» دون تميّز لقوم، ولا تمييز بين عربي وأعجمي.

و مهما كان الانخلاع- وان مؤتا- عن «أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ» الذي رفع قواعده الخليل وعظّمه الجليل- مهما كان «كبيرة» لكنها على من لم يهدي اللّه «وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ».

ثم وردّا على غيلة السفهاء من الناس- القائلة-: إذا فصلوات الذين صلّوا إلى الكعبة طيلة العهد المكي باطلة- إذا كانت القبلة هي القدس- أم وصلوات الذين صلوا إلى القدس باطلة حين حولت القبلة عنه إلى الكعبة المباركة، وكما «قال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة كيف بصلاتنا نحو بيت المقدس»فأنزل اللّه وَ ما كانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ. ١۴٣

هنا تسمى الصلاة نحو القبلة الشرعية- كعبة أو قدسا- إيمانا، لأنها قاعدة الإيمان وعمود الدين، وأنها كانت بنزعة الإيمان، فالذين صلوا نحو القدس تركا لبيت مجدهم القديم لم يصلوا نحوه إلّا إيمانا باللّه واحتراما لأمر اللّه، بل وصلاتهم أقرب إلى اللّه زلفى ممن صلوا من قبل ومن بعد إلى المسجد الحرام، فكيف يضيع اللّه إيمانهم وهو الذي أمرهم باستقبالهم نحو القدس «لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ»فهل إن علامة اتباع الرسول ضائعة عند اللّه؟! ... هنا «إِلّا لِنَعْلَمَ» هي ثاني التأشيرات بعد «ما وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ» تأييدا لكون القبلة المكية هي الكعبة المباركة، حيث العلامة هذه تحصل في بداية الفترة المدنية، دون حاجة الى هذه الطائلة المكية المزعومة بلا طائلة: أربعة عشر سنة، فلو أنهم أمروا في العهد المكي باتجاه القدس- ولم تكن فيه يهود ليزدادوا ابتلاء بهم- لكان ذلك رادعا عن إسلامهم، وهم قوم لدّ ليسوا ليؤنوا بكل الجواذب والتبشيرات، فكيف كان لهم ان يؤنوا وهم

---

[1] .الدر المنثور ١: ١٤٦- اخرج ابن جرير عن ابن جريح قال: بلغني ان ناسا ...

يفاجئون في بزوغ الدعوة بترك القبلة المكية، وما هو الداعي لتكون القبلة المكية هي القدس إلّا صدا عن دخولهم في دين اللّه بداية الدعوة؟ ثم ولم ينقل ولا مرة يتيمة أن جماعة من العرب امتنعوا عن الإسلام لأن قبلته متخلفة عن الكعبة المباركة، ولا أنه كان يصلي إلى القدس في مكة متحولا عن الكعبة! ... ولو كانت القبلة في العهد المكي هي القدس لشملت قصتها الكتب وتواترت في الألسن، ونقلت اعتراضات متواترة من عرب الحجاز على هذه القبلة!.

ثم وإن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد اللّه ان يبين متبع محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله ممن خالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحمد صلى‌الله‌عليه‌وآله يأمر بها[1] لايشبه حديث الحق، فإن مجال مخالفة الهوى في شرعة الحق- وبهذه الصورة القاسية- ليس في غضون الدعوة التي تتطلب لينة وجاذبية لهؤاء القوم اللّدّ!، والبداية بقبلة القدس هي من أعضل المشاكل صدا عن دخولهم في دين اللّه!.

نعم قد يروى شطر قليل من العهدين لقبلة القدس أن صلينا مع رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا وصرفت القبلة الى الكعبة بعد دخوله الى المدينة بشهرين ...[2] وهو وسط بين الأمرين، وفيه محنة لأهلي البلدين في العهدين.

هذا- وأما القبلة المدنية في بداية الهجرة فالجوّ اليهودي فيها كان يزيد ابتلاء لتحول القبلة إلى القدس، فبرزوا بارزين من الناجحين في ذلك الامتحان العظيم كأعضاد للدولة الجديدة.

ثم لامعنى ل «لنعلم» في تحول القبلة، إلا في تحولها عن الكعبة الى القدس، حيث اتباع من اتبع الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله ليس علامة الإيمان إلا هنا، وأما اتباعه في التحول الى الكعبة بعد القدس فهو رغبة المسلمين أجمع، وحتى أهل الكتاب الذين اسلموا فضلا عن أهل الحرم!.

قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ ۱۴۴.

لقد بلغت محنة الامتحان في قبلة القدس لحدّ يتقلب وجه الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله في السماء، نظرة الأمر بتحول القبلة الممتحن بها إلى القبلة الأصيلة التي يرضاها، فمهما يرضى كلما يرضاها اللّه من قبلة، ولكن الكعبة المباركة هي أوّل بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وهي مثابة للناس وقيام، فهذه جهة من رضاه بها، وأخرى هي انتهاء أمد الابتلاء بقبلة القدس، وثالثة ان اليهود يحتجون عليه وعلى المسلمين بهذه القبلة، إذا ف «ترضاها» لاتعني إلّا

---

[1] .نور الثقلين ۱: ۱۱٤ في كتاب الاحتجاج قيل يا ابن رسول اللّه فلم امر بالقبلة الاولى؟ فقال: لما قال عز وجل وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها وهي بيت المقدس إِلّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنعلم ذلك منه وجودا بعد ان علمناه سيوجد، وذلك ان هوى ... ولما كان هوى اهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه الى الكعبة ليبين من يوافق محمدا فيما كرهه فهو يصدقه ويوافقه ... فعرف ان الله يتعبد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه ... أقول: تفسير «لنعلم» يشبه تفسير المتفلسفين، ثم وسائر مواضيع الحديث يشبه التقاطات ملفقة بين حق وباطل.

[2] .الدر المنثور ۱: ۱٤٦- اخرج ابن ماجة عن البراء قال صلينا.

مرضات اللّه، إذ «وَ ما تَشاؤنَ إِلّا أَنْ يَشاءَ اللّهُ» (۷۶: ۳۰) كما ولا تعني سخطه لقبلة القدس، فإنما هو سخط لاستمرارية الحجة اليهودية على المسلمين، زعزعة في إيمانهم، وزحزحة عن إيقانهم وكما قال اللّه: لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ... ثم «التقلب» دون «التقليب»تلمح أنه ما كان يقلّب وجهه، وإنما يتقلب وجهه أتوماتيكيّا في السماء كما كانت تقتضيه الحالة الرسالية الأخيرة، الناظرة للقبلة الأصيلة ... ثم «قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ» هي ثالثة التأشيرات لكون القبلة المكية هي الكعبة المباركة، إذ كان الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله يحبها منذ عرف نفسه ومنذ أرسل، فهل كان يتقلب وجهه في السماء طيلة العهد المكي إضافة الى ردح من المدني: أربعة عشر سنة؟ وصيغته الصالحة «تقلبات وجهك»تدليلا على التكرار والاستمرار، دون «تَقَلُّبَ وَجْهِكَ» اللّامح إلى مرة يتيمة جديدة جادّة، عرف الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله فيها أن الامتحان حاصل، وأمر التحويل الى المسجد الحرام على الأشراف، ولكنه لم يتفوه بدعائه واستدعائه لذلك التحول، فإنما إشارة الانتظار بتقلب وجهه في سماء الوحي نظرة نزول رسول الوحي حاملا تحويل لقبلة ... «قَدْ نَرى ... فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها»هي الكعبة المباركة التي أنا أرضاها، بعد الفترة الابتلائية المدنية لقبلة القدس «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ».

كل ذلك يشي بتلك الرغبة القوية الرقيبة الظروف المؤتية لتحول القبلة بعد ما كثر حجاج اليهود ولجاجهم، إذ وجدوا في اتجاه المسلمين الى قبلتهم في تلك الفترة الخطيرة، وسيلة للتمويه والتضليل والبلبلة والتجديل، فأخيرا- ولما أحسن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله بخاتمة البلية، أصبح يقلب وجهه في السماء، دون أن يصرح بدعاء[1] حرمة لأمر ربه على إمره، وتحرجا من اقتراح مبكّر ليس في وقته، فأجابه ربه فور تقلب وجهه «فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها [2]...» ولقد أمر بتلك التولية وهو يصلي في المسجد المسمى

---

[1].نور الثقلين ۱: ۱۱٤ في تهذيب الأحكام الطاطري عن محمد بن أبي حمزة عن ابن مسكان عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: سألته عن قوله عز وجل وَ ما جَعَلْنَا ... أمره به؟ قال: نعم ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم كان يقلب وجهه الى السماء فعلم اللّه عز وجلّ ما في نفسه فقال: «قَدْ نَرى ...».

[2].فالروايات القائلة انه دعى مقترحا بوسيط ملك الوحي ترجع الى رواتها، كما يروى عن الامام العسكري عليه‌السلام ... وجعل قوم من مردة اليهود يقولون: واللّه ما ندري محمد كيف يصلي حتى صار يتوجه الى قبلتنا ويأخذ في صلوته بهدينا ونسكنا واشتد ذلك على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاء جبرئيل فقال له رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يا جبرئيل لوددت لو صرفني اللّه عن بيت المقدس الى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلهم، فقال جبرئيل عليه‌السلام فاسأل ربك ان يحولك إليها فانه لا يردك عن طلبتك ولا يخيبك من بغيتك، فلما استتم دعائه صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال اقرء يا محمد «قَدْ نَرى ...».

وفي المجمع عن القمي عن الصادق عليه‌السلام: ... ثم وجهه اللّه الى مكة وذلك ان اليهود كانوا يعيّرون على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يقولون: أنت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فاغتم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) من ذلك غما شديدا وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من اللّه في ذلك أمرا فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم وقد صلى من الظهر ركعتين فنزل جبرئيل عليه‌السلام فأخذ بعضديه وحوّله الى الكعبة وانزل عليه «قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ ...» فكان قد صلى ركعتين الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء «ما وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها».

لذلك ب «القبلتين». «فَوَلِّ وَجْهَكَ» عن القبلة المؤتة الابتلائية «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» كأمر يختصه تشريفا لسماحته وتعظيما لساحته، ثم أمر يعم المسلمين كافة: «وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» فما هو الشطر القبلة هنا، وهل هو قبلة- فقط- للنائين، أم وللقريبين إلى المسجد الحرام، أم والكائنين فيه أمام الكعبة المباركة؟.

الشطر- لغويا- هو نصف الشيء ووسطه، وهو نحو الشيء[1] وجهته، وهو بعده، ويجمعهما جانب الشيء إما بجنبه داخليا وهو نصفه، أم خارجيا وهو نحوه بعيدا عنه. فهل هو بعد: البعض؟ ولم تأت في اللغة كبعض! والمعنى- إذا- بعض المسجد الحرام، فتراه أيّ بعض هو؟ أهو أي بعض منه؟ وتعبيره الصحيح «الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» دون شطره، أم شطرا من المسجد الحرام، فان «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» يعني شطرا خاصا منه!، ثم الشطر العام هو طبيعة الحال لمستقبله، إذ لايمكن لأي أحد أن يستقبل كل المسجد الحرام!.

أم هو شطر خاص ولا أخص من الكعبة؟ فلما ذا- إذا- شطر المسجد الحرام دون «الكعبة» وهي أصل القبلة! ثم وعين الكعبة لايمكن أن تكون هي القبلة للنائي!.

أم هو نصف المسجد الحرام؟ فهل هو أيّ نصف منه؟ فلما ذا- إذا- نصفه لانفسه حيث تعني أي نصف منه ثم وتعبيره الصحيح «شطرا من المسجد الحرام» ثم وكيف يولي وجهه نصفه؟ ولا يولّى إلّا جزءه قدر الوجه لو أمكن! ثم لايتمكن البعيد أن يولي وجهه لانصفه ولا بعضه! ... أم هو منتصفه «الكعبة» وهو غير النصف! ثم صالح التعبير عنه «الكعبة» دون منتصف المسجد الحرام، ثم ونفس الكعبة لايمكن أن تكون قبلة النائين!.

أم هو نحوه وجانبه؟ وذلك هو الصحيح، وتعبيره ذلك الفصيح! فليس بإمكان النائي أن يولي وجهه إلّا نحوه حيث يسع بين المشرق والمغرب وكما في الأثر المستفيض «بين المشرق والمغرب قبلة».

و «حَيْثُ ما كُنْتُمْ» يعني خارج الحرم، أم- وبأحرى- خارج مكة، والسند «وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ» يعني من مكة، وليس «حَيْثُ ما كُنْتُمْ ...» تكرارا، حيث الأول خطاب لخصوص الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله وقد يظنّ ان حكمه يخصه، والثاني يعم عامة المسلمين، ثم «فول» لاتدل على ان القبلة هي «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» أينما كانوا و«حَيْثُ ما كُنْتُمْ» تصريحة لشمولية الجهات، ثم الوجه- وهو ما يواجه أو يواجه- هو بأقل تقديره ثلث الدائرة، فالوجه المولّى وشطر المسجد الحرام المولى إليه، هما يصدّقان «بين المشرق والمغرب قبلة» والكل مصدّق ب «لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ».

ثم الوجه هنا لايخص خصوص الوجه، بل وكل مقاديم البدن، فلتوجّه كلها نحو المسجد الحرام، فان للوجه وجوها حسب المولّى إياه، فوجه القرائة هو البصر، ووجه الوضوء هو كل الوجه، ووجه الاتجاه لجهة سفرا أو صلاة هو كل وجوه البدن، اللهم إلّا اليد فإنها لاوجه لها، أم لاوجه لتوجيه وجهها المسجد الحرام.

و ليست هذه التوسعة إلّا رعاية للسعة في الاتجاه نحو الكعبة المباركة، فالمتمكن لاستقبال عين الكعبة يستقبلها، ثم المتمكن لاستقبال المسجد الحرام يستقبله، ومن ثم استقبال شطر المسجد

---

[1] .عن تفسير النعماني باسناده عن الصادق عليه‌السلام عن آبائه عليهم‌السلام في الآية قال: معنى شطره نحوه ...

الحرام، المحدّد بما بين المشرق والمغرب باتجاه الجنوب من كل أنحاء الكرة الأرضية، كما وأن الكرة الأرضية ككل هي «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» لسكان سائر الكرات!.

و هذه طبيعة الحال في زاوية الاتجاه الى قبلة وسواها، فكلما ابتعد مكان الاتجاه عنها انفرجت زاويتها لحدّ يصدق أن «ما بين المشرق والمغرب قبلة»وهي الزاوية المنفرجة حسب انفراج المستقبل بعدا عن القبلة.

ف «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» وهو ناحيته وجهته، ليس له حدّ خاص، بل هو حسب بعد الجهة يتشطر أكثر، كما في قربها تنقلب منفرجة الزاوية الى قائمة والى حادة، وكل ذلك حسب امكانية الاتجاه كالعادة المستمرة، مهما هندست واجهة القبلة في عصر العلم بما يقرب شطر المسجد الحرام، إلّا أن رعاية الجهة المهندسة ثابتة شرط ألّا يكون عسر أو حرج.

و من لطيف أمر السعة في القبلة إضافة سعة الوجه للمستقبل الى سعة المواجهة للقبلة، فالوجه هو ثلث الدائرة، وشطر المسجد الحرام هو الجهة التي فيها المسجد الحرام، فالاتجاه بجزء من الوجه في زاوية قدرها (٦٠) درجة، نحو المسجد الحرام كلما صدق عليه زاوية الاتجاه، ذلك هو فرض النائي، والنتيجة كما في المستفيضة «ما بين المشرق والمغرب قبلة» يعني جهة الجنوب وهي قرابة تسعين درجة، خارجا عن نقطة الشرق والغرب، ما صدق أنه جهة الجنوب.

وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمّا يَعْمَلُونَ (١۴۴).

«أَنَّهُ الْحَقُّ» علّه «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» كقبلة، وبأحرى الكعبة المباركة كقلب القبلة، أم وهو الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله لسابق ذكره، إذا فقبلته حقّ ضمن رسالته، أم هما معنيان على البدل والأصل هو الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله، وتراهم كيف يعلمون أنه الحق من ربهم؟ قد تعني أن السنة الكتابية هي النسخ ابتلاء وتدريبا، فكما أن سائر كتابات السماء فيها نسخ ما قل أو كثر، فليكن كذلك القرآن!، أم إن معرفة كتابات الوحي تحمل على تصديق القرآن كواحد منها لأقل تقدير، فليصدّق- من ضمنه- البيت كقبلة!.

أم ولأن في هذه الكتابات تأشيرات أم تصريحات بالكعبة المباركة كقبلة إسلامية أم وأممية إلّا شطرات في تاريخ الرسالات.

و منها ما في (أشعياء ۵۶: ٨) حسب الأصل العبراني: «كي بيتي بيت تفيلا ييقاره لخال هاعميم» «بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الشعوب».

مع العلم ان «بيتي» صيغة خاصة للكعبة المباركة، ولم تستعمل بهذا الإختصاص إلّا فيها.

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظّالِمِينَ(١۴۵).

«الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» تعم كافة اهل الكتاب في الرسالات الكتابية على مدار الزمن، فالانحيازات الكتابية- ككلّ- من جهة- إلّا من آمن- والعنصرية الإسرائيلية بوجه خاص، ثم الطائفية الكتابية في الرسالة الإسرائيلية بوجع عام، هما من الموانع لأن يتبعوا قبلتك- إلّا قليلا منهم- وان أتيتهم بكل آية بينة، ثم «وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ»سنادا إلى حجة الوحي الصارم، وقبلة القدس المؤتة لم تكن متبوعة لك كقبلة يهودية، وانما «لنعلم ...» وليعلم أهل الكتاب انك لست جامدا على قبلة عنصرية أم طائفية ف «ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ» تنفي هذه التبعية بأمر اللّه- فضلا عن سواه- من الحال حتى آخر زمن

التكليف، فهي عبارة أخرى عن انها- بعد- لاتنسخ، قطعا لآمال أهل الكتاب، وصدا عما يخلد بخلد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله من التحول الى قبلة القدس تقريبا لأهلها الى الإسلام.
ذلك! وكما نفت- عما سلف من قبلة القدس- إتباعه لها لمجرد هوى أهلها، فانه اتباع لأمر اللّه في مصلحة وقتية، ثم هنا مقابلة بين حق القبلة وباطلها، فهم «ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ» سلبا باطلا «وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ» سلبا حقا.
ثم وكيف بالإمكان اتباع قبلتهم وهي بين القدس والمشرق، فاتباع كلّ رفض لآلخر، فليترك اتباع الأهواء المختلفة- المستحيل تحقيقها- إلى اتباع هدى اللّه.
ثم «وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ» فالبعض اليهود مستقبلون القدس على طول الخط دون تحول الى شرق المسيحي، والبعض المسيحي مستقبلون الشرق دون تحول الى القدس، أ فأنت تهوى- بعد- ان تتبع أهواءهم في اتباع قبلتهم لفترة أخرى حتى يتبعوا قبلتك؟.
فحتى ولو اتبع بعضهم قبلة بعض، وأصبحت القبلة الكتابية واحدة، ف «ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ» إذ قضي أمر التحويل تمييزا لأهل الحق عن غير أهله.
ثم اليهود والنصارى على وحدتهم في تكذيبك هم مختلفون في قبلتهم، فكيف يرجون أن تتبع قبلتهم؟!.
«وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» في أيّ من الطقوس الكتابية «إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظّالِمِينَ» بحق الشرعة الإلهية، بعد ما كنت من العادلين في استقبال القبلتين.
هنا «و لئن ...» تلمح أن الرسول كان يودّ- بعنوان ثان- التحول الى قبلة القدس فترة أخرى رغبة في تميّل اليهود إلى الإسلام، إذا ف «قِبْلَةً تَرْضاها» لاتعني انه لايرضى القدس، وإنما هو لو خلّي ونفسه كان يرجّح الكعبة المباركة، وهو- كضابطة رسالية- يحب ما أحبه اللّه ثم «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ» هنا هم العارفون بما في الكتاب من حق هذه الرسالة الأخيرة، ثم «وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا» لاوعوامهم المشتبهون باتباعهم إلّا الصامدون في تقليدهم الأعمى، ولا كل علماء الكتاب، فالذي يجحد بالحق وهو على علم به بأدلته، ليس ليتحول عن نكرانه له بأدلته، فهو من الذين «زاغُوا أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ» امتناعا لاتباع هذه القبلة باختيار.
و هنا «مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» تشديد على العلماء في مسئولية الحفاظ على ما يعلمونه حقا، وتنديد بهم إن تركوها كأنهم لايعلمون، فالإقدام على أمر جهلا هو أقل مسئولية من الإقدام عليه بتخلف علما. الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ(۱۴۶).
إيتاء الكتاب هنا هو الإيتاء معرفيا، دون مجرد الانتساب انه كتابي ولا يعلم الكتاب إلّا أماني.
و «يعرفونه» بعد «آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» دليل أن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله معروف لديهم في الكتاب كمعرفة الأبناء- وهي قمة المعرفة المعروفة- حيث الضمير راجع اليه دون القرآن، فان تعبيره الصحيح- إذا- كما يعرفون كتابهم، كما ونجد نفس الآية في الأنعام بنفس المعنى ونفس السند:
«الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» (۲۰).
و لماذا «أبناءهم» دون «آباءهم- أو- أمهاتهم»؟ لأن كلا من الأبوين يعرف ما ولده دونما استثناء، وقد لايعرف الولد من ولّده، إذ ولد بعد موته أم مات في صغره، إذا فأعرف التعريف بهذا الرسول

صلى‌الله‌عليه‌وآله في معرفة أهل الكتاب هو «كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ».
و يا له من معرفة نظرية بمواصفة كتابية، تشبه معرفة حسية في قمتها، وهم له منكرون، مؤّلين اسمه المذكور في كتبهم تارة بغير اسمه وصفا أو فعلا، ومسقطين له عن الترجمات أخرى، وناظرين محمدا غيره ثالثة دون حجة عليه إلّا أنه غير إسرائيلي، وقد جاء بما لاتهوى أنفسهم، وهو مذكور باسمه ورسمه ومولده ونسبه وحسبه ولكن لاحياة لمن تنادي.
و جوابا عن سؤل: مهما بلغت البشارات الكتابية بحق الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله واضحة، لم تأت بمعرفة له كما يعرف الأبناء، فان هذه حسية لاريب فيها، وتلك بالاسم والمواصفة وقد تعترضها ريبة؟
نقول: «يعرفونه» دون «عرفوه» مما يدل على معرفة لاحقة بعد ظهوره بآيات صدقة فإنها كافية لتصديقه رسولا مهما لم تكن هناك معرفة سابقة، وحين تجتمعان لأهل الكتاب في مثلث: البشارات الكتابية- مماثلة الوحي الكتابي في قرآنه- بينات رسالته، فهم- إذا- يعرفونه كما يعرفون أبناءهم دون أية ريبة وشبهة «وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ» الناصع اللّامع «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» أنه الحق وأنهم كاتموه.
و قد جاء في الأصل العبراني من كتاب هوشع الآية (٧): (بائوا يمي هفقوداه بائوا يمي هشلون يدعو ييسرائل إويل هنابي مشوكاع إيش هاروح على رب عونحا ورباه مسطماه»-:
«تأتي أيام التمييز، تأتي أيام الجزاء سيعلم إسرائيل أن النبي السفيه ورجل الروح مجنون لكثرة إثمك وشدة الحنق»- أجل «وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَ ما هُوَ إِلّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ»! وقد جاءت في ترجمة أخرى عنها: «بنو إسرائيل يعلمون ويعرفون ان النبي الأمي المصروع صاحب روح الهامي وصاحب الوحي» وقد قال ربي حييم ويطال في كتابه «عصحييم» إن القصد من النبي الأمي هنا هو محمد بن عبد الله الذي بعث في زمن عبد الله السلام.
و يا لعبد الله السلام من سلام حين يجيب السائل عن هذه الآية: «لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني إذ رأيته مع الصبيان وأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني ...»[1]. أجل وهم «يعرفون محمدا والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم»[2].

---

[1] .الدر المنثور ١: ١٤٧- اخرج الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس قال: لما قدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم المدينة قال عمر بن الخطاب لعبد اللّه بن سلام قد انزل اللّه على نبيه الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ فكيف يا عبد اللّه هذه المعرفة؟ فقال عبد اللّه بن سلام يا عمر: ... فقال عمر كيف ذلك؟ قال: انه رسول اللّه حق من اللّه وقد نعته اللّه في كتابنا ولا ادري ما تصنع النساء، فقال له عمر: وفقك اللّه يا ابن سلام.
و فيه اخرج الطبراني عن سلمان الفارسي قال: خرجت أبتغي الدين فوقعت في الرهبان بقايا اهل الكتاب قال اللّه تعالى: يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ فكانوا يقولون: هذا زمان نبي قد أطل يخرج من ارض العرب له علامات من ذلك شامة مدورة بين كتفيه خاتم النبوة.

[2] .نور الثقلين ١: ١٣٨ في اصول الكافي عن الأصبغ بن نباتة عن امير المؤنين عليه‌السلام حديث طويل وفيه يقول: فاما أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى يقول اللّه عز وجل الَّذِينَ آتَيْناهُمُ ... وان فريق منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أنك الرسول إليهم فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وفيه في تفسير القمي عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى يقول اللّه تبارك وتعالى الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ يعني رسول اللّه كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ لأن اللّه عز وجل قد انزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم وصفة أصحابه ومبعثه ومهاجرته وهو قوله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧).
و ليس ذلك الخطاب- كأمثاله- يعني ان الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله- وعوذا باللّه- كان من الممترين في الحق من ربه، فإنما ذلك له تثبيت، وللممترين من أهل الكتاب تتبيب، ولكلّ دعاية ضالة تمويت وتفويت.
«الحق» كله «من ربك» الحق الرسالي بالقرآن الحكيم الذي هو كل الحق، المحلّق على كل حق، إنه «من ربك» لاسواه «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» فيه، وذلك إيحاء صارم الى من وراءه من المسلمين تثبيتا، والى الناكرين من أهل الكتاب تتبيبا، ثم ومتعلّق الامتراء ليس يختص بأصل رسالته، أم وقبلته، بل وأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون، إذ كانوا يرتابون فيه كأنهم لايعلمون، أم هم شاكون «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» أنهم يعرفونك كما يعرفون أبناءهم، وأنهم يكتمون حقك وهم يعلمون.
لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨).
هنا محتملات حسب عديد الاحتمالات أفضلها جمعها ما لم تطارد أدب اللفظ والمعنى: «و لكلّ» من الناس: ملحدين ومشركين وكتابيين ومسلمين- أم «لكلّ» من الثلاث الآخرين، او الآخرين، أم المسلمين.
«وجهة» قلبية أو قالبية، فالثانية هي القبلة لدعاء وصلاة، والأولى هي لكل الحالات والصّلات.
«هو» اللّه «موليها» أياها، أم «هو» صاحب الوجهة مولي نفسه أياها، وهذه ستة عشر وجها في الوجهة المولاة، تضرب في استباق الخيرات مادة ومدة وعدة وعدة فهي (٦٤) احتمالا، والأصل في معارك الوجهات والاتجاهات هوَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ» في كل المجالات، فمهما كانت وجهة الملحدين الماديين هي المادة قلبا وقالبا، ووجهة المشركين- كذلك- هي الآلهة المختلفة المختلقة، ووجهة الكتابين قبلة هي القدس والمشرق، وروحية هي مختلف اتجاهاتهم في شرعة اللّه، ووجهة المسلمين كقبلة قدسا لفترة وكعبة على طول الخط، وفي كلّ جهات حسب مختلف الواجهات في المعمورة وسواها، والوجهة الروحية حسب مختلف المذاهب والاجتهادات «هو» اللّه «موليها» تكوينا وتشريعا، و«هو» صاحبها «موليها» اختيارا دونما اضطرار ... َاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ» و«سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...» (٥٧: ٢١) في ذلك المسرح الواسع الحافل بمختلف الوجهات والواجهات، و«الخيرات» هي التي يولّيها اللّه إياكم دون سواه، فاجعلوا الحياة ميدان سباق في الخيرات كلها، في كل وجهة واتجاهة قلبية وقالبية، استباقا في موادها ومددها وعددها وعددها، فإن استباق الخيرات والمسارعة فيها هي بعدها كأصل أصيل في الحياة، فرضا أو ندبا: «يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ أُولئِكَ مِنَ الصّالِحِينَ» (٣: ١١٤)- (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ. وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ. أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ. وَ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلّا وُسْعَها ...» (٢٣: ٦٢).

أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ فهذه صفة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه، فلما بعثه اللّه عز وجل عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ.

إن استباق الخيرات والمسارعة فيها أصل حيوي تحلق على كافة النشاطات الصالحة للصالحين، يتسابقون في الخيرات ما استطاعوا، ويسارعون فيها ما استطاعوا، ومن أفضل الخيرات الصلاة، واستباقها يعم ظاهرها وباطنها وقبلتها كما هو مولّيها، وزمانها ومكانها كما أمر اللّه، مجردة عن كافة الصلات إلّا باللّه، وعن كافة النزعات إلّا نزعة اللّه، وعن كافة الوجوه إلّا وجه اللّه.
ذلك! ومن ثم يصرف اللّه المسلمين عن الانشغال بما يبثّه أهل الكتاب وسواهم من دسائس وفتن في أقاويل وأفاعيل، يصرفهم إلى استباق الخيرات حيث مصير الكل إلى اللّه:
«أَيْنَما تَكُونُوا» مكانا ومكانة ومكنة وفعلية وفاعلية، وفي أية اتجاهه خيرة أو شريرة.
«يَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً»
مع بعضكم البعض ليوم الجمع، و«جميعا» مع كل أعمالكم واتجاهاتكم ليوم الحساب، ولايعزب عنه منكم ومن أعمالكم شيءٍ «إِنَّ اللّٰهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ومن مجالات خاصة «لَيَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً» حشر- أصحاب ألوية القائم المهدي من آل محمد عليهم‌السلام[1] وهو من تأويل الآية، فإن تنزيلها هو الحشر العام ليوم القيام، ومن تأويلها هو الحشر الخاص، ولا ينبئك مثل خبير.
«وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اللّٰهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (١٤٩).
«حَيْثُ خَرَجْتَ» هو- لأقل تقدير- خروجه عن مكة «كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ ...» (٨: ٥) (مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ» (٤٧: ١٣)، ولأكثر تقدير هو خروجه عن الحرم، فقد يصدق الخبر: «البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة للناس جميعا»[2] فان الحرم هو شطر المسجد الحرام للخارج عنه، والضابطة امكانية استقبال القبلة دون عسر ولا حرج.
«وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِي وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠).

---

[1] .نور الثقلين ١: ١٣٨ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سهل بن زياد عن عبد العظيم بن عبد اللّه الحسني قال قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه‌السلام إنّي لأرجو ان تكون القائم من اهل أبيت محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم- الى قوله في وصفه وانه غيره- يجتمع اليه أصحابه عدة اهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من أقاضي الأرض وذلك قول اللّه عز وجل:«أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً ... وفيه باسناده الى أبي خالد الكابلي عن سيد العابدين علي بن الحسين عليهما‌السلام قال: المفقودون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا عدة اهل بدر فيصبحون بمكة وهو قول اللّه عز وجل: أَيْنَما تَكُونُوا ....
وباسناده الى محمد بن سنان عن المفضل بن عمر قال قال ابو عبد اللّه عليه‌السلام لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من اصحاب القائم عليه‌السلام ليفقدون عن فرشهم ليلا فيصبحون بمكة وبعضهم يسير في السحاب يعرف اسمه واسم أبيه وحليته ونسبه، قال فقلت جعلت فداك أيهم أعظم ايمانا؟ قال: الذي يسير في السحاب نهارا.
وفيه تفسير القمي قال ابو جعفر عليه‌السلام مثله وهو قول امير المؤنين عليه‌السلام هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول اللّه ... وفي المجمع قال الرضا عليه‌السلام في الآية: وذلك واللّه ان لو قام قائمنا يجمع اللّه اليه جميع شيعتنا من جميع البلدان.

[2] .وسائل الشيعة أبواب القبلة ب ٣ ح ١ و٣.

«فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» تتكرر في مسرح التحويل ثلاث مرات، ثم «وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»مرتين، فلما ذا هذا التكرار والصيغة نفس الصيغة دونما زائدة؟ علّه «لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ»وفي كل مرة من الثلاث فائدة زائدة تثبيتا للقبلة الجديدة، ففي الأولى «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ»إخراجا لذلك التحويل عن الباطل.

و في الثانية «وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» تثبيتا لحقه كأنه هو الحق لاسواه، فالقبلة المكية أصيلة، وقبلة القدس ابتلائية فرعية.

و في الثالثة «لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ...» ثم وفي هذا التكرار بمختلف التلحيقات تأكيد أكيد لتداوم هذه القبلة، وكما في تكرار «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ»عدّه مرات، تلحيقا بها لكل مقطع من مقاطع البيان لذكر نعم الرحمان، ثم وفيها رابعة التأشيرات أن القبلة المكية هي الكعبة المباركة دون القدس، حيث الابتلاء يقدّر بقدر الضرورة، ولا سيما إذا كان فيه حجة على المبتلين، فالضرورات تقدّر بقدرها، وما هي الضرورة الابتلائية أن يكون القدس هو القبلة منذ بزوغ الإسلام إلى أشهر في المدينة، خلقا لجوّ الحجة على المؤنين من قبل المشركين[1] والكتابيين، وصدا عن دخول العرب- الهائمين الى الكعبة المباركة- في هذا الدين؟! فابتلائية قبلة القدس- بما تخلّف حجة على المسلمين- وعلى رسول الإسلام أيضا إذ هم عارفون من كتبهم ان قبلة هذا الرسول هي الكعبة المباركة، فلما صلى- لفترة- الى القدس أخذوا يحتجون عليه انه ليس هو الرسول الموعود!- هذه الابتلائية غير صالحة إلّا لقضاء الابتلاء، وظرفه الصالح هو بداية العهد المدني، بلورة لصالح المؤنين عن طالحهم، وما إضافة العهد المكي إلى أشهر الابتلاء المدني، إلّا زيادة لحجة اليهود، إضافة الى حجة العرب في رفضهم لهذا الدين.

و «الناس» هنا كما الناس في «سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النّاسِ» هم السفهاء من الناس، مشركين وكتابيين، فان كلّا كان يحتج على الرسول والمسلمين «ما ولاهم ....».

و هنا «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» استثناء لجماعة خصوص منهم استمرارا لحجتهم على المسلمين «فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِي»فان حجتهم داحضة عند ربهم، وذابلة بعد تحوّل القبلة إلى الكعبة المباركة. ثم وفي ذلك التحويل إضافة الى سلبية حجتهم إيجابية إتمام النعمة والاهتداء.

«وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» فقبلة الكعبة إتمام للنعمة، واهتداء كما قال اللّه إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ.

و قد تحمل «لأتم وتهتدون» بشارة لفتح مكة كما تحملها آية الفتح: «إِنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ....».

و من أهم النعم التامة الاعتصام بحبل اللّه جميعا: وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً.

ثم ومن أهمها في مظاهر العبودية الاتجاه الى قبلة واحدة هي أوّل بيت وضع للناس، مثابة وأمنا

---

[1].الدر المنثور ١: ١٤٨- اخرج ابن جرير من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا لما صرف النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم نحو الكعبة بعد صلاته الى بيت المقدس قال المشركون من اهل مكة تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم وعلم انكم أهدى منه سبيلا ويوشك أن يدخل في دينكم فانزل اللّه لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ.

وهدى وقياما «لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ ...».
كلام فيه ختام حول القبلة القبلة هي هيئة خاصة للمقابلة، فهي تعم المستقبل اليه، فان لكلّ هيئة خاصة للمقابلة، فشطر المسجد الحرام نص أم ظاهر كالنص في أن قبلة النائي عن مكة المعظمة هي ناحية المسجد الحرام «وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ» تحلق على ذلك الاستقبال أولا لسكنة المعمورة كلها، ثم سكان سائر المعمورات، إلّا ان شطر المسجد الحرام لهم هو الكرة الأرضية ككل، ولا يخص شطره، الناحية القاطعة له إلى الكعبة المباركة- فقط- سطح الأرضية، بل شطره في العمود الذي يربط الكون كله بسماواته وأرضيه، كما الكعبة المباركة ممتدة من ناحيتها فوق وتحت الى أعماق السماوات.
ثم الداخل في مكة المكرمة، هل يستقبل- كما الخارج- شطر المسجد الحرام أم عينه؟ طبعا عينه ما أمكن حيث الشطر قبلة النائين كضابطة، وإلّا فالأقرب الى العين فالأقرب، دون شطره كضابطة[1] ... والداخل في المسجد الحرام يستقبل الكعبة المباركة من جوانبها، وندب الصلاة جماعة أو فرضها يقتضي صحة صلاة الجماعة الدائرية حول البيت بإمام واحد، ولو كانت محظورة لورد فيها نهي، وهل الداخل في البيت يصلي كالعادة إلى أيّ من جوانبها؟ قد يقال: لا، لأنه هو القبلة من خارجه دون جوفه، وقد ورد في الصحيح: «لا تصل المكتوبة في جوف الكعبة فان رسول اللّٰه صلى‌الله‌عليه‌وآله لم يدخلها في حج ولا عمرة ولكنه دخلها في الفتح وصلى فيها ركعتين بين ميري العمودين ومعه اسامة ابن زيد»[2] وفي آخر «لما دخل النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال: هذه القبلة»[3].
و لكن النهي عن الصلاة فيها هو أعم من التحريم والتنزيه، وتحريمه أيضا أعم من أن جوفها ليست قبلة، مع العلم أنها أصل القبلة، وقد يعني النهي رعاية حرمة البيت، ورعاية الجماعة القائمة حول

---

[1] .في صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليهما‌السلام: يجزي التحري ابدا إذا لم يعلم اين وجه القبلة. الوسائل أبواب القبلة ب ٦ ح ١.
وعن تفسير النعماني باسناده عن الصادق عليه‌السلام عن آبائه عليهم‌السلام في قوله تعالى: فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ قال: معنى شطره نحوه إن كان مرئيا وبالدلائل والأعلام ان كان محجوبا، فلو علمت القبلة وجب استقبالها والتولي والتوجه إليها، ولو لم يكن الدليل عليها موجودا حتى تستوي الجهات كلها فله ان يصلي باجتهاده حيث أحب واختار حتى يكون على يقين من الدلالات المنصوبة والعلامات المبثوثة، فإن مال عن هذه الوجوه مع ما ذكرناه حتى يجعل الشرق غربا والغرب شرقا زال معنى اجتهاده وفسد حال اعتقاده. (الوسائل أبواب القبلة ب ٦ ح ٤).

[2] .الوسائل أبواب القبلة ب ١٧ ح ٣ و١ صحيحتان فالصحيحة الاولى عن معاوية عمار عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام والثانية عن محمد بن مسلم عن أحدهما قال: لا تصل المكتوبة في الكعبة، وأورده مثله في صحيح البخاري حدثنا مسدّد قال حدثنا يحيى عن سيف قال سمعت مجاهدا قال: أتي ابن عمر فقيل له: هذا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم دخل الكعبة، فقال ابن عمر: فأقبلت والنبي (صلّى اللّه عليه وآله‌سلم) قد خرج وأجد بلالا قائما بين البابين فسألت بلالا فقلت: أصلى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) في الكعبة؟ قال: نعم ركعتين بين الساريتين اللتين على يساره إذا دخلت ثم خرج فصلّى.

[3] .موثقة يونس بن يعقوب قال قلت لابي عبد اللّه عليه‌السلام إذا حضرت الصلاة المكتوبة ...

البيت، وكما تدل عليه الموثقة: «إذا حضرت المكتوبة وأنا في الكعبة أ فأصلي فيها؟ قال: صل»[1] إلّا أن «هذه القبلة» تعارض نصا «قال صل»فالأحوط إن لم يكن الأقوى ترك الفريضة في جوفها، وان كان الأشبه صحة الصلاة فيها فان «هذه القبلة» لاتنفي كون جوفها ايضا قبلة كما ظاهرها، كذلك والصلاة على سطح الكعبة، حيث العمود الأسطواني من مكان البيت قبلة في طرفيه إلى أعنان السماء، والاستلقاء على السطح استلغاء لكون الأسطوانة قبلة، وتشكيك أو الغاء لصحة صلوات الساكنين أو الكائنين في محلات أرفع من البيت!.

و ترى إذا فقد العلم او والظن بشطر المسجد الحرام، فهل يصلي الى أربع جهات لمرسلة يتيمة[2] لاتوافق الكتاب ولا السنة؟ مع العلم انه ليست عليه إلّا صلاة واحدة حتى مع تقصيره في اجتهاد القبلة فضلا عن قصوره! وحتى إذا أريد بذلك درك القبلة فصلوات ثلاث هي الكافية، فان بين المشرق والمغرب قبلة!.

أم يصلي لجهة واحدة، لذلك، ولصحيحة الفاضلين عن أبي جعفر الباقر عليه‌السلام: «يجزي المتحير أبدا اين ما توجه إذا لم يعلم وجه القبلة»[3] و«المتحير» أعم من القاصر والمقصر.

ثم ولا ريب في إجزاء صلاة واحدة أم أقل من الأربع في تضيّق الوقت مع الاحتمال الأوّل، وترى حين ينحرف عن القبلة قاصرا يمينا أو شمالا أم بينهما ثم تتبين هل يعيد أم تجزيه؟ الظاهر «قد مضت صلاته وما بين المشرق والمغرب قبلة»[4].

و إذا زاد الانحراف كأن يستدبرها أمّا شابه أعادها في الوقت دون خارجه[5] حيث الميسور في الوقت لم

---

[1].صحيح البخاري حدثنا إسحاق بن نصر قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريح عن عطاء قال سمعت ابن عباس قال لما دخل ...

[2].هي مرسلة قريش عن بعض أصحابنا عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال قلت: جعلت فداك إن هؤاء المخالفين علينا يقولون: إذا أطبقت السماء علينا او اظلمت فلم نعرف السماء كنا وأنتم سواء في الاجتهاد؟ فقال: ليس كما يقولون، إذا كان ذلك فليصل لأربع وجوه. و عن الفقيه «و قد روي فيمن لا يهتدي الى القبلة في مفازة انه يصلي الى اربع جوانب» أقول: وأظنها هي نفس مرسلة خراش.

[3].هي صحيحة زرارة ومحمد بن مسلم المروية في الفقيه عن أبي جعفر عليهما‌السلام انه قال: ...

[4].تدل عليه صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال قلت له: الرجل يقوم في الصلاة ثم ينظر بعد ما فرغ فيرى انه قد انحرف عن القبلة يمينا او شمالا؟ فقال: «قد مضت صلاته وما بين المشرق والمغرب قبلة» وموثقة عمار عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام رجل صلى لغير القبلة فيعلم وهو في الصلاة قبل ان يفرغ من صلاته؟ قال: ان كان متوجها فيما بين المشرق والمغرب فليحول وجهه الى القبلة ساعة يعلم، وان كان متوجها الى دبر القبلة فليقطع الصلاة ثم يحول وجهه الى القبلة ثم يفتح الصلاة (الوسائل أبواب القبلة ب ١٠ ح ١.

[5].تدل عليه صحيحة عبد الرحمن بن أبي عبد اللّه عن أبي عبد اللّه عليه‌السلام قال: «إذا صليت وأنت على غير القبلة واستبان لك انك صليت وأنت على غير القبلة وأنت في وقت فأعد وان فاتك الوقت فلا تعد» وصحيحة سليمان بن خالد قال قلت لابي عبد اللّه عليه‌السلام الرجل يكون في قفر من الأرض في يوم غيم فيصلي لغير القبلة ثم يضحي فيعلم انه صلى لغير القبلة كيف يصنع؟ قال: «ان كان

يتجاوز ما أداه فلا إعاده خارجه، والمستدبر فيها والوقت باق لم يأت بما عليه مهما أخطأ.
و على أية حال فواجب القبلة- عينا أو شطرا أما بين المشرق والمغرب- هو المستطاع، لايجوز البعيد عنها ما أمكن القريب لها، وإذا كنت على راحلة متحولة عن القبلة إلى جهات، فلتتحول ما أمكنك، إلّا في عسر أو حرج فجهة واحدة، لاسيما بين المشرق والمغرب فانه قبلة المقدور على أية حال.
و من اللائح اللامع من الكتاب والسنة عدم وجوب الاجتهاد للقبلة إلّا حسب الميسور المتعود بين عامة الناس، دون الدراسات الهندسية والنجومية أمّا هي، التي لاتتيسر إلّا لجماعة خصوص، إلّا إذا شاعت نتائج هذه الدراسات بمتناول سائر الجموع، فهي- إذا- تصبح من الميسور، فهي- إذا- واجب كل الجموع، اللّهم إلّا من يهتدي على شياعها.
و لقد بذلت مساعي عدة لتعيين القبلة لساكني المعمورة، بعد ما كان المسلمون يعتمدون على الظن والحسبان باي نحو كان، فاستنهض الحاجية العامة في ذلك الحقل جمعا من العلماء الرياضيين تقريبا للقبلة إلى التحقيق[1] ثم وتسريعا وتسهيلا لذلك عملوا الآلة المغناطيسية المعروفة بالحك[2] ولأنها لم تخل من الشبهة والنقصان، قام المغفور له السردار الكابلي باستخراج الانحراف القبلي بأصول حديثة، وحصل- من ضمنها- على استقامة كاملة للمحراب الخاص في مسجد النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله بالمدينة المنورة[3]

في وقت فليعد صلاته وان كن الوقت قد مضى فحسب اجتهاده» الوسائل أبواب القبلة ب ١١ ح ٥ و٦ أقول: وإطلاقهما مقيد بالاخبار رقم (١٢٦). او يقال: بين المشرق والمغرب قبلة فلا انحراف- إذا- عن القبلة في غير الاستدبار كما تدل عليه صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليهما‌السلام قال: لا صلاة إلا الى القبلة، قال قلت: اين حد القبلة؟ قال: بين المشرق والمغرب قبلة كله، قال قلت: فمن صلى لغير القبلة او في يوم غيم في غير الوقت، قال: يعيد.

[1] .فقد استفادوا من الجداول الموضوعة في الزيجات لبيان عرض البلاد وطولها، واستخرجوا انحراف مكة عن نقطة الجنوب في البلد، اي انحراف الخط الموصول بين البلد ومكة عن الخط الموصول بين البلد ونقطة الجنوب خط نصف النهار بحساب الجيوب والمثلثات، ثم عيّنوا ذلك في كل بلدة من بلاد الإسلام بالدائرة الهندية المعروفة المعينة لخط نصف النهار، ثم درجات الانحراف وخط القبلة.

[2] .هذه الآلة بعقربتها تعين جهة الشمال والجنوب فتنوب عن الدائرة الهندية في تعيين نقطة الجنوب، وبالعلم بدرجة الخراف البلد يمكن للمستعمل ان يشخص جهة القبلة

[3] .و لأن هذه الآلة تبين فيها الاشتباه من الجهتين جميعا- طولا وعرضا-: فان المتأخرين من الرياضيين عثروا على ان المتقدمين اشتبه عليهم الأمر في تشخيص الطول، واختل بذلك حساب الانحراف فتشخيص جهة الكعبة، وذلك ان طريقهم الى تشخيص عرض البلاد- وهو ضبط ارتفاع القطب الشمالي- كان اقرب الى التحقيق، بخلاف الطريق الى تشخيص الطول، وهو ضبط المسافة بين النقطتين المشتركتين في حادثة سماوية مشتركة كالخسوف بمقدار سير الشمس حسا عندهم، وهو التقدير بالساعة، فقد كان هذا بالوسائل القديمة عسيرا وعلى غير دقة، لكن توفر الوسائل وقرب الروابط اليوم سهّل الأمر كل التسهيل فلم تزل الحاجة قائمة على ساق، حتى قام الشيخ الفاضل البارع الشهير بالسردار الكابلي- رحمه اللّه- في هذه الأواخر بهذا الشأن فاستخرج الانحراف القبلي بالأصول الحديثة وعمل فيه رسالته المعروفة بتحفة الأجلة في معرفة القبلة وهي رسالة ظريفة بيّن فيها طريق عمل استخراج القبلة بالبيان الرياضي، ووضع فيها جداول لتعيين قبلة البلاد.

ثم استخرجت بعده قبلة أكثر بقاع الأرض[1] وأخيرا فيما يقرب من ألف بقعة من بقاع الأرض أدق منها[2] شكر اللّه مساعيهم.

و ترى ان النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله ولّى وجهه- عند تحول القبلة- شطر المسجد الحرام، دون عينه أو عين الكعبة، وجبريل عليه‌السلام هو الذي ولاه بأمر اللّه!.

إنه- بطبيعة الحال- ولّى وجهه الشطر الخاص الذي يوافي المسجد الحرام والكعبة، لكن المسلمون لهم أمر عام «و حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره» وأين شطر من شطر؟ شطر يحوله اللّه إياه، وشطر يتحول اليه من سواه، كما ثبت بحساب العرض والطول الجغرافي أن محرابه صلى‌الله‌عليه‌وآله في المدينة مواجه للقبلة بصورة دقيقة!.

كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ(١٥١).

«و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة .. ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون»- «كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولًا» من ولد باني القبلة، فإن هذه الرسالة السامية أصل لتمام النعمة وكما الهداية، كذلك فلتكن قبلتها أهدى قبلة، وأنعم نعمة على الأمة الأخيرة- إذا: فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ (١٥٢).

و ذكر اللّه ثلاثة، رأس الزاوية فيها هو الذكر الخفي بالقلب وبكلّ مراحل الروح، ثم الجلي بالأعمال،

و من ألطف ما وفق له في وسعيه- شكر اللّه سعيه- ما اظهر به كرامة باهرة للنبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في محرابه المحفوظ في مسجد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بالمدينة ٢٥ ٢٧٥- وذلك ان المدينة على ما حاسبه القدماء كانت ذات عرض ٢٥ درجة وطول ٧٥ درجة و٢٠ دقيقة، وكانت لا توافقه قبلة محراب النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) في مسجده، ولذلك كان العلماء لا يزالون باحثين في امر قبلة المحراب، وربما ذكروا في الخرافة وجوها لا تصدقها حقيقة الأمر، لكنه- رحمه اللّه- أوضح ان المدينة على عرض ٢٤ درجة ٥٧ دقيقة وطول ٣٩ درجة ٥٩ دقيقة، وانحراف درجة ٤٥ دقيقة تقريبا، وانطبق ذلك قبلة المحراب أحسن الانطباق وبدت بذلك كرامة باهرة للنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) في قبلته التي وجه وجهه إليها وهو في الصلاة، وذكر ان جبرئيل أخذ بيده وحول وجهه إلى الكعبة، صدق اللّه ورسوله.

[1] .استخرجه المهندس الفاضل الزعيم عبد الرزاق البغائري رحمه اللّه ونشر فيها رسالة في معرفة القبلة، وهي جداول يذكر فيها الف وخمسمائة بقعة من بقاع الأرض وبذلك تمت النعمة في تشخيص القبلة.

و لان الجهة الثانية وهي الجهة المغناطيسية غير دقيقة، فإنهم وجدوا ان القطبين المغناطيسيين في الكرة الأرضية غير منطبقين على القطبين الجغرافيين منها، فان القطب المغناطيسي الشمالي مثلا، على انه متغير بمرور الزمان، بينه وبين القطب الجغرافيائي الشمالي ما يقرب من ألف ميل، وعلى هذا فالحدّ لا يشخص القطب الجنوبي الجغرافي بعينه، بل ربما بلغ التفاوت إلى ما لا يتسامح فيه، لذلك:

[2] .قد انهض هذا، المهندس الرياضي الفاضل الزعيم حسين علي رزمآرا في سنة ١٣٣٢ هجرته شمسية على حل هذه المعضلة واستخراج مقدار التفاوت بين القطبين الجغرافي والمغناطيسي بحسب النقاط المختلفة، وتشخيص انحراف القبلة من القطب المغناطيسي فيما يقرب من الف بقعة من بقاع الأرض، واختراع حدّ يتضمن التقريب القريب من التحقيق في تشخيص القبلة، وهو اليوم دائر معمول- شكر اللّه سعيد الميزان لاستاذنا العلامة الطباطبائي قدس اللّه روحه (ج ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

ثم الجلى بالأقوال، إذا فالذكر أحوالي وأعمالي وأقوالي: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ»(۶: ۲۰۴). ولكلّ درجات حتى تصل الى القمة العاصمة عن كل عصيان ونسيان وخطأ وهي تختص بالمخلصين المعصومين، وأفضل الذكر هو الجمع بين المراحل الثلاث، ثم أفضله الأوليان، ومن ثم الأولى، وأعدله ما تساوى فيه الخفي والجلي، اللهم إلا ذودا عن رئاء الناس، ثم و«أفضل الذكر لاإله إلا اللّه»[۱].

و الذكر- أيا كان- قد يقابل الغفلة: «وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا»(۱۸: ۲۸) وأخرى يقابل النسيان: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ» (۱۸: ۲۴) وقد يشتركان في غائب العلم فالغفلة عنه والنسيان، إذا فأصل الذكر هو للقلب وأصحابه عقلا وصدرا ولبا وفؤدا، ثم يتجلى في القالب أعمالا وأقوالا.

«... أما إني لاأقول: سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلّا اللّه واللّه أكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر اللّه في كل موطن، إذا هجمت على طاعته أو معصيته»[۲].

و العصيان أيا كان إنما هو من حصائل الغفلة والنسيان وكما يروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: «من أطاع اللّه فقد ذكر اللّه وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى اللّه فقد نسي اللّه وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن»[۳].

وفي حديث قدسي: «إذا علمت أن الغالب على عبدي الإشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو حلت بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقا، أولئك الأبطال حقا، أولئك الذين إذا أردت أن أهلك أهل الأرض عقوبة ذويتها عنهم من أجل أولئك الأبطال»[٤].

وقد خرج رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله على أصحابه فقال:

ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، أغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند اللّه فلينظر كيف منزلة اللّه عنده، فإن اللّه تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد اللّه من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم عند مليككم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر اللّه تعالى فانه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني .. وقال تعالى: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»بنعمتي، اذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعم والإحسان

---

[۱].الدر المنثور ۱: ۱۵٤- اخرج الخرائطي عن جابر بن عبد اللّه سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم يقول: أفضل الذكر لا اله الا اللّه وأفضل الشكر الحمد للّه.

[۲].في المعاني عن الحسين البزاز قال قال لي ابو عبد اللّه عليه‌السلام: ألا أحدثك بأشدّ ما فرض اللّه على خلقه؟ قلت: بلى- قال: «انصاف الناس من نفسك ومواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن أما إني ...».

[۳].الدر المنثور ۱: ۱٤۹- اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في شعب الايمان عن خالد بن أبي عمر قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم: ...

[٤].في عدة الداعي عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم قال قال سبحانه: إذا علمت ...

والراحة والرضوان[1].
ثم الذكر في «فاذكروني» غيره في «أذكركم» فان اللّه لايغفل ولا ينسى، فإنما هو أثر الذكر، ان يرحم عبده في مواقفه ومنها مغفرته، دفعا عن العصيان حين اقترابه، ام رفعا للعصيان بعد اقترافه، وكما يروى عن رسول الذكر صلى‌الله‌عليه‌وآله تفسيرا لآية الذكر: «اذكروني يا معاشر العباد بطاعتي أذكركم بمغفرتي»[2] ف «طاعتي» تعم فعل الواجب وترك الحرام، و«مغفرتي» تعم الدفع والرفع، والأوّل للأولين في ذكر اللّه وطاعته، والثاني لمن بعدهم الآخرين، ثم العصيان حالة الغفلة والنسيان، هو أدنى من العصيان حالة الذكر فإنه طغيان «فحق على اللّه ان يذكر صاحبه بمقت»[3].
ثم ونسيان ذكر اللّه كفر به وكفران، وذكره شكر وشكران، فقد قال موسى يا رب أخبرني كيف أشكرك؟ قال: «تذكرني ولا تنساني فإذا ذكرتني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني»[4] «كفرتني» تعني سترتني عن نفسك سترا لنفسك عني بعدا معرفيا، وهي مختلف عن «كفرت بي» فهذا كفر وذاك كفران.
«فاذكروني» الظاهر في ذكر اللّه الدافع الى طاعته تقوى قد تشمل ذكره- أيضا- حال معصيته طغوى، فهي هنا أمر تعجيز وتهديد، كما الأوّل أمر تحجيز وتمديد، وكما يروى «أوحي اللّه إلى داود قل للظلمة لايذكروني فإن حقا عليّ أذكر من ذكرني وإن ذكري إياهم أن ألعنهم»[5].
إذا «وَ لا تَكْفُرُونِ» كما تعني الكفران بالنسيان، كذلك تعني الكفر بالذكر حالة الطغيان في العصيان، ولأن «أذكركم» هي كجزاء ل «فاذكروني» فلتكن أوسع من شرطها كما قال اللّه مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها فكذلك اللّه في مسرح الذكر حيث يقول:
«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي- وإن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وإن تقرّب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة»[6] ويقول:

---

[1].عدة الداعي قال: وروي ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم قد خرج على أصحابه فقال: ...

[2].الدر المنثور ١: ١٤٨- أخرج ابو الشيخ والديلمي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» يقول: ...

[3].و فيه أخرج ابن لال والديلمي وابن عساكر عن أبي هند الداري عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم مثله بزيادة: فمن ذكرني وهو مطيع فحق عليّ ان اذكره بمغفرتي ومن ذكرني وهو لي عاص فحق علي ان اذكره بمقت.

[4].الدر المنثور ١: ١٤٨- اخرج ابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان عن زيد بن اسلم ان موسى عليه‌السلام قال:...

[5].المصدر أخرج ابن أبي شيبة في المصنف واحمد في الزهد والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس ...

[6].المصدر أخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم قال اللّه: ...

«لا يذكرني أحد في نفسه إلّا ذكرته في ملاء من ملائكتي ولا يذكرني في ملاء إلا ذكرته في الرفيق الأعلى»[1] ف «أحب الأعمال الى اللّه أن تموت ولسانك رطب من ذكر اللّه»[2] ف «ليس يتحسر أهل الجنة إلّا على ساعة مرت بهم لم يذكر اللّه تعالى فيها»[3].

«وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ» وأوّل معرفة النعمة أنها من اللّه، ف «ما أنعم اللّه على عبده من نعمة فعلم أنها من عند اللّه إلا كتب له شكرها قبل أن يحمده ...»[4].

ثم النظر الصالح في مسرح الحياة لمرضات اللّه تعالى، ف «من نظر في الدين إلى من فوقه وفي الدنيا الى من تحته كتبه اللّه صابرا شاكرا، ومن نظر في الدين إلى من تحته ونظر في الدنيا إلى من فوقه لم يكتبه اللّه صابرا ولا شاكرا»[5].

ثم أن يصرف كل ما أنعمه اللّه في مرضاته، وبالتالي كأرفع الشكر ان يعترف بعجزه عن شكر ربه كما قال موسى عليه‌السلام يوم الطور: يا رب إن أنا صليت فمن قبلك وإن أنا تصدقت فمن قبلك وإن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك فكيف أشكرك؟ قال: «يا موسى الآن شكرتني» *.

ثم وترك كل مرتبة من الشكر كفّر حسبها بمعنى الكفران، اللّهم إلا ذكرا لنعمته وكفرا بالمنعم فمكفر باللّه. وكما الذكر درجات كذلك الشكر درجات، والنسيان والكفران والكفر- أيضا- دركات: ففي الشكر تبدأ بالاعتراف بفضل اللّه وان كل النعم هي من اللّه، وتنتهي بالتجرد لشكره في كل حقول المعرفة والعمل والاعتراف بالعجز عن شكره، في كل حركة بدن، وكل لفظة لسان، وفي كل خفقة قلب، وفي كل خطرة جنان، وبين المبدء والمنتهى متوسطات.

تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ (١٠١).

«تلك القرى» الرسالية المكلفة برسالات اللّه، على مدار الزمن الرسالي «نقص عليك» قصا تاريخيا بعضا «من أنباءها»أمام الدعوات الرسالية «وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» رسولية ورسالية، ولكن «فَما كانُوا

---

[1].المصدر أخرج الطبراني عن معاذ بن أنس قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم قال اللّه عز وجل ذكره: ...

[2].المصدر عن مالك بن يخامر ان معاذ بن جبل قال ان آخر كلام فارقت عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم ان قلت اي الأعمال أحب الى اللّه؟ قال: ان تموت ...

[3].المصدر أخرج الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم: ...

[4].الدر المنثور ١: ١٥٣ عن عائشة عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم قال: «و ما علم اللّه من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له ذلك قبل ان يستغفره ان الرجل ليشتري الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد اللّه فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له».

[5].المصدر اخرج البيهقي عن انس قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم: ...

لِيُؤْمِنُوا ....».
فهنا سلسلة موصولة من الرسل والرسالات بكل البسالات والحصالات، وتقابلها سلسلة من التكذيبات.
و هناك ثالوث من غائلاتهم إذ «ما كانوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ» وذلك: ١ تكذيب من قبل، ٢ فطبع على قلوبهم ثم ٣ (فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا» من بعد، لمكان ذلك الطبع بالطبع امتناعا بالاختيار.
فترى أن «من قبل» هنا تعني قبل ولادهم في الذر؟ ولا يعني الذر في آيته عالما قبل الولاد، فيه واقع التساءل بين اللّٰه وبينهم، إذ لايذكره أحد حتى من كمّل المؤنين، فكيف يحتج عليهم ب «بلى» فيه، على «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤنا مِنْ قَبْلُ ..»! ولا دور للإحتجاج بما هو منسي طليق لن يذكر.
ثم لم يكن في الذر منهم ومن كل الناس- أيا كان وكانوا- إلّا «بلى»وهنا «بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ»!.
فحتى ولو كان منهم «لا» فلا يستحقون بمجرده أن يطبع على قلوبهم إلّا إذا أصروا في التكذيب يوم التكليف! فقد يكفر مكلف بشرعة اللّٰه إذا لما تصله حجتها، أم وصلته ولمّا يفكر فيها، أم فكر وكذب بها عجالة دون إصرار، ولمّا يحن حين الطبع في هذه الثلاث، اللّهم إلّا إذا عاش تكذيبا بعلم وعناد ثم طال الأمد وزالت إمكانية الإيمان، فهنا دور الطبع وكما هو باهر في آياته.
و هنا «فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» تنفي كينونة الإيمان منهم بما كذبوا من قبل في هذه المرحلة الأخيرة من علم وعناد، فطبع اللّٰه على قلوبهم بما كذبوا.
ف «ليؤنوا» حذفا للناصبة: «أن» تعني «للإيمان» إذا فما كانوا للإيمان بما كذبوا، إذ خرجوا عن إمكانيته بما كذبوا لحد طبع اللّٰه على قلوبهم.
أم هو «من قبل» ابتعاث الرسل؟ وقد ابتدأت البشرية بابتعاث الرسل، إذ بزغت الرسالات بآدم عليه‌السلام!
ثم لاتكذيب قبل الرسل- لو صح التكليف قبلهم- إذ كانوا ضلالا لاعلى هدى ولا على ضلال التكذيب بالرسالات ولمّا تأت، لو كانت البعثات الرسالة بعد ردح من خلق المكلفين.
ثم وليس كل تكذيب بعد بزوغ الرسالات مما يستحق الطبع على قلوب المكذبين!، إنما هو التكذيب العاند العامد المستمر الذي لامجال فيه للاهتداء.
أم تعني «من قبل» أنهم عاشوا زمنا للرسل أو الرسالات فكانوا مكذبين بها علما وعنادا فطبع اللّٰه على قلوبهم، ثم استمروا في تكذيبهم بعد هذه العيشة المكذبة النكدة، «فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا» لوقت ما بعد «بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» وكل ذلك كان في حضن الرسل، أو الرسالات، سواء أ كانوا في فترة من الرسل والرسالات قائمة، كالذين عاشوا بين آدم وإدريس، وبين إدريس ونوح، أم وبين المسيح ومحمد عليهما‌السلام- كأطول فترة-: «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» (٣٦: ٦) (لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» (٢٨: ٤٦)
فهم «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» (٢: ٦) فالفترة بين الرسل، وفيها فتور لبلاغ رسالاتهم لمكان التحريف والتجديف، إن لها دورا دائرا مائرا في حصالة العناد اللدود.
أم وفي غير الفترة كما بين نوح وإبراهيم وموسى وكما في آيات يونس: «ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ.

ثُـمَّ بَعَثْنـا مِـنْ بَعْـدِهِمْ مُـوسى وَ هـارُونَ إِلى فِرْعَـوْنَ وَ مَلَائِـهِ بِآياتِنـا فَاسْـتَكْبَرُوا وَ كـانُوا قَوْمـاً مُجْرِمِينَ»(۷۴:۱۰- ۷۵).

«وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمّا ظَلَمُوا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْ ُمجْرِمِينَ. ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْـفَ تَعْمَلُـونَ» (۱۰: ۱۳) وآيـة الأنعام:

«وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِـهِ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَ نَـذَرُهُمْ فِي طُغْيـانِهِمْ يَعْمَهُـونَ»(۶: ۱۱۰).

فالفترة بين الرسـل هـي مـن الظـروف القاسـية العاصـية بطبيعـة الحـال، لحقـل التكـذيب بالرسـل ورسالاتهم، فإذا جاء بعدها فقد يواجهون من قبل هؤاء الالدّاء بتكذيبات وتعذيبات.

كما وان لتكذيب الرسل في زمنهم دور قاس في ملاحقة التكذيب، علّه أقسى من دور الفترة، فالعائش زمن الرسل برسالاتهم، هو أنحس نكرانا لهم ولها مبدئيا، مهما كـان العـائش الفـترة بـين الرسـل هـو أنحس منه نكرانا بطبيعة الحال، وهما مشتركان في قساوة التكـذيب، مهـما كـان الـبعض أقسى- مـن الآخر لملابسات أخرى، أم لنفس الدور رسوليا وفترة بين الرسل.

وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ(۱۰۲).

ذلك العهد هو عهد الفطرة كأول عهد، ومـن ثـم عهـد العقليـة الإنسـانية والشرـعة الربانيـة حيـث يتلوانه، و«أكثرهم» هنا لاتعني أكثر المكذبين حيث التكذيب ولا سيما ذلك الصلب الصلت هو بنفسه ترك لمثلث العهود، فقد تعني «أكثرهم» أكثر المكلفين، و«إن»هنا مخففة عن «إنّ» فقـد وجـدنا أكـثرهم لفاسقين، خروجا عن عهد الفطرة وعهد الشرعة، فالخارج عن عهد الفطرة قبل إتيان الرسل هو خارج عن عهد الشرعة بعد إتيانهم بطبيعة الحال.

ثم و«أكثرهم» قد تعني كافة الناس في مثلث الزمان في وجدان علمي رباني، وعدم وجدانه تعالى لشيء هو عدم وجود ذلك الشيء، ولا تعني سلبية العهد أصـله، فـإنهم يعيشـون مثلـث العهـد، وإنمـا هـو استمرارية ذلك العهد تطبيقا له.

ثم «إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ» دون «كافرين» لكي يشمل كل تخلفة عن العهـد إلحـادا أو إشراكـا أو كفرا كتابيا، أم فسقا في كل دركاته.

و قد تعني «من عهد» استئصال العهد لأكثرهم عن بكرته، مهما كان عهدا معرفيـا، أو عقيـديا، فضـلا عن العملي.

فقد تعني- إذا- أكثرهم، أكثر المكذبين بآيات اللّه، فالعهد بين حالات ثلاث، ۱ مسـتغرقة إيجابيـا كـما للرعيل الأعلى من المعصومين عليهم‌السلام، ۲ ومستغرقة سلبيا كما لأسفل سافلين مـن المكـذبين، ۳ وعوانـا بينهما تطبيقا لعهد وتركا لآخر، فقد يوجد مكذبون لمّا تستأصل عهودهم عن بكرتها فهم قد يؤنـون أم- ولأقل تقدير- يتركون التكذيب، ثم الأكثرية منهم يعيشون ترك عهودهم حتى الموت «وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ».

ففي مثلث العهود بدرجاتها، يسبّع الناس بدرجاتهم، فمن واجد عهد الفطرة دون العقـل، أم واجـد عهد العقل ناس عهد الفطرة، أم واجد عهد الشرعة دون عهد الفطرة والعقل، أم واجـد لهـا كلهـا، أم واجد لاثنين منها، فالواجد لها كلها هو القائم بها مهما كان درجات، والواجد لواحد منها هو أضعف الواجدين، ثم الواجد لاثنين منها هو عوان بينهما، كمن وجد عهد الفطرة والعقل، أو العقل والشرعة،

أو الفطرة والشرعة، ثم التارك لها كلها هو المصداق الصادق ل «ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ».
ذلك، ولا يخلو أحد من عهد الفطرة مهما كان خلوا من العقل، كما لايخلو أحد من المكلفين من عهد الشرعة مهما كان زمن الفترة.
فالصراط الوحيد إلى اللّه هو مثلث العهد فطريا وعقليا وشرعيا، فإن وسيط العقل بين الفطرة والشرعة هو صالح العقل والفطرة والشرعة.
كما أن الوهيد الوهيد هو ترك ذلك المثلث بأسره ف «لم نجد له عهدا»حيث لامنفذ- إذا- له إلى الهدى.
و من ثم نجد راحلة- مهما كانت مائلة ماحلة- في العوان بينهما، فالواجد لبعض منها التارك لبعض قد ينجو وينجح بما هو واجده، فالفطرة تدعوا إلى العقلية الصالحة وصالح الشرعة، كما الشرعة تدعوا إلى الفطرة والعقلية الصالحة، والعقل الصالح يدعو إلى الفطرة والشرعة.
ذلك، والفسق عن الفطرة يخلّف الفسق عن العقلية، كما الفسق عن العقلية يفسق عن الشرعة، وهكذا الفسق عن الشرعة يفسق عن الآخرين، وكوجه عام وضابطة، يخلف الفسق عن كلّ من هذه الثلاث فسقا عن الآخرين.
كما وأن صفاوة كلّ وحفاوته تؤر في الآخرين، فهي تتجاوب- دوما- سلبيا وإيجابيا في تعامل دائب.
لذلك نرى آية الفطرة تتبناها كأصل للدين، وآيات العقل تجعله كوسيط بين الأنفس والآفاق، والشرعة الربانية تتبنى الفطرة كأصل والعقل وسيطا بين الأصلين.
ذلك، ف «من عهد» المستأصلة كل عهد، لاتناسب إلّا المكذبين بآيات اللّه طول التاريخ، فإن أكثرهم ليس لهم عهد، ولأقلهم عهد هو لأقل تقدير عهد الفطرة أو العقلية الإنسانية، فقد يرجى اهتداءهم يوما ما إلى الحق.
فلا تعني «أكثرهم» كل المكلفين، ولا المكذبين المطبوع على قلوبهم، حيث الأكثرية من المكلفين قاصرون أم مقصرون دون تكذيب على علم وعهد، أم ومهما كان عن علم وعمد فليس يطبع على قلوب أثرهم، بل هم القلة العنيدة العتيدة في التكذيب.
و لاالمطبوع على قلوبهم لأنهم كلهم ليس لهم أي عهد، إنما هم مجموعة المكذبين، فإن أكثرهم ليس لهم «من عهد».
فسلبية العهد المستغرقة كل عهد تجعلهم كأن لاعهد لهم من أصله، بل هم أدنى ممن لم يخلق له عهد إذ يعارضون كل أحكام الفطرة والعقل والشرعة.
ثم «إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ» المختوم على قلوبهم «لفاسقين» متخلفين عن هذه العهود الثلاثة إلى أضدادها، ف «إن وجدنا ..»هي كتفسير ل «ما وجدنا»تثبيتا لأصل العهود الثلاثة لهم، ولكنهم عنها فاسقون متخلفون، ولم يقل «كافرون»لأن كل المكذبين بآيات اللّه كافرون وإنما «لفاسقون» عناية إلى خروجهم عن هذه العهود.
ذلك، وكما أن الشيطنات سبع دركات، كذلك الرحمات سبع درجات، وكما الشيطان الأكبر هو الجامع لثالوث: الشيطان- البقر- النمر، كذلك الإنسان الأكبر هو الذي يجمع بين هذه العهود الثلاثة، تاركا لثالوث الشيطنات.
ذلك، ومن الآيات المحلقة على كل العهود: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» (۳۶: ۶۰) (وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيّايَ فَارْهَبُونِ»(۲: ۴۰) (وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً»(۴۸: ۱۰).

و من الخاصة بعهد الفطرة آيتا الذر والفطرة، ومن عهد الشرعة الأصيلة: «وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ»(۲: ۱۲۵) (وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً»(۲۰: ۱۱۵).

و من عهدنا فرعيا ما نعاهد ربنا أو يعاهد بعضنا بعضا: «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ»(۱۶: ۹۱) (وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا»(۲: ۱۷۷).

المدخل

في هذا الكراس نتحدث عن رساله موسى الرسول(صلوات الله عليه) ومن معه و بعده من الرسل الكرام تحقيقاً عميقاً انيقاً حول المحتد الرسالي في دعواتهم ودعاياتهم بين اممهم حسب المستفاد من آي الذكر الحكيم والروايات الاسلاميه واليهوديه و لاينبئك مثل خبير.

والسلام عليكم والرحمه الله وبركاته

قم المقدسه
محمد الصادقي الطهراني
تليفون: ۲۹۳۴۴۲۵